الإسلام المنشود

تأليف

سعيد محمد السواح



١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

طبعة جديدة منقحة

رقم الإيداع : ٢٠٠٥/١١٦٩٦

الناشر

دار البصيرة

جمهورية مصر العربية / الإسكندرية

٢٤ ش كانوب ـ كامب شيزار ـ ت ٥٩٠١٥٨٠

٤٩ ش القنطرة ـ محطة مصر ـ ت ٣٩١٢٠٥١



بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسنَ الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

وبعد:

إن البشرية قد تاهت في ظلمات الضلال وصارت تضرب في الحياة على غير هدى كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران وباتت تقف على حافة بركان مُدمر يوم أن انحرفت خطاها عن طريق الله وابتغت الصلاح في غير ما جاء من عند ربها وأدارت ظهورها لقوانين السماء لتحتكم إلى عقولها القاصرة وأفكارها السقيمة غير مدركة أن الله خالقها قد شرع لها في كل شيء ما يكفل لها حياة الأمن والرخاء.

لقد قاست الإنسانية أهوالاً مروعة على يد المجتمعات الرأسمالية والشيوعية نتيجة لخوائها الخلقي وفراغها الروحي. وسوف تبقى تلك الأهوال وصمة في تاريخ الحضارة المادية الحديثة.

لقد شقيت البشرية أيما شقاء وتعثرت خطاها في ظل هذه المناهج الأرضية وهي اليوم تقف حيرى تبحث عن منقذ وتتلفت إلى مخلص وتتخيل هذا المنقذ ولذلك المخلص سمات وملامح لم ولن تنطبق يومًا إلا على الإسلام.

ولقد كان من فضل الله تعالى على الناس ورحمته بهم أن أنزل إليهم شرائعه وكتبه وأرسل إليهم رسله مبشرين ومنذرين يبينون لهم الحق ويوضحون لهم معالم الطريق.

ولما كان الإسلام هو الرسالة الخالدة فقد جاء عامًّا شاملاً صالحًا لكل زمان ومكان ما بقي هذا الزمان وذلك المكان.

ومن عموم الإسلام وشموله أنه نظم أمور الدين والدنيا جميعًا ولم يكن في يوم من الأيام مجرد عدة شعائر تقام أو عدة أيام تصام أو عدة صلوات تؤدى في المساجد بل جاء ليضع القواعد والأسس التي تضمن للبشرية حياة سعيدة مطمئنة.

لقد كان الإسلام وما زال وسيظل بإذن الله تعالى دينًا ودولة عقيدة وسلوكًا ومنهج حياة.

وإن كان للإسلام شعائره التعبدية فإن له نظمه السياسية والاقتصادية والاجتماعية وله مبادئه الأخلاقية والسلوكية وله تنظيماته في السلم وفي الحرب وفي داخل البلاد وخارجها.

ومن الهزيمة النفسية أن البعض يصف الإسلام بأنه رأسمالي لمجرد أنه يقر الملكية الخاصة ووصفه البعض بأنه اشتراكي لمجرد أنه يعترف بالملكية العامة.

ولكنا نقول إن الإسلام هو الإسلام ليس بشرقي ولا غربي بل له ذاتيته

المستقلة وشخصيته المتفردة والمتميزة كما أن له أسسه وقواعده الموضوعة داخل إطار خاص من القيم والمفاهيم والتي تناقض الأسس والقواعد والقيم والمفاهيم التي قامت عليها الرأسمالية الحرة والاشتراكية الماركسية.

ولا يزيد من قدر الإسلام في شيء أن يكون رأسماليًّا أو اشتراكيًّا وإنما الذي يدفع قدره ويعلي شأنه أن يكون هو الإسلام ليس شيئًا غير ذلك.

فالمنهج الإسلامي نسيج وحده وأنه إذا كان يشابه بعض النظم في بعض الفرعيات أو يلتقي معها في بعض الأسس فإن هذا لا يعني وحدة المنبع أو تماثل المسار.

ولما تخلت الأمة عن رسالتها وتشاغلت عن مهمتها تسلط عليها الأعداء وتداعوا عليها كما تداعي الأكلة على قصعتها وما فتئ أهلها أن صاروا غثاءً كغثاء السيل، كما نُزع من قلوب أعدائهم المهابة منهم وأصابَهم الوهن فأصبح الأعداء يحكمون عليهم ويقضون بقضاياهم بما يناسب شهواتهم ومطامعهم وهم غائبون دون أن يؤخذ لهم قول أو يسمع لهم رأي.

وتحولت الأمة من مكان الصدارة إلى الحضيض فأصبحت في مؤخرة الركب وصدقت فيهم نبوءة الرسولﷺ فتابعوا الأمتين الملعونتين (اليهود والنصارى).

«لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع .... الحديث» في كل شيء إلا ما رحم الله.

ولا شك أن المجتمعات المنتسبة للإسلام اسمًا والتي تخلت عن إسلامها حقيقة وواقعًا ولم تعد تبالي بأوامر الله ولا تلتفت إلى نواهيه ولا ترفع بذلك رأسًا قد تفشت فيها المنكرات وأعلنت وانمحت آثار الدين من واقعها اللهم إلا ما بقي من بعض مظاهره القليلة أو النادرة.

وإن مما زاد البلاء شدة تخلي الكثير من أبناء المسلمين عن القيام بواجب الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر كما أمر الله تعالى.

وأصبح المنكر في بلاد المسلمين سهل التناول سهل الظهور في المجتمع مبذول لمن أراده متعرض لمن أعرض عنه. فأصبح علنًا في أسواق الناس ومجامعهم.

وقد خيل للمسلمين وهم في غمرتهم هذه أن تقدُّم الأوروبيين راجع لقوانينهم وأنظمتهم فذهبوا ينقلونها وينسجون على منوالهم فلم تزدهم إلا ضلالاً على ضلالهم وخبالاً على خبالهم وضعفًا على ضعفهم بل جعلتهم أحزابًا وشيعًا كل حزب بما لديهم فرحون بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى.

ونسوا أن حياة المسلمين وتقدمهم ورقيهم متوقف على تطبيق الشريعة الإسلامية، وأن كيان المسلمين تابع لكيان الشريعة ووجودهم مرتبط بوجودها وسلطانهم تابع لسلطانها.

لذا فالأمة الإسلامية دائمًا في حاجة إلى من يحدد ويجدد لها مفاهيمها خاصة إذا خُلطت مفاهيم الإسلام بغيرها من المفاهيم الغربية عن الإسلام ومجتمعه وثقافته حتى ما استطاع أبناؤه أن يميزوا بين منهج الإسلام وغيره من هذه المناهج.

وكم تحتاج الأمة الإسلامية في حياتها المعاصرة إلى كثير من توضيح المفاهيم التي يراد لها التخليط والإدماج والإلغاء في مفاهيم غريبة على الإسلام ومجتمعه وثقافته.

ونحن نحتاج إلى إعطاء المقصود الصحيح عن الإسلام:

- الإسلام دين ودولة ونظام ومنهج حياة.
- خصائص هذه الشريعة الإسلامية وأنها صالحة لكل زمان ومكان.

فالإسلام مفهوم شامل ودستور للحياة البشرية في كل اتجاهاتها بل هو في الحقيقة مفهوم شامل للكون والحياة والإنسان. وهو مفهوم شامل ودستور يحكم الحياة وينظمها بحكم الاقتصاد و الاجتماع والماديات والروحانيات ويوجه الأفكار

والمشاعر والشعائر ويضبط السلوك العملي في واقع الحياة.

فالإسلام هو إسلام النفس كلها لله أن يكون كيان الإنسان كله متوجهًا إلى الله. ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢- ١٦٣].

فالإسلام منهج متكامل متماسك لا يؤدي دوره ويقوم بمهمته إلا إذا أُخذ كاملاً يقول النبيﷺ: **«الإيمان بضع وستون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»** هذه الشعب هي التي تُكون جسم الإيمان الكامل.

لقد شاعت فكرة أن الدين خصم للحياة، وأن الحياة لم تبلغ مستواها العلمي والعمراني إلا بعد ما تخلصت من إيحاءات الدين واهتمامه المُلِحّ بما بعد الحياة لا بالحياة نفسها ولا شك من خطأ هذه النظرية بالنسبة للإسلام فهذه نظرية تصلح مع الشرائع السابقة على الإسلام فأدنى تأمل لتعاليم هذا الدين يؤكد أن هناك علاقات وثيقة بين تمام الإيمان وحسن النظر والعمل في الكون والحياة.

فلقد ساد هذا الاعتقاد لدى بعض الناس أن الدين لا دخل له في شئون الحياة المادية وفي طليعتها أمور المال والاقتصاد وأن شعائره يجب ألا تمارس إلا داخل جدران المساجد أو القيام ببعض العبادات الأخرى التي أمر الله بها – أما النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها من الأمور التي تتصل بتنظيم المجتمع وتسيير حركة الحياة فيه فهي متروكة للبشر وموكولة إلى اجتهادهم يضعون لها ما يشاءون من نظريات وما يرغبون من تشريعات.

فشريعة الله جاءت منظمة لكل أغراض الحياة وشئونها وأن الإسلام دين ودولة وعقيدة ونظام حياة.

فالإسلام هو الذي عرف الإنسان بالكون وكيف أنه مسخر للإنسان وما

شرقت الشمس ولا غربت إلا من أجل الإنسان.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾

[لقمان: ٢٠]

وقال سبحانه:

﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٢٧-٣٠].

فالإسلام يمزج مزجًا تامًّا بين مصالح الإنسان في دنياه وفي أخراه كما يمزج مزجا تاما بين مصالح الإنسان البدنية والروحية. فليس هناك خصام في الإسلام بين الروح والجسد ولا بين المعاش والمعاد.

ولا شك أن تخاذل الكثرة الكثيرة التي تنتمي إلى ذلك الدين في حمل هذه الرسالة ودعوة الخلائق إلى دين الله تعالى والتزام ذلك الدين عقيدة وشريعة وخلقًا وسلوكًا حتَّى وصل المجتمع الإسلامي في أراذل المجتمعات الإنسانية ومسخت هذه الهوية الإسلامية ومسخت شخصية المسلم التي أرادها الله تعالى لمن ينتسبون إلى ذلك الدين.

لذا كان واجبًا على كل من يدين لله بهذا الدين أن يقوم بأداء دوره في تبليغ هذا الحق للخلق وتعبيد هذه الخلائق لرب العالمين.

ونحن نحتاج في دعوتنا:

أن نبين معالم هذا الدين وخصائصه وركائزه التي يقوم عليها، وما إذا كان يصلح لأن يسود الدنيا ويسوس الدنيا بالدين وهل يصلح لأن يكون منهجًا للحياة وحاكمًا حتَّى يتكون لنا مفهوم وتصور صحيح حقيقي عن هذا الدين. كما قال النبي ﷺ:

«من رأي منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» .

فمن خلال ذلك يبين لنا النبي ﷺ أن واجب التغيير يلزم كل مسلم يدين لله بهذا الدين. وكما قال أيضًا ﷺ:

«الدين النصيحة»، قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: **«لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»**.

والمسلم مطالب بنشر دعوة الإسلام وبيان قيمه ومبادئه التي تجعل الإنسانية تستمتع بسكينة النفس وطيب العيش وسلامة الضمير.

والمسلم مكلف بأمرين:

- تبليغ هذا الدين.
- حماية حقائق هذا الدين من التحريف والتشويه.

فالمسلم لا يحيى على الأرض كحياة البهائم يسعى وراء تحقيق شهواته ونزواته ولكن المسلم ذو هدف ورسالة.

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

فالإسلام يجعل غايته الأخيرة وهدفه البعيد هو حسن الصلة بالله تبارك وتعالى والحصول على مرضاته - فهذه هي غاية الإسلام - وبالتالي هي غاية الإنسان ووجهة الإنسان ومنتهى أمله وسعيه وكدحه في الحياة.

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦].

﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾ [النجم: ٤٢].

وكل ما في الإسلام من تشريع وتوحيد وإرشاد إنما يقصد إلى إعداد الإنسان ليكون عبدًا خالصًا لله لا لأحد سواه. ولهذا كان روح الإسلام وجوهرة هو التوحيد ويحقق العبد ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

ولقد خاطب الله تعالى رسوله ﷺ بهذه الحقيقة وأمره أن يعلنها ويبلغها للناس:

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٣].

فالإنسان لم يخلق لمجرد أن يأكل ويشرب ويلهو ويلعب ثم بعد ذلك يموت أو ينفق كما تنفق الدابة، كالذين حكى القرآن عنهم أنَّهم ﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ﴾ [محمد: ١٢].

إنما خُلق الإنسان لغاية أسمى، فالمؤمن يعيش ليعبد الله وحده ويقرر القرآن هذه الحقيقة بوضوح وجلاء حين يذكر الغاية من خلق الجن والإنس.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

هدف الإسلام

هو إسعاد الإنسان وتحقيق مصالحه في العاجل والآجل ودفع المضار عنه في العاجل والآجل.

الإسلام كفيل بإسعاد البشرية

فالدين هو الذي يصون كرامة الإنسان لأنه يحرره من ضغط الشهوات ومن الخضوع المذل للقوى القاهرة التي تقهر الإنسان في الأرض ومنها الضغوط المادية والاقتصادية التي تسحق كرامة الإنسان.

وحين انفلت الناس من قيد الدين فقد وقعوا في عبوديات لا حدود لها وخضعوا لشهواتهم التي أذهبت كرامتهم ومرغتهم في الأوحال. لأن الله الحكيم الخبير اللطيف بعباده رسم للناس حدودًا وأمرهم ألا يقربوها وألا يتعدوها قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾

[البقرة: ١٨٧]

وقال سبحانه: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

أما هؤلاء فينطبق عليهم ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٤- ٤٥].

إن المسلم الصادق هو الذي يسلك ما يحقق له الفلاح والخير والفضل، وإن الأمة الصادقة هي التي تعد نفسها لتبوّء هذا المقام الشريف ولقيادة غيرها من أمم الأرض إلى طريق الحق والمنهج الذي رسمه الله تعالى ليسير عليه الناس.

فالإسلام وحده منقذ البشرية والكفيل بإنقاذها مما تردت فيه من ضياع وفساد وحيرة وضلال وهدايتها إلى طريق السعادة والرشاد والفلاح في الدنيا والآخرة. فلنعلم أن العزة في ديننا.

فالمجتمع المسلم مجتمع قائم على دعائم وعلى أسس قوية وهي الإيمان بالله وحده وربط أفراد المجتمع بأقوى وأوثق العرى وهي رابطة الإيمان ولنعلم أن سبيل النجاة هو الاعتصام بالله تعالى.

والأمة الإسلامية لا تعتز بجاهلية مهما عظم بلاؤها ومهما امتدت حضارتها ذلك لأنها ترى أن كل حضارة لا تعتمد على الإيمان بالله حضارة كاذبة مآلها إلى الشر والدمار.

فالأمة الإسلامية تعتز بالعقيدة التي اعتنقتها والإيمان بالله الذي اجتمعت عليه والتزام أفراد مجتمعها التعاليم التي أنزلت من عند الله تعالى.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

والمجتمع الإسلامي الذي يقيم بناءه على الإيمان بالله وما يتبع هذا الإيمان يجعل جميع الممارسات والتصرفات التي تتم فيه محكومة بالإيمان الذي يكون له آثاره الإيجابية بالنسبة للأفراد والجماعات الذين يتكون منهم هذا المجتمع.

فالإسلام جاء ليقيم المجتمع الفاضل ليقيم مجتمع المؤمنين وأمة المؤمنين على أساس من الإيمان بالله واليوم الآخر ومن العلم النافع والعمل الصالح والحق والعدل والإيثار والأُخُوّة الصادقة والتعاون البناء والمساواة في الحقوق والواجبات بين بني البشر وعدم تفضيل أحد على أحد إلا بالصلاح والتقوى.

لذا كان من المقاصد العليا للإسلام وللشريعة الإسلامية هو تكوين المجتمع الفاضل الذي يحكم بشريعة ربه.

فالإسلام عقيدة وشريعة ونظام شامل متكامل للحياة جاء لينظم الحياة الإنسانية بكافة جوانبها الروحية والمادية ولينظم علاقات الفرد بربه وبأخيه الإنسان وبمجتمعه المباشر وغير المباشر وبالإنسانية جمعاء وبكل ما في الكون والحياة من حيوانات ونباتات وجمادات.

إن العمل للإسلام لإيجاد الشخصية التي تمثله عقيدة وخلقًا وسلوكًا وإيجاد المجتمع الذي يلتزمه فكرًا وسلوكًا واجب شرعي.

فكان من الواجبات الشرعية على المسلم السعي في إقامة الدولة الإسلامية حيث اتفق العلماء على وجوب الخليفة وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم أحكام الله ويسوسهم بأحكام الشريعة التي جاء بها الرسول ﷺ

ولذا وردت نصوص الشريعة الصريحة بضرورة وجود الحاكم والدولة.

قال تعالى:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: ٥٩].

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

[النور: ٥٥]

وقال النبي ﷺ: «لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم».

قال الشوكاني - رحمه الله - تعليقًا على هذا الحديث

وإذا شرع الله هذا لثلاثة يكونون في فلاة من الأرض أو يسافرون فَشرعُه لعدد كثير يسكنون القرى والأمصار ويحتاجون لرفع المظالم وفصل التخاصم أولى وأحرى وفى ذلك دليل لقول من قال يجب على المسلمين نصب الأئمة والولاة والحكام.

غاية الدولة الإسلامية

من القضايا المهمة التي يجب بحثها الغاية الحقيقية التي تتولاها الدولة الإسلامية في الأرض؟ وما الأغراض الأساسية التي تقوم لأجلها وتعمل على تحقيقها من وراء قيامها؟

هذه الغاية التي من أجلها تقوم الدولة الإسلامية تستلهم من قول الله تعالى:

﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ

﴿وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

فغاية الدولة الإسلامية إقامة شرع الله تعالى والقضاء على الشرك والانحراف والفساد وذلك بسياسة أمور الرعية في حدود ما أنزل الله تعالى.

فغاية وجود هذه الأمة قيادة البشرية بكتاب الله تعالى والسير وفق هذا المنهج الرباني المحدد المعالم بكتاب الله تعالى وبسنة رسوله ﷺ.

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

فالهدف الأسمى للدولة الإسلامية الالتزام بما شرع الله والنهي عن جميع أنواع المنكرات التي نَهى الله تعالى ورسوله ﷺ عنها واجتثاث شجرة الشر من جذورها ونشر الخير في جميع أرجاء الأرض. ووسيلة تحقيق أمر الله عز وجل في الأرض يكون بإقامة الدين وسياسة الدنيا بالدين.

ومن أهم أهداف الدولة الإسلامية كذلك نشر الإسلام والدعوة إليه عقيدة ونظامًا لأن الشريعة الإسلامية جاءت عامة لكل الناس.

ونشر الإسلام يكون بالحجة والدليل والتعليم والحوار على الصعيد العالمي يقول الله تعالى

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

وهذه الدعوة السلمية قد تصادف من يمنعها ويكافحها وهنا لابد للدولة الإسلامية من إزالة هذه الحواجز من طريق الدعوة الإسلامية بالقتال. قال الله تعالى

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢١٦].

وقال النبي ﷺ «يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف».

فلابد للجوء إلى القتال لرفع هذه الحواجز وحتى لا تكون فتنة وهي الكفر. قال الله تعالى ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣].

فالإسلام يستهدف في دعوته - كرسالة إلهية خالدة - إصلاح البشرية وحفظ نظام الحياة من خلال الغاية النهائية لرسالة الدين التي تنصب على توحيد الله وتعبيد الإنسان لله.

وانطلقت هذه الرسالة من مبدأ تحرير الإنسان من عبودية الطواغيت والأهواء وتحقيق العبودية لله تعالى.

وتستهدف هذه الرسالة الإسلامية توثيق الصلة بين الإنسان وخالقه وتعريضه لربه وبالمسئولية تجاهه.

فدعوة الإسلام دعوة تحرير شامل للإنسان من العبودية لغير الله بكافة صورها وتوجه الإنسان إلى العبودية الخالصة الحقة لله تعالى وحده.

لذا كان هذا التوجيه القرآني لأهل الكتاب كافة أن يتحرروا من هذه العبودية لغير الله وأن يفردوا الله وحده بالعبادة والخضوع. ومن ذلك قول الله تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

إن عقيدة التوحيد قد منحت المسلم يقينًا بأنه لا رب إلا الله يُخاف ويُرجى ولا إله إلا الله يُجتنب سخطه ويُلتمس رضاه.

فبذلك حطمت كل الأصنام المادية والمعنوية من قلب المؤمن ورضي بالله

وحده ربًّا عليه يتوكل وإليه ينيب وفى فضله يطمع وله يتودد وإليه يحتكم وبه يعتصم ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

فهذا المسلم عاش لله وبالله صلاته ونسكه لله، محياه ومماته لله، نيته وعمله لله، جهده وجهاده لله فهو يفعل الخير للناس ويُسدى المعروف للضعفاء والمساكين ولكنه لا يطلب منهم ثمنًا لمعروفه لأن غايته إرضاء الله تعالى.

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨-٩].

فإنه يكف يده عن الشر ولسانه عن الأذى ولا يقابل السيئة بالسيئة بل يدفع بالتي هي أحسن ولا خشية من أحد بل خشية من الله تعالى.

فالدين الإسلامي ليس دينًا لاهوتيا خالصًا بل هو دين ومدنية عقيدة وعبادة ونظام شامل متكامل للحياة الإنسانية.

والمسلم ينبغي أن يتعرف على دينه بمفهومه الشامل الواسع الذي يشمل كل ما يتعلق بالعقيدة والعبادة ومعاملات الناس بعضهم مع بعض. فهو الركن الأساسي الذي تقوم عليه حياة كل من الفرد والمجتمع.

ومنه تستمد هذه الحياة قيمتها وقيمها ووجهتها وكافة مقوماتها الأساسية فالدين يعتبر ضرورة فردية واجتماعية تقتضيه حاجة كل من الفرد والمجتمع.

فحاجة الفرد للدين:

فهو الموجه له في عقيدته وعلاقاته مع ربه ومع الكون ومع أفراد وجماعات المجتمع الذي يعيش فيه وخير مهذب لأخلاقه ومشاعره وعواطفه وخير هادٍ له في مواجهة وحل مشكلات حياته.

وحاجة المجتمع للدين:

فهو المصدر الأساسي والرئيسي الذي يستمد منه المجتمع قيمه وقواعده الخلقية

والشرعية ونظمه الاجتماعية المختلفة والسند القوي للتقدم الشامل الصالح والدافع القوي لزيادة الإنتاج وتحسينه.

وبعد:

فإليك أيها المسلم مجموعة من الأسئلة والإجابة عليها تتعرف من خلالها على إسلامك على عقيدتك وعلى عبادتك وعلى الركائز التي يقوم عليها المجتمع وكيفية إدارة الحياة من خلال تشريعات الإسلام التي تنتظم من خلالها الحياة الاقتصادية والحياة الاجتماعية والسياسية والعسكرية والفكرية والخلقية وباقي النظم التي لا قوام للحياة إلا من خلال هذه التطبيقات.

الأسئلة

١- «إن الإسلام الذي تنكر له أكثر الناس وقبل اليوم وناصبوا أهله العداء وحاربوهم بكل ما أوتوا من قوة بشتى الوسائل كان وما زال أسمى مطلب وأشرفه لعقلاء البشر وساداتِهم أجمعين. فالإسلام ليس دينًا محليًّا أو إقليميًّا ولا دينًا عرقيًّا جنسيًّا يختص به إقليم دون آخر أو شعب دون شعب بل هو دين الله تعالى للبشرية جمعاء أبيضها وأحمرها أولها وآخرها.

فأعاظم الخلق رسل الله أجمعين عليهم السلام ابتداء من نبي الله نوح عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمدﷺ كان الإسلام المطلب الخاص لهم به أمروا وعليه حيوا وأغلى أمانيهم أن يتوفاهم الله عليه».

بين ذلك من خلال استعراض آيات الله تعالى أن الإسلام هو دين أهل السماء والأرض وهو أعلى مطلب وأسماه لعقلاء الناس والجن؟

٢- نحتاج أن نتعرف على ديننا على إسلامنا - وقد وردت تعاريف كثيرة يُعرَّف بها الإسلام كل تعريف نظر من خلال منظور معين - فما تعريف الإسلام؟

٣- الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعًا - القرآن والسنة هما مرجعا كل مسلم في تعرفه على أحكام الإسلام وعلى معرفة الله تعالى وتوحيده - فما هي الأركان التي بني عليها هذا الدين؟

٤- «إن معرفة الخالق جل وعلا والإقرار بربوبيته أمر فطري ضروري يحسه في نفسه البر والفاجر فهو شعور غامر يملأ على الإنسان، أقطار نفسه إقرارًا بخالقه وتألهًا له لا يستطيع دفعه ولا يملك رده. وهذا الإقرار الفطري بالخالق الحكيم ليولد مع الإنسان منذ البداية ويظل يصحبه في مختلف أطوار حياته ما لم تفسد فطرته وتنتكس بفعل العوارض والأهواء».

بين معنى الشهادة وأنَّها كما تكون بالقول تكون بالفعل مع بيان المعنى الذي

تتضمنه كلمة الشهادة؟ وما هي ثمرات كلمة الإخلاص؟

٥- «إفراد الله تعالى بالعبادة يتضمن توحيد الربوبية وهو أن الله تعالى وحده هو رب العالمين» فما معنى كلمة التوحيد؟

٦- ينقسم التوحيد إلى توحيد الإلهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات ومن المعلوم أن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية- وكذلك توحيد الربوبية هو جزء من توحيد الأسماء والصفات الذي يتضمن على توحيد الإلهية. بين ذلك مع بيان مسلك القرآن مع المشركين في إثبات ذلك؟

٧- «العبادة لله تقوم على الحب الخالص لله مع الذل الكامل له».

فما مظهر العبودية التي يحقق بها المسلم لا إله إلا الله - مع بيان لكيفية ازدياد معاني العبودية ورسوخها في قلب المسلم وما سبيل التحرز من عبادة غير الله تعالى؟

٨- «الله وحده ربُّ كل شيء ومليكه وهو الخالق للعالم المحيي المميت الرزاق ذو القوة المتين لم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل لا رادّ لأمره ولا معقب لحكمه ولا مضاد له ولا مماثل له ولا سمي ولا منازع له في شيء من معاني ربوبيته ومقتضيات أسمائه وصفاته» فما معنى كلمة الرب؟ وما معنى تفرد الرب سبحانه في ربوبيته؟

٩- قال الله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢].

فالإقرار بربوبية الله تعالى وتفرد الله بها أمر مركوز في فطرة كل إنسان والقرآن في آياته يُذكر الناس بما هو مركوز في فطرهم ويقرره وهو أن الله وحده هو رب العالمين.

فما من شيء في الكون من أصغر ذرة إلى أكبر جرم إلا وهو يشهد أن الله هو رب العالمين وهو الإله الحق للعالمين.

تكلم عن الدلائل الدالة على ربوبية الله تعالى وعلى تفرده بها وعدم مشاركة أحد له فيها؟

١٠- القرآن كله يدور حول التوحيد - بين ذلك؟

١١- ما معنى شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ ؟

١٢- قال الله تعالى:

- ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

- ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء:١٦٤]

فرسل الله كثيرون- فلماذا أرسل الله الرسل؟ ولماذا ختمت الرسالات برسالة الإسلام؟

١٣- إن إرسال الرسل من لوازم ربوبية الله وألوهيته وما من رسول أرسله الله تعالى إلا وأيده بما يدل على صدقه ونبوته فكل نبي أُيد بمعجزات من قبل الله تعالى وكانت هذه المعجزات حسية ولكن النبي ﷺ أيد بمعجزات حسية ومعنوية وكان مما أُيد به النبي ﷺ هذه المعجزة الخالدة وهي القرآن الذي تحدى به الكفار أن يأتوا بمثله وما زال التحدي باقيًا حتى اليوم.

تكلم عن بعض الأدلة لإثبات نبوة النبي ﷺ مع ذكر شروط التحدي وهل هي متحققة في القرآن أم لا؟

١٤- قال تعالى:

﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]

فالقرآن كلام الله تعالى وليس من عند النبي ﷺ بل إن مصدر القرآن إلهي لا

بشري. بين بالأدلة القرآنية على صحة وصدق هذا القول؟

١٥- الإيمان بمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً يقتضي التسليم المطلق والتام لما جاء به أو أخبر عنه. ويقتضي تصديقه وطاعته فيما أمر به أو نَهى عنه دون حرج أو ضيق أو مناقشة أو جدال أو تعقيب أو التفريق بين الأحكام الذي جاء بها. فإن كل هذه الأشياء تناقض مقتضى الإيمان به ﷺ نبيًا ورسولاً. تكلم عن مقتضى الإيمان بنبوة النبي ﷺ ولوازمه - وما هو واجب المسلم اتجاه النبي ﷺ؟

١٦- قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] .

فمحبة النبي ﷺ الحقيقية لا تكون إلا بتجريد المتابعة لشرعه الذي جاء به من ربه ولسنته القولية والفعلية مع استقرار النفوس أنه ﷺ لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا وأن المالك لهذا وذاك هو الله تعالى وأن الاستغاثة وكشف الضر وطلب العون لا يكون إلى من الله تعالى. وضح ذلك؟

١٧- العمل الصالح في الإسلام هو ثمرة الإيمان بالله واليوم الآخر- وهو التطبيق العملي للإيمان- والأعمال الصالحة تشمل كل نواحي الحياة والسلوك كما أن تحقيق الإنسان لسعادته الدنيوية والأخروية موقوف على العمل الصالح المرتكز على الإيمان.

تكلم عن مفهوم العمل الصالح ومدى ارتباطه بالإيمان وأنه ثمرة الإيمان كما أنه يشمل كل نواحي حياة الإنسان؟ مع بيان أن سعادة المرء في الدنيا والآخرة مرتبط ارتباطًا وثيقًا بما يعمله الإنسان من أعمال صالحة مرتكزة على الإيمان؟

١٨- العبادات في الإسلام تنظم علاقة الفرد بربه وتظهر عبوديته لله تعالى فهي حق خالص لله تعالى على عباده وهي بمجموعها تقوّي الإيمان وترسخه.

تكلم عن أهمية الصلاة في حياة المسلم وما هي ثمار القيام بالصلاة وتأديتها كما أمر الله تعالى؟

١٩- تكلم عن أثر باقي العبادات التي بُني عليها الإسلام في تزكية النفوس؟

٢٠- الأعمال الصالحة تتفاضل فيما بينها من حيث الأجر والثواب- وأفضل الأعمال الصالحة بالنسبة لشخص ما هو العمل المطلوب منه شرعًا في وقت معين وظرف معين وعلى المسلم أن يتحرى ما هو الأحب لله تعالى في هذا الوقت. بين ذلك؟

٢١- تكلم عن أثر العبادات في صلاح الفرد وصلاح المجتمع؟

خصائص الشريعة الإسلامية

٢٢- «الشريعة الإسلامية ناسخة لما قبلها من الشرائع لكونها خاتمة الشرائع لذا جاءت سمحة شاملة مطردة واسعة. وجاءت الشريعة الإسلامية لتفصل للعباد الحقوق الواجب على كل واحد منهم القيام بها فكان لزامًا على المسلم أن يعرف الحقوق التي ألزمته بها الشريعة ثم يحرص على أدائها حيث أن الغاية التي تريد الشريعة الإسلامية تحقيقها هي إقامة العباد على منهج العبودية الصادقة لله. وهذه العبودية الصادقة تؤسس نظام الحياة الإنسانية على المعروفات وتطهره من المنكرات.

فما هي الخصائص التي مُيزت بها الشريعة الإسلامية عن غيرها من الشرائع السابقة؟

٢٣- الإسلام عقيدة وشريعة دين ودولة - وهذا يجعل حياة المسلم وحدة مترابطة منسجمة لا تعارض ولا تناقض فيها - وذلك لأن مصدر هذا الدين هو الله تعالى.

فدلل بالنصوص على أن الإسلام من عند الله تعالى وأنه يجب على العباد

الخضوع والطاعة له؟ وما هي الآثار المترتبة على كون الإسلام من عند الله تعالى؟

٢٤- «الإسلام نظام شامل لجميع شئون الحياة وسلوك الإنسان - فللإسلام في كل ما يصدر عن الإنسان حكم خاص كما له حكمه في كل ما يضعه في رأسه من أفكار وفى قلبه من ميول فلا يجوز للمسلم أن يسمح لغير نظام الإسلام أن ينظم جانب من جوانب حياته».

دلل على صحة هذه العبارة مبينًا كيف أن أحكام الإسلام شاملة لكل نواحي حياة الإنسان؟

٢٥- الشريعة الإسلامية من عند الله تعالى فهي الشريعة الوحيدة التي لها الحق في أن تسود وتحكم لأنها من صاحب السلطان الذي له حق التشريع ويجب على العباد الخضوع والطاعة له - وكل القوانين الأخرى صناعة إنسانية ظالمة لأنها صادرة من غير صاحب الحق.

تكلم عن نطاق الاختلاف بين شمول الشريعة وشمول القوانين الوضعية؟

٢٦- الخصائص الإنسانية لدى البشر واحدة على الرغم من اختلاف الألوان والأشكال والأجناس ويمكن للناس أن يحققوا وحدة إنسانية على ظهر هذه الأرض ولكن هذه الوحدة لا تتم إلا إذا أقام البشر الهدف الذي خلقوا من أجله وهو عبادة الله وحده وتحقيق ذلك يكون باتباع الدين الذي أنزله الله تعالى - والتحاكم إلى الشريعة التي أرادها الله أن تكون قانونًا عالميًا للناس كلهم ألا وهو الشريعة الإسلامية.

فالقانون العالمي الوحيد الذي يصلح لحكم الحياة الإنسانية وإصلاحها ويسع الناس على اختلاف الزمان والمكان هو الشريعة الإسلامية فقد أراد الحق تبارك وتعالى أن يكون الدين الإسلامي دينًا لجميع البشر- والشريعة الإسلامية شريعة للناس كافة - والقرآن منَزل للعالمين ومحمدﷺ رسول الناس كلهم.

تكلم عن عموم هذه الرسالة للبشر لكل زمان ومكان وأن قواعدها وأحكامها صالحة لكل زمان ومكان؟

٢٧- وضع الإسلام قاعدة للجزاء. فما أهمية هذه القاعدة سواء كان هذا الجزاء دنيويًّا أو أخرويًّا؟

٢٨- «من مقاصد الإسلام إنشاء الإنسان الصالح والحرص على أن يبلغ هذا الإنسان أعلى مستوى من الكمال ولكنه لم يغفل عن طبيعة الإنسان وواقعه لذلك أتى الإسلام ونظم طاقات وقدرات الناس ولكنه راعى تفاوت الناس في مدى استعدادهم للوصول إلى المستوى الرفيع الذي رسمه». بين ذلك؟

٢٩- الإسلام جاء نظامًا وسطًا عدلاً لا يجور على الفرد لحساب المجتمع ولا يحيف على المجتمع من أجل الفرد. وكان من خصائص المجتمع الإسلامي أنه يقوم على العدل الذي لا يعرف الالتواء ولا يتأثر بالأهواء فكل ما شرعه الله تعالى من أحكام المعاملات وقواعد السلوك الاجتماعي وتفصيل العلاقة بين المؤمنين بعضهم البعض وبينهم وبين غيرهم كل ذلك قام على العدل - فهذه الشريعة هي شريعة العدل والتوسط والاعتدال وهي شريعة الوسطية حيث توازن بين مصلحة الفرد والمجتمع. بين ذلك؟

٣٠- جاءت الشريعة لتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها- وغاية الإسلام هي إخراج الناس من الظلمات إلى النور كما قال تعالى

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم:١].

ولقد نفى القرآن عن هذه الشريعة العنت والعسر وأثبت لها التخفيف واليسر. ﴿يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥] .

فهي شريعة اليسر ورفع الحرج. تكلم عن هذه الخصيصة التي مُيزت بها

الشريعة عن غيرها من الشرائع؟

نظام الأخلاق

٣١- قال الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١] .

والأخلاق مرآة الفكر- فالأخلاق لها تأثير كبير في سلوك الإنسان فكل صفة تظهر في القلب يظهر أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها- لذا نقول أن أولى خطوات الإصلاح تكون بتزكية النفوس وغرس معاني الأخلاق الجيدة فيها ولا يكتفي بغرسها ولكن لابد أن ينصبغ بها الإنسان.

عرف معنى الأخلاق مبينًا أهميتها مع بيان مكانة الأخلاق ومنزلتها في الإسلام؟

٣٢- الأخلاق جزأ لا يتجزأ من الاعتقاد- حيث أن الأخلاق لها ارتباط وثيق بمعاني الإيمان والتقوى فهي مظهر الإيمان.

وقد بين الله تعالى في كتابه وفي سنة رسولهﷺ هذه الأخلاقيات التفصيلية التي يلزم كل مسلم أن يتربَّى عليها ويتحلى بها وأن أفعال وتصرفات الإنسان ينبغي ألا تخرج عن دائرة الأخلاق حيث أن نظام الأخلاق يشمل جميع مظاهر الحياة.

تكلم عن صلة الأخلاق بالعقيدة والعبادات والمعاملات مع بيان ما يميز به نظام الأخلاق في الإسلام؟.

٣٣- «الغاية تبرر الوسيلة» ما مدى صحة هذا القول؟

٣٤- هل الأخلاق صفات لازمة تُخلق في الإنسان وينطبع عليها فلا يمكن تغييرها ولا تبديلها ولا تعديلها. أم يمكن تقويم الأخلاق واكتساب الجيد منها والتخلي عن قبيحها؟

٣٥- لم يدع الإسلام وسيلة تربوية نافعة لا شر فيها إلا استخدمها في مختلف المجالات التربوية ومنها التربية الأخلاقية.

فما هي الوسائل التي استخدمها الإسلام أو وجه إليها في منهجه التربوي لاكتساب الأخلاق الإسلامية ولإلزام الأفراد والجماعات بالمنهج الأخلاقي الذي رسمه؟

٣٦- ما هي الغاية من الالتزام بالمنهج الأخلاقي وما هي ثمرات هذا الالتزام مع بيان أثر الأخلاق في تزكية النفوس؟

٣٧- لا قيمة لمبادئ وقواعد خلقية إذا لم تتضمن إلزام الناس باتباعها والالتزام بتنفيذها والعمل بمقتضاها.

وأخلاق الإنسان لا تكتمل إلا إذا أصبح هذا الإلزام نابعا من الداخل بحيث يجد الشخص نفسه مدفوعًا لاتباع تلك القواعد الخلقية وللالتزام بالعمل بمقتضاها بدوافع ونوازع داخلية يحس معها بالتحرك نحو الهدف المطلوب في سهولة ويسر واندفاع

فكيف السبيل إلى تربية هذا الوازع الديني داخل الإنسان؟

النظام الاجتماعي

٣٨- العقيدة الإسلامية هي أساس نظام المجتمع في الإسلام.

علل ذلك مع بيان النتائج المترتبة على اتخاذ العقيدة الإسلامية أساسا لنظام المجتمع؟

٣٩- تكلم عن معالم النظام الاجتماعي في الإسلام؟

٤٠- من أعظم المؤثرات في سير المجتمع وفي مدى صلاحه وفساده هو تحديد مركز المرأة في المجتمع وتحديد مالها وما عليها من الحقوق والواجبات وكذلك تحديد نوع الضوابط التي تحكم سلوكها حتى تتحقق للمجتمع طهارته ونظافته وعفته

واستقامته وتنشأ فيه الأجيال القوية الأمينة.

فما هو مركز المرأة في المجتمع الإسلامي مع بيان الحقوق التي تتمتع بها المرأة في ظل النظام الإسلامي مع بيان الآداب التي ينبغي للمرأة أن تلتزم بها وفق الشريعة الإسلامية؟

٤١- قال الله تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[المائدة:٢].

كل فرد في المجتمع المسلم مطالب بالعمل على إصلاح المجتمع وإزالة الفساد منه كل على قدر طاقته ووسعه والتعاون مع غيره في تحقيق هذا المطلب .

تكلم عن مسئولية الفرد في إصلاح المجتمع مع بيان الأدلة على ذلك من كتاب الله وسنة رسولهﷺ مع التعليل لمسئولية الفرد عن إصلاح المجتمع ؟

نظام الإفتاء

٤٢- أفعال المسلم لابد أن تكون وفق المناهج الإسلامية - كما ينبغي على المسلم قبول حكم الشرع في نتائج أفعاله - وكذا سلوكه لابد أن يكون وفق الحدود الشرعية.

فما هو الواجب على المسلم لكي يحقق هذا المطلب؟

٤٣- عرف كل من الإفتاء - المفتي - المستفتي؟ مع بيان أهمية دور المفتي في الأمة ومنزلة الإفتاء وخطره؟

٤٤- إن جهل الإنسان حكمًا شرعيًا فينبغي أن يسأل عنه ليعلمه ويعمل بما يقتضيه لكن هناك صنف يحرم عليه الاستفتاء وصنف من الناس يجب عليهم الاستفتاء وصنف ثالث يجوز في حقهم الاستفتاء ولكن لا يجب ولا يحرم. بين ذلك؟

٤٥- وإن كان الإنسان جاهلاً بالحكم الشرعي فعليه أن يستفتي من توافرت

فيه الصلاحية للإفتاء لأن استفتاءه يتعلق بالدين فعليه أن يحتاط لدينه فيسأل من هو أهل للإفتاء».

فما سبيل العامي لكي يتعرف على الكفء الصالح للفتوى وهل يجب عليه التحري أم لا وما إذا لم يكن الكفء الأصلح موجود في بلدته فما يلزمه؟

٤٦- هل يجوز للمستفتي أن يسأل أكثر من مفتي وما العمل لو اختلفت عليه الفتوى؟

٤٧- إذا استفتى العامي عن حادثة ثم وقعت له نفس الحادثة فهل يستفتى مرة أخرى عن الحادثة الثانية أم يكتفي بتنفيذ حكم الحادثة الأولى؟

٤٨- ما هي صيغة الاستفتاء التي يستعملها المستفتى لطب حكم المسألة - وهل يجب على المستفتى أن يكون استفتاؤه بموجب مذهب معين أم يجوز له الاستفتاء وفق أي مذهب شاء وما هو القول الراجح في هذه المسألة؟

٤٩- هل للمستفتي أن يطلب دليل الفتوى من المفتي؟ وما هي الآداب التي ينبغي أن يلتزم بها المستفتى؟

٥٠- «الإفتاء إخبار عن حكم الله تعالى» لذا ينبغي أن يكون المفتي مؤهلاً للفُتيا. فما هي الشروط التي ينبغي أن تتوافر في المفتي؟

٥١- إنما هلك من كان قبلكم حين تشعبت بهم السبل وحادوا عن الطريق وتركوا الآثار وقالوا في الدين برأيهم فضلوا وأضلوا.

فاذكر متى تجب الفتوى وما هي الأصول التي بنى عليها الإمام أحمد بن حنبل فتاويه مع بيان حرمة الفتيا بالرأي؟

٥٢- وجود المفتي من فروض الكفاية ولكن العمل على إيجاده باتخاذ الوسائل الضرورية لذلك وإذا لم يوجد مفتي في مكان ما حرم السكن فيه ووجب الرحيل منه حيث يوجد من يفتيه في أحكام الدين وما ينزل من نوازل. علل ذلك؟

٥٣- متى يضمن المفتي ما حكم به في مسألة وعلى من تقع كفاية المفتي المالية وما هي الواجبات الملزمة للمفتي مع بيان لجملة من الآداب التي ينبغي للمفتي أن يلتزمها؟

٥٤- «الإفتاء تبليغ عن الله تعالى وإخبار عما شرعه لعبادة من أحكام» فمن أول من قام بالإفتاء؟ ومن الذي قام بالإفتاء بعد النبي ﷺ مع بيان من له حق الإفتاء وما إذا كان الإفتاء يحتاج إلى إذن الإمام أم لا؟

٥٥- هل يحق للعامي أن يفتي بما يجده في كتب الحديث أو بما علم حكمه في مسألة ما؟.

٥٦- «ينبغي للمفتي ألا يريد بفتواه مباهاة العلماء وحصول المنزلة عند الناس ولكن ينبغي أن يخلص النية لله فيقصد تبليغ شرع الله وتعليم الناس ما أنزل الله ابتغاء مرضاة الله».

فعلى من يجب الإفتاء وعلى من يحرم وعلى من يكره؟

٥٧- «كان السلف الصالح يتهيبون من الإفتاء مع صلاحيتهم له ويود كل واحد منهم أن يقوم غيره به بل وكان كل واحد منهم أو أكثرهم يحيل الإفتاء إلى غيره ليكفيه مؤنته ويجنبه خطره».

علق على ذلك مع بيان متى تكون الجرأة على الفتيا مسلك محمود وليس بمذموم ومتى يحل للمفتي الامتناع عن الفتيا؟

٥٨- إن كانت الفتوى هي حكم الشرع الذي يخبر عنه المفتي بإفتائه فيجب أن تقوم على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وما دل عليه هذان الأصلان من أدلة الأحكام كالإجماع والقياس وغيره.

وينبغي أن تكون الفتوى متعلقة بموضوع الاستفتاء مطابقة له ليحصل المستفتي على بغيته من استفتائه ولكن يجوز أن تكون الفتوى أوسع من موضوع الفتوى إذا

رأى المفتي فائدة للمستفتي من هذه التوسعة وينبغي أيضًا أن تكون واضحة. بين ذلك؟

٥٩- فتوى المفتي تحصل من جهة القول أو الفعل أو الإقرار. بين ذلك؟

٦٠- قد تتغير الفتوى زمانًا ومكانًا وشخصًا. وضح ذلك - مع بيان الفرق بين الحكم والفتوى؟

نظام الحسبة

٦١- «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية إذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقين وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلا عذر ولا خوف ثم إنه قد يتعين كما إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو أو لا يتمكن من إزالته إلا هو وهو باب عظيم قد ضُيِّع أكثره من أزمنة طويلة ولم يبق منه في هذه الأزمنة إلا رسوم قليلة جدًا وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه وإذا كثر الخبث عم الصالح والطالح وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقابه».

عرف الحسبة وما هي مكانتها في الإسلام وما هي أركانها؟

٦٢- المحتسب هو من يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحسبة من فروض الإسلام فلا يتوقف القيام بها على التعيين من قبل ولي الأمر ولكن تنظيم الحسبة وضبطها من قبل ولي الأمر وتعيين الأكفاء لها من الأمور الحسنة ولكن بشرط عدم منع الآخرين من القيام بواجب الحسبة على الوجه الشرعي.

ولكن فرق العلماء بين من يقوم بالحسبة بتكليف وتعيين من ولي الأمر وبين من يتطوع بذلك.

فاذكر الفروق بينهما مع بيان ممن يستمد المحتسب ولايته وما هو المقصود من هذه الولاية؟ كذلك بيان الفرق بين ولاية المحتسب وولاية القاضي؟

٦٣- لكي يكون المحتسب أهلاً للاحتساب فينبغي أن يكون جامعًا لشروط ومستوفيًا إياها لأن الحسبة نصرة لدين الله تعالى.

فما هي الشروط مع بيان للآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المحتسب حتى يؤدي الحسبة على الوجه المرضي المقبول؟

٦٤- تختلف صورة الاحتساب باختلاف المحتسب عليه. وضح ذلك مع تعريف من هو المحتسب عليه؟

٦٥- المنكر هو موضوع الحسبة وقد يكون بإيجاد فعل نَهت عنه الشريعة وقد يكون بترك فعل أمرت الشريعة بفعله.

فما هي الشروط التي ينبغي أن تتوافر في هذا المنكر لكي نحتسب فيه؟ ومن يملك إعطاء وصف المنكر؟ مع بيان أن موضوع الحسبة يشمل جميع تصرفات وأفعال الإنسان؟

٦٦- قال النبي ﷺ:

«من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»

فالغرض من الاحتساب إزالة المنكر من الأرض وإيجاد المعروف فعلاً فيجب الوصول إليه بأيسر طريق وأقصره بشرط أن يكون مشروعًا وأن ينظر إلى ما يؤول إليه احتسابه من جهة ما يترتب عليه من زوال مفسدة المنكر وحلول مصلحة المعروف مكانه.

فما هي مراتب الاحتساب؟ وما هي القواعد التي تعين على تفهم فقه الاحتساب؟

٦٧- (من الاحتساب ما كان واجبًا ومنه ما كان حرامًا ومنه ما كان مستحبًّا) بين ذلك؟ مع بيان هل يشترط للمحتسب مباشرة الاحتساب رفع المنكر إليه من

قبل من وقع عليه هذا المنكر أو شاهده؟

٦٨- ما هي الآثار والنتائج المترتبة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سواء كان على شخص الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أو على محل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو على المجتمع الذي يؤدى فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

٦٩- قال النبي ﷺ:

«والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد المسيء ولتأطرنه على الحق أطرًا أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض أو ليلعنكم كما لعنهم».

ما هي النتائج والآثار المترتبة على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

نظام الحكم

٧٠- من خصائص الإسلام الشمول فهو نظام شامل لجميع شئون الحياة وسلوك الإنسان منها نظام الحكم حيث الأمر بالشورى ولزوم الطاعة للحاكم والحكم بما أنزل الله.

تكلم عن أهمية وجود الحاكم ومكانة الحكم في الإسلام مع بيان المقومات والأسس التي يبنى عليها نظام الحكم في الإسلام؟

٧١- من أعظم واجبات الدين هو تنصيب خليفة للمسلمين حيث أنه لا قيام للدين إلا به. دلل على ذلك؟

٧٢- «يجب على الأمة السعي في إيجاد الخليفة حيث هي التي تملك حق نصب الخليفة».

بين ذلك مع بيان كيف يتم اختيار الخليفة - وما هو المركز القانوني للخليفة؟ مع بيان حقوق هذا الحاكم على رعيته؟

٧٣- عرف من هم أهل الحل والعقد - وما هي علاقتهم بالأمة - وكيف ينالون هذه المنزلة؟

٧٤- الأمة هي صاحبة الحق في اختيار من تراه أهلاً لمنصب الخلافة- وقد جوز الفقهاء أن يعهد الإمام إلى إمام بعده كما حدث أن أبا بكر الصديق عهد إلى عمر بن الخطاب- وكما عهد عمر بن الخطاب إلى الستة لاختيار الخليفة.

فهل ولاية العهد لاغية لحق الأمة في الاختيار؟

٧٥- ما هي الشروط التي يجب أن تتوافر فيمن ينصب لخلافة المسلمين لكي يستطيع أن يقوم بأعباء هذا المنصب على الوجه المرضي لله تعالى والمحقق لمصلحة الأمة؟

٧٦- إن كانت الأمة هي صاحبة الحق في اختيار الخليفة فهي تملك أيضًا عزل الخليفة إذا وُجد السبب الشرعي للعزل.

بين ذلك مع بيان الضوابط التي ينبغي أن تراعى عند تنفيذ العزل؟

٧٧- مبدأ الشورى من أسس ومقومات نظام الحكم في الإسلام وقد ثبت هذا المبدأ بالكتاب والسنة وإجماع الأمة وهو حق للأمة وواجب على الخليفة والتفريط فيه إلى حد ترك المشاورة موجب للعزل.

اذكر الأدلة على وجوب مبدأ الشورى مع التعليل لأهمية الشورى وبيان في أي الأمور تجرى الشورى وبيان لأوصاف أهل الشورى وما إذا كان خلاف بين الخليفة وبين أهل الشورى. فلمن يكون الرأي؟

٧٨- آحاد الأمة لهم الحق في إبداء آرائهم في تصرفات الخليفة وهذا يكون وفق قواعد وحدود ضابطة وأن مشاورة الخليفة لأهل الحل والعقد غير لاغية لحرية إبداء الأفراد لآرائهم وفق هذه القواعد والضوابط. بين ذلك؟

٧٩- إن الأمة مخاطبة بأحكام الشرع مكلفة بتنفيذها وإنها تملك السلطة لتنفيذ

هذه الأحكام وحمل الناس عليها- واختيار الأمة للخليفة ليكون نائبًا عن الأمة في تنفيذ هذه الأحكام- ولكن سلطان الأمة والخليفة سلطان مقيد وليس مطلق .

بين ذلك مع بيان ما يترتب على تقييد سلطان الأمة والخليفة بسلطان الإسلام؟

٨٠- الحكم في الإسلام وسيلة لا غاية.

فما هي مقاصد الحكم الأساسية التي هي من المهام الرئيسية للخليفة مع بيان لمظاهر تحقيق هذه العناصر؟

النظام الاقتصادي

٨١- النظام الاقتصادي عبارة عن قواعد وأحكام تنظم هذا النشاط الاقتصادي للأفراد والمجتمع وهذا النظام الاقتصادي لابد أن يقوم على أساس وأفكار تكوّن معالمه وخصائصه وتنسجم مع قواعده وأحكامه.

والنظام الاقتصادي كنظام من أنظمة الإسلام قائم في أساسه الفكري على العقيدة الإسلامية.

بين ذلك من خلال معاني العقيدة الإسلامية التي لها علاقة في موضوع النظام الاقتصادي؟

٨٢- النظام الاقتصادي في الإسلام يراعي الفطرة الإنسانية ومعاني الأخلاق ويؤكد على سد حاجات الإنسان الضرورية للحياة.

فما هي خصائص هذا النظام الاقتصادي في الإسلام؟

٨٣- يشتمل النظام الاقتصادي على مبادئ عامة تقوم على أساس العقيدة الإسلامية والفطرة الإنسانية والمصلحة العامة.

فما هي هذه المبادئ العامة؟

٨٤- ما الهدف من إنشاء بيت مال المسلمين وما هي موارد و مصارف بيت

المال؟

٨٥- الزكاة مورد من موارد بيت المال.

تكلم عن أهداف الزكاة وآثارها في حياة الفرد والمجتمع؟ وكذلك تكلم عن أثر الزكاة في التنمية الاقتصادية وأثر الزكاة في توجيه الطلب الاقتصادي؟

٨٦- تكلم عن مفهوم التجارة في الإسلام وما هي التوجيهات والضوابط والقواعد التي أرساها الإسلام في مجال المعاملات الإسلامية والتي ينبغي للمسلم أن يلتزم بها في معاملاته وتجارته؟ وما هي القيود الواردة على حرية التجارة؟

نظام الجهاد

٨٧- قال الله تعالى:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

فالجهاد من فروض الإسلام- ولقد أمر الله تعالى بأخذ العدة اللازمة له فهو ضروري لبقاء المسلمين أمة قوية مرهوبة الجانب بعيدة عن أطماع الطامعين وحقد الحاقدين من الكافرين والمنافقين.

فما معنى الجهاد لغةً واصطلاحًا مع بيان أنواع الجهاد ومتى يكون الجهاد فرض كفاية ومتى يكون الجهاد فرض عين؟ مع بيان أهداف الجهاد وغايته؟

٨٨- الجهاد ركن من أركان الإسلام الذي لا استقامة للإسلام ولا قوام لشرائعه إلا به- حيث إن الصراع بين الحق والباطل سنة جارية إلى إن يرث الله الأرض ومن عليها.

تكلم عن مكانة الجهاد وأهميته في الإسلام وما هي الآثار الناجمة عن ترك الجهاد؟

٨٩- «الجهاد في الإسلام دفاعي لا هجومي». فما مدى صحة هذه العبارة مع

بيان التصحيح وأن المسلم لا ينفك عن الجهاد في سبيل الله فهو في جهاد دائم؟

٩٠- قال النبي ﷺ:

«من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله».

فهذا هو المفهوم الحقيقي للجهاد الإسلامي- فإن كان الجهاد تحت أي راية أخرى غير راية الإسلام فهو ليس بجهاد ولقد سعى الكفار إلى صرف وتحويل وجهة المسلمين في قتالهم تحت راية الإسلام إلى رايات أخرى لا تمت للإسلام بصلة. بين ذلك؟

نظام الجريمة والعقوبة

٩١- هل يكفى إطلاق لفظ الجريمة على الفعل الذي قام به الإنسان ليثبت له وصف الجريمة. بين ذلك مع بيان أساس اعتبار الفعل أو الترك جريمة؟

٩٢- ما هي أنواع الجرائم من حيث تقسيم الشرع لها؟ وما هي العقوبات المقابلة لكل جريمة من هذه الجرائم؟

٩٣- ما الفرق بين العقوبة التي تُقرر عن طريق القوانين الوضعية والتي تُقرر عن طريق القوانين الإلهية؟

٩٤- قال الله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾[النساء:٦٠].

فيلزم كل من نطق بالشهادتين أن يتحاكم إلى كتاب الله تعالى وإلى سنة رسوله ﷺ ويلزمه عدم التحاكم إلى القوانين الوضعية لأنّها باطلة.

دلل على بطلان التشريعات الوضعية المخالفة للشريعة؟

٩٥- تَهتم الشريعة بطهارة المجتمع وإزالة مفاسده لذا ألزمت أفراده بإزالة المنكر لأن المجتمع الطاهر النظيف يساعد على منع الإجرام وقمع المجرمين ويقوي

جوانب الخير في النفوس ويسد منافذ الشر على النفوس الضعيفة فكان لابد من إنزال العقوبة الدنيوية على مرتكب الجريمة زجرًا له من العودة إليها وردعًا للآخرين الذين قد تسول لهم نفوسهم الضعيفة ارتكاب الجرائم لكي يستقر المجتمع وتشيع فيه الطمأنينة بل العقوبة الدنيوية على مرتكب الجريمة هي من مظاهر رحمة الله تعالى. بين ذلك؟

٩٦- الحاكم نائب عن الأمة في تنفيذ أحكام الله تعالى وهو أحد أفراد الأمة الذين تطبق عليهم الأحكام فلا يسوغ للحاكم أن يخرج عن هذه القيود والأحكام وليس له الحق في تعطيل هذه الأحكام أو المجاملة في عدم إنزال هذه العقوبات الشرعية على مرتكب الجريمة مهما كان مركزه في المجتمع. بين ذلك؟

٩٧- مبنى العقوبات الشرعية على العدل والردع . تكلم عن ذلك موضحًا الأسس التي بنيت عليها العقوبات الشرعية مع بيان أقسام العقوبة؟

٩٨- تعتبر الشريعة جرائم الحدود وجرائم القصاص والدية ماسة بكيان المجتمع وبالأسس التي يقوم عليها وبالرغم من هذه التسوية فقد أبيح للمجني عليه أو وليه حق العفو عن العقوبة في جرائم القصاص والدية ولم تبح له أن يعفو في جرائم الحدود.

فما هي عله التفرقة بين جرائم الحدود وجرائم القصاص والدية؟

٩٩- عند تطبيق الأحكام يراعي القاضي مبدأين شرعيين أساسيين

١- درء الحدود بالشبهات.

٢- تفضيل الخطأ في العفو على الخطأ في العقوبة.

تكلم عن ذلك مبينًا أنواع الشبهة التي تدرأ بها الحدود وما يترتب على درء الحدود بالشبهات؟

١٠٠- قال البعض (إن تطبيق هذه العقوبات على مرتكبيها خاصة عقوبة

الحدود هي رجعية على أساس أنها في تطبيقها إهدار لآدمية الشخص وكذا تدخل في حريته الشخصية وكذا مبنى هذه العقوبات على القسوة والوحشية وليست على الرحمة).

وقال البعض: (من الظلم أن تُحمِّل غير الجاني ببعض الإلزامات وهذا يناقض مبدأ قصر المسئولية على من قام فيه سببها -وهذا في مسألة الدية حيث تتحمل العاقلة-) .

فما تفنيدك لهذه الاعتراضات الكاذبة وللشبهات التي يلقيها أعداء الإسلام بين أبناء الإسلام لإحداث الخلل في عقيدتِهم خاصة مع انتشار الجهل بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ مبينًا ما تمتاز به العقوبات الشرعية المقررة على جرائم الحدود؟

❁ ❁ ❁

١- الإسلام

١- تعريفه.

٢- أركانه.

(١-٢١)

١- الإسلام

(تعريفه- أركانه)

السؤال الأول

«إن الإسلام الذي تنكر له أكثر الناس وقبل اليوم وناصبوا أهله العداء وحاربوهم بكل ما أوتوا من قوة بشق الوسائل كان وما زال أسْمى مطلب وأشرفه لعقلاء البشر وساداتهم أجمعين. فالإسلام ليس دينًا محليًّا أو إقليميًّا ولا دينًا عرقيًّا جنسيًّا يختص به إقليم دون آخر أو شعب دون شعب بل هو دين الله تعالى للبشرية جمعاء أبيضها وأحمرها أولها وآخرها.

فأعاظم الخلق رسل الله أجمعين عليهم السلام ابتداء من نبي الله نوح عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ كان الإسلام المطلب الخاص لهم به أمروا وعليه حيوا وأغلى أمانيهم أن يتوفاهم الله عليه».

بين ذلك من خلال استعراض آيات الله تعالى أن الإسلام هو دين أهل السماء والأرض وهو أغلى مطلب وأسْماه لعقلاء الناس والجن؟

الجواب

الإسلام هو دين الله الذي لا دين له سواه ولقد تكفل الله سبحانه بنصره وتمكينه وإظهاره على الدين كله فالله سبحانه لم ينْزل ديانات مختلفة وإنما أنزل على عباده المرسلين دينًا واحدًا وهو الإسلام. قال الله تعالى:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

ولقد جاء بهذا الدين الواحد جميع رسل الله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام.

❁ جاء به نوح عليه السلام:

قال الله تعالى:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ (٧١) فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧١-٧٢].

❁ جاء به إبراهيم عليه السلام:

قال الله تعالى:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩) وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٢٧-١٣٢].

❁ وجاء به يعقوب عليه السلام:

قال الله تعالى:

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾

[البقرة: ١٣٣]

❁ جاء به لوط عليه السلام:

قال الله تعالى:

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٣٢)

لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣١-٣٦].

✽ وجاء به يوسف عليه السلام:

قال الله تعالى:

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

✽ جاء به موسى عليه السلام:

قال الله تعالى:

﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾

[يونس: ٨٤]

✽ وهو دين قوم موسى من بني إسرائيل:

قال الله تعالى:

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

[يونس: ٩٠]

وهو دين السحرة الذين آمنوا بموسى عليه السلام. قال الله تعالى:

﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾

[الأعراف: ١٢٠-١٢٦]

❁ وهو دين أنبياء بني إسرائيل:

قال الله تعالى:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

❁ وهو دين سليمان عليه السلام:

قال الله تعالى:

﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٠-٣١]

وقال سبحانه:

﴿قَالَ يَاأَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٨]

وقال سبحانه:

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٤٢]

❁ وهو دين المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وحوارييه:

قال الله تعالى:

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

وقال سبحانه:

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١].

❁ وهو دين المهتدين من الجن:

قال الله تعالى:

﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٤-١٥].

❁ وهو دين المتمسكين بالحق من أهل الكتاب قبل بعثة النبي ﷺ.

قال الله تعالى:

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٢-٥٣].

❁ وهو دين النبي الخاتم محمد ﷺ:

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٩-٢٠].

وقال الله سبحانه:

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٦].

وقال سبحانه:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ﴾ [المائدة: ٣]

فالقرآن الكريم يقرر في وضوح كامل أن الإسلام دين أهل السموات

والأرض:

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

وإلى هذا الدين وحده وجه النبي ﷺ الخاتم رسله ورسائله إلى الملوك وعظماء الملل وأشهدهم على إسلامه وإسلام من معه.

قال تعالى:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

* * *

السؤال الثاني

نحتاج أن نتعرف على ديننا وعلى إسلامنا- وقد وردت تعاريف كثيرة يُعرَّف بِها الإسلام كل تعريف نظر من خلال منظور معين- فما هو الإسلام؟

الجواب

- الإسلام هو كما عرفه النبيﷺ في قوله:

«بني الإسلام على خمس شهادة إن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً»[1].

- والإسلام في معناه هو الاستسلام والخضوع والانقياد لله رب العالمين. وهو مجموع ما أنزل الله تعالى على رسولهﷺ من أحكام العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات والأحكام التي تنظم علاقات الأفراد والأحكام المتعلقة بالحكم والاقتصاد والموارد المالية.

- فهو بمثابة النظام العام والقانون الشامل لأمور الحياة ومناهج السلوك للإنسان كما جاء به الرسولﷺ.

* * *

(١) البخاري: كتاب الإيمان/ باب دعاؤكم إيمانكم.

السؤال الثالث

الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جَميعًا - القرآن والسنة هما مرجعا كل مسلم في تعرّفه على أحكام الإسلام وعلى معرفة الله تعالى وتوحيده - فما هي الأركان التي بني عليها هذا الدين؟

الجواب

قال النبي ﷺ:

«بني الإسلام على خمس شهادة إن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً»[1].

فيتبين لنا من ذلك أن الإسلام مبني على أركان هي:

- توحيد الله تعالى المتمثل في شهادة أن لا إله إلا الله.
- الاتباع المتمثل في شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ.
- التزكية المتمثلة في إقام الصلاة- إيتاء الزكاة- وصوم رمضان- وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً.

ولنعلم أن كل الطاعات والقربات سواء كانت واجبة أو مستحبة كلها من الإسلام وكذلك تجنب كل المحرمات التي نهى الله عنها فهي من الإسلام. فترك الزنا والسرقة وشرب الخمر وأكل الربا والغيبة والنميمة وكل ما نَهى الله عنه تركه هو الإسلام لكن هذه الخمس هي دعائمه وما زاد عنها فإنه يكون متممًا ومكملاً لها.

❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري: كتاب الإيمان/ باب دعاؤكم إيمانكم.

السؤال الرابع

«إن معرفة الخالق جل وعلا والإقرار بربوبيته أمر فطري ضروري يحسه في نفسه البر والفاجر فهو شعور غامر يملأ على الإنسان أقطار نفسه إقرارًا بخالقه وتألهًا له لا يستطيع دفعه ولا يملك رده. وهذا الإقرار الفطري بالخالق الحكيم ليولد مع الإنسان منذ البداية ويظل يصحبه في مختلف أطوار حياته ما لم تفسد فطرته وتنتكس بفعل العوارض والأهواء».

بين معنى الشهادة وأنها كما تكون بالقول تكون بالفعل مع بيان المعنى الذي تتضمنه كلمة الشهادة، وما هي ثمرات كلمة الإخلاص؟

الجواب

فمعنى الشهادة: العلم والإعلام والإخبار والبيان. فمعناها لا معبود بحق إلا الله.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾[الحج: ٦٢].

فلا يعبد إلا الله ولا يجوز أن يُصرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله تعالى.

وتتضمن كلمة الشهادة:

الإقرار والاعتراف والاعتقاد. فإن الشاهد يعتقد صحة ما يشهد به ويخبر عنه فإذا شهد بما لا يعتقده كانت شهادته كاذبة لأن إخباره لا يطابق اعتقاده. ولذا قال الله عن المنافقين:

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[المنافقون: ١].

فهم كاذبون لأنَّهم لا يعترفون بصحة ما يقولون ولا يعتقدون ما يقولون.

❁ وكلمة الإخلاص:

هي العروة الوثقى- والكلمة الطيبة- وهي حبل الله المتين- وهي كلمة العدل- وهي دعوة الحق.

❁ العروة الوثقى:

قال تعالى:

﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

❁ الكلمة الطيبة:

قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥].

فأصلها ثابت في قلب المؤمن وفروعها (العمل الصالح) صاعد إلى الله تعالى.

❁ حبل الله المتين:

قال تعالى:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

❁ كلمة العدل:

قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

قال ابن عباس رضى الله عنهما: العدل شهادة أن لا إله إلا الله.

❁ دعوة الحق:

قال تعالى:

﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ [الرعد: ١٤].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي لا إله إلا الله.

❁ وهي عهد الله تعالى:

قال تعالى:

﴿لاَ يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧].

قال ابن عباس رضي الله عنهما (العهد شهادة أن لا إله إلا الله ويبرأ إلى الله من الحول والقوة إلا بالله ولا يرجو إلا الله عز وجل).

❁ ثمرات كلمة الإخلاص:

١- تحرير القلب والنفس من الرق للمخلوقين والإتباع لغير المرسلين.

٢- هي أول واجب على المكلف

قال النبي ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ...»[1]

٣- وهي التي خلق الله من أجلها الخلائق

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦].

٤- وهي التي من أجلها أرسل الله الرسل

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]

٥- وهي مفتاح دعوة الرسل

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾

(١) البخاري: كتاب الإيمان/ باب ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾.

[النحل: ٣٦]

﴿.. اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]

٦- هي أعلى شعب الإيمان

قال النبي ﷺ: «**الإيمان بضع وستون شعبة أعلاها لا إله إلا الله**»[١].

٧- هي أفضل الذكر

قال النبي ﷺ: «**أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له**»[٢].

٨- تحريم من قالها خالصًا من قلبه من دخول النار

قال النبي ﷺ: «**.. فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**»[٣].

٩- سبب مانع من الخلود في النار لمن استحق دخولها

قال رسول الله ﷺ:

«**اخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه مثقال ذرة من إيمان**»[٤].

١٠- سبب للفوز بالجنة والنجاة من النار

قال رسول الله ﷺ:

«**من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله**

---

(١) البخاري: كتاب الإيمان/ ٣- باب أمور الإيمان.
ومسلم: كتاب الإيمان/ باب عدد شعب الإيمان.

(٢) مالك: في الموطأ.

(٣) البخاري: كتاب الصلاة/ باب المساجد في البيوت.
مسلم: كتاب المساجد/ باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر.
كتاب الإيمان/ باب من أقر بالشهادتين حرم الله عليه النار.

(٤) البخاري: كتاب الرقاق/ باب صفة الجنة والنار.

وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»[1].

١١- يفتح لقائلها أبواب الجنة الثمانية

قال رسول الله ﷺ:

«ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبد الله ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء»[2].

١٢- تعتق بها الرقاب

قال رسول الله ﷺ :

«من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل»[3].

١٣- مفرجة للكروب

قال تعالى: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾

[الأنبياء: ٨٧-٨٨].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يدعو عند الكرب يقول: «لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش العظيم»[4].

١٤- سعادة قائلها بشفاعة النبي ﷺ

---

(١) البخاري: كتاب الأنبياء/ باب قول الله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾.
مسلم: كتاب الإيمان/ باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة.

(٢) مسلم: كتاب الطهارة/ باب الذكر المستحب عقب الوضوء.

(٣) البخاري: كتاب الدعوات/ ٦٤- باب فضل التهليل.
مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار: باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء.

(٤) البخاري: كتاب الدعوات/ ٢٧- باب الدعاء عند الكرب.

قال رسول الله ﷺ: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه»[(١)].

١٥- لقائلها البشرى عند الممات

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

١٦- سبب الأخوة الإيمانية والاجتماع والألفة

قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ..﴾ [آل عمران: ١٠٣].

١٧- سبب لعصمة الدماء والأموال

قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله»[(٢)].

وهذه الكلمة (كلمة الإخلاص) لا تنفع صاحبها ولا تظهر ثمارها إلا إن كان قائلها مستوفيًا لشروطها والتزمها وقام بمقتضياتها ولم يأت بناقض من نواقضها.

واعلم أن كلمة الإخلاص لابد من استيفائها وليس معنى ذلك هو عدُّ ألفاظها وحفظها ولكن من كان جامعًا لها ومظهرًا لمقتضاها في عمله ولم يأت بناقض لها فإن ثمار هذه الكلمة تظهر على جوارحه وأركانه.

---

(١) البخاري: كتاب العلم/ ٣٣- باب الحرص على الحديث.

(٢) البخاري: كتاب الإيمان/ ١٧- باب ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾.

❁ فما هي شروط كلمة الإخلاص؟

١- العلم ٢- اليقين ٣- القبول

٤- الانقياد ٥- الصدق ٦- الإخلاص

٧- المحبة.

١- العلم (المنافي للجهل)

العلم بأن الله هو المعبود وحده وأن عبادة غيره باطلة - وعلى العبد أن يعمل بمقتضى هذا العلم. قال الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: ١٩].

قال سبحانه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

وقال النبي ﷺ: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة»[١].

٢- اليقين (المنافي للشك)

فإن من أتى بالشهادة لابد أن يوقن بقلبه ويعتقد صحة ما يقوله من أحقية إلهية الله تعالى وبطلان إلهية من عداه وأنه لا يجوز لغيره شيء من أنواع التأله والتعبد.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ..﴾ [الحجرات: ١٥].

وذم الله المنافقين ﴿وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: ٤٥].

وقال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة» وفي رواية: «.. فيحجب عن الجنة»[٢].

---

(١) مسلم: كتاب الإيمان/ باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة.

(٢) مسلم: كتاب الإيمان/ باب من لقي الله بالشهادتين دخل الجنة.
كتاب الإيمان/ من شهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه دخل الجنة.

وفى رواية: قال النبيﷺ لأبي هريرة:

«فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه فبشره بالجنة»(١).

٣- القبول (وضده الرد)

قبول كل ما تقتضيه هذه الكلمة فيصدق بالأخبار ويطيع الأوامر ويؤمن بكل ما جاء عن الله تعالى وعن رسولهﷺ ويقبل ذلك كله ولا يرد منه شيئًا لذا وصف الله تعالى المؤمنين بقوله:

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال سبحانه: **﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾** [الأحزاب: ٣٦].

﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ..﴾ [البقرة: ٢٠٨].

وذم الله المستكبرين

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥].

٤- الانقياد:

وهو الاستسلام والإذعان وعدم التعقب لشيء من أحكام الله تعالى.

قال الله تعالى: **﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾** [النساء: ١٢٥]

---

(١) مسلم: كتاب الإيمان/ باب متى يجوز الدخول بدون استئذان.

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١].

﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢].

ومن صور عدم الانقياد ترك التحاكم بشريعة الله واستبدالها بالقوانين الوضعية.

لذا نقول لو علم أحد معنى لا إله إلا الله وأيقن بها وقبلها ولكنه لم ينقد لها ويعمل بمقتضاها فإن ذلك لا ينفعه.

٥- الصدق (وضده الكذب):

وهو أن العبد يكون صادقًا في إيمانه وعقيدته. ولذا قال النبيﷺ **«من قال لا إله إلا الله صادقًا من قلبه دخل الجنة»**.

والصدق أساس الأقوال ومن الصدق أن يصدق في دعوته وأن يبذل الجهد في طاعة ربه وحفظ حدوده.

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وهذا الصدق ينفع الإنسان يوم القيامة

﴿هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩].

ومدح الله المهاجرين بذلك

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ

وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

والصدق ضد الكذب

فمن قال الشهادة بلسانه وأنكر مدلولها بقلبه فإن هذه الشهادة لا تنجيه يوم القيامة بل يدخل بذلك في عداد المنافقين الذين قال الله عنهم

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]. ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

٦- الإخلاص (المنافي للشرك)

قال سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

﴿أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣].

وضد الإخلاص الشرك والرياء وابتغاء غير وجه الله تعالى. قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»[1].

٧- المحبة:

وهذه المحبة من لوازمها أن تحب ما يحب الله ولا تحبه إلا لحب الله له - وتبغض وتكره ما يكره الله ويبغض وما نبغضه إلا لبغض الله له.

قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

---

(١) مسلم: كتاب الزهد/ باب تحريم الرياء.

فمن لوازمها تقديم محبوبات الله تعالى على محبوبات النفس وشهواتها ورغباتها.

قال سبحانه: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال النبي ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، أن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله كما يكره أن يلقى في النار»[1].

ومن علامات المحبة اتباع النبي ﷺ.

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]

❁ ❁ ❁

(١) البخاري: كتاب الإيمان/ ٩- باب حلاوة الإيمان.

السؤال الخامس

«إفراد الله بالعبادة يتضمن توحيد الربوبية وهو أن الله تعالى وحده هو رب العالمين» فما معنى كلمة التوحيد؟

الجواب

التوحيد مأخوذ من وحَّدَ الشيء إذا جعله واحدًا. والواحد ضد الإثنين والثلاثة فأكثر فأصله أنه ضد الكثرة فالشيء الواحد هو الشيء المستقل المتوحِّدُ الذي لا يشاركه غيرهُ.

في الشرع: إفراد الله بالعبادة- بمعنى أن تكون العبادة كلها مصروفه لله سبحانه دون غيره.

﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

وذلك لقول الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

فعلى ذلك فمعنى كلمة التوحيد (شهادة أن لا إله إلا الله) إني أعلم وأقر وأعترف واعتقد بأن المعبود الحق الذي لا يستحق العبادة غيره هو الله تعالى وأن أبين ذلك وأظهره بلساني وأفعالي وسلوكي.

❁ ❁ ❁

السؤال السادس

ينقسم التوحيد إلى توحيد الإلهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات ومن المعلوم أن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية- وكذلك توحيد الربوبية هو جزء من توحيد الأسماء والصفات الذي يتضمن على توحيد الإلهية.

بين ذلك مع بيان مسلك القرآن مع المشركين في إثبات ذلك؟

الجواب

* أنواع التوحيد:

ينقسم إلى ثلاثة أنواع وهي مستقرأة من كتاب الله تعالى وهذا التقسيم للتوحيد لم يأتي من قبيل الرأي أو من قبيل الاصطلاح ولكن كان استقراءً من كتاب الله تعالى.

ويلزمنا أن نتعرف على تعريف كل نوع من أنواع التوحيد.

* توحيد الربوبية:

وهو إفراد الله تعالى بأفعاله (من الخلق والرزق والإحياء والإماتة وتدبير الأمور .....) وكل آية في القرآن تتحدث عن أفعال الله من الخلق والرزق والإحياء والإماتة وتدبير الأمور فهي في توحيد الربوبية (وهذا كثير في القرآن).

قال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ

وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

❁ توحيد الألوهية:

وهي إفراد الله تعالى بأفعال العباد التي يتقربون بها إلى الله تعالى (كالدعاء- الخوف- الرجاء- الرغبة والرهبة- التوكل- الإخبات- الاستقامة- الاستغاثة- الذبح- النذر- .....) فيجب أن تكون العبادة بجميع أنواعها لله سبحانه لا يُصرف منها شيء لغير الله وكل آية فيها ذكر العبادة (بأن تتحدث عن الأمر بعبادة الله والنهي عن الشرك) فإن هذه الآيات في توحيد الألوهية.

❁ توحيد الأسماء والصفات:

وهو الإيمان بما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات دون تعطيل أو تحريف ودون تكييف أو تشبيه لأي صفة من الصفات المثبتة لله تعالى وكل آية تتحدث عن أسماء الله وصفاته (فإن هذا في توحيد الأسماء والصفات).

❁ بيان لأنواع التوحيد الثلاثة من القرآن:

١- في سورة الفاتحة (فقد اشتملت على الأنواع الثلاثة) وهي أول سورة في القرآن.

(الحمد لله رب العالمين)

فيها توحيد الربوبية لأن الآية أثبتت ربوبية الله لجميع العالمين- والرب هو المالك المدبر.

(الرحمن الرحيم- مالك يوم الدين)

فيها توحيد الأسماء والصفات لإثبات وصف الله تعالى في هاتين الآيتين بالرحمة والملك وإثبات أسمائه الرحمن الرحيم المالك.

(إياك نعبد وإياك نستعين)

فيها توحيد الألوهية لدلالة الآية على وجوب إفراد الله تعالى بالعبادة

والاستعانة.

٢- سورة الناس (وهي آخر سورة في ترتيب المصحف).

(قل أعوذ برب الناس) (توحيد الربوبية).

(ملك الناس) (توحيد الأسماء والصفات).

(إله الناس) (توحيد الألوهية).

٣- أول نداء في المصحف موجه للعالمين:

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

۞ ما الحكمة من تقرير القرآن لتوحيد الربوبية بالرغم من أن الكفار كانوا يقرون بتوحيد الربوبية؟

ذلك من أجل أن يبين دلالته ويقيمه برهانًا على توحيد الألوهية فيحتج عليهم بما أقروا به من باب الإلزام لهم.

فالمعنى: كيف تقرون لله بالربوبية ولا تقرون له بالألوهية والعبودية؟ كيف تصرفون العبادة لمن لا يشارك الله في شيء من مخلوقاته؟

قال سبحانه ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

وقال سبحانه ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤].

❁ علاقة توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية:

أنواع التوحيد متلازمة وبعضها مرتبط ببعض

١- فتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية- بمعنى أن الإقرار بتوحيد الربوبية يوجب الإقرار بتوحيد الألوهية.

فمن عرف أن الله ربه وخالقه ومدبر أمره وقد دعاه خالقه إلى عبادته وحده دون سواه وجب عليه أن يعبده وحده لا شريك له.

٢- توحيد الربوبية لا يكفي وحده (لأن توحيد الربوبية ليس هو الغاية من التوحيد) ذلك لأن توحيد الربوبية مركوز في الفطر فلو كان كافيًا لما احتاج الناس إلى بعثة الرسل وإنزال الكتب. فلا يكون الإنسان موحدًا إلا إذا شهد أن لا إله إلا الله حتى لو كان مقرًا بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر للكون.

٣- توحيد الألوهية هو الذي جاءت به الرسل وهو الذي حصل به النِّزاع بين الرسل وبين أممهم. أما توحيد الربوبية فإنَّهم لم ينكروه بل إن إبليس لم ينكره ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر:٣٩].

❁ التوحيد الذي طولب به البشر:

هو توحيد الألوهية- ولهذا كان الرسل كلهم يبدءون دعوتهم لأقوامهم بقولهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ فتوحيد الألوهية هو الذي تنكر له البشر واجتالتهم الشياطين عنه.

أما توحيد الربوبية فهو شيء حاصل وموجود ومستقر في النفوس والاقتصار عليه والاكتفاء به لا ينجي العبد ولا يدخله في زمرة الموحدين المؤمنين.

ولذلك قاتل رسول الله ﷺ كفار قريش هم يقروا بأن الله هو الخالق الرازق المدبر المحيي المميت ولكن قاتلهم حتى يقروا بتوحيد الألوهية. قال رسول الله ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله عصم مني نفسه

وماله إلا بحقه، وحسابه على الله»[1].

وتوحيد الألوهية مبني على توحيد الأسماء والصفات

فإذا كان الإنسان لا يعلم أن الله هو الرازق وهو الغني فكيف يدعوه ويطلب منه والدعاء الذي هو أصل العبادة فرع على معرفة الأسماء والصفات.

لذلك نقول:

إن توحيد الأسماء والصفات يتضمن توحيد الربوبية ويستلزم توحيد الألوهية باعتبار أن الربوبية جزء من إثبات الأسماء والصفات بينما إفراد الله بالعبادة أمر زائد على مجرد إثبات الأسماء والصفات.

وهذا يظهر من خلال سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن كما قال النبي ﷺ فسورة الإخلاص هي صفة الرحمن فقد دلت على أنواع التوحيد الثلاثة توحيد الذات والصفات وذلك على سبيل المطابقة وعلى توحيد الربوبية وذلك على طريق التضمن وتوحيد العبادة بالالتزام.

فتوحيد الربوبية مقتضي أسم الرب وصفة الربوبية. وتوحيد الألوهية مقتضي أسم الله وصفة الألوهية. فهما بهذا الاعتبار من توحيد الأسماء والصفات.

❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري: كتاب الجهاد والسير/ ١٠٢- باب دعاء النبي ﷺ الناس إلَى الإسلام والنبوة وأن لا يتخذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله.

السؤال السابع

«العبادة لله تقوم على الحب الخالص لله مع الذل الكامل له».

فما مظهر العبودية التي يحقق بها المسلم لا إله إلا الله، مع بيان لكيفية ازدياد معاني العبودية ورسوخها في قلب المسلم وما سبيل التحرز من عبادة غير الله تعالى؟

الإجابة

* مظهر توحيد العبد لربه في ألوهيته:

والعبادة لله تقوم على الحب الخالص لله مع الذل الكامل له، ومظهر ذلك في توجه العبد إلى الله تعالى بالتوكل عليه والثقة به والخوف منه الإنابة إليه والطلب منه والأنس بذكره والفرار إليه ونشاط الجوارح بتنفيذ شرعه وإقامة دينه والانصباغ بصبغته وإيثار محبته وطاعته وجعل السلوك والأقوال والأفعال وسائر الأحوال على الوجه المرضى عند الله تعالى. وبهذا كله يحقق المسلم (معنى أشهد أن لا إله إلا الله) بالقول والعمل فيكون صادقًا في شهادته.

تزداد معاني العبودية ويرسخ أصلها ويعظم أثرها بقدر علم العبد بمدى فقره وحاجته إلى الله وعدم استغنائه عنه طرفة عين، ويزداد حب العبد لله وخضوعه له بقدر معرفته بكمال الله وعظيم نفعه ونعمه عليه وتفكره في آلائه التي لا تعد ولا تحصى ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ وفى تفكره في صفات الله تعالى وفي معاني أسمائه الحسنى.

* أسباب نمو التوحيد في القلب:

هناك أسباب عديدة إن أخذ بها العبد زاد إيمانه ونمى في قلبه. نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

١- فعل الطاعات وترك المعاصي.

٢- التفكر في ملكوت السموات والأرض وفي آيات الله الكونية.

٣- معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته ومعرفة مقتضياتِها وآثارها وما تدل عليه من الجلال والكمال.

٤- قراءة القرآن بتدبر وتفهم لمعانيه.

٥- دوام ذكر الله تعالى على كل حال باللسان والقلب.

٦- التأمل في نعم الله تعالى الظاهرة والباطنة ومشاهدة بره وإحسانه وإنعامه على عباده.

٧- مجالسة أهل الخير والصلاح والإخلاص والمحبين لله تعالى والاستفادة من كلامهم وسمتهم.

٨- ترك فضول الكلام والطعام والشراب.

٩- المتابعة للنبي ﷺ.

١٠- إطابة الطعام.

١١- سلامة القلب من الغل للمؤمنين وسلامته من أمراض القلوب الحقد والحسد والكبر والغرور والعجب.

❁ سبيل التحرز من عبادة غير الله تعالى:

لا يكون ذلك إلا إذا ملئ القلب بمعاني العبودية الحقة لله تعالى دون سواه حتى يصبح عبدًا خالصًا لله تعالى.

❁ ❁ ❁

السؤال الثامن

«الله وحده ربُّ كل شيء ومليكه وهو الخالق للعالم المحيي المميت الرزاق ذو القوة المتين لم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل لا رادّ لأمره ولا معقب لحكمه ولا مضاد له ولا مماثل له ولا سَمي ولا منازع له في شيء من معاني ربوبيته ومقتضيات أسمائه وصفاته» فما معنى كلمة الرب؟ وما معنى تفرد الرب سبحانه في ربوبيته؟

الإجابة

كلمة الرب في اللغة تطلق على عدة معانِي.

قال ابن منظور (الرب يطلق في اللغة على المالك والسيد والمدبِّر والمربي والقيِّم والمنعم). قال ولا يطلق غير مضاف إلا على الله عز وجل وإذا أطلق على غيره أضيف فقيل ربُّ كذا.

قال ورب كل شيء مالكه ومستحقه وقيل صاحبه.

والرب من حيث أنه اسم من أسماء الله فمعناه من له الخلق والأمر والملك. قال الله تعالى ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] وقال ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾ [فاطر: ١٣].

قال ابن متطور: الرب هو الله- عز وجل- وهو رب كل شيء أي مالكه وله الربوبية على جميع الخلق لا شريك له وهو رب الأرباب ومالك الملوك والأملاك.

❁ الإيمان بالله ربًّا يعني اعتقاد انفراد الله سبحانه:

١- بالخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة الضر والنفع.

٢- بالمِلك والمُلك التام.

٣- الأمر والنهي والسيادة والتشريع وحق الطاعة على جميع الخلق.

فالله تعالى متفرد بالربوبية لا يشاركه في ذلك أحد من خلقه. فما من شيء في الكون من أصغر ذرة إلى أكبر جرم إلا وهو يشهد أن الله هو رب العالمين وبالتالي فهو الإله الحق للعالمين.



السؤال التاسع

قال الله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢].

فالإقرار بربوبية الله تعالى وتفرد الله بها أمر مركوز في فطرة كل إنسان والقرآن في آياته يذّكر الناس بما هو مركوز في فطرهم ويقرره وهو أن الله وحده هو رب العالمين.

فما من شيء في الكون من أصغر ذرة إلى أكبر جرم إلا وهو يشهد أن الله هو رب العالمين وهو الإله الحق للعالمين.

تكلم عن الدلائل الدالة على ربوبية الله تعالى وعلى تفرده بها وعدم مشاركة أحد له فيها؟

الإجابة

❁ الدين مركوز في الفطرة:

الإنسان يولد وفي فطرته الإيمان بوجود قوة خفية تسيطر عليه وعلى الحياة من حوله وهو يفزع إليها عند الحاجة. وكل جزء من هذا الكون وكل حركة فيه كل سكون فيه يشهد بوجود إله يسيطر عليه ويدبر أمره بحكمة وعلم.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولاَ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١].

وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

(٣) وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٣-٤].

والقرآن الكريم في آياته يذكر الناس بما هو مركوز في فطرهم ويقرره وهو أن الله وحده هو رب العالمين.

قال تعالى ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

ومن أنكر وجود الخالق عز وجل بلسانه فإنه مستيقن في باطنه بوجود الله تعالى. قال تعالى مخبرًا عن أمثال هؤلاء الجاحدين المنكرين ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

فالإنكار والجحود من البعض لوجود الخالق هو إنكار وجحود محض على وجه المكابرة والعناد فلا تخلو فطرة الإنسان من الإحساس العميق بوجود الخالق.

ولهذا إذا زالت الغشاوات عن فطرة الإنسان وزالت مكابرته وعناده فإنه يجد نفسه بلا اختيار منه متوجهًا إلى الله هاتفًا بلسانه مستنجدًا به بكل كيانه. فيجد نفسه مدفوعًا إلى التوجه إلى الله تعالى كلما ألمت به مصيبة أو وجد نفسه في ضيق فالمريض الراقد في سريره أو في غرفة العمليات وراكب الطائرة الذي يخبر قائدها أن خطرًا يواجه الطائرة هؤلاء لا يفكرون في تلك الساعة بشيء ولا يخطر ببالهم شيء سوى الله تعالى به يستجيرون وإليه يتوجهون لذا أخبر الله تعالى عن حالهم: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان: ٣٢].

والدلائل الدالة على ربوبية الله تعالى وتفرده بها وعدم مشاركة أحد له فيها كثيرة جدًا- فما من شيء في الكون من أصغر ذرة إلى أكبر جرم إلا وهو يشهد أن الله هو رب العالمين وبالتالي فهو الإله الحق للعالمين.

فآيات دلائل التوحيد كثيرة فالقرآن الكريم حينما يستدل على وجود الله تعالى ووحدانيته فإنه يلفت الأنظار إلى الكون الذي هو كتاب منظور.

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

فيذكر الأرض وما فيها من جبال وشجر ونبات وزروع وثمار وأنهار وبحار وأنعام وحشرات وهوام. ويذكر الإنسان الذي هو المقصود من تسخير الله هذا الكون له باعتباره هو المخاطب من قبل الله تعالى بالتكاليف الشرعية- فيذكر الله تعالى الإنسان فيبين أصل خلقته وتناسله وأطواره حتى الموت.

ويذكر السماء وما تحويه من شموس وأقمار وكواكب وبروج وأجرام ورعد وبرق وصواعق . ويذكر لنا ما سخر لنا من توالي وتعاقب الليل والنهار.

فلقد ندبنا القرآن الكريم إلى النظر في هذه الكائنات والإمعان في إبداعها والتفكر في عجائب نظامها وما أودع فيها سبحانه من أصناف المخلوقات على اختلاف أنواعها وأشكالها مما تحار فيه العقول لنصل بذلك إلى التعرف على الخالق الحكيم العليم الخبير رب كل شيء وبارئه :

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (٦) وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٦-٨].

﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠].

﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ

وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطارق: ٥-٧].

الله تعالى متفرد في ربوبيته في:

١- الخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة والنفع والضر.

٢- الملك المُلك التام.

٣- الأمر والنهي السيادة والتشريع وحق الطاعة على جميع الخلق.

١- دلائل التوحيد على تفرد الله تعالى بالخلق والرزق التدبير والإحياء والإماتة والنفع والضر.

❁ في الخلق:

قال سبحانه:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩].

﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل: ٥-٦].

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ

وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١) ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠١-١٠٢].

* في الرزق:

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ (٣١) فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾

[يونس: ٣١-٣٢]

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦].

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ﴾ [الرعد: ٢٦].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣].

* في الإحياء والإماتة:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥].

﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٣٣].

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ (٧٨) وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٧٩) وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلاَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٨-٨٠].

❁ في التدبير والتصرف:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ٤٦].

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢].

❁ في النفع والضر:

﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لاَ يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦].

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلاَ يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا وَلاَ يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلاَ حَيَاةً وَلاَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣].

﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الفتح: ١١].

﴿قُل لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

٢- دلائل التوحيد على تفرد الرب سبحانه بالملك والملك التام.

قال سبحانه:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٦-٢٧].

﴿قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

٣- دلائل التوحيد على تفرد الرب تعالى بالأمر والنهي والسيادة والتشريع.

قال سبحانه:

﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥].

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

❁ ❁ ❁

السؤال العاشر

القرآن كله يدور حول التوحيد- بين ذلك؟

الجواب

❁ قال ابن القيم (رحمه الله):

إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه. فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله فهو التوحيد العلمي الخبري. وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادي الطلبي. وإما أمر ونَهي وإلزام بطاعته في نَهيه وأمره وهي حقوق التوحيد ومكملاته. وأما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء التوحيد. وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما حل بهم في العقبى من العذاب فهو لمن خرج عن حكم التوحيد.

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفى شأن الشرك وأهله وجزائهم ف﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ توحيدٌ. ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ توحيد. ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ توحيد. ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ توحيد. ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ توحيد. ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ توحيد. ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ توحيد متضمن لسؤال الهداية إلى طريق أهل التوحيد الذين أنعم الله عليهم. ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ الذين فارقوا التوحيد.

❁ قال شارح الطحاوية (رحمه الله):

والقرآن مملوء من تقرير توحيد الألوهية. حيث أنه يقرر توحيد الربوبية ويبين أنه لا خالق إلا الله وأن ذلك مستلزم أن لا يعبد إلا الله فيجعل الأول دليلاً على الثاني إذ كانوا يسلمون في الأول وينازعون في الثاني فيبين لهم سبحانه أنكم إذا كنتم تعلمون أنه لا خالق إلا الله وأنه هو الذي يأتي العباد بما ينفعهم ويدفع عنهم

ما يضرهم لا شريك له في ذلك فلِمَ تعبدون غيره وتجعلون معه آلهة أخرى.

كقوله تعالى ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٥٩-٦٠].

يقول الله تعالى في كل آية (أءله مع الله؟) أي إله مع الله فعل هذا؟ وهذا استفهام إنكار يتضمن نفي ذلك وهم كانوا مقرين بأنه لم يفعل ذلك غير الله فاحتج عليهم بذلك وليس المعنى استفهام هل مع الله إله؟ لأن هذا المعنى لا يناسب سياق الكلام والقوم كانوا يجعلون مع الله آلهة أخرى كما قال تعالى ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ﴾ [الأنعام: ١٩]. وكانوا يقولون ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]. لكنهم ما كانوا يقولون إن معه إلها ﴿جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ [النمل: ٦١].

بل هم كانوا مقرون بأن الله وحده فعل هذا، وهكذا سائر الآيات.

❁ التوحيد في القرآن:

ولقد وردت آيات كثيرة تدل على توحيد الله وتفرده على جميع خلقه.

١- ما يدل على تفرد الله بالربوبية وتوحيده بها.

قال الله تعالى:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة].

﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لاَ يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ

كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦].

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

٢- ما يدل على تفرد الله بالكمال المطلق الذي لا يشاركه فيه أحد من خلقه. وحصر الأسماء الحسنَى وقصرها على الله ونفي المماثلة عنها.

قال الله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨].

﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

﴿فَلاَ تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل ٧٤].

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص].

٣- ما يدل على توحيد الله بالعبادة وقصرها عليه سبحانه وحصرها.

قال سبحانه:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وقال سبحانه:

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ

لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلاَ أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾ [الرعد: ٣٦].

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل ٣٦].

٤- ما يدل على نفي الشراكة عن الله تعالى وهو ما يناقض التوحيد.

قال سبحانه:

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١].

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

٥- توحيده وتفرده بالخلق والملك والتدبير والرزق والإحياء والإماتة وملك والنفع والضر.

﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٦-٢٧].

٦- مما يدل على توحيده حاجة الخلائق إليه فهو الغني بذاته سبحانه.

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ (١٩٢) وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ (١٩٣) إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٩٤) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ﴾ [الأعراف: ١٩١-١٩٥].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ (١٣) إِن تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣-١٤].

٧- تفرده سبحانه بالنعم الظاهرة والباطنة على الخلق أجمعين.

قال سبحانه:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٣) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى

الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٣-١٨].

٨- الآيات الكونية الدالة على عظمة الخالق سبحانه.

وفى هذه الآيات يوجه الخطاب لأصحاب العقول السليمة للاعتبار بهذه الآيات التي تظهر توحيد الله تعالى.

قال سبحانه:

﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجاثية: ٣-٥].

﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠-٢١].

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٠-٢٥].

❁ ❁ ❁

السؤال الحادي عشر

ما معنى شهادة أن محمدًا رسول اللهﷺ؟

الجواب

هذه الشهادة هي الشطر الثاني من الركن الأول من الأركان التي بني عليها الإسلام.

ومعناها: العلم والتصديق الاعتقاد الجازم بأن محمدًاﷺ رسول الله وإعلان ذلك وإظهاره وبيانه بالقول والفعل.

أما بالقول: فبالنطق بهذه الشهادة.

وأما بالفعل: فيكون بإقامة سلوك الإنسان وجميع تصرفاته القولية والفعلية وفق ما جاء به محمدﷺ من ربه على وجه الإتباع له والقبول منه باعتباره رسول اللهﷺ.

﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣].

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

❁ ❁ ❁

السؤال الثاني عشر

قال الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾

فرسل الله كثيرون- فلماذا أرسل الله الرسل؟ ولماذا ختمت الرسالات برسالة الإسلام؟

الجواب

❁ الحكمة من إرسال الرسل:

فإن الله وسع كل شيء رحمة وعلمًا سبحانه له الحكمة البالغة والقدرة الشاملة والإرادة النافذة. لم يخلق سبحانه عباده عبثًا ولم يتركهم سُدى بل بعدله قامت السموات والأرض. وبحكمته وتشريعه وإرسال رسله قامت الحجة وسعد من اتبعهم وسلك طريقهم في الدنيا والآخرة وخاب وخسر من سلك غير سبيلهم واتبع هواه بغير هدى من الله.

قال سبحانه:

﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦].

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦].

وقال سبحانه ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (٢٧) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (٢٨) كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ

لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٧-٢٩].

فلما كانت حاجة البشرية داعية إلى قيادة رشيدة عمادها وحي الله وشرعيته تعتصم به وتدعوا الناس إليه وتهديهم إلى سواء السبيل.

فاقتضت حكمة الله أن يرسل رسله بالهدى ودين الحق رحمة منه بعباده وإقامة للعدل بينهم وتبصيرًا لهم بما يجب عليهم من حقوق خالقهم وحقوق أنفسهم وإخوانهم وإعانة لهم على أنفسهم وإعذارًا إليهم بأنه لا أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أرسل الله الرسل وأنزل الكتب.

فقد ثبت في الحديث الصحيح:

أن سعد بن عبادة ﷺ قال لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح (أي بحدِّه لا بصفحته) فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال «**تعجبون من غيرة سعد؟ لأنا أغير منه والله أغير مني ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب إليه العذر من الله ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين ولا أحد أحب إليه المدح من الله ومن أجل ذلك مدح نفسه ووعد من مدحه بالجنة**»[1].

بهذا يتبين أن إرسال الله الرسل إلى الناس مبشرين ومنذرين هو مقتضى حكمته وموجب فضله وإحسانه ورحمته بعباده والله عليم حكيم.

قال سبحانه ﴿رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].

ومن الملاحظ أن الكفار لم ينكروا أصل الرسالة ولكنهم أنكروا أن يكون الرسول المبعوث من قبل الله من جنسهم.

لذا كان اعتراض الكفار على ذلك كما بين ذلك الله تعالى:

---

(١) مسلم: كتاب التوبة/ باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش.
البخاري: كتاب النكاح/ ١٠٧- باب الغيرة.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢٥ أَن لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ۝٢٦ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ [هود: ٢٥-٢٧].

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ۝٢٣ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلاَلٍ وَسُعُرٍ ۝٢٤ أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ [القمر: ٢٣-٢٥].

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ۝١٣ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ۝١٤ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ﴾ [يس: ١٣-١٥].

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم: ١٠-١١].

✿ لماذا كانت الرسل من أممهم ولم تكن من غير جنسهم؟

ليس بدعًا أن يختار الله نبيًّا من البشر- ويبعث في الناس رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة بل ذلك مقتضى الحكمة وموجب العقل.

وما جرت به سنة الله في أنبيائه فإن الله سبحانه قد مضت سنته في خلقه أن يجعلهم أنواعًا مختلفة على طرائق شتى وطبائع متباينة لكل نوع غرائزه وميوله أو خواصه ومميزاته التي تقضي بالأنس والتآلف بين أفراده وتساعد على التفاهم والتعاون بين الجماعات ليقوم الوجود وينتظم الكون فكان اختيار الرسول من

الأمة أقرب إلى أخذها عنه وأدعى إلى فهمها منه وتعاونها معه، لمزيد التناسب ومكان الألف بين أفراد النوع الواحد- ولو كان عمار الأرض من الملائكة لاقتضت الحكمة أن يبعث الله إليهم ملكًا رسولاً.

وقد أشار الله إلى ذلك في رده على من استنكر أن يرسل الله إلى البشر رسولاً منهم فقال سبحانه ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلاَئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولاً﴾ [الإسراء: ٩٤-٩٥].

ولكن شاء الله أن يكون سكان الأرض من البشر فاقتضت حكمته أن يكون رسوله إليهم من جنسهم. بل اقتضت حكمته ما هو أخص من ذلك وأقرب إلى الوصول للغاية وتحصيل المقصود من الرسالة فكتب على نفسه أن يرسل كل رسول بلسان قومه.

قال الله تعالى

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤].

ولو قدر أن الله أجاب الكفار إلى ما اقترحوا من إرسال ملك إليهم لأرسل سبحانه الملك في صورة رجل ليتمكنوا من أخذ التشريع عنه والاقتداء به فيما يأتي ويذر وليخوض معهم ميادين الحجاج والجهاد وبذلك يعود الأمر سيرته الأولى كما لو أرسل سبحانه إليهم رسولاً من البشر ويقعون في لبس وحيرة جزاء وفاقًا. قال الله تعالى

﴿وَقَالُوا لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام: ٨-٩].

ومن نظر في آيات القرآن وعرف تاريخ الأمم تبين له أن سنة الله في عباده أن

يرسل إليهم رسلاً من أنفسهم. قال الله تعالى

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٣-٤٤].

وقال سبحانه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠].

ولماذا ختمت هذه الرسالات برسالة الإسلام؟

قال الله تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

فالكتب السماوية مصدرها واحد وكذا أنزلت لغاية واحدة وهدف واحد فما أُنزلت إلا لتكون منهج حياة للبشر وتقودهم بما فيها من تعاليم وتوجيهات وهداية. وقد بين الله تعالى هذا الهدف في القرآن الكريم.

قال تعالى:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعَيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ

أهواءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٤٤-٥٠].

وبدون الرسالات السماوية سيبقى البشر مختلفين تائهين لا يتفقون على سبيل.

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

والرسالات السماوية السابقة أُنزلت لأقوام بأعيانهم أما هذه الرسالة الخاتمة التي أنزلت على خاتم الأنبياء والرسل رسالة عامة للبشرية كلها وبالتالي كانت صالحة لكل زمان ومكان.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]

فكل رسول من الرسل أُرسل لقومه خاصة إلا خاتم الأنبياء والمرسلين فإنه أُرسل إلى الناس كافة. ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨].

وكذلك كل رسالة من الرسالات السابقة جاءت لمرحلة من الزمان أما هذه الرسالة فكانت عامة كاملة شاملة.

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

فلقد جمعت الشريعة الخاتمة محاسن الرسالات السابقة وفاقتها كمالاً وجلالاً. وكذلك لما كانت هذه الرسالات السابقة مرهونة بوقت وزمان فإنها لم تخلد ولم

تبقَ ولم يتكفل الله بحفظها فوقع فيها التبديل والتحريف والتغيير.

أما هذه الرسالة الخاتمة فقد تكفّل الله بحفظها ولم يكل حفظها إلى البشر ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

❁ **موقف الرسالة الخاتمة من الرسالات السابقة:**

قال الله تعالى ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨١-٨٥].

ودين الإسلام هو دين الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين وقوله سبحانه

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

عام في كل زمان ومكان. فدين الأنبياء واحد وإن تنوعت شرائعهم. والنبي ﷺ هو آخر الأنبياء وأفضلهم، وفضله ﷺ ثبت بالنصوص الدالة على ذلك. منها قول النبي ﷺ «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»[١].

وقوله ﷺ: «آتي باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول محمد فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك»[٢].

---

(١) مسلم: كتاب الإيمان/ باب الشفاعة.

(٢) مسلم: كتاب الإيمان/ باب الشفاعة.

وفى ليلة المعراج رفع الله درجته فوق الأنبياء كلهم فكان أحقهم بقوله تعالى:

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

إلى غير ذلك من الدلائل.

وعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال:

«مَثلي ومَثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل ابتنى بيوتًا فأحسنها وأجملها وأكملها إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البنيان فيقولون ألا وضعت هاهنا لبنة فيتم بنيانك فقال محمد ﷺ فكنت أنا اللبنة»[1].

وكذا قال الله تعالى مبينًا ختم الرسالات برسالة النبي ﷺ

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وختمت الرسالات السابقة برسالة الإسلام الخالدة لكمالها ووفائها بحاجات البشر إلى يوم القيامة فلا داعي لرسالة أخرى. قال تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ﴾ [المائدة: ٣].

❁ ❁ ❁

(١) مسلم: كتاب الفضائل/ باب النبي ﷺ خاتم النبيين.

السؤال الثالث عشر

إن إرسال الرسل من لوازم ربوبية الله وألوهيته وما من رسول أرسله الله تعالى إلا وأيده بما يدل على صدقه ونبوته فكل نبي أيد بمعجزات من قبل الله تعالى وكانت هذه المعجزات حسية ولكن النبي ﷺ أيد بمعجزات حسية ومعنوية وكان مما أيد به النبي ﷺ هذه المعجزة الخالدة وهي القرآن الذي تحدى به الكفار أن يأتوا بمثله وما زال التحدي باقيًا حتى اليوم.

تكلم عن بعض الأدلة لإثبات نبوة النبي محمد ﷺ مع ذكر شروط التحدي وهل هي متحققة في القرآن أم لا؟

الجواب

❁ عن دلائل النبوة:

فلقد أقام الله الدلائل والحجج والبراهين المبينة صدق الرسل في دعواهم أنّهم رسل الله كي تقوم الحجة على الناس ولا يبقى لأحد عذر في عدم تصديقهم وطاعتهم.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الحديد: ٢٥].

❁ أمثلة من آيات الرسل:

١- آية نبي الله صالح عليه السلام:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ فكذبوه وطلبوا منه آية تدل على صدقة ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٥٣) مَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣-١٥٤].

فأيده الله بهذه الآية ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥].

وقال تعالى ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ٥٩].

وقال سبحانه ﴿قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾ [الأعراف: ٧٣].

٢- آية نبي الله موسى عليه السلام:

فلقد أعطى الله موسى تسع آيات ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ [الإسراء: ١١].

وأعظم هذه الآيات العصا ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلاَ تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى﴾ [طه: ١٧-٢١].

وكان لقاء موسى عليه السلام بسحرة فرعون الذين برعوا في السحر. ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَى ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٥-٦٩].

ولما عاين السحرة ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَى﴾ [طه: ٧٠].

ومن الآيات أيضًا آية اليد

﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٢٢].

فكان موسى عليه السلام يدخل يده في جيبه (درع قميصه) ثم ينزعها فإذا هي تتلألأ كالقمر بياضًا من غير سوء أي من غير برص ولا بَهق.

٣- آية عيسى عليه السلام:

❁ إحياء الموتى:

﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠].

❁ آية المائدة:

آية المائدة (من معجزات عيس ابن مريم عليه السلام)

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٢-١١٥].

٤- آية النبي محمدﷺ.

❁ من معجزات النبيﷺ:

١- نبع الماء من بين أصابعه:

«فعن أنس رضي الله عنه أن النبيﷺ دعا بماء فأُتي بقدح رحراح فجعل القوم يتوضئون فحزرت ما بين الستين إلى الثمانين قال فجعلت أنظر إلى الماء ينبع من بين أصابعه»[1].

٢- تكثير الطعام:

عن جابر أن رجلاً أتى النبيﷺ يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير فما زال

---

(١) مسلم: كتاب الفضائل/ معجزات النبي ﷺ.
كتاب الوضوء/ ٣٢- باب التماس الوضوء إذا حانت الصلاة.

الرجل يأكل منه وامرأته وضيفهما حتى كاله فأتى النبي ﷺ فقال: **«لو لم تكله لأكلتم منه ولقام لكم»**(١).

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: لما حُفِرَ الخندق رأيت بالنبي ﷺ خَمصًا شديدًا فانكفيت إلى امرأتي فقلت هل عندك شيء؟ فإنِّي رأيت برسول الله ﷺ خَمصًا شديدًا فأخرجت إليّ جرابًا فيه صاع من شعير ولنا بُهيمة داجن فذبحتها وطحنت الشعير ففرغت إلى فراغي وقطعتها في برمتها ثم وليت إلى رسول الله ﷺ فقالت: لا تفضحني برسول الله ﷺ ويمن معه. فجئته فساررته فقلت: يا رسول الله ذبحنا بُهيمة لنا وطحنا صاعًا من شعير كان عندنا فتعال أنت ونفر معك فصاح النبي ﷺ: **«يا أهل الخندق إن جابرًا قد صنع سُورًا فحيّهلا بكم»** فقال رسول الله ﷺ **«لا تُنْزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء»** فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدُم الناس حتى جئت امرأتي فقالت بك وبك فقلت قد فعلت الذي قلت فأخرجت له عجينًا فبصق فيه وبارك ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك ثم قال: **«ادعُ خابزة فلتخبز معي واقدحي برمتكم ولا تنزلوها»** وهم ألف. فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هي وإن عجيننا ليخبز كما هو»(٢).

٣- انشقاق القمر:

عن ابن مسعود ﷺ قال انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فلقتين فستر الجبل فلقة وكانت فلقة فوق الجبل فقال رسول الله ﷺ: **«اللهم اشهد»**.

وفي رواية:

«عن أنس أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين»(٣).

---

(١) مسلم: كتاب الفضائل/ معجزات النبي ﷺ.
(٢) البخاري: كتاب المغازي/ ٢٩٠- باب غزوة الخندق وهي الأحزاب.
(٣) مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار/ انشقاق القمر.

٤- آية الإسراء والمعراج:

وهي آية من الآيات التي أُيد بها النبيﷺ:

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ عَنْ شَرِيكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِﷺ مِنْ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ أَنَّهُ جَاءَهُ ثَلاثَةُ نَفَرٍ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ وَهُوَ نَائِمٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَقَالَ أَوَّلُهُمْ: أَيُّهُمْ هُوَ؟ فَقَالَ أَوْسَطُهُمْ: هُوَ خَيْرُهُمْ فَقَالَ آخِرُهُمْ: خُذُوا خَيْرَهُمْ فَكَانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَلَمْ يَرَهُمْ حَتَّى أَتَوْهُ لَيْلَةً أُخْرَى فِيمَا يَرَى قَلْبُهُ وَتَنَامُ عَيْنُهُ وَلا يَنَامُ قَلْبُهُ وَكَذَلِكَ الأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ فَلَمْ يُكَلِّمُوهُ حَتَّى احْتَمَلُوهُ فَوَضَعُوهُ عِنْدَ بِئْرِ زَمْزَمَ فَتَوَلاَّهُ مِنْهُمْ جِبْرِيلُ فَشَقَّ جِبْرِيلُ مَا بَيْنَ نَحْرِهِ إِلَى لَبَّتِهِ حَتَّى فَرَغَ مِنْ صَدْرِهِ وَجَوْفِهِ فَغَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ بِيَدِهِ حَتَّى أَنْقَى جَوْفَهُ ثُمَّ أُتِيَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ تَوْرٌ مِنْ ذَهَبٍ مَحْشُوًّا إِيمَانًا وَحِكْمَةً فَحَشَا بِهِ صَدْرَهُ وَلَغَادِيدَهُ يَعْنِي عُرُوقَ حَلْقِهِ ثُمَّ أَطْبَقَهُ ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَضَرَبَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِهَا فَنَادَاهُ أَهْلُ السَّمَاءِ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: جِبْرِيلُ قَالُوا: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مَعِيَ مُحَمَّدٌ قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالُوا: فَمَرْحَبًا بِهِ وَأَهْلاً فَيَسْتَبْشِرُ بِهِ أَهْلُ السَّمَاءِ لا يَعْلَمُ أَهْلُ السَّمَاءِ بِمَا يُرِيدُ اللَّهُ بِهِ فِي الأَرْضِ حَتَّى يُعْلِمَهُمْ فَوَجَدَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا آدَمَ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَرَدَّ عَلَيْهِ آدَمُ وَقَالَ: مَرْحَبًا وَأَهْلاً يَابْنِي نِعْمَ الابْنُ أَنْتَ فَإِذَا هُوَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِنَهَرَيْنِ يَطَّرِدَانِ فَقَالَ: «مَا هَذَانِ النَّهَرَانِ يَا جِبْرِيلُ؟» قَالَ: هَذَا النِّيلُ وَالْفُرَاتُ عُنْصُرُهُمَا ثُمَّ مَضَى بِهِ فِي السَّمَاءِ فَإِذَا هُوَ بِنَهَرٍ آخَرَ عَلَيْهِ قَصْرٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ فَضَرَبَ يَدَهُ فَإِذَا هُوَ مِسْكٌ أَذْفَرُ قَالَ: «مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟» قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي خَبَأَ لَكَ رَبُّكَ ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَقَالَتِ الْمَلائِكَةُ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَتْ لَهُ الأُولَى: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قَالُوا: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌﷺ قَالُوا: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالُوا: مَرْحَبًا بِهِ وَأَهْلاً ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ وَقَالُوا لَهُ: مِثْلَ مَا قَالَتِ الأُولَى وَالثَّانِيَةُ ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى الرَّابِعَةِ

فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَقَالُو: مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ كُلُّ سَمَاءٍ فِيهَا أَنْبِيَاءُ قَدْ سَمَّاهُمْ فَأَوْعَيْتُ مِنْهُمْ إِدْرِيسَ فِي الثَّانِيَةِ وَهَارُونَ فِي الرَّابِعَةِ وَآخَرَ فِي الْخَامِسَةِ لَمْ أَحْفَظِ اسْمَهُ وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّادِسَةِ وَمُوسَى فِي السَّابِعَةِ بِتَفْضِيلِ كَلامِ اللَّهِ فَقَالَ مُوسَى: رَبِّ لَمْ أَظُنَّ أَنْ يُرْفَعَ عَلَيَّ أَحَدٌ ثُمَّ عَلاَ بِهِ فَوْقَ ذَلِكَ بِمَا لاَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ اللَّهُ حَتَّى جَاءَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى وَدَنَا لِلْجَبَّارِ رَبِّ الْعِزَّةِ فَتَدَلَّى حَتَّى كَانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى اللَّهُ فِيمَا أَوْحَى إِلَيْهِ خَمْسِينَ صَلاَةً عَلَى أُمَّتِكَ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ثُمَّ هَبَطَ حَتَّى بَلَغَ مُوسَى فَاحْتَبَسَهُ مُوسَى فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَاذَا عَهِدَ إِلَيْكَ رَبُّكَ؟ قَالَ: **«عَهِدَ إِلَيَّ خَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ»** قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ فَارْجِعْ فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ رَبُّكَ وَعَنْهُمْ فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى جِبْرِيلَ كَأَنَّهُ يَسْتَشِيرُهُ فِي ذَلِكَ فَأَشَارَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ أَنْ نَعَمْ إِنْ شِئْتَ فَعَلاَ بِهِ إِلَى الْجَبَّارِ فَقَالَ وَهُوَ مَكَانَهُ: يَا رَبِّ خَفِّفْ عَنَّا فَإِنَّ أُمَّتِي لاَ تَسْتَطِيعُ هَذَا فَوَضَعَ عَنْهُ عَشْرَ صَلَوَاتٍ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مُوسَى فَاحْتَبَسَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُرَدِّدُهُ مُوسَى إِلَى رَبِّهِ حَتَّى صَارَتْ إِلَى خَمْسِ صَلَوَاتٍ ثُمَّ احْتَبَسَهُ مُوسَى عِنْدَ الْخَمْسِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ لَقَدْ رَاوَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَوْمِي عَلَى أَدْنَى مِنْ هَذَا فَضَعُفُوا فَتَرَكُوهُ فَأُمَّتُكَ أَضْعَفُ أَجْسَادًا وَقُلُوبًا وَأَبْدَانًا وَأَبْصَارًا وَأَسْمَاعًا فَارْجِعْ فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ رَبُّكَ كُلَّ ذَلِكَ يَلْتَفِتُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى جِبْرِيلَ لِيُشِيرَ عَلَيْهِ وَلاَ يَكْرَهُ ذَلِكَ جِبْرِيلُ فَرَفَعَهُ عِنْدَ الْخَامِسَةِ فَقَالَ: **«يَا رَبِّ إِنَّ أُمَّتِي ضُعَفَاءُ أَجْسَادُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ فَخَفِّفْ عَنَّا»** فَقَالَ الْجَبَّارُ: يَا مُحَمَّدُ قَالَ: **«لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ»** قَالَ: إِنَّهُ لاَ يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ كَمَا فَرَضْتُهُ عَلَيْكَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ قَالَ: فَكُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا فَهِيَ خَمْسُونَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ وَهِيَ خَمْسٌ عَلَيْكَ فَرَجَعَ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: كَيْفَ فَعَلْتَ؟ فَقَالَ: **«خَفَّفَ عَنَّا أَعْطَانَا بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا»** قَالَ مُوسَى: قَدْ وَاللَّهِ رَاوَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ فَتَرَكُوهُ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ أَيْضًا قَالَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مُوسَى قَدْ وَاللَّهِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي مِمَّا اخْتَلَفْتُ إِلَيْهِ» قَالَ: فَاهْبِطْ بِاسْمِ اللَّهِ قَالَ: وَاسْتَيْقَظَ وَهُوَ فِي مَسْجِدِ الْحَرَامِ»[١].

❁ شروط التحدي:

١- أن يكون موضوع التحدي داخلاً في قدرة من وجه إليهم بل ويكون داخلاً في اختصاصهم.

٢- أن يكون من وجه إليهم راغبين كل الرغبة حريصين كل الحرص على إبطال دعوى المتحدي والإجابة على تحديه.

٣- أن لا يوجد مانع يمنع من وجه إليهم التحدي من الإجابة عليه (كمانع الخوف من المتحدى أو الخوف من بطشه وسطوته وقدرته على إلحاق الأذى بهم.

وهذه الشروط كلها موجودة في المخالفين الذين تحداهم القرآن.

❁ مراحل التحدي بالقرآن:

تحدى الله كل من خوطب بالقرآن تحديا نازلا من الأكثر إلى الأقل، وكانت مراحل التحدي على النحو التالي:

❁ التحدي على النحو التالي:

١- **تحداهم أولاً**: أن يأتوا بمثل القرآن، وذلك قوله تعالى **﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾** [الإسراء :٨٨].

يقول ابن القيم: فأسجل سبحانه عليهم إسجالا عاما في كل مكان وزمان بعجزهم عن ذلك، ولو تظاهر عليه الثقلان.

٢- **ثم تحداهم**: أن يأتوا بعشر سور مثله فقال سبحانه: **﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ**

---

(١) البخاري: كتاب التوحيد/ ٣- باب ما جاء في قوله عز وجل: ﴿وكلم الله موسى تكليمًا﴾ حديث رقم (٧٥١٧).

﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود :١٣].

وإنقاص القدر المطلوب هو زيادة في التحدي وألزم للحدة وأقطع للعذر.

٣- **ثم تنزّل معهم، فتحداهم:** أن يأتوا بسورة من مثل القرآن فقال سبحانه: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة:٢٣].

فأمر الله سبحانه من ارتاب في هذا القرآن الذي نزله على نبيهﷺ أن يأتي بسورة واحدة من مثله، وهذا يتناول أقصر سورة من سوره كما عليه العلماء.

قال ابن كثير: «قوله تعالى ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ وقوله في سورة يونس: ﴿بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ يعم كل سورة في القرآن، طويلة كانت أو قصيرة، لأنها نكرة في سياق الشرط فتعم كما هي في سياق النفي عند المحققين من الأصوليين. فالإعجاز حاصل في طوال السور وقصارها، وهذا ما لا أعلم فيه نزاعا بين الناس، سلفا وخلفا.

وقد تحدى الله كل من خوطب بالقرآن أن يستعينوا بمن شاءوا، ومع ذلك فلم يقدروا، وظل هذا التحدي قائما منذ نزول القرآن وإلى يومنا هذا، عجز عنه فصحاء العرب وبلغاؤهم، وعجزت عنه البشرية كلها، وإنهم لعاجزون حتى قيام الساعة، فقد كان أولى الناس بالرد على التحدي أولئك الذين كانت صناعتهم الفصاحة والبلاغة يتباهون بها على الناس».

ويعقب ابن القيم على الآيات التي تحدى الله بها كل من خوطب بالقرآن أن يأتوا بمثله قائلا: فانظر أي موقع يقع من الأسماع والقلوب هذا الحجاج القاطع الجليل الواضح، الذي لا يجد طالب الحق ومُؤثره ومريده عنه محيدًا، ولا فوقه مزيدًا، ولا وراءه غاية، ولا أظهر منه آية، ولا أصح منه برهانًا، ولا أبلغ منه

بيانًا.

ويذكر ابن كثير بأن الله قد تحدى كل من خوطب بالقرآن: متفرقين ومجتمعين، سواء في ذلك أميهم وكتابيهم، وذلك أكمل في التحدي وأشمل من أن يتحدى آحادهم الأميين ممن لا يكتب ولا يعاني شيئا من العلوم، وبدليل قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾ [هود:١٣] وقوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا﴾ [البقرة:٢٤]، و«لن» لنفي التأبيد في المستقبل، أي: ولن تفعلوا ذلك أبدًا. وهذه أيضًا معجزة أخرى، وهو أنه أخبر خبرا جازمًا قاطعًا، غير خائف ولا مشفق أن هذا القرآن لا يعارض بمثله أبد الآبدين، ودهر الداهرين، وكذلك وقع الأمر، لم يعارض من لدنه إلى زماننا هذا، ولا يمكن، وأنّى يتأتى ذلك لأحد، والقرآن كلام الله خالق كل شيء؟ وكيف يشبه كلام الخالق كلام المخلوقين.

❁ وجوه الإعجاز القرآني:

وجوه الإعجاز في القرآن أكبر من أن تحدها العقول وتحيط بها الأفهام، لأن القرآن كلام الله، ولا يمكن للبشر أن يحيطوا بما في كلامه تعالى من المعاني أو بما في ألفاظه من المباني، يقول الأستاذ على الطنطاوي: «لا تبحثوا كما بحث علماء البلاغة عن موطن الإعجاز، فإن مواطن الإعجاز ليست في ألفاظه وحدها، ولا في أخباره عن المغيبات فقط، ولا في أمر واحد من الأمور التي ادَّعوا أن الإعجاز فيها، بل فيه كله مجتمعًا».

وسأعرض لبعض وجوه الإعجاز في القرآن، ومن ذلك:

❁ أولاً: الإعجاز اللغوي:

القرآن نزل على قوم في القمة في الفصاحة والبيان، وتحداهم أن يأتوا بمثل القرآن أو عشر سور مثله، أو سورة واحدة، فعجزوا عن ذلك، وهذا دليل على أن القرآن من عند الله.

وإعجاز القرآن من الناحية اللغوية يظهر في نظمه المتفرد الذي يختلف عن الشعر والنثر معًا، وأسلوبه الذي يتنوع بتنوع الموضوع المعروض، وخاصية إحياء المشهد المعروض، حتى لكأن الإنسان يشاهده لأول مرة إن كان من مألوفات الحس، أو يراه مجسدًا إن كان من المشاهد المتخيلة.

ويذكر ابن كثير كلامًا رائعًا في إعجاز القرآن فيقول: «ومن تدبر القرآن وجد فيه من وجوه الإعجاز فنونا ظاهرة وخفية، من حيث اللفظ، ومن جهة المعنى قال تعال: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:١]، فأحكمت ألفاظه، وفصلت معانيه، أو بالعكس، على الخلاف، فكل من لفظه ومعناه فصيح لا يحاذى ولا يدانى. فقد أخبر عن مغيبات ماضية كانت ووقعت طبق ما أخبر سواء بسواء، وأمر بكل خير ونهى عن كل شر كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً﴾ [الأنعام:١١٥] أي: صدقًا في الأخبار، وعدلاً في الأحكام، فكله حق وصدق، وعدل وهدى ليس فيه مجازفة ولا كذب ولا افتراء، كما يوجد في أشعار العرب وغيرهم من الأكاذيب والمجازفات التي لا يحسن شعرهم إلا بها

وأما القرآن فجميعه فصيح في غاية نهايات البلاغة، إن تأملت أخباره وجدتها في غاية الحلاوة، سواء كانت مبسوطة أو وجيزة، وسواء تكررت أم لا، وكلما تكرر حلا وعلا، لا يخلق على كثرة الرد، ولا يمل منه العلماء، وإن أخذ في الوعيد والتهديد جاء منه ما تقشعر منه الجبال الصم الراسيات، فما ظنك بالقلوب الفاهمات؟. وإن وعد أتى بما يفتح القلوب والآذان، ويشوق إلى دار السلام، ومجاورة عرش الرحمن، كما قال في الترغيب ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٧]، وقال: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف:٧١]، وقال في الترهيب: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾ [الإسراء:٦٨]، وقال: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا

هِيَ تَمُورُ. أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك:١٦-١٧] وقال في الزجر: ﴿فَكُلاً أَخَذْنَا بِذَنبِهِ﴾ [العنكبوت:٤٠]، وقال في الوعظ: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ - ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ - مَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾ [الشعراء:٢٠٥-٢٠٧]، إلى غير ذلك من أنواع الفصاحة والبلاغة والحلاوة.

وإن جاءت الآيات في الأحكام والأوامر والنواهي اشتملت على الأمر بكل معروف حسن نافع طيب محبوب، والنهي عن كل قبيح رذيل دنيء، كما قال ابن مسعود وغيره من السلف: «إذا سمعت الله تعالى يقول في القرآن: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فأرعها سمعك، فإنها خير يأمر به أو شر ينهى عنه، ولهذا قال تعالى ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف:١٥٧].

وإن جاءت الآيات في وصف المعاد وما فيه من الأهوال، وفي وصف الجنة والنار، وما أعد الله فيهما لأوليائه وأعدائه من النعيم والجحيم، والملاذ والعذاب الأليم، بشَّرت به وحذَّرت وأنذرت، ودَعت إلى فعل الخيرات واجتناب المنكرات، وزهَّدت في الدنيا ورغَّبت في الأخرى، وثبَّتت على الطريقة المثلى، وهدت إلى صراط الله المستقيم وشرعه القويم، ونفت عن القلوب رجس الشيطان الرجيم، ولهذا قال النبيﷺ : **«ما من الأنبياء إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيًا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة»**[1]

وقولهﷺ **«وإنما كان الذي أوتيته وحيًا»** أي الذي اختصصت به من بينهم هذا القرآن المعجز للبشر أن يعارضوه، بخلاف غيره من الكتب الإلهية، فإنها ليست معجزة عند كثير من العلماء والله أعلم.

---

(١) البخاري: كتاب فضائل القرآن / باب كيف نزول الوحي أول ما نزل..

۞ ثانيا: الإعجاز الموضوعي:

ونعني بذلك أن الموضوعات التي يشتمل عليها القرآن هي في ذاتها معجزة، ولا يمكن للبشر أن يأتوا بمثلها مهما ارتقت عقولهم، أو حشدوا لذلك كل طاقاتهم.

وفيما يلي أعرض لثلاثة من نواحي الإعجاز الموضوعي في القرآن الكريم.

أ- الإعجاز التشريعي:

فالتشريعات التي جاء بها القرآن لا تضاهيها أرقى ما وصلت إليه تشريعات البشر، ومن خلال مقارنة موجزة بين التشريعات التي جاء بها القرآن والتشريعات التي وصلت إليها البشرية اليوم يمكن القول:

١- أن التشريعات التي جاء بها القرآن ترتكز على الإيمان بالله، باعتبار أن المشرع هو الله تعالى، وهذا جزء أصيل من عقيدة التوحيد التي جاء بها القرآن الكريم.

- أما تشريعات البشر فتهمل ذلك، وتعتبر حرية التدين مزاجًا شخصيًّا، لا دخل للدولة به، فمن شاء أن يكفر فله ذلك، ومن شاء أن يتدين فله ذلك، بل إن التدين في بعض النظم الوضعية ممنوع، كما في النظم الإلحادية.

وهذه المسألة لها صلة أساسية بالتشريع، لأنه عندما لا يكون المشرع هو الله فإن العدالة منتفية في تشريعات البشر، لأن هذه التشريعات توضع لحساب طبقة على حساب طبقة أخرى.

- أما تشريعات القرآن فإنها تحقق العدالة بين الناس جميعًا، لأنه لا مصلحة لله فيظلم الناس، ولا صلة له في محاباة طبقة على حساب طبقة أخرى.

٢- شمول التشريعات القرآنية لجميع نواحي الحياة الإنسانية، فلا يوجد جانب من جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والخلقية والفكرية

والروحية أهملها التشريع القرآني ولم يضع له ما ينظمه. بالإضافة إلى التوازن بين الفرد والجماعة في صورة متزنة رائعة تتوازن فيها مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة، وتتكافأ فيها الحقوق والواجبات.

٣- أن التشريعات القرآنية جاءت معصومة من التناقض والتطرف والاختلاف الذي تعاني منه المناهج والأنظمة البشرية، لأن البشر -بطبيعتهم- يتناقضون ويختلفون من عصر إلى عصر، يقول الأستاذ سيد قطب: «فما من نظرية بشرية، وما من مذهب بشري إلا وهو يحمل الطابع البشري: جزئية النظرية والرؤية، والتأثر الوقتي بالمشكلات الوقتية، وعدم رؤية المتناقضات في النظرية أو المذهب أو الخطة، التي تؤدي إلى الاصطدام بين مكوناتها -إن عاجلا أو آجلا- كما تؤدي إلى إيذاء بعض الخصائص في البشرية الواحدة.

٤- أن التشريعات القرآنية تعتبر العنصر الأخلاقي أصيلا في كل تشريعاته: سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، أو تنظيم أسرة أو تعامل أفراد بعضهم مع بعض، لأن هذه التشريعات إنما نزلت لتنشئ أمة على المستوى اللائق بالإنسان، ولا يكون الإنسان إنسانًا بغير الجانب الأخلاقي.

- أما تشريعات البشر فالعنصر الأخلاقي مفقود في معظمها، وضعيف الأثر في سائرها، لأنها تشريعات قائمة على المصلحة، وليست قائمة على اعتبار أخلاقي أو إنساني.

والمصلحة هي دائمًا الطبقة التي تملك السلطة، وإن غطت ذلك بالمعسول من الألفاظ كالحرية والإخاء والمساواة ونحو ذلك.

يقول ابن القيم مبينًا التشريعات التي جاء بها القرآن: «وإذا تأملت الحكمة الباهرة في هذا الدين القويم والملة الحنيفية والشريعة المحمدية التي لا تنال العبارة كمالها ولا الوصف حسنها ولا تقترح عقول العقلاء ولو اجتمعت، وكانت على أكمل عقل رجل منهم فوقها، وحسب العقول الكاملة الفاضلة أن أدركت حسنها

وشهدت بفضلها، وأنه ما طرق العالم شريعة أكمل ولا أجل ولا أعظم منها فهي نفسها الشاهد.

والمشهود له، والحجة والمحتج له، والدعوى والبرهان، ولو لم يأت الرسول ببرهان عليها لكفى بها برهانًا وآية وشاهدًا على أنها من عند الله.

ب- الإعجاز العلمي:

من نواحي الإعجاز في القرآن أنه تحدث عن أمور كونية وعلمية لم تكون معروفة وقت نزول القرآن عند العرب ولا عند غيرهم من الأمم، ولم يكشف العلم عنها إلا في الوقت الحاضر، وفي ذلك دلالة قاطعة على أن القرآن هو كلام الله تعالى، وأنه لا يمكن أن يكون من قول البشر كما زعم مشركو العرب الذي تنزل عليهم القرآن، وكما يزعم المستشرقون في الوقت الحاضر.

ونحن لا نقول إن القرآن كتاب علمي كشأن الكتب التي تحدثت عن العلوم التجريبية تفصيلا، وإنما وردت فيه بعض الحقائق العلمية التي أماط العلم اللثام عن بعضها في الوقت الحاضر.

إضافة إلى أنه لم يرد في القرآن ما يتعارض مع حقائق العلم، وذلك دلالة واضحة على أن مصدر القرآن والحقيقة العلمية واحد.

❁ ومما أشار إليه القرآن من حقائق علمية:

١- قوله تعالى: **﴿اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾** [الروم:٤٨]

«ويثبت علم الأرصاد أن الأصل في إثارة السحب ونزول الأمطار منها هو إرسال الرياح لتتجمع في صعيد واحد، وتلك حقيقة لا جدال فيها».

٢- قوله تعالى: **﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ**

عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٢٥].

«ومن المعروف بالتجربة بعد أن طار الإنسان وحلق في هذا العصر على ارتفاعات مختلفة، أن الصعود في الجو والتعرض لطبقاته العليا، يصحبه حتما ضيق الصدر، حتى تصل الحال إلى درجة الاختناق على أبعاد تقل فيها كمية الأكسجين، بل ويقل فيها الهواء الجوي عمومًا».

٣- قوله تعالى ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة:٧٥-٧٦]

يقول علماء الفلك: «بأن المسافات بين النجوم تبلغ حد الخيال، وهي جديرة بأن يقسم بها الخالق لعظمها، فإن مجموعات النجوم التي تكون أقرب مجرات السماء منا تبعد عنا بنحو ٧٠٠ ألف سنة ضوئية، والسنة الضوئية تعادل عشرة ملايين الملايين من الكيلو مترات».

٤- قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ [الزمر:٦]

يقول الشيخ عبد المجيد الزنداني: «ما هي الظلمات الثلاث التي ينطوي داخلها الإنسان في بطن أمه من طور إلى طور؟ سؤال عرفت إجابته بدقة بعد أن تقدم علم التشريح وكشف أن الغطاء الذي يحيط بالجنين في بطن أمه ليس غشاء واحدا كما يرى بالعين المجردة، وإنما هو أغشية ثلاثة هي: الغشاء المنباري، والحزبون، والغشاء اللفائفي، وكل من هذه الأغشية لا يسمح بنفاذ الضوء أو الماء والحرارة، أفلا يكون بتلك الخصائص ظلمة، وتكون جميعها ظلمات ثلاثا؟»

٥- قوله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ [البقرة:٢٢٢]

❁ ذكر الأطباء بأن نكاح الحائض يؤدي إلى الأضرار التالية:

أ- إن تهييج أعضاء الأنثى بالجماع في وقت الحيض يحدث احتقانًا يسبب التهابات رحمية تضر بصحتها ضررًا بليغًا، وربما نشأ عن هذا الالتهاب تلف في المبيضين أو مجاري البويضة يؤدي إلى العقم، وأيضًا فإن تعريض الأنثى للهواء في هذا الوقت يضر بأعضائها الداخلية، وقد يحدث فيها التهابات.

ب- إن دخول مواد الحيض في مجرى قضيب الرجل قد يحدث فيه التهابا صديديا في بعض الأحيان، وهذا الالتهاب يشبه السيلان، وقد يمتد إلى خصيتين فيؤذيها، وربما نشأ عن ذلك عقم الرجل».

أليس في هذه الحقائق وفي غيرها، مما ذكره القرآن قبل أربعة عشر قرنًا من الزمان دليل على نبوة محمد ﷺ الأمي الذي لم يكن يعرف عن هذه الحقائق شيئا؟!

جـ- الإعجاز بإخبار القرآن عن بعض الغيوب التي وقعت كما أخبر:

أخبر الله في كتابه عن بعض الغيوب التي ستقع مستقبلاً، وقد تحقق ذلك كما أخبر القرآن، ومن ذلك

١- قوله تعالى ﴿الم ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم:١-٥]

فقد نزلت هذه الآيات «حين غلب الفرس على بلاد الشام وما والاها من بلاد الجزيرة وأقاصي بلاد الروم، فاضطر ملك الروم حتى لجأ إلى القسطنطينية وحوصر فيها مدة طويلة، ثم عادت الدولة لهرقل، عن ابن عباس رضي الله عنهما قاله: كان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أهل أوثان، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس، لأنهم أهل كتاب، فذكروه لأبي بكر، فذكره أبو بكر

لرسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ: «أما إنهم سيغلبون» فذكره أبو بكر لهم، فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلاً، فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا، فجعل أجلاً خمس سنين، فلم يظهروا، فذكر ذلك أبو بكر للنبي ﷺ فقال: «ألا جعلتها إلى دون العشر؟» ثم ظهرت الروم بعد، قال: فذلك قوله: ﴿الم ۝ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [تفسير سورة الروم] (1).

٢- قوله تعالى ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد:١- ٥]

❁ يقول ابن كثير (رحمه الله):

«في هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة، فإنه منذ نزل قوله تعالى: ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد:٣-٥] فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان، لم يقيض لهما أن يؤمنا ولا واحد منهما، لا باطنا ولا ظاهرا، لا سرا ولا علنا، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة على النبوة الظاهرة».

ومثل ذلك ما كان في شأن الوليد بن المغيرة، فقد أخبر الله أنه سيعذب بالنار، وذلك في قوله تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ [المدثر:١٧]، وقوله ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر:٢٦]. وذلك بعد أن عرف أن القرآن كلام الله، فانتكس وقاله: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ [المدثر:٢٤]، فتوعده الله بعذاب لا راحة فيه، وقد مات على الكفر ولم يؤمن، وفي هذا دليل على أن القرآن كلام الله وأن محمدا ﷺ رسول الله.

٣- قوله تعالى ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ

---

(١) مسند الإمام أحمد- حديث رقم (٢٤٩٥).

إن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:٢٧]

ومناسبة نزول هذه الآية كما ذكر المفسرون: «أن رسول اللهﷺ رأى في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت، فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة، فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤية تتفسر هذا العام، فلما وقع ما وقع من قضية الصلح، ورجعوا عامهم ذلك على أن يعودوا من قابل، وقع في نفس بعض الصحابة ﷺ من ذلك شيء، حتى سأل عمر بن الخطاب ﷺ في ذلك، فقال له فيما قال: أفلم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: «بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟» قال: لا، قال النبيﷺ «فإنك آتيه ومطوف به»[1]

❁ **فأما البشرى الأولى-** بشرى تصديق رؤيا رسول اللهﷺ ودخولهم المسجد الحرام آمنين، وتحليقهم وتقصيرهم بعد انتهاء شعائر الحج أو العمرة، لا يخافون — فقد تحققت بعد عام واحد، فقد خرج الرسولﷺ في العام التالي لصلح الحديبية إلى مكة معتمرا هو وأهل الحديبية آمنين على أنفسهم كما أخبر القرآن.

❁ **وأما البشرى الثانية-** والتي جاءت في الآية التي تلي الآية السابقة مباشرة، وهي قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح:٢٨] فقد تحققت هذه البشرى أيضا، فظهر دين الحق، لا في الجزيرة وحدها، بل في المعمور من الأرض كلها قبل مضي نصف قرن من الزمان، ظهر في امبراطورية كسرى كلها، وفي قسم كبير من إمبراطورية قيصر، وظهر في الهند وفي الصين، ثم جنوب آسيا في الملايو وغيرها، وفي جزر الهند الشرقية «أندونيسيا» وكان هذا هو معظم المعمور من الأرض في القرن السادس ومنتصف القرن السابع الميلادي.

---

(١) البخاري: كتاب الشروط/ باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط.

وما يزال دين الحق ظاهرا على الدين كله، حتى بعد انحساره السياسي عن جزء كبير من الأرض التي فتحها.

* * *

السؤال الرابع عشر

قال الله تعالى: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾

فالقرآن كلام الله تعالى وليس من عند النبي محمدﷺ بل إن مصدر القرآن إلهي لا بشري بين بالأدلة القرآنية على صحة وصدق هذا القول؟

الإجابة

❁ مصدر القرآن إلَهي لا بشري:

القرآن من عند الله تعالى وليس من عند النبيﷺ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا.

❁ بيان الأدلة السميعة في هذه القضية:

١- جدل الكفار حول مصدر القرآن وزعمهم فيما زعموا من أن القرآن فاضت به نفس محمدﷺ وفتق به لسانه وأعلن أنه ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٣-٤٧].

وكذا قال الله تعالى ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾ [التكوير: ١٩-٢٢]

٢- وكلما رمى المعاندون النبيﷺ بافتراء القرآن لقنه الوحي ما يدفع به عن نفسه ذلك الاتهام ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلاَ تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي

إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأحقاف:٨-١٠].

وقال تعالى معلنًا أن محمدًا ليس بدعا من الرسل ولا أول نبي خاطب الناس باسم الوحي ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (١٦٣) وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٣- ١٦٤]

٣- وبين لهم القرآن عدم اقتدار النبي ﷺ على اجتباء آية أو تبديلها ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [يونس:١٥-١٦]

فهذه الآيات شاهدة ببراءة النبي ﷺ من دعوى الإتيان بالقرآن من عند نفسه بل لا صنعة له فيه وما هو إلا مبلغ ما أوحي إليه امتثالا لأمر ربه ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة:٦٧]

أفبعد هذا الإقرار الذي أقر به الرسول ﷺ على نفسه تحتاج القضية إلى بينة؟!

ولو نظرنا إلى كتاب الله تعالى لرأينا أن النبي ﷺ لا يدعي لنفسه فضلا لم يأته وإنما يجرد نفسه من فضل ليس له ويرد فضل الله إلى الله تعالى وقد وعى قول الله تعالى ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٣]

٤- شواهد من القرآن تبين أن محمدًا ﷺ عبدًا ضعيفًا بين يدي ربه لا يملك من أمر نفسه ولا من أمر الوحي شيئا.

فإن من يتلو آيات الوحي الكريم المصدرة بقوله «قل» وقد تكررت في القرآن

أكثر من ثلاثمائة مرة ليدرك أن محمدا لا دخل له في الوحي فلا يصوغه بلفظة ولا يلقيه بكلامه وإنما يلقى إليه الخطاب إلقاء فهو مخاطب لا متكلم، ومبلغ ما يسمعه لا معبر عن شيء يجول في نفسه.

وإنه ليصرح على لسانه بأنه بشر مثل سائر البشر ليس عليه إلا البلاغ ولا يملك خزائن الله ولا يعلم الغيب ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف:١١٠] ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٨] ﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى﴾ [الأنعام:٥٠]

٥- النبي ﷺ لا يملك من أمر نفسه شيئًا حتى حق استخدام ذاكرته في حفظ القرآن فكان كلما حرك لسانه به متعجلاً حفظه خشية ضياعه من صدره جاءه الوحي بالنهي الصريح عن ذلك مبينًا أن الله تعالى متكفل بحفظه وتحفيظه للنبي ﷺ ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٦-١٧].

﴿وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤]

فلو كان القرآن من عند محمد ﷺ لما تعجله خشية ضياعه وإنه لو كان هو منشئه لاستطاع إعادته متى شاء.

٦- النبي ﷺ لا يملك أن يأكل ما يشاء وأن يدع ما يشاء فحين حرم بعض الأطعمة على نفسه ترضية لإحدى زوجاته جاءه الوحي معاتبا ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التحريم:١]

٧- النبي ﷺ لا يملك أن يتزوج بمن يشاء أو يعدل عمن يشاء، فقد يأتيه الوحي في ذلك بما لا يميل إليه فأمر زواجه من مطلقة متبناه زيد بنْ حارثة رضي الله عنه

فيتلبث في إنفاذه يسيرا حتى يجد لنفسه من الحرج مخرجا فيتلقاه الوحي بالتعنيف الشديد والنقد المرير ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾ [الأحزاب:٣٧]

٨- عتاب الحق تعالى له عندما قضى في أمر أسارى بدر ﴿لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال:٦٨]

٩- عتاب الله تعالى للنبيﷺ لموقفه من عبدالله بن أم مكتوم رضي الله عنه حين جاءه وهو مشغول بدعوة سادات قريش طمعًا في إسلامهم فأعرض عنه وتلهى بفكرة إسلامهم وما يتبع ذلك من قوة للدين ونشر للإسلام -وإذا بالوحي يفجأه معاتبا إياه وأن الأمر على غير ما قدر ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَن جَاءَهُ الأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى (٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (٥) فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى (٧) وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠) كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ [عبس:١-١١] فلو كان هذا القرآن من عند محمدﷺ ألم يكن في السكوت عنها ستر لنفسه واستبقاء لحرمة آرائه؟ هذا إن كان أمر القرآن إليه ولكن الوحي الذي لا يستطيع أن يكتم منه شيئا مهما رأى الناس فيه من إيذاء مشاعره.

١٠- كيف لرجل يرى الناس أن ما يتلوه عليهم هو من عند نفسه -يتلو على ملأ منهم ما يوجه إليه من الإنذار والتهديد ﴿وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً (٧٤) إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء:٧٤-٧٥]

١١- ويعلن أن استدامة ما يتلوه عليهم ليست له فإنه معرض لأن يسلب منه وأنه أضعف من أن يستعيده ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ

بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً ﴿٨٦﴾ إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٨٦-٨٧] هذا هو الوحي الذي يؤكد للعالم عبودية محمد الخاضعة وذاته المتلقية.

١٢- موقف النبي ﷺ في حادثة الإفك حيث هو أحوج ما يكون منها إلى القول يدفع به عن نفسه مقالة السوء ويحمي عرضه من إفك المتخرصين، في هذه الحادثة التي رميت فيها زوجته عائشة رضي الله عنها وظل قرابة شهر صامتًا فقد أبطأ عليه الوحي فما زاد آخره إلا أن قال **«يا عائشة أما إنه بلغني كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله»** وما أن قال هذه الكلمات وقبل أن يغادر مكانه حتى نزل الوحي معلنًا براءتها في صدر سورة النور.

١٣- موقف النبي ﷺ من تحويل القبلة إلى الكعبة فقد ظل يقلب وجه في السماء ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا لعل الوحي يحقق له ما تشوق إليه من تحويل القبلة إلى البيت الحرام ولكن الوحي لم يتنزل في أمر هذا التحويل الذي تشوف له النبي ﷺ هذه المدة إلا بعد قرابة عام ونصف ليأذن له بقوله تعالى ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة:١٤٤]

١٤- هذه الآيات التي لا مجال للذكاء والاستنباط فيها ولا سبيل إلى علمها إلا بالتلقي والتعلم فقد وصفت آيات القرآن نشأة الخلق الأولى ومصيره المحتوم، وفصلت نعيم الآخرة وعذابها الأليم وأحصت عدة أبواب جهنم حتى عدد الملائكة الموكلين بها والنبي ﷺ عرض ذلك على العرب الأميين وعلى أهل الكتاب العالمين عرض الواثق وبلاغ المثبت ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلاَ يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ

وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٦-٣١]

١٥- كما حملت الآيات أنباء الأمم السابقة ووقائع الأحداث الماضية تصحح ما شاع من أخطائها على ألسنة أهل الكتب السابقة وتفصل منها ما دقَّ من أحداثها حتى عدد السنين

فهذا نوح عليه السلام ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت:١٤]

وقال سبحانه وتعالى تعقيبا على قصة نوح عليه السلام ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أنت وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود:٤٩]

١٦- حملت الآيات نبوءات المستقبل فما أخلف الله منها وعدا وعده ﴿الم ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم:١-٥]

١٧- ودعا النبي ﷺ على أهل مكة لما استعصوا عليه بسنين كسني يوسف فأجاب الله دعاءه ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان:١٠-١١] فأصابهم القحط حتى أكلوا العظم وجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجهد.

١٨- تخبط الكافرين ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل:١٠٣] ولم ينسبوا أن الذي علمه واحد منهم ولكن ما أطلقوا ذلك القول إلا حتى يدرءوا عن أنفسهم معرة السكوت والإفحام.

ولم يجرءوا على أن يجعلوا واحدًا منهم هو معلمه ولا بد أن يعينوا ويسموا هذا المعلم ووجدوا ضالتهم في غلام رومي أعجمي نصراني –وقالوا هذا معلمه–

فكان الرد الذي سفههم ﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل:١٠٣]

ولما سقط في أيديهم نسبوه إلى مجهول وتخبطوا في الاتهام ورفعوا دعواهم ضد مجهول فقالوا ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الفرقان: ٤- ٥].

فرد عليهم القرآن في عبارة موجزة ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الفرقان:٦]

وفي نهاية المقام لما سلم المنكرون له أن هذا القرآن منزل من الله تعالى على رسوله ﷺ ولكنهم لم يؤمنوا به وكان حجتهم في ذلك أن قالوا ﴿وَقَالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف:٣١]

* * *

السؤال الخامس عشر

الإيمان بمحمدﷺ نبيًا ورسولاً يقتضي التسليم المطلق والتام لما جاء به أو أخبر عنه

ويقتضي تصديقه وطاعته فيما أمر به أو نهى عنه دون حرج أو ضيق أو مناقشة أو جدال أو تعقيب أو التفريق بين الأحكام التي جاء بها فإن كل هذه الأشياء تناقض مقتضى الإيمان بهﷺ نبيًا ورسولاً

تكلم عن مقتضى الإيمان بنبوة النبيﷺ ولوازمه

وما هو واجب المسلم اتجاه النبيﷺ؟

الجواب

أن النجاة كل النجاة في صدق الإخلاص لله وحسن الاتباع لرسولهﷺ دون غلو أو ابتداع ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣]

وكذا قال سبحانه ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٣]

ولقد نبه الله تعالى المسلمين إلى حقوق النبيﷺ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب]

وقال سبحانه ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الفتح:٨-٩]

وقال سبحانه ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات:١-٢]

إن الله سبحانه وتعالى أوجب لنبيناﷺ على القلب واللسان والجوارح حقوقا زائدة على مجرد التصديق بنبوته

كما أوجب سبحانه على خلقه من العبادات على القلب واللسان والجوارح أمورا زائدة على مجرد التكذيب بنبوته.

۞ فمن ذلك:

– أنه أمر بالصلاة عليه والتسليم بعد أن أخبر أن الله وملائكته يصلون عليه والصلاة تتضمن ثناء الله عليه ودعاء الخير له وقربته منه ورحمته له والسلام عليه يتضمن سلامته من كل آفة – فقد جمعت الصلاة عليه والتسليم جميع الخيرات.

ثم أنه يصلى سبحانه عشرا على من يصلى عليه مرة واحدة حضا للناس على الصلاة عليه ليسعدوا بذلك وليرحمهم الله بها.

– أنه أخبر أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم

فمن حقه أن يحب أن يؤثره العطشان بالماء والجائع بالطعام وأنه يجب أن يُوقَّى بالأنفس والأموال كما قاله سبحانه ﴿مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلاَ يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ﴾ [التوبة:١٢٠]

فعلم أن رغبة الإنسان بنفسه أن يصيبه ما يصيب رسول اللهﷺ من المشقة معه حرام وقد قال الله تعالى مخاطبًا للمؤمنين فيما أصابهم من مشقات الحصر والجهاد ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١]

أن يكون أحب إلى المؤمن من نفسه وولده وجميع الخلق كما دل على ذلك قوله سبحانه ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ إلى قوله تعالى ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة:٢٤]

ومن ذلك قول عمر بن الخطاب ﷺ يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال «لا يا عمر حتَّى أكون أحب إليك من نفسك» فقال فأنت والله يا رسول الله أحب إلى من نفسي، قال «الآن يا عمر»

وقال رسول الله ﷺ «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[1].

- أن الله أمر بتعزيره وتوقيره فقال ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح:٩]

والتعزير: اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه.

وتوقيره: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار

- خصَّه في المخاطبة بما يليق به فقال ﴿لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور:٦٣]

فنهى أن يقولوا يا محمد أو يا أحمد أو يا أبا القاسم – ولكن يقولوا يا رسول الله يا نبي الله

وكيف لا يخاطبوه بذلك والله سبحانه وتعالى أكرمه في مخاطبته بما لم يكرم به أحدا من الأنبياء فلم يدعه باسمه في القرآن قط بل يقول ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٥]

﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة:٦٧]

- أنه حرم التقدم بين يديه بالكلام حتى يأذن وحرم رفع الصوت فوق صوته

---

(١) البخاري: كتاب الإيمان/ باب وجوب محبة النبي ﷺ.

وأن يجهر له بالكلام كما يجهر الرجل للرجل وأخبر أن ذلك سبب حبوط العمل.

فهذا يدل على أنه يقتضي الكفر لأن العمل لا يحبط إلا به، وأخبر أن الذين يغضون أصواتهم عنده هم الذين امتحنت قلوبهم للتقوى وأن الله يغفر لهم ويرحمهم وأخبر أن الذين ينادونه وهو في منزله لا يعقلون لكونهم رفعوا أصواتهم عليه ولكونهم لم يصبروا حتى يخرج إليهم ولكن أزعجوه إلى الخروج.

– أنه حرم على الأمة أن يؤذوه بما هو مباح أن يعامل به بعضهم بعضًا تمييزًا له- مثل نكاح أزواجه من بعده فقال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلاَ أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٣].

– وأوجب على الأمة لأجله احترام أزواجه وجعلهن أمهات في التحرم والاحترام فقال سبحانه ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب:٦].

– وأما ما أوجبه من طاعته والانقياد لأمره والتأسي بفعله فهذا باب واسع

– ومن كرامته المتعلقة بالقول: أنه فرق بين أذاه وأذى المؤمنين فقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٥٧-٥٨].

✽ ومن ذلك أيضًا:-

أن الله رفع له ذكره فلا يذكر الله سبحانه إلا ذكر معه – ولا تصح للأمة خطبة ولا تشهد حتى يشهدوا أنه عبده ورسوله وأوجب ذكره في كل خطبة

وفي الشهادتين اللتين هما أساس الإسلام- وفي الأذان الذي هو شعار الإسلام وفي الصلاة التي هي عماد الدين- إلى غير ذلك من المواضع.

ولذا كان سابه أو منتقصه قد ناقض الإيمان به وناقض تعزيره وتوقيره وناقض

رفع ذكره وناقض الصلاة عليه والتسليم وناقض تشريفه في الدعاء والخطاب بل قابل أفضل الخلق بما لا يقابل به أشر الخلق.

– لقد قال الله تعالى في شأن رسولهﷺ ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦]

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨]

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:٦٤]

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران]

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء]

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]

فينبغي أن نقتدي به في خلقه وفي إيمانه وعبادته وفي حبه لله وللمؤمنين امتثالا لقول ربنا ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١]

وينبغي أن نقتدي برسول اللهﷺ في سياسته الدين وسياسته الدنيا.

❁ فوظيفة النبيﷺ:

١– مبين للقرآن ومفسر لآياته ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٤٤]

٢– محدد لمعالم الحق حين تختلف الناس فيه ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل:٦٤]

٣– المعلم للناس أحكام دينهم وكتاب ربهم وسنة نبيهم وهو المقدم لسلوكهم والمزكي لنفوسهم ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾

[آل عمران:١٦٤]

فالله تعالى حين أنزل كتابه حدد مهمة النبيﷺ في أمرين:

أ- تبليغ ما أنزل الله إليه ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة:٦٧].

ب- بيان ما أنزل إليه ببيان الله تعالى ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٤٤].

❁ والسنة النبوية:

أسهمت مع القرآن في رسم المنهج الأقوم للحياة الإنسانية الراشدة والنبيﷺ تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يحيد عنها إلا هالك. والسنة هي الطريقة المسلوكة في الدين التي سلكها النبيﷺ

❁ مكانة السنة ووجوب الالتزام بها والعمل بها والحث على التمسك بالدين وإصابة السنة:

١- الأمر الصريح بالأخذ بما أمر به الرسولﷺ والانتهاء عما نهى عنه ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر:٧] فهذه الآية تقرر هذا الأصل الهام وهو وجوب اتباع النبيﷺ.

٢- طاعة الرسولﷺ طاعة لله عز وجل ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء:٨٠]

٣- من حاد عن طاعة الله وطاعة الرسولﷺ كان في عداد الكافرين ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران:٣٢].

٤- طاعة النبيﷺ ورد الحكم عند التنازع إلى كتاب الله وسنة رسوله علامة الإيمان ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النساء:٥٩].

٥- مبايعة النبيﷺ مبايعة مع الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ

﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:١٠].

٦- نفي الإيمان عمن لا يحتكم إلى النبي ﷺ ولا يرضى تمام الرضا بحكمه وقضائه ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء:٦٥].

٧- لا خيار للمؤمن مع سنة النبي ﷺ ولا مع قضائه ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦]

٨- مسلك المؤمن وما يميزه عن غيره إذا أمروا بأمر من الله ورسوله لا يحيد ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور:٥١]

✽ اتباع النبي ﷺ

واتباع النبي ﷺ أحد ركائز الإسلام وأساسياته ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر:٧].

والاتباع هو الاقتداء والتأسي بالنبي ﷺ في الاعتقادات والأقوال والأفعال والتروك

✽ منزلة الاتباع في الشريعة:

١- الاتباع شرط لقبول الغبادات «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد »[1]

٢- الاتباع سبب لدخول الجنة «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» قالوا ومن يأبى يا رسول الله قال «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى »[2]

٣- الاتباع دليل محبة الله تعالى ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١]

---

(١) مسلم: كتاب الأقضية/ باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور.
البخاري: كتاب الصلح/ باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود.
(٢) البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة/ باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ.

٤- الاتباع من صفات المؤمنين ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور:٥١]

❁ الوسائل المعينة على الاتباع:

١- تقوى الله تعالى.

٢- الإخلاص لله تعالى.

٣- إظهار الافتقار إلى الله والتضرع واللجوء إلى الله تعالى.

٤- تعلم الأحكام الشرعية.

٥- فهم النصوص الشرعية وتدبر معانيها.

٦- اتباع طريقة السلف في العلم والعمل.

٧- الصحبة الصالحة.

❁ مظاهر الاتباع:

١- تعظيم النصوص الشرعية

٢- الاقتداء بالنبي ﷺ والتأسي به ظاهرًا وباطنًا.

٣- تحكيم العبد للشرع والتحاكم إليه.

٤- الرضا بحكم النبي ﷺ وشرعه.

❁ وجوب محبة النبي ﷺ:

إن محبة النبي ﷺ أصل عظيم من أصول الدين، فلا إيمان لمن لم يكن الرسول ﷺ أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين

﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤]

﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب:٦]

ولقد قال رسول الله ﷺ «ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة «اقرءوا إن شئتم ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ وقال النبي ﷺ «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه»(١)

۞ كيف نحقق محبة النبي ﷺ وتعظيمه؟

متابعته ﷺ وطاعته فيما أمر به، تصديقه فيما أخبر به، اجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

۞ الأسباب الجالبة لمحبة النبي ﷺ:

١- محبة الله تعالى ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١]

٢- تقديم محبة النبي ﷺ وأقواله وأوامره على من سواه «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»(٢) وقال النبي ﷺ «من أشد أمتي لي حبًّا ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله»(٣) ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]

«ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله تعالى، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن

---

(١) البخاري: كتاب التفسير: ٣٣-سورة الأحزاب..

(٢) البخاري: كتاب الإيمان/ باب حب الرسول ﷺ من الإيمان.
مسلم: كتاب الإيمان/ باب وجوب محبة الرسول ﷺ.

(٣) البخاري: كتاب الإيمان/ باب حب الرسول ﷺ من الإيمان.
مسلم: كتاب الإيمان/ باب وجوب محبة الرسول ﷺ.
مسلم: كتاب الفضائل/ باب فضل النظر إلى النبي ﷺ.

يقذف في النار»[(١)].

وأصل المحبة الطاعة والانقياد والاستسلام ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥]

*** دلائل محبته ﷺ ومظاهر تعظيمه:**

١- تقديم النبي ﷺ وتفضيله على كل أحد.

٢- سلوك الأدب معه ﷺ وذلك :

- بالثناء عليه بما هو أهله.

- والصلاة والسلام عليه .

- الإكثار من ذكره والتشوق لرؤيته.

- التأدب عند ذكره ﴿لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾.

- الأدب في مسجده ﷺ «قصة عمر بن الخطاب»[(٢)].

- حفظ حرمة بلده المدينة المنورة .

- توقير حديثه.

٣- تصديقه فيما أخبر به.

قال ابن القيم (رحمه الله) «فرأس الأدب مع رسول الله ﷺ كمال التسليم له والانقياد لأمره وتلقي خبره بالقبول والتصديق

٤- اتباعه وطاعته والاهتداء بهديه.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ

---

(١) البخاري: كتاب الإيمان/ باب حلاوة الإيمان.

(٢) البخاري: كتاب الصلاة/ ٨٣- باب رفع الصوت في المسجد.

وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١] ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء:٨٠] ورد أمر التنازع إلى الله وإلى رسوله ﷺ ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء:٥٩]

وقال ﷺ «...فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها»[١].

٥- التحاكم إلى سنة النبي ﷺ ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء:٦٥] ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٤]

٦- الذب عنه وعن سنته ونشر سنته ﴿وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الحشر:٨] «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث...»[٢].

❁ **التحذير من مخالفة هدي النبي ﷺ:**

١- مسلك المنافقين ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:٤٧]

٢- الفتنة والعذاب ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]

٣- ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]

---

(١) أبو داود: كتاب السنة/ باب في لزوم السنة.

(٢) البخاري: كتاب العلم/ باب فضل من علم وعلّم.

❁ أسباب المخالفة:

١- الجهل.

٢- اتباع الهوى.

٣- تقديم العقل على النقل الصحيح.

٤- تقديم آراء الشيوخ والآباء والكبراء على النصوص الثابتة.

٥- التعلق بالشبهات.

❁ **من مظاهر الجفاء مع النبي ﷺ:**

١- الزهد في سنته لقد ترك الناس العمل بسنة النبي ﷺ زهدا فيها لذا ترىأحدهم يعبر عنها بقوله أنها سنة وكأنه يقلل من شأنها وينزل من شأنها ألم يسمع هذا قول النبي ﷺ **«فمن رغب عن سنتي فليس مني»**

٢- رد الأحاديث الصحيحة بزعم أنها مخالفة للعقل أو أنها لا تتمشى مع الواقع أو عدم إمكان العمل بها أو أن عادات الناس على عكسها **﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾** [الحشر:٧]

٣- العدول عن سيرته وسنته.

وكان عبد الرحمن بن مهدي إذا قرأ حديث رسول الله ﷺ أمر الحاضرين بالسكوت فلا يتحدث أحد ولا يبرى قلم ولا يبتسم أحد ولا يقوم أحد قائمًا كأن على رءوسهم الطير أو كأنهم في صلاة فإذا رأى أحدًا منهم تبسم أو تحدث لبس نعله وخرج.

وكان الإمام مالك رحمه الله أشد تعظيمًا لحديث رسول الله ﷺ فكان إذا جلس للفقه جلس كيف كان وإذا أراد الجلوس للحديث اغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا وتعمم وقعد على منصته بخشوع وخضوع ووقار ويبخر المجلس من أوله إلى فراغه تعظيمًا للحديث.

قصة عمر ﷺ- كما روي عنه- قال ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ[١]

٤- الهجر والاستهزاء بأهل السنة.

٥- الجهل بشمائل وخصائص النبي ﷺ.

٦- محاربة السنة بالبدعة.

٧- ترك الصلاة على النبي محمد ﷺ.

دعاء النبي ﷺ بقوله «رغم أنف من ذكرت عنده فلم يصل علي، والبخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي»[٢].

وختامًا فقد ذكر الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه تحت كتاب الاعتصام بالسنة فقال:

١- باب الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ:

قال ابن عون: ثلاثة أحبهن لنفسي ولإخواني، هذه السنة أن يتعلموها ويسألوا عنها والقرآن أن يتفهموه ويسألوا الناس عنه ويدعوا الناس إلا من خير.

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال **«كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى»** قالوا يا رسول الله ومن يأبى؟ قال **«من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»**

قال جابر بن عبد الله- **« جاءت الملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا إن لصاحبكم هذا مثلاً قال فاضربوا له مثلاً قال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم إن العين نائمة القلب يقظان فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارًا وجعل منها مأدبة وبعث داعيًا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا**

---

(١) البخاري: كتاب الصلاة/ باب رفع الصوت في المسجد.

(٢) الترمذي: كتاب الدعوات/ قول رسول الله ﷺ «رغم أنف رجل».

أولوها له يفقهها فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم إن العين نائمة القلب يقظان فقالوا أما الدار فهي الجنة وأما الداعي فهو محمد ﷺ فمن أطاع محمدًا ﷺ فقد أطاع الله ومن عصى محمدًا ﷺ فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس».

(مثل المتبع لما جاء به النبي ﷺ ومثل المعرض عما جاء به النبي ﷺ).

فعن أبي موسى الأشعرى عن النبي ﷺ قال «إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق».

٢- باب الاقتداء بأفعال النبي ﷺ:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال اتخذ النبي ﷺ خاتما من ذهب فاتخذ الناس خواتيم من ذهب –فقال النبي ﷺ «إني اتخذت خاتما من ذهب فنبذه وقال إني لن ألبسه فنبذ الناس خواتيمهم».

هذه الرواية مظهرة لاقتداء الصحابة رضوان الله عليهم بالنبي ﷺ في الفعل والترك وكذلك نَزَعَ نعله في الصلاة فنزعوا نعالهم وفي يوم الحديبية لما أمرهم بالتحلل وتأخر عن المبادرة رجاء أن يأذن لهم في القتال وأن ينصروا فيكملوا عدتهم فقالت أم سلمة رضي الله عنها أخرج إليهم فاحلق واذبح ففعل فتابعوه مسرعين.

* * *

السؤال السادس عشر

قال الله تعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

فمحبة النبيﷺ الحقيقية لا تكون إلا بتجريد المتابعة لشرعه الذي جاء به من ربه ولسنته القولية والفعلية مع استقرار النفوس أنهﷺ لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا وأن المالك لهذا وذاك هو الله تعالى وأن الاستغاثة وكشف الضر وطلب العون لا يكون إلا من الله وضح ذلك؟

الإجابة

❁ التحرز من خلط ما لله بما للرسولﷺ من حق:

ومما يجب التنويه به والتذكير به التحرز من خلط ما لله من حق بما للرسولﷺ من حق، فإن المسلم قد يقع في هذا دون أن يشعر، أو يقع فيه متعمدًا ظانًّا أنه من واجب المسلم نحو الرسولﷺ ، أو أن ذلك من مزيد محبته للنبيﷺ، فيقع في الشرك الخفي أو الجلي وبالتالي يقع في سخط الله.

إن محبة الرسولﷺ الحقيقية هي متابعته والمسارعة إلى مرضاته وهذا لا يتم إلا بتجريد المتابعة لشرعه الذي جاء به من ربه ولسنته القولية والعملية، ومن المعلوم أن ما جاء بهﷺ من ربه إفراد الله بالعبادة بجميع أشكالها وصورها وعدم إعطاء ذرة منها لأحد كائنًا من كان، وهذا هو معنى كلمة التوحيد كما بينا ذلك من قبل.

ولتحقيق هذه المعاني العالية في نفوس المسلمين بين القرآن الكريم أن محمدًا ﷺ بشر قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف:١١٠] وأنه لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا وإنما المالك لهذا وذاك هو الله تعالى، قال تعالى ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ

لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٨] وعلى هذا فالاستغاثة وطلب العون وكشف الضر يكون من الله تعالى الذي دعانا إلى الطلب منه والتوجه إليه قال تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠] ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦] كما أن الخشية والتقوى تكون لله، والتوكل يكون على الله فهو الكافي جل جلاله، قال تعالى ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور:٥٢] وقال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة:٢٥] فهذه الآيات صريحة في تحديد ما لله من حق وما للرسول من حق، فمن حقوق الله تعالى وحده الخشية منه والتقوى له، والكفاية لعبده والتوكل عليه والرغبة إليه، أما الطاعة فهي من حق الله وحق رسولهﷺ، وطاعة الرسول في حقيقتها طاعة لله، وكذلك من حق الرسول إعطاء ما يراه من غنائم وفيء وغيرها من يرى إعطاءه.

وفي الحديث الشريف عن النبيﷺ **«لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبدالله فقولوا عبدالله ورسوله»**[١] أو كما قالﷺ وقال رجل للنبيﷺ **«ما شاء الله وشئت»**[٢] فقالﷺ: **«أجعلتني لله ندًا، قل ما شاء الله ثم شئت»**[٢] فالنبي الكريمﷺ جاء بالتوحيد الخالص لله رب العالمين. ومن حرصه الشديد على ما ينفع المسلمين كان يبين لهم التوحيد كما يبين لهم معاني الشرك لئلا يقعوا فيه، وهذا من كمال نصحه ورحمته ورأفته بأمته -بأبي هو وأمي-ﷺ، فجزاه الله عنا خير الجزاء. قال تعالى في بيان بعض أوصافه الكريمة ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٩] وقال تعالى ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب:٦]

---

(١) البخاري: كتاب الأنبياء/ قول الله تعالى ﴿ويحذركم الله نفسه﴾.

(٢) ابن ماجه: كتاب الكفارات/ باب النهي أن يقال ما شاء الله وشئت.

السؤال السابع عشر

العمل الصالح في الإسلام هو ثمرة الإيمان بالله واليوم الآخر وهو التطبيق العملي للإيمان، والأعمال الصالحة تشمل كل نواحي الحياة والسلوك كما أن تحقيق الإنسان لسعادته الدنيوية والأخروية موقوف على العمل الصالح المرتكز على الإيمان

تكلم عن مفهوم العمل الصالح ومدى ارتباطه بالإيمان وأنه ثمرة الإيمان كما أنه يشمل كل نواحي حياة الإنسان؟

وأن سعادة المرء في الدنيا والآخرة مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بما يعمله الإنسان من أعمال صالحة مرتكزة على الإيمان. بين ذلك؟

الجواب

العمل الصالح – هو العمل المرضي عند الله تعالى وهو الجامع لشيئين:

الأول– أن يكون وفق الشرع الإسلامي.

الثاني– أن يكون المقصود به مرضاة لله وطاعته.

فإذا فقد العمل هذين الشرطين أو أحدهما لم يكن مرضيًا عند الله تعالى وبالتالي لا أجر فيه ولا ثواب قال سبحانه ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠]

فالمقصود من العمل الصالح – العمل الصحيح– أي الموافق للشرع الإسلامي والخالص لوجه الله تعالى.

علاقة العمل الصالح بالإيمان

١ – الإيمان والعمل الصالح متلازمان: فلا يكاد يذكر الإيمان إلا ويستتليه العمل الصالح وذلك للدلالة على الارتباط الوثيق بينهما قال تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ [الرعد:٢٩] ﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ﴾ [إبراهيم:٢٣] وقال تعالى ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر:١-٣]

٢- العمل الصالح يرتكز على الإيمان قال تعالى ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء:١٩]

والعمل الصالح المرتكز على الإيمان هو الذي يؤهل للحياة الطيبة ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧]

فهذه الآية تقرر القواعد التالية:

أ- أن العمل الصالح لا بد له من قاعدة يرتكز عليها وهو الإيمان لقوله سبحانه ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾.

ب- الإيمان والعمل الصالح جزاؤه الحياة الطيبة.

ج- الحياة الطيبة في الدنيا لا تنقص أجر الآخرة.

د- الأجر في الآخرة على أحسن ما عمل المؤمنون العاملون في الدنيا فالله يتجاوز عن سيئاتهم.

❁ قال ابن كثير (رحمه الله):

وهذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحًا وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى ولسنة رسوله ﷺ من ذكر أو أنثى من بني آدم وقلبه مؤمن بالله ورسوله بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت.

قال ابن عباس رضي الله عنهما هي الرزق الحلال الطيب.

وقال الضحاك (رحمه الله) هي الرزق الحلال والعبادة في الدنيا.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ **«إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطي بها في الدنيا ويجزي بها في الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها»**[١] .

٣- والعمل الصالح واسع الدائرة يشمل كل نواحي الحياة:

أ- قال النبي ﷺ **«كل سُلاَمى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين اثنين صدقة، يعين الرجل على دابته فيحمله أو يرفع عليها متاعه صدقة- الكلمة الطيبة صدقة، كل خطوة يمشيها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة»**[٢]

ب- وقال رسول الله ﷺ **«ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه طير أو إنسان أو بَهيمة إلا كان له صدقة»**[٣]

ج- وقال رسول الله ﷺ **«بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخّره فشكر الله له فغفر له» وفي رواية «والله لأنحين هذا عن المسلمين لا يؤذيهم فأُدخل الجنة»**[٤]

د- وقال رسول الله ﷺ **«بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنَزل فيها يشرب ثم خرج، وإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ منِّي، فنَزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسك بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له»** قالوا يا رسول الله وإن لنا

---

(١) مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار/ باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الآخرة.

(٢) مسلم: كتاب الزكاة/ باب اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف.

(٣) مسلم: كتاب المساقاة والزروع/ باب فضل الغرس والزرع.

(٤) البخاري: كتاب المظالم والغصب/ ٢٨-باب من أخذ الغصن وما يؤذي الناس في الطريق فرمى به.

في البهائم لأجرًا؟ قال «في كل كبد رطبة أجر»[١]

هـ- وقال رسول الله ﷺ «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ومن سلك طريقًا يلتمس به علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله في من عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه»[٢] فيعلم من ذلك أن الأعمال الصالحة غير منحصرة في الأوراد، العبادات من صلاة أو صيام أو حج أو صدقة بل إن العمل الصالح يشمل كل الميادين بل إن حياة المسلم لا بد أن تكون مجموعة من الأعمال الصالحة كما قال الله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣]

٤- الإيمان والعمل الصالح سببًا لوراثة هذه الأمة للأرض فإذا اجتمع الإيمان والعمل الصالح للأمة فهي الوراثة للأرض ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٥]

لذا في معركة القادسية قام سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وتلا هذه الآية في خطبته للمسلمين قبل المعركة يذكرهم بهذه الآية وقال تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور:٥٥]

المؤمن الذي زكى نفسه بطاعة الله تعالى وسارع إلى اغتنام الحسنات واجتناب

---

(١) مسلم: كتاب قتل الحيات وغيرها/ باب سقي البهائم المحترمة.

(٢) مسلم: كتاب الذكر والدعاء/ باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

السيئات يكرمه الله تعالى بالفلاح في الدارين وأثر هذا الفلاح يظهر على حياة المؤمن في جميع مجالاته وتتجلى سعادة المؤمن في الدنيا بما يحظى به من حلاوة الإيمان واستغنائه عن الناس وسكون النفس وطمأنينة القلب وبما يظهر على سلوكه من أخلاق حسنة وأفعال مرضية وما يستشعره من حياة طيبة ونحو ذلك من الثمرات والآثار العظيمة التي يجنيها المؤمن لقيامه بطاعة ربه ومرضاته ولذا قال ابن عباس رضي الله عنهما «إن للحسنة لنورًا في القلب وضياء في الوجه وقوة في البدن وسعة في الرزق ومحبة في قلوب الخلق وإن للسيئة لظلمة في القلب وسوادًا في الوجه ووهنًا في البدن وضيقًا في الرزق وبغضة في قلوب الخلق».

من ذلك يتضح لنا أن سعادة المرء في الدنيا والآخرة مرتبطة ارتباطا وثيقا بما يعمله من أعمال صالحة مرتكزة على الإيمان.

*** فمن نتائج الأعمال الصالحة ومن ثمراتها:**

١- حلاوة الإيمان:

قال النبي ﷺ «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان- أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»[1]

وقال أيضًا ﷺ «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً»[2].

*** قال ابن القيم (رحمه الله):**

«سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) يقول «إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك وانشراحًا فإن العمل مدخول فإن الرب شكور» يعني أنه لابد أن يثيب العامل على عمله في الدنيا من حلاوة يجدها في قلبه وقوة انشراح وقرة عين فحيث

(١) البخاري: كتاب الإيمان / باب حلاوة الإيمان.

(٢) مسلم: كتاب الإيمان / باب من رضي بالله ربًا فهو مؤمن.

لا يجد ذلك فعمله مدخول».

٢- بذل النفس والمال في سبيل الله:

فعندما يتذوق القلب حلاوة الإيمان ويتطهر من التعلق بالدنيا وتصبح المحبة الصادقة لله ورسوله هي الشغل الشاغل للعبد.

فمن شأن ذلك أن يبعث في القلب حب البذل والفداء والاستهانة بالحياة الدنيا وزينتها رجاء ما عند الله تعالى

قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١١١]

ولذا ذكر الله تعالى في الآية التالية صفات المؤمن الذي باع واشترى مع ربه فقال: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[التوبة:١١٢]

٣- عزة النفس وغناها:

فالسبيل الموصل إلى العزة هو التقرب إلى الله تعالى بما شرع من الكلم الطيب والعمل الصالح ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر:١٠]

ولذا قال عمر بن الخطاب ﷺ «إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله».

وقال رسول الله ﷺ «ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس»[1]

٤- سكينة النفس:

فالنفس تحظى بالسكينة متى ترسخت أسس وقواعد الإيمان في القلب ونشأ

---

(١) البخاري: كتاب الرقاق/ ١٥- باب الغنى غنى النفس.

عنها الأعمال الصالحة

ولذا قال النبي ﷺ : «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده»[1] وقال الله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨]

وقال سبحانه ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح:٤]

٥- الحياة الطيبة:

قال الله تعالى ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧]

وهذه الحياة الطيبة من آثارها وثمارها حياة القلب وسروره ونعيمه وكذلك التوفيق والسداد في الأعمال وكسب محبة الناس ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم:٩٦]

وقال سبحانه ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الزمر:٢٢]

وسعادة الآخرة لا تنال إلا بالاستقامة على أمر الله وطاعته قال سبحانه ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء:١٩]

❁ وهذه السعادة يرها المؤمن عند معاينة الموت ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت:٣٠-٣٢]

وقال سبحانه ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ

---

(١) مسلم: كتاب الذكر والدعاء: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس:٦٢-٦٤]

۞ ويرى السعادة عند الحشر والحساب والصراط والقيام من القبور ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لاَ يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء:١٠١-١٠٢]

۞ ويرى السعادة والبشرى عند تلقف الكتب عند نشرها وعند الحساب ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاَقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة:١٩-٢٤]

۞ السعادة عند الصراط

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد:١٢]

۞ والسعادة الغامرة ببلوغ الجنة والنظر إلى وجه الله تعالى

قال سبحانه ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات:٤٠-٤١]

وقال سبحانه ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر:٧٣-٧٤]

قال الله تعالى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس:٢٦]

وقال الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]

السؤال الثامن عشر

العبادات في الإسلام تنظم علاقة الفرد بربه وتظهر عبوديته لله تعالى فهي حق خالص لله على عباده وهي بمجموعها تقوي الإيمان وترسخه.

تكلم عن أهمية الصلاة في حياة المسلم وما هي ثمار القيام بالصلاة وتأديتها كما أمر الله تعالى؟

الجواب

الصلاة عماد الدين ومفتاح الجنة وأول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من أعماله وهي الركن الثاني من أركان الإسلام بعد الشهادتين.

وهي العبادة الوحيدة التي فرضت في السموات العلى ليلة الإسراء والمعراج.

وهي العبادة التي شرع لها النداء بها «الأذان».

وهي العبادة التي شيدت لها المساجد.

وهي العبادة الوحيدة التي لا تسقط عن المكلف في حضر أو سفر ولا غني ولا فقير ولا في صحة ولا مرض ولا في حال الأمن أو الخوف.

ولقد سئل النبيﷺ عن أفضل الأعمال فقال **«الصلاة على وقتها»**[1]

١ - فالصلاة أحد الأركان التي بني عليها الدين

قال النبيﷺ **«بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان »**[2]

---

(١) البخاري: كتاب مواقيت الصلاة/ باب فضل الصلاة لوقتها.
مسلم: كتاب الإيمان/ بيان كون الإيمان بالله أفضل الأعمال.

(٢) مسلم: كتاب الصلاة/ باب أركان الإسلام ودعائمه.
البخاري: كتاب الإيمان/ باب دعاؤكم وإيمانكم.

٢- وهي أول فريضة بعد الإخلاص والتوحيد:

قال الله تعالى ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥]

﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة:١١]

وقال النبي ﷺ

«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابُهم على الله »[1]

٣- هي من الحسنات الماحية التي يمحو الله بها الذنوب والخطايا:

قال النبي ﷺ

«الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر»[2]

وقال ﷺ

«ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يؤت كبيرة وذلك الدهر كله »[3]

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي ﷺ فأخبره فأنزل الله تعالى ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ فقال الرجل يا رسول الله أَلِيَّ هذا؟ قال «لجميع أمتي كلهم»[4].

---

(١) البخاري: كتاب الإيمان/١٧-باب(فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم).

(٢) مسلم: كتاب الطهارة/ باب فضل الوضوء والصلاة عقبه.

(٣) مسلم: كتاب الطهارة/ باب فضل الوضوء والصلاة عقبه.

(٤) البخاري: كتاب التفسير/ سورة يونس.

وعن أبي هريرة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول

«أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسًا ما تقول ذلك يبقى من درنه؟» قالوا لا يبقى من درنه شيئًا قال **«فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا»**(١)

٤- يفزع العبد إلى ربه عند نزول الآيات:

قال تعالى ﴿**وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا**﴾ [الإسراء:٥٩]

وقال النبي ﷺ:

«إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد من الناس ولكنهما آيتان من آيات الله فإذا رأيتموها فقوموا فصلوا»(٢).

٥- من صفات المتقين:

قال الله تعالى ﴿**الـم ۝ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [البقرة:١-٥]

﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾ [الأنفال:٢-٤]

٦- من الأدوات المعينة على طلب الآخرة «ومن أكبر العون على الثبات في الأمر»:

قال الله تعالى ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ۝**

---

(١) البخاري: كتاب مواقيت الصلاة/٦- باب الصلوات الخمس كفارة.

(٢) البخاري: كتاب صلاة الكسوف: كتاب الصلاة في كسوف الشمس.

الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة:٤٥-٤٦]

٧- من صفات المؤمن الذي كتب له الفلاح في الدنيا والآخرة وكتب له وراثة الجنة والخلد:

قال الله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون:١-١١]

٨- الصلاة سبب لتكريم العبد عند ربه وإزالة القلق والاضطراب:

قال الله تعالى ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلاَّ الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٦) وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٣٢) وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ [المعارج:١٩-٣٥]

٩- من صفات عباد الرحمن:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان:٦٣-٦٤]

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ

مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٥- ١٧].

١٠- من صفات المؤمن الذي يبيع ويشتري مع ربه سبحانه:

قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة ١١١-١١٢]

١١- لا تمس النار آثار السجود:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «**فإذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئًا فمن أراد الله تعالى أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله فيعرفونهم في النار يعرفونهم بأثر السجود تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار وقد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون منه كما تنبت الحبة في حَميل السيل .** »[1].

١٢- الصلاة قوام الأمر وهي باب من أبواب الخير الموصل إلى الجنة المباعد عن النار:

فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال «**لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه: تعبد الله لا تشرك به شيئًا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت**» ثم قال له «**ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة**

---

(١) البخاري: كتاب-الرقاق /٥٢-باب الصراط جسر جهنم.
مسلم: كتاب الإيمان/ باب الأعضاء التي حرم الله على النار.

كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل في جوف الليل» ثم تلا ﴿تتجافى جنوبُهم عن المضاجع﴾ حتى بلغ ﴿يعملون﴾ ثم قال «ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟» قلت بلى يا رسول الله قال «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد» ثم قال «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟» قلت بلى يا رسول الله فأخذ بلسانه ثم قال «كف عليك هذا» قلت يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال «ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»[١]

١٣- الصلاة نور للمؤمنين في ظلمات القيامة وعلى الصراط.:

عن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ - ما بين السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»[٢].

❁ ❁ ❁

(١) الترمذي كتاب الإيمان/ باب ما جاء في حرمة الصلاة.
ابن ماجه: كتاب الفتن/ باب كف اللسان في الفتنة.
(٢) مسلم: كتاب الطهارة/ باب فضل الوضوء.

السؤال التاسع عشر

تكلم عن أثر باقي العبادات التي بُنى عليها الإسلام في تزكية النفوس؟

الجواب

١- الزكاة:

ولقد قرن الله بين الصلاة والزكاة ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة:١٢]

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة:٤٣] ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج:٤١]

ولقد حض القرآن على الصدقة- قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦١]

وقال النبيﷺ «اتقوا النار ولو بشق تمرة»(١)

❁ ولكي تثمر الزكاة ثمرتها في تزكية النفوس لابد من تحقق شرطان:

١- البعد عن الرياء والتباهي والمنِّ على الفقير.

قال الله تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [البقرة:٢٦٤]

في الآيات: التحذير من إبطال الصدقة بالمن والأذى

---

(١) البخاري: كتاب الزكاة / باب اتقوا النار ولو بشق تمرة.
مسلم: كتاب الزكاة/ باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة.

٢- أن ينفق مما يحب وليس مما يكره وأن يكون نفسه راضية غير كارهة:

قال سبحانه ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران:٩٢]

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [البقرة:٢٦٧]

❁ آثار الزكاة والصدقات في تزكية النفس:

❁ هدف الزكاة وأثرها في المعطي:

فليس هدف الإسلام من الزكاة جمع المال فحسب وليس هدفه منها مساعدة الفقراء وذوي الحاجات والضعفاء وإقالة عثرتهم فحسب ولكن لها أثر إيجابي على المعطي قال الله تعالى ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة:١٠٣]

❁ فالزكاة تطهير النفس من آفة الشح حيث أن الإنسان مفطور على حب التملك وحب الذات وحب البقاء وكان من آثار هذه الغرائز الشح «شح الإنسان بما في يده» وحب الاستئثار بالخيرات والمنافع دون الناس.

وقال النبي ﷺ **«اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»**[١]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أي الصدقة أفضل أجرًا؟ قال: **«أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان»**[٢]

---

(١) مسلم: كتاب البر والصلة والأدب / باب تحريم الظلم.
(٢) البخاري: كتاب الزكاة/ باب أي الصدقة أفضل.

وقال النبي ﷺ «إياكم والشح فإنما أهلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالفجور ففجروا»(١) ولذلك وصف الله تعالى الإنسان بالشح والتقتير ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُورًا﴾ [الإسراء:١٠٠] ﴿وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ﴾ [النساء:١٢٨]

وقال سبحانه ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩]

فإن كانت الزكاة تحقق تطهير النفس من الشح فإنها تحقق معنى التحرر – تحرر الإنسان من ذل التعلق بالمال والخضوع له ومن تعاسة العبودية للدنيا والدرهم فإن الإسلام يحرص على أن يكون المسلم عبدًا لله وحده متحررًا من الخضوع لأي شيء سواه سيدا لكل ما في هذا الكون من عناصر أو أشياء.

قال النبي ﷺ «تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد القطيفة تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش»(٢)

❁ الزكاة تدريب على الإنفاق والبذل:

فهي تدريب على خلق البذل والعطاء والإنفاق ومن ثم كان هذا الخلق من أوصاف المؤمنين المتقين – قال الله تعالى ﴿الم ۝ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة:١-٣]

والآيات الدالة والحاثة على الإنفاق كثيرة في كتاب الله تعالى.

❁ الزكاة شكر لنعمة الله:

فهي اعتراف بفضل الله ومنته عليه فلابد من مقابلة هذا الفضل وتلك النعمة بواجب الشكر قال الله تعالى ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ

---

(١) أبو داود: كتاب الزكاة/ باب في الشح.

(٢) البخاري: كتاب الرقاق/ باب ما يتقى من فتنة المال.

ابن ماجه: كتاب الزهد/ باب في المكثرين.

عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:٧]

﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ:٣٩]

* علاج القلب من حب الدنيا:

قال تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن:١٥] ﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ﴾ [الفجر:١٥]

فالزكاة تدريب للمسلم على مقاومة فتنة المال وفتنة الدنيا بإعداد النفس بالبذل امتثالا لأمر الله وسعيًا في مرضاته سبحانه.

* الزكاة تطهير للمال ونماء للمال:

قال رسول الله ﷺ «ما منع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا المطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا»[1] قال تعالى ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [البقرة:٢٧٦]

* هدف الزكاة وأثرها في الآخذ:

* الزكاة تحرير لآخذها من ذي الحاجة:

فالناس إذا توافرت لهم كفايتهم وكفاية من يعولونه استطاعوا أن يطمئنوا في حياتهم ويتجهوا بالعبادة الخاشعة إلى ربهم الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف.

إن شعور الفقير أنه ليس ضائعًا في المجتمع وأن مجتمعه يهتم به ويرعاه كسب كبير لشخصيته وزكاة لنفسيته.

* الزكاة تطهير من الحسد والبغضاء:

فالزكاة تطيب بها النفوس مما يحد من سوء العلاقة التي من الممكن أن تنشأ بين

---

(١) ابن ماجه: كتاب الفتن / باب العقوبات.

الأغنياء والفئات المستحقة للزكاة

وكذلك من آثارها إيجاد روح التفاهم والتعاون بين أفراد المجتمع وتوثيق وتقوية روابط الأخوة وتعميق صلات المحبة بين المسلمين

٢- الصيام:

قال تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٣]

ولكي يؤدي الصيام دوره في تزكية النفس لابد أن يتحقق فيه هذان الشرطان

١- أن يكون الصيام إيمانًا واحتسابًا:

«من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»[١] .

٢- الابتعاد عن المعاصي:

قال النبي ﷺ **«من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه »**[٢] .

۞ آثار الصوم في تزكية النفس:

١- تدريب النفس على كمال العبودية لله سبحانه وتعالى:

قال رسول الله ﷺ **«كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف قال الله سبحانه إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع طعامه وشرابه من أجلي»**[٣]

---

(١) البخاري: كتاب الصوم/ باب من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا.
مسلم: كتاب صلاة المسافرين/ باب الترغيب في قيام رمضان.

(٢) البخاري: كتاب الصوم/ باب من لم يدع قول الزور والعمل به.

(٣) البخاري: كتاب الصوم/ باب فضل الصوم
باب هل يقول الصائم إلى صائم إذا شتم.
مسلم: كتاب الصيام / باب فضل الصيام.

❁ **قال ابن حجر (رحمه الله):**

«إنما خص الصيام لأنه ليس يظهر من ابن آدم بفعله وإنما هو شيء في القلب، ذلك لأن الأعمال لا تكون إلا بالحركات إلا الصيام فإنما هو بالنية التي تخفى على الناس»

٢- تقوية الإرادة والتدريب على الصبر:

قال النبي ﷺ **«والصوم جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنِّي امرؤ صائم»**(١).

فينبغي للصائم أن يصونه مما يفسده وينقص ثوابه- فالصوم يحفظ الإنسان أن يقع في السب والشتم.

٣- التدريب على مجاهدة النفس:

«من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره(٣).

٤- التعريف بقدر النعم:

كان النبي ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل(٤).

---

(١) البخاري: كتاب الصوم/ باب هل يقول إني صائم إذا شتم.

(٢) البخاري: كتاب الصوم/ باب الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة.

(٣) مسلم: كتاب الاعتكاف.

(٤) البخاري: كتاب الصوم/ باب أجود ما كان النبي ﷺ ويكون في رمضان.

٥- تكفير السيئات:

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال عمر رضي الله عنه من يحفظ حديثا عن النبي ﷺ في الفتنة؟ قال حذيفة أنا سمعته يقول «فتنة الرجل في أهله وماله وجاره تكفرها الصلاة والصيام والصدقة»[1]

٣- الحج:

فالله سبحانه جعل منافع الحج تحقيق مصالح الدين والدنيا.

ولكي يحقق الحج دوره في تزكية النفوس لابد من شروط يجب توافرها.

١- الإخلاص لله وحده وتجنب الرياء والسمعة:

﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣]

٢- تجنب الرفث والفسوق والجدال:

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة:١٩٧]

❁ آثار الحج وثمراته في تزكية النفس:

١- الحج تدريب عملي على امتثال أمر الله سبحانه:

فهذا عمر رضي الله عنه يقبل الحجر الأسود ويقول والله إني لأقبلك وإني أعلم أنك حجر وأنك لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك[2]

٢- الحج غذاء للروح:

﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [البقرة:١٩٧]

---

(١) البخاري: كتاب الصوم/ ٣-باب الصوم كفارة.

(٢) البخاري: كتاب الحج/ باب ما ذكر في الحجر الأسود.
مسلم: كتاب الحج/ باب استحباب تقبيل الحجر الأسود.

٣- الحج جهاد للنفس وتدريب لها على تحمل المشاق:

عن عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد؟ قال **«لا لكن أفضل الجهاد الحج المبرور»**[١]

٤- الحج علاج لأمراض النفس وآفاتها:

﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ﴾ [الحج:٣٧]

❁ فالحج يربي على خلق التواضع- لاجتماع الحجيج دون ما تفرقة بين الغني والفقير والشريف والوضيع- فالقلوب كلها تلتقي على الطاعة ومعلقة بربها ترجو المغفرة وتخاف العذاب

٥- الحج تكفير للذنوب:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول **«من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»** [٢]

❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري: كتاب الحج / فضل الحج المبرور.

(٢) البخاري: كتاب الحج/ باب فضل الحج المبرور.
كتاب الجهاد/ باب فضل الجهاد.

السؤال العشرون

الأعمال الصالحة تتفاضل فيما بينها من حيث الأجر والثواب – وأفضل الأعمال الصالحة بالنسبة لشخص ما هو العمل المطلوب منه شرعا في وقت معين وظرف معين وعلى المسلم أن يتحرى ما هو الأحب لله تعالى في هذا الوقت

بين ذلك؟

الجواب

۞ قال ابن القيم (رحمه الله):

۞ إن أفضل العبادة:

العمل على مرضاة الرب تعالى في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته.

۞ فأفضل العبادات في وقت الجهاد:

الجهاد وإن آل إلى ترك الأوراد من صلاة الليل وصيام النهار بل ومن ترك إتمام صلاة الفرض كما في حالة الأمن.

۞ الأفضل في وقت حضور الضيف:

القيام بحقه والاشتغال به عن الورد المستحب.

وكذلك في أداء حق الزوجة والأهل.

۞ الأفضل في أوقات السحر:

الاشتغال بالصلاة والقرآن والدعاء والذكر والاستغفار.

۞ والأفضل في وقت استرشاد الطالب وتعليم الجاهل:

الإقبال على تعليمه والاشتغال به.

❁ **والأفضل في أوقات الأذان:**

ترك ما هو فيه من ورده والاشتغال بإجابة المؤذن.

❁ **والأفضل في أوقات الصلوات الخمس:**

الجد والنصح في إيقاعها على أكمل الوجوه والمبادرة إليها في أول الوقت والخروج إلى الجامع وإن بَعُدَ كان أفضل.

❁ **والأفضل في أوقات ضرورة المحتاج إلى المساعدة بالجاه أو البدن أو المال:**

الاشتغال بمساعدته وإغاثة لهفته وإيثار ذلك على أورادك وخلوتك.

❁ **والأفضل في وقت قراءة القرآن:**

جمع القلب والهمة على تدبره وتفهمه حتى كأن الله تعالى يخاطبك به فتجمع قلبك على فهمه وتدبره والعزم على تنفيذ أوامره أعظم من جمعية قلب من جاءه كتاب من السلطان على ذلك.

❁ **الأفضل في وقت الوقوف بعرفة:**

الاجتهاد في التضرع والدعاء والذكر دون الصوم المضعف عن ذلك.

❁ **الأفضل في أيام عشر ذي الحجة:**

الإكثار من التعبد لا سيما التكبير والتهليل والتحميد فهو أفضل من الجهاد غير المتعين.

❁ **الأفضل في العشر الأخيرة من رمضان:**

لزوم المسجد فيه والخلوة والاعتكاف دون التصدي لمخالطة الناس والاشتغال بهم حتى إنه أفضل من الإقبال على تعليمهم العلم وإقرائهم القرآن عند كثير من العلماء.

❁ **الأفضل في وقت مرض أخيك المسلم أو موته:**

عيادته وحضور جنازته وتشييعه.

❋ الأفضل في وقت نزول النوازل وأذاة الناس لك:

أداء واجب الصبر مع خلطتك بهم دون الهرب منهم فإن المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من الذي لا يخالطهم ولا يؤذونه.

الأفضل خلطتهم في الخير و فهو خير من اعتزالهم فيه — واعتزالهم في الشر فهو أفضل من خلطتهم فيه فإن علم أنه إذا خالطهم أزاله أو قلله فخلطتهم حينئذ أفضل من اعتزالهم.

❋ الأفضل في كل وقت وحال:

إيثار مرضاة الله في ذلك الوقت والحال والاشتغال بواجب ذلك الوقت ووظيفته ومقتضاه.

سئل الأوزاعي – رحمه الله – هل الذكر بعد الصلاة أفضل أم تلاوة القرآن؟ فقال ليس شيء يعدل القرآن ولكن كان هدي السلف الذكر.

❋ ❋ ❋

السؤال الواحد والعشرون

تكلم عن أثر العبادات في صلاح الفرد وصلاح المجتمع؟

الجواب

لا شك أن العبادات المختلفة لها تأثير واضح في سلوك الأفراد فهي التي تزكي بها النفوس كما بينا ووضحنا. كما أنها تزيد مراقبة العبد لربه تعالى في السر والعلن والخوف منه فينزجر عن المعاصي ويسارع إلى فعل الخير وكف النفس عن الشر.

وكلما زادت نسبة العاملين بالخير في المجتمع فمما لا شك فيه أن هذا المجتمع سينعم بالأمن والأمان. فسعادة المجتمع تنبع من سعادة أفراده الذين زكت نفوسهم بطاعة ربهم سبحانه لذا قال تعالى **﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾** [الرعد:١١]

فإذا زكت النفوس ساد الخلق الحميد في المجتمع و انتشر التراحم والتعاطف بين أفراده وتماسك بنيان ذلك المجتمع.

لذا قال النبي ﷺ **«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»**[١] وقال أيضا ﷺ **«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»**[٢].

فأساس الصلاح والفساد يبدأ من الأفراد وينعكس على المجتمع بأسره لأن الفرد هو الخلية الأولى في بناء المجتمع.

❁ والقاعدة الأساسية للمجتمع المسلم هو الترابط والتراحم والتآلف بين

---

(١) البخاري: كتاب الأدب / باب رحمة الناس والبهائم..

(٢) البخاري: كتاب المظالم والغصب/ باب نصر المظلوم..

أفراد المجتمع ولبنة ذلك الأخوة الإيمانية.

لذا قال سبحانه ممتنا على عباده المؤمنين ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران:١٠٣]

وقال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال:٦٢-٦٣]

وقال سبحانه ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات:١٠]

وهذه الآية أصل من الأصول التي تنظم علاقة المسلم بأخيه المسلم فهي آمرة بالصلح بين المسلمين وإزالة الفتن التي تقع بينهم من خلافات وخصومات ليظل بناء هذا المجتمع متماسكًا قويًّا.

ولذا تأتي الآيات القرآنية ناهية عن السخرية والتنابز واللمز وسوء الظن والتجسس والغيبة والتفاخر لأن هذه الآفات من أعظم ما يبث الوشائج ويثير الضغائن ويفجر الخصومات مما يكون له الأثر السلبي على المجتمع.

❁ ❁ ❁

٢- خصائص الإسلام

(٢٢-٣٠)



٢- خصائص الإسلام

السؤال الثاني والعشرون

الشريعة الإسلامية ناسخة لما قبلها من الشرائع لكونها خاتمة الشرائع لذا جاءت سمحة شاملة مطردة واسعة وجاءت الشريعة الإسلامية لتُفصِّل للعباد الحقوق الواجب على كل واحد منهم القيام بها فكان لزامًا على المسلم أن يعرف الحقوق التي ألزمته بها الشريعة ليقوم على أدائها.

حيث أن الغاية التي تريد الشريعة الإسلامية تحقيقها هي إقامة العباد على منهج العبودية الصادقة لله وهذه العبودية الصادقة تؤسس نظام الحياة الإنسانية على المعروفات وتطهيره من المنكرات.

فما هي الخصائص التي ميزت بها الشريعة الإسلامية عن غيرها من الشرائع السابقة؟

الجواب

الشريعة الإسلامية ناسخة لما قبلها من الشرائع لكونها خاتمة الشرائع

قال الله تعالى ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ

فيه وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٤٤-٥٠]

خصائص الشريعة الإسلامية

١- شريعة ربانية إلهية (إنها من عند الله).

٢- الشمول.

٣- العموم.

٤- المثالية والواقعية.

٥- شريعة العدل.

٦- شريعة التوسط والاعتدال.

٧- شريعة اليسر ورفع الحرج.

٨- الجزاء في الإسلام.

٩- حفظ مصالح العباد.

١٠- مرونة الشريعة (ثبات الشريعة واستمرارها واستقرارها).

❁ ❁ ❁

السؤال الثالث والعشرون

الإسلام عقيدة وشريعة دين ودولة، وهذا يجعل حياة المسلم وحدة مترابطة منسجمة لا تعارض ولا تناقض فيها- وذلك لأن مصدر هذا الدين هو الله تعالى.

فدلل بالنصوص على أن الإسلام من عند الله وأنه يجب على العباد الخضوع والطاعة له؟

وما هي الآثار المترتبة على كون الإسلام من عند الله تعالى؟

الجواب

سبق أن بينا أن هذا الدين من عند الله تعالى وليس من عند النبيﷺ وبينا بالنصوص أن هذا القرآن ﴿لَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ ولذا قال الله تعالى

﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل:٦].

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ [الزمر:٢].

﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة:٢].

وقال سبحانه ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة:٤٣-٤٧]

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٣-١٦٤]

إلى غير هذه الآيات الدالة على أن الدين من عند الله تعالى ولا تدخل لمحمد ﷺ إلا التبليغ عن ربه تعالى.

والواجب على المسلم اتباع ما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام:١٥٥].

وكذا اتباع كل ما أخبر به النبي ﷺ كما قال الله تعالى ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم:٣-٤]

❁ الآثار المترتبة على أن هذا الدين من عند الله تعالى:

فهذه الشريعة شريعة إلهية ربانية وكل ما في الإسلام من تشريع وتوحيد وإرشاد إنما يقصد إلى إعداد الإنسان ليكون عبدا خالصا لله وحده لا لأحد سواه ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ [الزمر:٢] ولهذا كان روح الإسلام وجوهره هو التوحيد وتحقيق العبد لقول الله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

ولقد خاطب الله تعالى رسوله ﷺ بهذه الحقيقة وأمره أن يعلنها ويبلغها للناس ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦١-١٦٣].

فالإنسان لم يخلق لمجرد أن يأكل ويشرب ويلهو ويلعب ثم بعد ذلك يموت أو ينفق كما تنفق الدابة – كالذين قال الله تعالى عنهم ﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ﴾ [محمد:١٢].

إنما خلق الإنسان لغاية أسمى– هذه الغاية التي خلق لها الإنسان غاية ربانية وهي التي ينبغي أن يتحرك الإنسان إلى تحقيقها.

فأفعال الإنسان الإرادية لابد لها من محركات تدعو الإنسان إلى فعلها وتحقيقها وهذه المحركات قد تكون نابعة من حاجة الإنسان إلى أمور معينة كالطعام والشراب

والنكاح وقد تكون أهدافا حسنت وزينت له بحيث صارت تلح عليه وتستدعيه إلى تحقيقها لما قام في نفسه من أن الخير في السعي إليها وإيجادها.

والغاية التي يتصورها الإنسان ذات تأثير كبير عليه.

فالذين يبذلون أنفسهم في ميادين الحرب والقتال عن رضا وطواعية حريصين على الشهادة ما فعلوا ذلك إلا لأنهم يطلبون بالاستشهاد خيرًا عظيمًا.

ولا شك أن الأهداف التي نرسمها في تصوراتنا تنتصب أمامنا بحيث تشدنا إليها شدا ولا تزال تشغل عقولنا وتتراءى لنا مهما شغلنا عنها في غمرات الحياة ولا نستريح ولا نهدأ حتى ندركها وإلا بقيت حسرة في قلوبنا.

فكان السبيل الذي سلكه الإسلام هو توضيح الغاية التي ينبغي أن يسعى الإنسان إلى تحقيقها وبيان الأسباب التي تدعو إلى ذلك والنتائج الخيرة التي ينالها الإنسان من وراء هذا وتوضيح العواقب السيئة والآثار البالغة الخطوة المترتبة على التوجه إلى غير الغاية التي رسمها.

والغاية التي يرجوها المسلم من وراء أفعاله هي المعيار الذي يقوِّم به عمله فالأعمال تصبح ذات قيمة أو تفقد قيمتها باعتبار الغاية التي يرمي إليها العامل من عمله. ولا غنى للإنسان عن الغاية التي يرسمها الإسلام.

فالمؤمن يعيش ليعبد الله وحده ويقرر القرآن هذه الحقيقة بوضوح وجلاء حين يذكر الغاية من خلق الجن والإنس ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾

[الذاريات: ٥٦-٥٨]

ولابد للمسلم أن يتبع المنهج الذي رسمه الإسلام للوصول إلىغاياته وأهدافه فهو منهج رباني خالص لأن مصدره الوحي من الله تعالى

قال تعالى ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾

[النساء:١٧٤] ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧] ﴿الَـر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم:١]

ولا شك أن الهادي إلى هذا المنهج هو النبيﷺ فهو الداعي إليه والمبين له لذا قال الله تعالى مبينا ذلك ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلاَ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾ [الشورى:٥٢-٥٣] . ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ١-٤] فالنبيﷺ هو المبلغ عن ربه سبحانه والمبين ببيان الله تعالى ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة:٦٧] ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٤٤]

فمن ذلك نعلم أن الإسلام يجعل غاية الإنسان وهدفه البعيد هو حسن الصلة بالله تبارك وتعالى والحصول على مرضاته «فهذه هي غاية الإسلام» وبالتالي هي غاية الإنسان ووجهة الإنسان ومنتهى أمله وسعيه وكدحه في الحياة ﴿يَأَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاَقِيهِ﴾ [الانشقاق:٦] ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾ [النجم:٤٢]

❁ ما يترتب على كون الشريعة من عند الله

فكون هذه الشريعة إلهية ربانية فالإنسان يجنى ثمارها في هذه الدنيا فضلاً عن ثمراتها في الآخرة فمن آثار هذه الربانية وثمارها.

١- معرفة الإنسان لغاية وجوده.

٢- سلامة النفس من التمزق والصراع.

٣- التحرر من العبودية للشهوات والأهواء.

٤- ثبات القواعد الشرعية واستمرارها «وكمالها وخلوها من النقائص».

٥- الاحترام لهذه القواعد الشرعية احترامًا تامًّا يسهل معه الانقياد للشريعة.

٦- نصوص هذه الشريعة صيغت بأسلوب يخاطب القلب والعقل.

١- معرفة الإنسان لغاية وجوده:

فعندما يتعرف الإنسان على غاية وجوده ويعرف لمسيرته جهة ويعرف لحياته رسالة فعرف من أين جاء ولم جاء وإلى من فراره وأين قراره.

فيهتدي الإنسان إلى فطرته التي فطره الله عليها والتي تطلب الإيمان بالله تعالى ولا يعوضها شيء غيره ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠]

ولهذا كانت مهمة الرسل «رسل الله» كافة في جميع الأعصار هي تحويل الناس من عبادة المخلوقات إلى عبادة الخالق وكان نداؤهم الأول إلى قومهم ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩: ٦٥: ٧٣: ٨٥]

٢- سلامة النفس من التمزق والصراع:

فالإسلام وضح أن غايات الإنسان مختصرة في غاية واحدة هي إرضاء الله تعالى وحث الإنسان على العمل ما يرضي الرب تعالى

قال تعالى ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]

٣- التحرر من العبودية للشهوات والأهواء

ذلك أن صلاة العبد ونسكه ومحياه ومماته لا تكون إلا لله تعالى — فنيته وعمله لله جهده وجهاده لله

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨-٩]

٤- ثبات القواعد الشرعية واستمرارها:

ولو تغير الحكام أو اختلفت أنظمة الحكم، لأن القواعد الشرعية لا ترتبط بالهيئة الحاكمة ولا بنظام الحكم وإنما ترتبط بالدين الإسلامي الذي لا يتغير ولا يتبدل والذي يؤمن به كل حاكم ويستخدم له كل نظام.

أما القوانين الوضعية فهي التي يضعها الحكام لحماية المبادئ التي يعتنقونها وخدمة الأنظمة التي يقيمونها فإن هذه القوانين عرضة للتغير المستمر وفي طبيعتها عدم الاستقرار، ويكفي أن تتغير الهيئة الحاكمة أو يتغير النظام القائم لتتغير القوانين وتنقلب الأوضاع.

٥- احترام القواعد الشرعية احترامًا تامًّا بحيث يستوي في ذلك الحاكم والمحكوم لأن كليهما يعتقد أنها من عند الله وأنها واجبة الاعتقاد.

فالشريعة لها قدسية حيث تظفر بقدر كبير من الهيبة والاحترام والتوقير من قبل المسلمين وهذا الاعتقاد يحمل الأفراد على طاعة القواعد الشرعية لأن الطاعة تقربهم إلى الله تعالى طبقا لقواعد الدين الإسلامي.

وهذا الاحترام والتقديس ينشأ لاعتقاد المؤمن بكمال الله تعالى وتنزهه عن كل نقص في خلقه وأمره وأنه تعالى أحسن كل شيء خلقه وأتقن كل شيء صنعه ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النحل:٨٨].

وكذلك أحكم كل شيء شرعه - فهو سبحانه الحكيم فيما خلق وقدر والحكيم فيما أمر ونهى ﴿الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:١].

فلا تفاوت في أحكامها ﴿مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ [الملك:٣]

ويتبع هذا الاحترام والتقديس الرضا بكل تعاليم هذا النظام وأحكامه وتقبله بقبول حسن مع انشراح الصدر وطمأنينة القلب ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى

يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥].

ويلزم من هذا الاحترام والتقديس حسن القبول والمسارعة إلى التنفيذ والسمع والطاعة في المنشط والمكره.

فهذه الشريعة هي الوحيدة التي لها الحق أن تحكم وتسود لأنها من صاحب السلطان الذي له حق التشريع ويجب على العباد الخضوع لها والطاعة له.

٦- نصوص هذه الشريعة صيغت بأسلوب يخاطب القلب والعقل.

ولذا اختلط فيه الترغيب بالترهيب والوعد بالوعيد وامتزاج الأمر والنهي ببيان الحكمة.

* * *

السؤال الرابع والعشرون

الإسلام نظام شامل لجميع شئون الحياة وسلوك الإنسان فللإسلام في كل ما يصدر عن الإنسان حكم خاص كما له حكمه في كل ما يضعه في رأسه من أفكار وفي قلبه من ميول فلا يجوز للمسلم أن يسمح بغير نظام الإسلام أن ينظم جانب من جوانب حياته.

دلل على صحة هذه العبارة مبينا كيف أن أحكام الإسلام شاملة لكل نواحي حياة الإنسان؟

الجواب

❁ سعة الشريعة الإسلامية وكمالها «الشمول»

فالإسلام نظام شامل لجميع شئون الحياة وسلوك الإنسان فالإسلام له حكم في كل ما يصدر عن الإنسان من سلوك وتصرفات كما أنه يتحكم فيما يتبني الإنسان من أفكار فسلوك الإنسان وتصرفاته وأفكاره محكومة بالإسلام.

فالشريعة الإسلامية أنزلت من عند الله تعالى لتسع حياة الإنسان من كل أطرافها وحياة المجتمع الإنساني بكل أبعادها فلا تضيق بالحياة ولا تضيق الحياة بها.

ولقد شاء الله تعالى أن تكون هذه الشريعة المباركة كاملة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]

وإذا كانت الشريعة كاملة أمتن الله بإنزالها على عباده، ورضيها لهم وَعَدَّها نعمته الكبرى ونسبها سبحانه إلى نفسه فلابد أن تكون شريعة واسعة وافية بمصالح العباد وهي مع سعتها لا تتناقض أحكامها قال الله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ [الكهف:١]

والاعوجاج المنفي يعني الاضطراب في الأحكام والكذب في الأخبار وكل

ذلك قد نزه عنه كتاب الله تعالى.

فالشريعة الإسلامية هي الوحيدة التي تحقق وحدة تامة وانسجاما منقطع النظير بين كافة تفريعات الحياة وشعاب الفكر والعمل من المسجد إلى ميدان القتال ومن طريقة العبادة إلى استعمالات الطائرة ومن أدق تفاصيل الغسل والطهارة والاستنجاء إلى أعظم أمور العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدولية.

ومن أثر هذا الانسجام ما نلحظه من توافق بين الوجهتين الروحية والمادية في الحياة الإنسانية ومن الأدلة على سعة الشريعة عنايتها بإصلاح روح العبد وعقله وفكره وقوله وعمله.

وعنايتها بالفرد والأسرة والمجتمع وقد وضعت نظامًا اجتماعيًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا وشرعت قيام الدولة الإسلامية وحددت معالمها ورسمت العلاقة بين الحاكم والمحكوم وعلاقة الأمة بغيرها من الأمم في حالة السلم والحرب.

والشريعة الإسلامية هي الوحيدة التي تصل الدنيا بالآخرة وترسم طريق السعادة الأبدية وتصل الإنسان بخالقه ومعبوده.



السؤال الخامس والعشرون

الشريعة الإسلامية من عند الله تعالى فهي الشريعة الوحيدة التي لها الحق في أن تسود وتحكم لأنها من صاحب السلطان الذي له حق التشريع ويجب على العباد الخضوع والطاعة له- وكل القوانين الأخرى صناعة إنسانية ظالمة لأنها صادرة من غير صاحب الحق

تكلم عن نطاق الاختلاف بين شُمول الشريعة وشُمول القوانين الوضعية.

الجواب

الشريعة الإسلامية لا تماثل القانون ولا تساويه ولا يصح أن تقاس به وطبيعة الشريعة تختلف تماما عن طبيعة القانون.

❁ الاختلافات الأساسية بين الشريعة والقانون.

تختلف الشريعة الإسلامية عن القوانين الوضعية اختلافًا أساسيًّا من وجوه:

١- الوجه الأول

أن القانون من صنع البشر أما الشريعة فمن عند الله وكلا من الشريعة والقانون يتمثل فيه بجلاء صفات صانعه.

فالقانون من صنع البشر ويتمثل فيه نقص البشر وعجزهم وضعفهم وقلة حيلتهم ومن ثم كان القانون عرضة للتغيير والتبديل أو ما نسميه بالتطور كلما تطورت الجماعة إلى درجة لم تكن متوقعة أو وجدت حالات لم تكن منتظرة.

فالقانون ناقص دائمًا ولا يمكن أن يبلغ حد الكمال ما دام صانعه لا يمكن أن يوصف بالكمال ولا يستطيع أن يحيط بما سيكون وإن استطاع الإلمام بما كان.

أما الشريعة فتتمثل فيها قدرة الخالق وكماله وعظمته وإحاطته بما كان وما هو

كائن فقد صاغها العليم الخبير بحيث تحيط بكل شيء في الحال والاستقبال حيث أحاط علمه بكل شيء فهي ليست بحاجة إلى التغيير والتبديل مهما تغيرت الأوطان والأزمان وتطور الإنسان ﴿لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [يونس:٦٤]

٢- الوجه الثاني:

القانون عبارة عن قواعد مؤقتة تضعها الجماعة لتنظيم شئونها وسد حاجاتها- فهي قواعد لا تفي بحاجة الجماعة في المستقبل لأنها ليس لها سبيل بما يؤول إليه المستقبل فهي تفي بحاجة الجماعة المؤقتة وتستوجب التغير كلما تغيرت حال الجماعة.

أما الشريعة فهي قواعد وضعها الله تعالى على سبيل الدوام لتنظيم شئون الجماعة - فهي قوانين لا تتغير ولا تتبدل وتستوعب كل ما يطرأ على الجماعة من الأمور المستقبلية لأن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علمًا.

❁ وهذا أيضا يستدعي ويقتضي أن تكون الشريعة:

أ- قواعدها ونصوصها بها قدر من المرونة والعموم بحيث تتسع لحاجات الجماعة مهما طالت الأزمنة وتطورت الجماعة وتعددت الحاجات وتنوعت.

ب- قواعد الشريعة ونصوصها من السمو والارتفاع بحيث لا يمكن أن تتأخر في أي وقت من الأوقات عن مستوى الجماعة.

وهذا متوفر في الشريعة بل هو من أميز ما تميز به الشريعة عن الشرائع الوضعية.

فقواعد الشريعة ونصوصها جاءت عامة ومرنة إلى آخر حدود العموم والمرونة.

ونجد أن الشريعة الإسلامية مر عليها أكثر من ثلاثة عشر قرنا تغيرت في خلالها الأوضاع أكثر من مرة وتطورت الأفكار والآراء تطورا كبيرًا واستحدث من

العلوم و المخترعات ما لم يكن يخطر على خيال إنسان وتغيرت قواعد القانون الوضعي ونصوصه أكثر من مرة لكي تتلاءم مع الحالات الجديدة والظروف الجديدة

وبالرغم من هذا كله ومع أن الشريعة لا تقبل التغيير ولا التبديل ظلت قواعد الشريعة ونصوصها أسمى من مستوى الجماعات وأكفل بتنظيم وسد حاجاتهم وأحفظ لأمنهم وطمأنينتهم.

٣- الوجه الثالث:

۞ مراعاة المعاني الأخلاقية

فالشريعة الإسلامية راعت جانب المعاني الأخلاقية ولم تفصل هذه المعاني الأخلاقية عن الأحكام التنظيمية في الشريعة الإسلامية بل امتزجت بها امتزاجًا.

بخلاف القوانين الوضعية فإنها لا تراعي المعاني الأخلاقية بل الأصل هو فصل هذه المعاني الأخلاقية عن القواعد القانونية.

قال تعالى ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال:٥٨]

فهذا إرشاد للرسولﷺ يتعلق بالخطط الحربية الناجحة وهو أنهﷺ إن خاف من قوم معاهدين له خيانة ظهرت أمارتها وتأكد لديك علاماتها فاطرح تلك المعاهدة ملغيا لها معلنا ذلك لتكون وإياهم على علم تام بإلغائها وذلك حتى لا يتهموك بالغدر والخيانة والله لا يحب الخائنين.

قال الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال:٧٢]

فإذا طلبوا النصر من المؤمنين في دينهم فإن على المؤمنين أن ينصروهم وبشرط

أن لا يكون الذي اعتدى عليهم وآذاهم فطلبوا النصرة لأجله أن لا يكون بينه وبين المؤمنين معاهدة سلم وترك الحرب ففي هذه الحال على المؤمنين أن يوفوا بعهدهم ولا يغدروا فينصروا أولئك القاعدين عن الهجرة.

٤- الوجه الرابع:

❁ مراعاة جهة الحِل والحرمة في الفعل نفسه

فإن الفعل قد يكون صحيحا في ظاهره لاستيفائه شروط الصحة المطلوبة ولكنه يعتبر محرما لمخالفة حقيقته الباطنة أو قصد صاحبه لما يأمر به الإسلام فهذه الصفة للشيء من الحل والحرمة تبقى لاصقة بالفعل وإن صدر بها حكم قضائي يقضي بخلاف ذلك.

فإن ادعى إنسان على آخر ظلمًا أن له عنده حق وأقام بينة على ذلك فإن حكم له بهذا الحق فلا يعني ذلك أنه محق في مطالبته أو يستحق الدين من صاحبه بل يبقى الأمر عند الله تعالى على حقيقته فإن حكم الحاكم لا يحول الحق إلى باطل أو الباطل إلى حق لأن الحاكم يحكم حسب الظاهر والله يتولى السرائر ولأن مناط الثواب والعقاب في الآخرة على حقائق الأفعال والنيات وما ارتكبه من حلال أو حرام.

والأصل في تعلق الحقوق وثبوت الآثار الشرعية على حقيقة الفعل وكونه حلالاً جائزًا ظاهرًا وباطنًا.

فعلى هذا الأساس فالمسلم لا يقدم على شيء إلا إذا كان حلالاً ولا يطالب بشيء إلا إذا كان له وإن استطاع المطالبة بما ليس له.

ولا يرتكب ما لا يحل له وإن استطاع إخفاء ذلك عن القضاء.

وهذا مما لا يوجد في القوانين الوضعية فإن المسألة عندها تنتهي بانتهاء صدور القرار من المحكمة ولا شيء بعد هذا إذ لا سلطان للقوانين الوضعية على أمور الآخرة.

السؤال السادس والعشرون

«الخصائص الإنسانية لدى البشر واحدة على الرغم من اختلاف الألوان والأشكال والأجناس ويمكن للناس أن يحققوا وحدة إنسانية على ظهر هذه الأرض ولكن هذه الوحدة لا تتم إلا إذا أقام البشر الهدف الذي خلقوا من أجله وهو «عبادة الله وحده» وتحقيق ذلك يكون باتباع الدين الذي أنزله الله تعالى والتحاكم إلى الشريعة التي أرادها الله أن تكون قانونًا عالميًا للناس كلهم ألا وهي الشريعة الإسلامية.

فالقانون العالمي الوحيد الذي يصلح لحكم الحياة الإنسانية وإصلاحها ويسع الناس على اختلاف الزمان والمكان هو الشريعة الإسلامية فقد أراد الحق تبارك وتعالى أن يكون الدين الإسلامي دينا لجميع البشر والشريعة الإسلامية شريعة للناس كافة والقرآن منزل للعالمين ومحمدﷺ رسول الناس كلهم.

تكلم عن عموم هذه الرسالة للبشر لكل زمان ومكان؟ وأن أحكامها وقواعدها صالحة لكل زمان ومكان؟

الجواب

❁ عالمية الشريعة «العموم»

فرسالة الإسلام رسالة لكل الأزمنة والأجيال ليست رسالة موقوتة بعصر معين أو زمن مخصوص ينتهي أثرها بانتهائه فهي رسالة هداية الله الأخيرة للبشرية فليس بعد الإسلام شريعة ولا بعد القرآن كتاب ولا بعد محمدﷺ نبي.

فهذه الرسالة غير محددة بعصر ولا جيل وكذلك هي غير محددة بمكان ولا أمة ولا بشعب ولا طبقة فإنها رسالة شاملة تخاطب كل الأمم وكل الأجناس وكل الشعوب وكل الطبقات ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّه إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ

لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]

فالخصائص الإنسانية لدى البشر واحدة على الرغم من اختلاف الألوان والأشكال والأجناس ويمكن للناس أن يحققوا وحدة إنسانية على ظهر هذه الأرض ولكن هذه الوحدة لا تتم إلا إذا أقام البشر الهدف الذي خلقوا من أجله وهو عبادة الله وحده ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وتحقيق ذلك لا يكون إلا باتباع الدين الذي أنزله الله تعالى والتحاكم إلى الشريعة التي أرداها الله تعالى أن تكون قانونا عالميا للناس كلهم ألا وهي شريعة الإسلام.

فالقانون العالمي الوحيد الذي يصلح لحكم الحياة الإنسانية وإصلاحها ويسع الناس على اختلاف الزمان والمكان هو الشريعة الإسلامية فقد أراد الحق تعالى أن يكون الدين الإسلامي دينًا لجميع البشر والشريعة الإسلامية شريعة للناس كافة والقرآن منزل للعالمين ومحمدﷺ رسول الناس كلهم فأحكام الشريعة الإسلامية وقواعدها ومبادئها وجميع ما جاءت به يحقق مصالح الناس في كل عصر ومكان وتفي بحاجاتهم ولا تتخلف ولا تضيق عن أي مستوٍ عال يبلغه المجتمع البشري فالشريعة الإسلامية ما شُرعت إلا لتحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل كذلك درء المفاسد عنهم والأضرار في العاجل والآجل كما أن مبادئ الشريعة تتضمن أحكاما عامة يمكن بسهولة ويسر تطبيقها في كل مكان وزمان وتتضمن الشريعة أحكاما تفصيلية تتعلق بأمور العقيدة أو بالأخلاق أو العبادات أو المعاملات تبين من خلالها مدى صلاحيتها للبقاء والعموم.

فالشريعة الإسلامية قد أنزلت من عند الله تعالى لتسع حياة الإنسان من كل أطرافها وتسع حياة المجتمع الإنساني بكل أبعادها.

❁ ثبات الشريعة الإسلامية واستمرارها واستقرارها «مرونة الشريعة»

فهي شريعة إلهية ربانية مصونة ومحفوظة فقد تكفل الله بحفظ كتابه الذي هو مصدر الشريعة ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩]

هذه الشريعة تملك الخصائص التي تجعلها صالحة للحياة الإنسانية مهما ترقت الحياة وتطورت فهي شريعة واسعة مرنة وهي لسعتها تسع الحياة الإنسانية في كل العصور وتسع الحياة الإنسانية مهما تطورت.

فالشريعة الإسلامية مرنة في أصولها حيث تضع المبادئ الكلية والقواعد الأساسية فيما يتطور منها ويتحور بتغير الزمان والمكان وتضع الأحكام التفصيلية والقوانين الجزئية فيما لا يتطور ولا يتحور بتغير الزمان والمكان وهذا يعطي الشريعة سمة ويجعلها صالحة لحكم الحياة الإنسانية.

فالشريعة الإسلامية قابلة بأصولها وكلياتها للانطباق على مختلف الأحوال بحيث تساير أحكامها مختلف الأحوال دون حرج ولا مشقة ولا عسر.

والشريعة الإسلامية وضعت سبلا لعلاج ما يَجدُّ من أحكام –لذا شرعت الاجتهاد لتبين أحكام الأمور والمشكلات التي ليس لها حكم منصوص عليه في الشريعة كما شرعت التعزير لمعالجة الجرائم التي لم ينص الشارع على عقوبة مقدرة لها ومقدار التعزيرات وأجناسها وصفاتها تتغير حسب اقتضاء المصلحة لها زمانًا ومكانًا.

❁ الجمع بين الثبات والمرونة:

- ثبات على الأهداف والغايات ومرونة في الوسائل والأساليب.
- ثبات على الأصول والكليات ومرونة في الفروع والجزئيات.
- ثبات على القيم الدينية والأخلاقية ومرونة في الشئون الدنيوية والعملية.

يقول ابن القيم رحمه الله

❁ **الأحكام نوعان:**

النوع الأول: لا يتغير عن حالة واحدة هو عليها لا بحسب الأزمنة ولا الأمكنة ولا اجتهاد الأئمة كوجوب الواجبات وتحريم المحرمات والحدود المقررة بالشرع على الجرائم ونحو ذلك فإنها لا يتطرق إليها تغيير ولا اجتهاد يخالف ما وضع عليه.

والنوع الثاني: ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زمانا ومكانا وحالا كمقادير التعزيرات وأجناسها وصفاتها فإن الشارع ينوع فيها حسب المصلحة.

ولذا نقول، إن المنهج الذي رسمه الإسلام للإنسان منهج عالمي خالد مساير للزمن صالح لكل العصور ومن ثم كان لابد أن يتوفر له عنصر الثبات حتى لا يكون خاضعًا للتغيير والتبديل مع الأهواء والشهوات.

❁ ❁ ❁

السؤال السابع والعشرون

وضع الإسلام قاعدة للجزاء

فما أهمية هذه القاعدة سواء كان هذا الجزاء دنيويًّا أو أخرويًّا؟

الجواب

❁ الجزاء في الإسلام:

فأحكام الإسلام ليست نصائح وإرشادات ولكنها واجبة التنفيذ بفعل المأمور واجتناب المحظور وقرر الإسلام ثوابًا للمتلزم بشرعه وعقابًا لمن خرج عن شرعه عقابًا أخرويًّا أو دنيويًّا.

وهذا العقاب الدنيوي ضروري لاستقرار المجتمع وتنظيم علاقات الأفراد على نحو واضح مؤثر وضامن لحقوق الناس وعقاب الدنيا لا يمنع الجزاء في الآخرة لهذا المخالف العاصي إلا إذا تاب توبة نصوحًا وتحلل من حقوق الغير إن كانت المعصية تتعلق بحقوق الغير وجزاء الآخرة يجعل المسلم خاضعًا لأحكام الشريعة خضوعا اختياريا في السر والعلن خوفًا من عقاب الله تعالى حتى ولو استطاع الإفلات من عقاب الدنيا لأن العقاب الأخروي ينتظره ولا يستطيع الإفلات منه.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠] ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]

❁ ❁ ❁

السؤال الثامن والعشرون

«من مقاصد الإسلام إنشاء الإنسان الصالح والحرص على أن يبلغ هذا الإنسان أعلى مستوى من الكمال ولكنه لم يغفل طبيعة الإنسان وواقعه،

لذلك أتى الإسلام ونظم طاقات وقدرات الناس ولكنه راعى تفاوت الناس في مدى استعدادهم للوصول إلى المستوى الرفيع الذي رسمه»

بين ذلك؟

الجواب

❁ المثالية والواقعية:

فالإسلام حريص على أن يصل الإنسان إلى أعلى مستوى ممكن من الكمال المقدور له وذلك يجعل تصرفاته وأقواله وأفعاله وتروكه وقصده وأفكاره وميوله وفق المناهج والكيفيات والأوضاع التي جاء بها الإسلام ومع ذلك لم يغفل الإسلام طبيعة الإنسان وتفاوت الناس في مدى استعدادهم لبلوغ المستوى الرفيع الذي يرسمه لهم لذلك جعل الإسلام أدنى مستوى للكمال لا يجوز للإنسان أن ينزل عنه لأنه هو المستوى الضروري لتكوين شخصية المسلم وهو المستوى الإلزامي الواجب بلوغه على كل مسلم «فعل الواجبات وترك المحرمات» وإلى جانب هذا المستوى الإلزامي وضعت الشريعة مستوى آخر أرفع منه وأوسع منه وحببت إلى الناس بلوغ هذا المستوى العالي وهذا يشمل فعل المندوبات وترك المكروهات.

فلم ينس الإسلام في توجيهاته الفكرية وفي تعليماته الأخلاقية وفي تشريعاته القانونية واقع الكون وواقع الحياة وواقع هذا الإنسان بكل ظروفه وملابساته لأن الذي يُشَرِّع للإنسان ويوجهه ويعلمه هو الذي خلق الكون والحياة وهو الذي خلق

الإنسان فهو أعلم بما يصلحه وما يفسده وما يرقى به إلى درجة الملاك وما يهبط به إلى حضيض البهائم ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤]

❁ **مثال لواقعية الإسلام:**

❁ **واقعية العبادات الإسلامية:**

لقد راعت واقع الحياة وظروفها الأسرية والاجتماعية والاقتصادية وما تفرضه على الإنسان من طلب المعيشة والسعي في مناكب الأرض الذلول فلم يطلب من المسلم الانقطاع للعبادة كالرهبان في الأديار بل لم يسمح له بهذا الانقطاع لو أراد وإنما كلف المسلم عبادات محدودة تصله بربه ولا تقطعه عن مجتمعه يعمر بها آخرته ولا تخرب من ورائها دنياه لم يرد منهم أن تكن حياتهم كلها تحليقًا عاليًا في أجواء الروحانية الخيالية بل قال الرسولﷺ لبعض أصحابه ساعة وساعة.

❁ وعرف الإسلام طبيعة الملل في الإنسان فنوَّعها ولونها بين عبادات بدنية كالصلاة والصيام وأخرى مالية كالزكاة والصدقات وثالثة جامعة بينهما كالحج والعمرة وجعل بعضها يوميًّا وبعضها سنويًّا أو موسميًّا وبعضها مرة في العمر ثم فتح لمن أراد مزيدًا من الخير والقرب من الله فشرع التطوع بنوافل العبادات ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾ [البقرة:١٨٤]

❁ راعى الإسلام الظروف الطارئة على الإنسان كالسفر والمرض ونحوها فشرع الرخص والتخفيفات التي يحبها الله كقصر الصلاة الرباعية للمسافر والجمع بين الصلوات وشرعية الفطر للمسافر في الصيام وكصلاة المريض قاعدًا أو مضطجعا على جنب ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]

❁ **في التحليل والتحريم:**

فمن مظاهر هذه الواقعية في مجال الحلال والحرام- وهو ما يتعلق غالبًا بشئون الأفراد، رجلاً أو امرأة:

١- أن شريعة الإسلام لم تحرم شيئًا يحتاج إليه الإنسان في واقع حياته، كما لم تبح له شيئًا يضره في الواقع.

ومن ثم أنكر القرآن تحريم الزينة والطيبات، معلنا إباحتها لبني الإنسان جميعا بشرط القصد والاعتدال وعدم الإسراف في استعمالها: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف:٣١-٣٢]

٢- وراعت الشريعة فطرة البشر في الميل إلى اللهو والترويح عن النفس، فرخصت في أنواع من اللهو كالسباق وألعاب الفروسية وغيرها، إذا لم تقترن بقمار أو بحرام، ولم تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وخصوصا في المناسبات السارة، كالأعراس والأعياد. وقد غنت جاريتان عند عائشة في بيت النبي ﷺ فانتهرهما أبو بكر، فقال النبي ﷺ: **«دعهما يا أبا بكر فإنَّها أيام عيد»** وقال يومئذ: **«لتعلم اليهود أن في ديننا فُسحة. . وأنِّي بعثت بحنيفية سمحة»**[1] وأذن للحبشة أن يلعبوا في مسجده بالحراب، وسمح لزوجه عائشة أن تنظر إليهم حتى اكتفت.

وقد راعت الشريعة فطرة المرأة وواقعها في حب الزينة وعمق الرغبة في التجمل، فأباحت لها بعض ما حرمت على الرجال كالتحلي بالذهب ولبس الحرير.

٣- ومن واقعية الشريعة: أنها قدرت الضرورات- التي تعرض للإنسان وتضغط عليه- حق قدرها، فرخصت في تناول المحرمات على قدر ما توجب الضرورة. وقرر فقهاء الشريعة: أن الضرورات تبيح المحظورات، استنادا إلى ما جاء في القرآن عند ذكر الأطعمة المحرمة من مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ

---

(١) مسند الإمام أحمد - (٢٤٥٦٣).

إنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٧٣]

٤- ومن واقعية الشريعة أنها عرفت ضعف الإنسان أمام كثير من المحرمات، فسدت الباب إليها بالكلية، ولهذا حرمت قليلها وكثيرها، كما في الخمر، لأن القليل يجر إلى الكثير، كما أنها عدت ما يوصل إلى الحرام حراما، سدًّا للذريعة، وإقرارا بواقع الكثير من البشر، الذين لا يملكون أنفسهم إذا فتح لهم طريق الحرام. ومن هنا كان تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية، إغلاقا لباب قد تهب منه رياح الشر، فلا يستطاع صدها. ومثل ذلك النظر بشهوة إلى الجنس الآخر، فإن العين رسول القلب، والنظرة المتشهية بريد الفتنة، وقديما قال الشاعر:

كل الحوادث مبدؤها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

وحديثا قال شوقي:

نظرة، فابتسامة، فسلام فكلام، فموعد، فلقاء

❁ في تشريعات الزواج والأسرة:

٥- ومن واقعية الشريعة الإسلامية: أنها راعت قوة الدوافع الجنسية لدى الإنسان فلم تطرحها دبر الأذن، ولم تنظر إليها باستخفاف، ولا باستقذار، كما فعلت بعض الملل والنحل، ولم ترض للإنسان أن يقاد من غرائزه وحدها، كما فعلت بعض الفلسفات.. فشرعت إشباع الدافع الجنسي بطريقة نظيفة، تضمن بقاء الإنسان، وكرامة الإنسان، وارتفاع الإنسان عن الحيوان، وذلك بشرعية «نظام الزواج» وقد أشار القرآن إلى ذلك بعد ما ذكر ما حرم الله من النساء، وما أحله وراء ذلك بشرطه، ثم قال ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٢٦-٢٨]

فالمفهوم من وصف الإنسان بالضعف في هذا المقام: ضعفه أمام الغريزة الجنسية.

❁ تعدد الزوجات:

٦- وانطلاقا من هذه النظرة الواقعية للحياة والإنسان، كانت إباحة تعدد الزوجات كما شرعه الإسلام.

فما دام في الزوجات من يعتريها المرض ويطول، ومن تمتد بها الدورة الشهرية إلى ثلث شهر أو أكثر، ومن ترغب عن الرجل، ولا تقبل عليه إلا بصعوبة، وما دام الرجال لا يستطيعون التحكم في غرائزهم، فلماذا لا تتيح لهم طريق الزواج الحلال في العلانية والنور، بدل البحث عن الحرام في الخفاء والظلام؟!

وإذا كان من النساء من ابتليت بالعقم، وفي الرجال من يكون قوي الرغبة في الإنجاب، فلماذا لا نتيح له تحقيق رغبته في الولد بالزواج من امرأة أخرى ولود، بدل كسر قلب الأولى بالطلاق، أو تحطيم رغبة الرجل بتحريم الزواج الثاني عليه.

وإذا كان عدد الصالحات للزواج من النساء أكثر من عدد القادرين عليه من الرجال، بصفة عامة، وبعد حرب بصفة خاصة، فليس أمام العدد الزائد إلا واحد من ثلاثة احتمالات:

١- أن تقضي الفتاة عمرها في بيت أهلها عانسا، محرومة من حقها في إشباع عاطفة الزوجية وعاطفة الأمومة، وهي عواطف فطرية غرسها الله في كيانها، لا تملك لها دفعا.

٢- أو البحث عن متنفس غير مشروع من وراء ظهر الأسرة والمجتمع والأخلاق.

٣- أو الزواج من رجل متزوج، قادر على إحصانها واثق من العدل بينها وبين ضرتها.

أما الاحتمال الأول، ففيه ظلم كبير لعدد من النساء، بغير جرم اقترفنه.

والاحتمال الثاني جرم في حق المرأة، وفي حق المجتمع، وفي حق الأخلاق، وهو - للأسف- ما سار عليه الغرب، فقد حرم تعدد الزوجات وأباح تعدد الصديقات والعشيقات. أي أن الواقع فرض عليهم التعدد. ولكنه تعدد لا أخلاقي ولا إنساني، لأن الرجل يقضي من ورائه وطره وشهوته، دون أن يلتزم بأي واجب، أو يتحمل أية تبعة، تأتي نتيجة لهذا التعدد.

أما الاحتمال الثالث، فهو وحده الحل العادل، والنظيف، والإنساني والأخلاقي، وهو الذي جاء به الإسلام.

❁ **الطلاق:**

٧- ومن واقعية الشريعة: إباحتها للطلاق عند تعذر الوفاق بين الزوجين. هذا مع تعظيم الإسلام لشأن العلاقة الزوجية واعتبار هذا الرباط: ﴿**مِّيثَاقًا غَلِيظًا**﴾ [النساء:٢١] وهو نفس التعبير الذي استخدم في شأن النبوة. واعتبار الأصل في الطلاق هو الحظر والتحريم، كما تدل على ذلك الدلائل من القرآن والسنة، قال الله تعالى في شأن النساء الناشزات: ﴿**فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا**﴾ [النساء:٣٤] واعتبر القرآن التفريق بين المرء وزوجه من أعمال السحرة الكفرة.

ومع هذا، أثبت الواقع أن من الزواج ما لا يصحبه التوفيق، وقد أمر الإسلام الأزواج بالصبر والتريث وعدم الاستجابة لعاطفة الكراهية إن أحسوا بها: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾ [النساء:١٩] كما أمر الأزواج أن يعالجوا المرأة الناشز بكل الوسائل، حتى تعود إلى الموافقة والطاعة، وأمر المجتمع أن يتدخل للتحكيم والإصلاح عن طريق «مجلس عائلي» كما قال تعالى: ﴿**فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا**﴾ [النساء:٣٥]

ومع هذا قد تستحكم النفرة، ويتفاقم النزاع، وتخفق كل وسائل الإصلاح والتحكيم والتوفيق، فهنا يكون الطلاق هو العلاج رغم مرارته، وآخر الدواء الكي.

ولقد أرغم الواقع المسيحية المعاصرة على الاعتراف بحق الطلاق، برغم التحريم الغليظ في الإنجيل، وبرغم الحملات المسعورة التي طالما شنتها قوى التبشير دهرًا طويلاً على الإسلام، الذي أباح الطلاق. فإذا هم يضطرون اضطرارًا لإباحته، إلى حد التوسع والإسراف المرذول، وإذا آخر القلاع المسيحية المتشددة في هذا الجانب تسقط أخيرًا وتعلن إباحة الطلاق وذلك في روما الكاثوليكية، التي لا يجيز مذهبها الديني الطلاق لعلة ما، ولو كانت الخيانة الزوجية السافرة: الزنا.

وانتصرت شريعة الخالق على أوهام الخلق.

۞ في التشريعات الاجتماعية إباحة التملك الفردي:

٨- ومن واقعية الشريعة في المجال الاجتماعي والاقتصادي: أنها اعترفت بالدافع الفطري الواقعي الأصيل في نفس الإنسان: واقع حب التملك، فأقرت مبدأ الملكية الفردية وما يترتب عليه من حق التصرف في الملك وحق الإرث له ولكنها لم تنس واقعا آخر، وهو مصلحة المجتمع وحقوقه، وحاجات الفئات الضعيفة من أبنائه. فلهذا قيدت هذه الملكية بقيود شتى: في اكتساب المال وفي تنميته، وفي الاستمتاع به، وفي التصرف فيه، وأوجبت فيه حقوقا لله وللناس.

۞ شرعية الحدود والقصاص والتعزير:

٩- ومن واقعية الشريعة: أنها عملت بكل قوة على تطهير المجتمع من أسباب الجريمة، وتربية الأفراد على حياة الاستقامة ولكنها مع هذا لم تكتف بالوازع الأخلاقي، وإن حرصت عليه كل الحرص، ولم تقتصر على التربية وحدها، وإن كانت تراها فريضة وضرورة دينية واجتماعية، ولكن في الناس من لا يرتدع إلا

بعقوبة زاجرة، ولا تكفيه الموعظة الحسنة، ولا التوجيه الرشيد. ولهذا كان لابد من سوط السلطان بجوار صوت القرآن حتى جاء عن عثمان بن عفان ﷺ إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

ومن هنا أوجبت الشريعة العقوبات من الحدود والقصاص والتعازير.



السؤال التاسع والعشرون

الإسلام جاء نظاما وسطا عدلا لا يجور على الفرد لحساب المجتمع ولا يحيف على المجتمع من أجل الفرد.

وكان من خصائص المجتمع الإسلامي أنه يقوم على العدل الذي لا يعرف الالتواء ولا يتأثر بالأهواء فكل ما شرعه الله تعالى من أحكام المعاملات وقواعد السلوك الاجتماعي وتفصيل العلاقة بين المؤمنين بعضهم وبعض وبينهم وبين غيرهم كل ذلك قام على العدل.

فهذه الشريعة هي شريعة العدل والتوسط والاعتدال وهي شريعة الوسطية حيث توازن بين مصلحة الفرد والمجتمع؟

- بين ذلك؟

الجواب

❁ التوازن بين مصلحتي الفرد والمجتمع:

فالإسلام بتشريعه المتكامل يقرر حقوق الفرد كما يقرر حقوق الجماعة ويقيم نوعا من التناسق والتوازن والانسجام بين كل منهما ويحدد الحدود المناسبة لهما ويجعل الارتباط وثيقًا ومتينًا بينهما .

فالتشريع الإسلامي يؤكد الكيان الشخصي للفرد ويعتبره مسئولا أمام الله تعالى وأمام نفسه وأمام المجتمع ولذا فهو يضمن للإنسان الحقوق الأساسية كحق الحياة - حق الحرية - حق التعليم - حق المساواة- حق التملك - حق الكرامة- ولا يبيح التشريع لأي كائن في الوجود أن يعبث بها أو ينتقص منها.

والتشريع الإسلامي يغرس في النفس الإنسانية شعورها بمسئولية الجماعة ويربط بين الناس في نطاق الوظيفة الاجتماعية وحراسة الرأي العام ودعم بناء

الدولة ويأمر كل فرد في المجتمع بمراعاة الصالح العام المشترك ولذا نجد أن العبادة في الإسلام تربي المسلم على الاستشعار بالوظيفة الاجتماعية ومراعاة الصالح العام المشترك ويرى ذلك في الصلاة والصيام والزكاة والحج الجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها قال الله تعالى ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٧١]

وقد مثل رسول الله ﷺ مسئولية الفرد تجاه المجتمع ومسئولية المجتمع تجاه الفرد بمثال السفينة ليؤكد لكل مسلم وظيفته الاجتماعية تجاه الشاذين المنحرفين — حتى تسلم للأمة عقيدتها وأخلاقها ويتحقق لها في الوجود كيانها وسيادتها وتكون خالية دائما من العبث والعابثين واستبداد الظالمين.

فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال **«مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا»**[1]

❁ الوسطية:

بمعنى التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير ويطرد الطرف المقابل وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه ويطغى على مقابله ويحيف عليه.

وهذه الأطراف المتقابلة أو المتضادة كالروحية والمادية، الفردية والجماعية، الواقعية والمثالية، الثبات والتغير.

---

(١) البخاري: كتاب الشركة/ باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه.

ومعنى التوازن بينها أن يفسح لكل طرف منها مجاله ويعطى حقه «بالقسط» بلا وكس ولا شطط ولا غلو ولا تقصير ولا طغيان ولا إخسار

كما قال سبحانه ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝ أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن:٧-٩]

۞ عجز الإنسان عن إنشاء نظام متوازن:-

فهذا أكبر من أن يقدر عليه الإنسان بعقله المحدود وعلمه القاصر فضلاً عن تأثير ميوله ونزعاته الشخصية والأسرية والحزبية والإقليمية والعنصرية وغلبتها عليه من حيث يشعر أو لا يشعر.

ولهذا لا يخلو منهج أو نظام يصنعه بشر «فرد أو جماعة» من الإفراط أو التفريط كما يدل على ذلك استقراء الواقع وقراءة التاريخ.

إن القادر على إعطاء كل شيء في الوجود «ماديًا كان أو معنويًا» حقه بحساب وميزان هو الله الذي خلق كل شيء فقدره تقديرًا وأحاط بكل شيء خبرًا وأحصى كل شيء عددًا ووسع كل شيء رحمة وعلمًا.

۞ ظاهرة التوازن في الكون كله:

قال الله تعالى ﴿مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ [الملك:٣]

﴿لاَ الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس:٤٠]

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن:٥-٧]

وهذه الخصيصة يشير قوله تعالى مخاطبا أمة الإسلامية ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣]

ووسطية الأمة الإسلامية إنما هي مستمدة من وسطية منهجها ونظامها فهو

منهج وسط لأمة وسط منهج الاعتدال والتوازن الذي سلم من الإفراط والتفريط ومن الغلو والتقصير.

والوسطية تعني العدل وتعني الاستقامة «استقامة المنهج» والبعد عن الميل والانحراف.

فالإسلام جاء نظامًا وسطًا عدلاً لا يجور على الفرد لحساب المجتمع ولا يحيف على المجتمع من أجل الفرد لا يدلل الفرد بكثرة الحقوق التي تُمنح له ولا يرهق بكثرة الواجبات التي تُلقى عليه وإنما يكلفه من الواجبات في حدود وسعه دون حرج ولا إعنات وتقرر له من الحقوق ما يكافئ واجباته ويلبي حاجاته ويحفظ كرامته ويصون إنسانيته.

❁ شريعة الإسلام هي شريعة العدل والتوسط والاعتدال:

فالعدل هو وضع الشيء في موضعه والظلم موضع الشيء في غير موضعه.

قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء:٤٠]

فالأحكام الشرعية الإسلامية مصطبغة بالعدل اصطباغًا تامًّا فلا تميل القواعد القانونية الشرعية إلى جانب الحاكم ضد مصالح المحكوم ولا تعطى الرجال حقوقا بحيث تظلم النساء ولا يمكن أن تخطئ المقدار المناسب للجريمة لأن واضعها يتصف بالعلم المطلق الشامل.

فالشريعة الإسلامية تتصف بالعدل في كل أحكامها وتشريعاتها كما أنها تتصف بالتوسط والاعتدال دون إفراط ولا تفريط في تشريعاتها لأنها صادرة من عند الله العليم الحليم الحكيم الخبير الذي يقرر العدل الحق.

❁ الوسطية في الحكم والقضاء والشهادة:

العدل من أهم الأركان التي يقوم عليها المجتمع الصالح وكل مجتمع لا يقوم على أساس العدل هو مجتمع فاسد صائر إلى الانحلال ثم الزوال.

والمجتمع الإسلامي من خصائصه أنه يقوم على العدل الذي لا يعرف الالتواء ولا يتأثر بالأهواء ولذا نجد أن كل تعاليم الإسلام متمشية مع العدل.

فكل ما شرعه الله تعالى من أحكام المعاملات وقواعد السلوك الاجتماعي وتفصيل العلاقة بين المؤمنين بعضهم وبعض وبينهم وبين غيرهم كل ذلك قام على العدل ورمى إلى تحقيق العدل.

❁ ومن ضوابط الشريعة الإسلامية:

أن كل تشريع لا يقوم على العدل والرحمة والمصلحة فليس من الشريعة وإن أدخل عليها بنوع من التأويل

قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء:٥٨] وقال سبحانه ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ . . ﴾ [النساء:١٣٥]

والقسط هو صمام الأمن في كل مجتمع.

العدل ميزان لا يتأثر بالحب ولا بالشنآن.

ولذا قال سبحانه ﴿وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾

وقال سبحانه ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٨]

فالبغض في الله لا يبرر الانحراف عن العدل

❁ العدل المطلق:

أرسل رسول الله ﷺ عبدالله بن رواحة يقسم ثمار أهل خيبر وزروعهم فأرادوا أن يرشوه ليرفق بهم فقال:

لقد جئتكم من عند أحب الخلق إليَّ ولأنتم أبغض إلي من أعدائكم من القردة والخنازير وما يحملني حبي إياه وبغضي لكم على ألا أعدل فيكم فقالوا بهذا قامت السموات والأرض.

❁ أساس العلاقات مع غير المسلمين:

الإسلام لا يتجاهل من يعيش في مجتمعه من غير المسلمين بل يقيم العلاقات بينه وبينهم على دعائم ثابتة وأسس وطيدة من العدل والتسامح.

وميزات هذه الصلة وأساسها قول الله تعالى ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة:٨-٩]

فالأصل في الشريعة أنها نظام عالمي لا يختص بمكان دون آخر.

فالشريعة للعالم أجمع يخاطب بها المسلم وغير المسلم وساكني البلاد الإسلامية وغير البلاد الإسلامية.

❁ فالشريعة الإسلامية:

هي نظام عام وقواعد أساسية لإدارة الحياة البشرية في جميع جوانبها التربوية والعقدية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية.

والشريعة الإسلامية تستهدف بناء الإنسان بناء فاضلاً.

كما أن الشريعة تعمل على تلبية حاجات الإنسان الفطرية الأساسية المادية والروحية

❁ والجزاء الخلقي في الإسلام يقوم على مبادئ وقواعد قد يكون من أهمها قاعدة المعاملة العادلة التي تقتضي أن يكون الجزاء عادلا وأن يكون من جنس

العمل.

قال الله تعالى ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ [الرحمن:٦٠]

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى:٤٠]

﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء]

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢]

﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد:٧]

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٧-٨]

وقال ﷺ «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[١]

«احفظ الله يحفظك»[٢]

«من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة»[٣] .

وإن كان الخير والشر يختلفان في نوعهما ويتفاوتان في قدرهما ومن ثم فقد جعل الله عز وجل الجزاء عليهما متفاوتا في درجاته لدقة حسابه وعظم عدله

قال الله تعالى ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [الأحقاف:١٩]

وقال النبي ﷺ «سبق درهم درهمان»[٤].

---

(١) الترمذي: كتاب البر والصلة/ باب ما جاء في رحمة الناس.

(٢) الترمذي: كتاب صفة القيامة.

(٣) مسلم: كتاب الذكر والدعاء/ باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وتلاوة الذكر.

(٤) مسند الإمام أحمد - (٨٩١٣).

ومن عظيم كرم الله تعالى أنه يعاملنا في الحسنات بفضله وفي السيئات بعدله ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام:١٦٠] وقال سبحانه ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٠]

❁ ❁ ❁

السؤال الثلاثون

جاءت الشريعة لتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها، وغاية الإسلام هي إخراج الناس من الظلمات إلى النور كما قال تعالى ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ ولقد نفى القرآن عن هذه الشريعة العنت والعسر وأثبت لها التخفيف واليسر ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] فهي شريعة اليسر ورفع الحرج.

تكلم عن هذه الخصيصة التي ميزت بها الشريعة عن غيرها من الشرائع؟

الجواب

هذا التيسير الذي تتسم به الشريعة الإسلامية مبني على رعاية ضعف الإنسان وكثرة أعبائه وتعدد مشاغله وضغط الحياة ومتطلباتها عليه.

وشارع هذا الدين رءوف رحيم لا يريد بعباده تعنتا ولا رهقًا إنما يريد لهم الخير والسعادة وصلاح الحال والمآل في المعاش والمعاد.

❁ كما أن هذا الدين لم يجئ لطبقة خاصة أو لإقليم محدود أو لعصر معين، بل جاء عاما لكل الناس في كل الأرض وفي كل زمان ولكل جيل، وإن نظاما يتسم بهذا التعميم وهذه السعة لابد أن يتجه إلى التيسير والتخفيف ليتسع لكل الناس وإن اختلف بهم المكان والزمان والحال.

وفي ظل هذه الخصيصة التي تميز بها الشريعة الإسلامية لا يكلف الإنسان في ظلها إلا بما هو في حدود وسعه وطاقته ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨]

﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٣٣]

﴿يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٢٨]

﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ ..﴾ [النور:٦١]

وكذا قال النبي ﷺ **«إن هذا الدين يُسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا»**[١] **«يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا»**[٢] وروي عن عائشة ﵂ قالت ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله عز وجل»[٣].

وقد بنيت على تلك الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة كثير من القواعد الشرعية والفقهية تؤكد هي الأخرى مبدأ اليسر ورفع الحرج في الشريعة الإسلامية كقاعدة «الضرورات تبيح المحظورات»، «الحاجة تنزل منزلة الضرورة»، «المشقة تجلب التيسير».

۞ قاعدة «المشقة تجلب التيسير»:

الأدلة على هذه القاعدة

١- من الكتاب:

﴿يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]

﴿يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٢٨]

﴿مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [المائدة:٦]

﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨]

---

(١) البخاري: كتاب الإيمان/ باب الدين يسر.

(٢) مسلم: كتاب الجهاد والسير/ باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث.

(٣) مسلم: كتاب الفضائل.

﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ﴾ [الفتح:١٧]

فكل هذه الآيات تدل على فضل الله تعالى على هذه الأمة وأنه خفف عنهم ورفق بهم ورفع عنهم الحرج والتعنت والعنت.

فمبدأ رفع الحرج مقصد عظيم من مقاصد الشريعة.

٢- من السنة:

عن أبي ذر الغفاري ﵁ قال قال رسول الله ﷺ **«إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»**[١] حديث عائشة ﵂ عن النبي ﷺ أنه قال **«رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتَّى يستيقظ وعن الصغير حتَّى يكبر وعن المجنون حتَّى يعقل أو يفيق»**[٢] حديث عائشة ﵂ قالت «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين أحدهما أيسر من الآخر إلا اختار أيسرهما ما لكن إثما فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه»[٣] حديث أنس بن مالك ﵁ أن رسول الله ﷺ قال **«يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا»**[٤]

---

(١) ابن ماجه: كتاب الطلاق/ باب طلاق المكره والناسي.
مجمع الزوائد: كتاب الحدود والديات/ باب طلاق الناسي والمكره.

(٢) ابن ماجه: كتاب الطلاق/ باب طلاق المعتوه والصغير والنائم.
البخاري: كتاب الحدود: باب لا يرجم المجنون والمجنونة.

(٣) مسلم: كتاب الفضائل/ باب مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله.
البخاري: كتاب المناقب/ باب صفة النبي ﷺ (الفتح٦/٥٦٦).
كتاب الأدب/ باب قول النبي ﷺ (يسروا ولا تعسروا) وكان يحب التخفيف والتيسير على الناس (١٠/٥٢٤).
كتاب الحدود/ باب إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله (١٢/٨٦).

(٤) البخاري: كتاب العلم/ باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعمل كي لا ينفروا.
كتاب الأدب/ باب قول النبي ﷺ (يسروا ولا تعسروا).
مسلم: كتاب الجهاد والسير/ باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير.

❁ الفروع في ذلك كثيرة:

١- من لم يستطع الركوب على الدابة للحج فإنه يستنيب من يحج عنه.

٢- المريض الذي يشق عليه الصوم يفطر ويقضي.

٣- أن المجتهدين في القبلة إذا صلى كل منهم إلى جهة فالمصيب منهم للقبلة واحد والجميع فعلوا ما أمروا به ولا إثم عليهم وتبيّن القبلة سقط عن العاجزين عن معرفتها وصار الواجب على كل أحد أن يفعل ما يقدر عليه من الاجتهاد وهو يعتقد أنه استقبل الكعبة بعد اجتهاده.

❁ فمن ذلك- نقول:

إن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها فالوجوب مشروط بالقدرة والعقوبة لا تكون إلا على ترك مأمور أو فعل محظور بعد قيام الحجة.

❁ والحجة على العباد إنما تقوم بشيئين:

١- شرط التمكن من العلم بما أنزل الله.

٢- شرط القدرة على العمل به.

﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦]

❁ القواعد المندرجة تحتها:

١- الضرورات تبيح المحظورات:

قال الله تعالى **﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** [البقرة:١٧٣]

﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل:١٠٦]

ولكن هذا التيسير الذي اتسمت به الشريعة الإسلامية لا يعني التساهل في أمر الدين حتى تنتهك حرمات الدين أو يستهان بأحكام الشريعة من الحلال والحرام فهناك إلى جانب هذه القواعد قواعد احتياطية حتى لا نقع في مهاوي الزلل والعصيان ومن الاستهانة بأحكام الحلال والحرام.

لذا كانت القواعد الاحتياطية كقاعدة «الضرورات تقدر بقدرها»، «سد الذرائع»، «اتقاء الشبهات».

إلى غير ذلك من القواعد التي يقتضي الالتزام بها عدم تجاوز حد الضرورة وعدم التساهل بمقدمات الحرام.

حيث أن كل وسيلة إلى المحرم فهو محرم.

قال تعالى ﴿وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور:٣١]

﴿وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٨]

ونهى النبيﷺ أن يخطب الرجل على خطبة أخيه أو أن يستام على سوم أخيه أو يبتاع على بيعه سدا لذريعة التباغض والشحناء وإثارة المنازعات.

❁ فنقول خلاصة القول:

ولا يظن الظان أن اليسر يعني الانفلات من قيود الشرع والتعدي على حدود الله فذلك ليس يسرا إنما بغى وتعدي.

إن اليسر هو الالتزام بأحكام هذا الدين كما أرادها الله تعالى ثم التعامل مع هذه الأحكام والتشريعات وفق منهج اليسر الذي نتبين معالمه من خلال المنهج النبوي الكريم.

❁ وهذه الشريعة جاءت لحفظ مصالح العباد:

فشريعة الإسلام وحدها من دون الشرائع هي التي تحقق مصالح العباد وذلك بحفظها لنظام الأمة واستدامة صلاحه بصلاح الإنسان.

فالشريعة وضعت لحفظ مصالح العباد وقطع دابر الفساد.

فغاية الإسلام هي إخراج الناس من الظلمات إلى النور كما قال سبحانه ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١]

❁ ❁ ❁

٣- أنظمة الإسلام

١- نظام الأخلاق

(٣١- ٣٧)



١- نظام الأخلاق

السؤال الواحد والثلاثون

«قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾

والأخلاق مرآة الفكر- فالأخلاق لها تأثير كبير في سلوك الإنسان فكل صفة تظهر في القلب يظهر أثرها على الجوارح حتَّى لا تتحرك إلا على وفقها- لذا نقول إن أول خطوات الإصلاح تكون بتزكية النفوس وغرس معانِي الأخلاق الجيدة فيها ولا يكتفى بغرسها ولكن لابد أن ينصبغ بِها الإنسان».

عرف معنى الأخلاق مبينًا أهميتها مع بيان مكانة الأخلاق ومنْزلتها في الإسلام؟

الجواب

❁ تعريف الأخلاق وبيان أهميتها:

الخلق عادة أو اتجاه راسخ في النفس يصدر عنه الأفعال بسهولة ويسر.

والخلق عامل يؤثر في سلوك الإنسان وفي مقدرته على تكييف نفسه للبيئة التي يعيش فيها.

والأخلاق في نظر الإسلام ليست مجرد ألفاظ تردد أو شعارات ترفع بل هي على العكس من ذلك سجية أو عادة أو اتجاه راسخ في النفس.

ولا يكفى لظهور أثر الأخلاق في فعل الإنسان وتركه أن يفعل الإنسان الجيد والرديء من الأخلاق بل لابد أن ينصبغ كيانه بها وترسخ قواعد الأخلاق في نفسه حتى يصير سجية عند هذا الإنسان.

❁ فالخلق: هو هيئة للنفس تصدر عنها الأفعال بلا روية ولا تدبر.

وسلوك الإنسان موافق لما هو مستقر في نفسه من معان وصفات وكل صفة

تظهر في القلب يظهر أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة.

قال الله تعالى ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا﴾ [الأعراف:٥٨]

ولذا كان المنهج السديد في إصلاح الناس وتقويم سلوكهم وتيسير سبل الحياة الطيبة لهم أن يبدأ المصلحون بإصلاح النفوس وتزكيتها وغرس معاني الأخلاق الحميدة والجيدة فيها.

قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١]

والأخلاق الفاضلة أولى الدعائم التي يقوم عليها المجتمع.

❁ أهمية الأخلاق:

والأخلاق في مفهوم الإسلام هي ثمرة من ثمرات الإيمان والعبادة وأن إيمان العبد وعباداته لا يتمان إلا إذا نتج عنهما خلق حسن ومعاملة طيبة مع الله ومع خلقه وإلى أن الأخلاق الفاضلة التي طلب من المسلم أن يتمسك بها هي واجبة المراعاة لا مع الكائنات المخلوقة فحسب بل هي واجبة المراعاة أيضا ومن باب أولى في المعاملة مع الله تعالى عقيدة وعبادة.

فالشخص لا يتم إيمانه بربه إلا إذا كان صادقا في إيمانه موفيا بما وعد الله به من الطاعة والعبادة مخلصًا في عبادة ربه ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧]

وقال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه «اتق الله حيثما كنت واتبع الحسنة السيئة تمحوها وخالق الناس بخلق حسن»[1]

---

(١) الترمذي: كتاب البر والصلة.

ولذا كان خلق النبيﷺ القرآن.

ولقد جمع القرآن الأمر بالكريم من الأخلاق والنهي عن القبيح والسيئ منها في قوله سبحانه ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]

وتؤكد تعاليم الإسلام ونصوصه أن الأديان والرسالات السماوية جميعًا ما جاءت إلا لإصلاح الأخلاق وإتمام بنائها وتوجيه الناس إلى أقوم السبل التي توصلهم إلى سعادة الدنيا والآخرة.

لذا قال النبيﷺ **«إنما بعثت لأتمم حسن الأخلاق»**(١)

فالرسولﷺ يحصر هدف رسالته في الأخلاق.

فالأخلاق ضرورية للفرد والمجتمع معًا- فالمجتمع لا يصلح حاله ولا يستقيم أمره إلا بالأخلاق ولا يصبح للحياة فيه أي معنى إلا بالأخلاق الفاضلة.

فالأخلاق الفاضلة هي الدعامة الأولى لحفظ الأمم والشعوب والدول والمجتمعات وبفضلها ينهض العمل الصالح النافع من أجل خير الأمة والمجتمع.

وما من أمة أو دولة أو شعب حاد عن مبادئ الأخلاق الفاضلة وأغرق نحو الترف والإسراف والفساد والانحلال الخلقي أو إلى القهر والتجبر والظلم إلا دمره الله بترفه وإسرافه وفساده وظلمه وتجبره.

❋ انهيار الأخلاق وأثرها في المجتمع:

انهيار كل خلق من مكارم الأخلاق يقابله دائما انقطاع رابطة من روابط المجتمع «الروابط الاجتماعية» فإذا انهارت أخلاقيات الأفراد انهار خلق المجتمع وانقطعت بذلك جميع الروابط الاجتماعية وأمسى المجتمع مفككًا منحلاً.

ولقد أدرك الأعداء «أعداء الإسلام» هذه الحقائق عن مكارم الأخلاق فعملوا

(١) مالك: كتاب حسن الخلق/ باب ما جاء في حسن الخلق.

على إفسادها «إفساد أخلاق المسلمين» بكل ما أوتوا من فكر ودهاء وبكل ما أوتوا من وسائل مادية وشياطين إغواء ليبعثروا قواهم المتماسكة بالأخلاق الإسلامية العظيمة وليفتتوا وحدتهم فبدءوا بهدم العقيدة لأنها بمثابة النبع الأساسي الذي يزود المسلم بالأخلاق الإسلامية العظيمة ثم كان المكر بالعلوم الإسلامية والدراسات المتعلقة بها فحجبوا منها جانبًا وشوهوا جانبًا آخر مع التلاعب بالمفاهيم ثم أغرقوا المجتمع المسلم بألوان شتى من الفساد والشهوات المرتبطة برذائل الأخلاق حتى عدوا العفة تخلفا ورجعية.

❁ القيم الخلقية الأساسية لبناء المجتمع المسلم:

من أهم هذه القيم الثابتة التي لا تتبدل باختلاف الزمان والمكان

١- العدل:

قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠]

العدل مع العدو ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة:٨]

العدل «قاعدة التحكيم بين المتنازعين» ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات:٩]

٢- المساواة في الحقوق والواجبات

قال الله تعالى ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣]

وقال سبحانه ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ

اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]

٣- الإخاء:

يتميز المجتمع الإسلامي بسيادة شعور المحبة والإخاء فيه ذلك أن رابطة الأخوة في الله تقوم على عقيدة إيمانية راسخة.

قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠] وقال سبحانه ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران:١٠٢]

انظر إلى السلوك العملي عند الصحابة ﷺ لهذا المبدأ ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩]

ولذا ورد التحذير من النبي ﷺ للأمور القادحة في تلك الأخوة «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانًا»[١].

❁ مكانة الأخلاق ومنزلتها في الإسلام:

للأخلاق في الإسلام مكانة هامة وعظيمة

١- تعليل الرسالة بتقويم الأخلاق وإشاعة مكارم قال النبي ﷺ «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»[٢].

٢- أكثر ما يرجح كفة الحسنات يوم القيامة «حسن الخلق» قال النبي ﷺ «أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق»[٣]

---

(١) مسلم: كتاب في البر والصلة/ باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر.

(٢) البخاري: الأدب المفرد.

(٣) أبو داود، كتاب الأدب.

الترمذي: كتاب البر والصلة.

٣- تفاوت المؤمنين وتفاضلهم في الإيمان بحسن الخلق: قيل يا رسول الله أي المؤمنين أفضل إيمانًا؟ قال ﷺ «أحسنهم خلقًا»[(١)]

٤- حسن الخلق سبب ينال به محبة النبي ﷺ: قال ﷺ «إن أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا»[(٢)]

٥- مدح الله تعالى وثناؤه على نبيه ﷺ بحسن الخلق: قال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]

٦- كثرة الآيات المتعلقة بموضوع الأخلاق خاصة السور المكية مما يدل على أهمية وعظم مكانة الأخلاق.

والناظر في كتاب الله تعالى خاصة السور المكية يجد هذا الاهتمام البالغ الملحوظ بجانب الأخلاق فنقرأ على سبيل المثال حيث ما من سورة من سور القرآن المكي إلا وهي تتكلم عن الأخلاق:

١- في سورة الأعراف ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩]

٢- في سورة النحل ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل:٩١]

٣- في سورة الإسراء ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ

---

(١) المنذري: الترغيب والترهيب/الترغيب في الخلق الحسن والترهيب من الخلق السيئ.

(٢) المنذري: الترغيب والترهيب/كتاب الأدب.

كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴿٣٢﴾ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴿٣٥﴾ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴿٣٦﴾ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء:٢٣-٣٨]

٤- في سورة المؤمنون ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون:١-١١]

٥- في سورة الفرقان ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ

يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:٦٣-٧٤]

٦- وفي سورة لقمان ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان:١٣-١٩]

٧- في سورة غافر ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر:١٩-٢٠]

٨- في سورة الشورى ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ

مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾

[الشورى:٣٦-٤٣]

٩- في سورة المعارج ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلاَّ الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٦) وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٣٢) وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ [المعارج:١٩-٣٥]

❁ ❁ ❁

السؤال الثاني والثلاثون

الأخلاق جزء لا يتجزأ من الاعتقاد- حيث أن الأخلاق لها ارتباط وثيق بمعاني الإيمان والتقوى فهي مظهر الإيمان.

وقد بين الله تعالى في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ هذه الأخلاقيات التفصيلية التي يلزم كل مسلم أن يتربى عليها ويتحلى بها وأن أفعال وتصرفات الإنسان ينبغي ألا تخرج عن دائرة الأخلاق حيث أن نظام الأخلاق يشمل جميع مظاهر الحياة.

تكلم عن صلة الأخلاق بالعقيدة والعبادات والمعاملات مع بيان ما يميِّز به نظام الأخلاق في الإسلام؟

الجواب

❁ صلة الأخلاق بالعقيدة والعبادات والمعاملات:

إن الإسلام عقيدة وعبادة ونظام حياة.

وكل التشريعات والتوجيهات والنواهي في دين الله تنبثق من أصل واحد وهو العقيدة الصحيحة التي هي أصل الأصول ونبع الفضائل والخيرات والأخلاق جزء لا يتجزأ منها قال النبي ﷺ **«الإيمان بضع وسبعون شعبة-أو بضع وستون شعبة- فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»**[1].

ففي هذا الحديث بيان لارتباط الأخلاق بالعقيدة ارتباطًا شديدًا يجعل الخلق الكريم شعبة منه وجزءًا لا يتجزأ ففي الحديث الربط بين عقيدة «لا إله إلا الله» وبين فضيلة خلقية راقية «الحياء» وبين معروف يفعله المسلم وهو تنحية الأذى من

(١) مسلم: كتاب الإيمان/ باب عدد شعب الإيمان.

طريق الناس.

وجعل الرسول ﷺ الخلق الكريم علامة مميزة للمسلم يوم يعلن عن إسلامه وصفة يعرف بها بين الناس لذا قال ﷺ **«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»**[1].

وقال النبي ﷺ **«والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن»** قيل من يا رسول الله؟ قال **«الذي لا يأمن جاره بوائقه»**[2].

فهذا الحديث يدل على أن الأخلاق السيئة تنافي الإيمان وتناقضه، وأنه لا يجتمع الإيمان والخلق الرديء.

❁ في جوانب العبادة:

ترتبط الأخلاق بالعبادات وبالعقيدة ارتباطا وثيقا

فلا عبادة بدون عقيدة ولا عبادة إن لم يرافقها سلوك مهذب نظيف وأخلاق إنسانية راقية فالإسلام ليس عقيدة فحسب ولكنه عقيدة وعبادة ونظام حياة شمل جميع شئون الحياة وسلوك الإنسان وأحكام الأخلاق والعبادات في ارتباط وثيق.

١- الصلاة:

قال الله تعالى **﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾**

[العنكبوت: ٤٥]

قال ابن كثير (رحمه الله):

إن الصلاة تشتمل على شيئين على ترك الفواحش والمنكرات فالمسلم إذا أقام الصلاة وأداها بأركانها وشروطها وواجباتها على كمالها وتمامها بخشوع وإخلاص

(١) البخاري: كتاب الإيمان/ باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

(٢) البخاري: كتاب الأدب/باب من لم يأمن جاره بوائقه.

مسلم: كتاب الإيمان/ باب تحريم إيذاء الجار.

واستحضر مثوله بين يدي ربه قطع دابر العجب والغرور وقطع دابر المنكر وكانت له خير زاجر ومانع من كل ما يشين وخير وازع ومعين على فعل الخير.

٢- الزكاة:

فالزكاة طهارة للقلب والمال، طهارة للقلب من الشح والبخل، وطهارة للمال ونماء.

قال الله تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ﴾

[البقرة: ٢٦٧]

❁ والحكم التي شرعت من أجلها الزكاة كثيرة:

- فهي طهارة لنفس الغني.

- وطهارة لنفس الفقير.

وصيانة للمجتمع من الفقر وضمان اجتماعي وتأمين وتكافل للأفراد جميعًا.

❁ ولقد حذر القرآن من الخلق السيئ الذي يتبع الصدقة والزكاة فيبطلها ويفقدها معناها ويحبط أجرها وثوابها

قال تعالى ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣) يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [البقرة:٢٦٣-٢٦٤]

وقال سبحانه ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]

٣- الصوم:

وهو تربية للإرادة وتربية على الصبر ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٣]

وكان من إرشادات النبيﷺ للصائم أن يلتزم بالآداب الإسلامية والأخلاق الحسنة والسلوك السليم

وأن يمتنع عن كل قول أو فعل مخل بالأدب ومناف للأخلاق ومن كل تصرف فيه أذى للغير بل يستعلي المسلم ويترفع عن رد الأذى بمثله.

٤- الحج:

قال الله تعالى ﴿**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ**﴾ [البقرة:١٩٧]

فالحج تقوية للنفس على معاني من استسلام وتسليم ومن بذل الجهد والمال في سبيل الله ومن تعاون وتعارف ومن قيام لله بشعائر العبودية وكل ذلك له آثاره في تزكية النفس.

فهذه العبادة مشروطة بالانضباط الأخلاقي في القول والفعل.

٥- الجهاد:

قال سبحانه ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [البقرة:١٩٠]

فقتال المسلمين مبني على خلقين عظيمين «العدل والإحسان في القتل»

انظر إلى وصايا النبيﷺ للأمراء الذين يرسلهم على البعوث[١].

❁ الإحسان في القتل:

قال رسول اللهﷺ «**إن الله قد كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته**»[٢]

---

(١) مسلم: كتاب الجهاد والسير/ باب تأمير الإمام على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها.
(٢) مسلم: كتاب الصيد/ باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة.

✽ في المعاملات:

من أعظم مميزات النظام الإسلامي أنه نظام أخلاقي تقوم تشريعاته وتنظيماته وكل معاملاته على أساس خلقي متين.

فالباحث في فقه المعاملات يرى بوضوح أن الخلق القويم والنهج المستقيم هو الأصل وأن العدل والإحسان هو القاعدة.

١- في النظام الاقتصادي:

قال الله تعالى ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥].

فلا ربا ولا استغلال ولا احتكار ولا غبن ولا غرر ولا غش

٢- نظام الأسرة:

والعلاقة الزوجية بين الزوجين في شريعة الإسلام تقوم على ثلاث أسس خلقية عظيمة:

✽ المعروف والإحسان

✽ العدل بتحقيق المساواة وهي المعاملة بالمثل قال تعالى ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:٢٢٨]

✽ الشورى ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [البقرة: ٢٣٣]

✽ خصائص نظام الأخلاق:

والأخلاق الإسلامية المستمدة من الشريعة الإسلامية والتي تدل عليه نصوص الدين الإسلامي وتعاليمه واجتهادات وممارسات الصالحين والأخيار من أتباعه هي أخلاق إنسانية سامية تتمشى مع الفطرة والعقول السليمة وتلبي حاجات الفرد الصالح والمجتمع الفاضل في كل زمان ومكان وتنظم كافة علاقات الإنسان بغيره.

والسبب في أن الأخلاق الإسلامية جديرة بهذا الوصف وملبية لحاجات الفرد والجماعة في كل زمان ومكان هو ما تمتاز به من الشمول والاتساع والتوازن والاعتدال والواقعية واليسر والربط بين الاعتقاد والعمل وبين القول والعقل وبين النظرية والتطبيق والثبات في الأصول والقواعد العامة مع عدم معارضتها لكل تقدم نافع وتطور صالح.

ولا غرابة في ذلك حيث أن الأخلاق الإسلامية تستمد وجودها من الله ودينه وتعاليمه وأوامره ونواهيه وهو سبحانه العالم بما كان وما وهو كائن وما سيكون وبما ينفع أو يضر عباده .

❁ فمن خصائص نظام الأخلاق:

١- التعميم والتفصيل في الأخلاق

قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]

فهذه آية جامعة لمكارم الأخلاق.

وكذا قول النبي ﷺ **اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن**[1] .

وهذا الحديث يمثل المنهج العام للسلوك

وكان من رحمة الله بعباده أن بين لهم وفصل لهم الأخلاقيات التي ينبغي أن يلتزمها المسلم ويرى ذلك جليلا في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله ﷺ

❁ جانب من هذه الأخلاقيات التفصيلية التي وردت في كتاب الله تعالى:

١- الدعوة إلى الصدق:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]

(١) الترمذي : كتاب البر والصلة.

وتأتي الآيات لتبين كيف يتحلى الإنسان بالصدق.

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧]

٢- الأمر بأداء الأمانة والتزام العدل:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء:٥٨]

٣- ذم التكبر والعجب والبخل والفخر والرياء:

﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [النساء:٣٦-٣٨]

٤- عدم شهادة الزور وترك اللغو:

﴿وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣]

٥- الإنصاف من النفس وأداء الحقوق إلى أصحابها وعدم اتباع الهوى:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء:١٣٥]

❁ ومن السنة:

١- الرفق:

قالﷺ «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله»(١).

وقالﷺ «ما كان الرفق في شيء إلا زانه وما كان العنف في شيء إلا شانه»(٢).

٢- ترك الكلام فيما لا يعنيه:

«من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»(٣).

٣- النهي عن الكذب والخيانة وخلف الوعد:

قال ﷺ «آية المنافق ثلاث - إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان»(٤).

٤- في الحث على التوادد والتراحم والتعاطف:

قالﷺ «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»(٥).

٥- النهي عن البغضاء والشحناء والتدابر:

قالﷺ «لا تباغضوا ولا تدابروا ولا تنجاشوا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا . .»(٦).

---

(١) مسلم: كتاب البر والصلة/ باب فضل الرفق.
البخاري: كتاب الأدب/ باب الرفق في الأمر كله.
(٢) مسلم: كتاب البر والصلة/ باب فضل الرفق.
(٣) المسند: (١٧٣٧).
(٤) البخاري: كتاب الإيمان/ باب آية المنافق.
(٥) البخاري: كتاب الأدب/ باب رحمة الناس والبهائم.
مسلم: كتاب البر والصلة/ باب فضل الرفق.
(٦) مسلم: كتاب البر والصلة.
البخاري: كتاب الأدب/ باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر.

٢- خاصية الشمول:

فنظام الأخلاق في الإسلام يشمل جميع النشاط الحيوي للفرد والمجتمع وجميع علاقات الإنسان وكافة جوانب حياته وجميع جوانب ارتباطاته بالحياة والأحياء.

فنظام الأخلاق لا يتناول عملا ويدع آخر بل يتناول الأعمال كلها من الصلاة التي يقف فيها المسلم خاشعا بين يدي الله إلى الحرفة والمهنة التي يباشرها قياما بواجبه في الحياة.

والقرآن والسنة يهتمان بالسلوك المجتمعي الأخلاقي وبالحياة القضائية والسياسية والاقتصادية كما يهتمان بالحياة الدينية فالإسلام يهيمن على الحياة اليومية بكل معانيها ومجالاتها وقال النبي ﷺ **«إن الله كتب الإحسان في كل شيء»**[(١)].

٣- خاصية التوازن:

فالأخلاق الإسلامية كما تمتاز بشمولها فإنها تمتاز أيضا بتوازنها وتقديرها لمختلف الحاجات الإنسانية ولجميع مطالب الحياة فهي تقدر الطبيعة الإنسانية المكونة من جسم وروح وتأخذ في الاعتبار مطالب الجسم والروح ومطالب الدنيا والآخرة.

وبعبارة أخرى إن الأخلاق الإسلامية لا تضحي بالجسم في سبيل الروح ولا بالقيم المادية في سبيل القيم الروحية بل تعطي كل جانب حقه من الرعاية.

فالإسلام بتعاليمه وقيمه وأخلاقه يعالج الإنسان معالجة كلية تكاملية فيهتم بجسمه وعقله كما يهتم بروحه ويوفق بين مطالبه المادية ومطالبه المعنوية ويهتم بمصالحه الدنيوية كما يهتم بمصالحه الأخروية قال الله تعالى ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ

---

(١) مسلم: كتاب الصيد/ باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة.

الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧] ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

٤- خاصية الاعتدال:

وهي عدم الغلو في أي اتجاه من الاتجاهات والنظرة إلى الأمور نظرة وسط من غير إفراط ولا تفريط فأخلاق الإسلام وشريعته هي أخلاق وشريعة العدل والاعتدال توجب على الإنسان أن يعيش في هذه الحياة متوسطا بين طرفي الإفراط والتفريط فهو لا يقسو على نفسه قوة تجعله سلبيًّا في الحياة ولا يعط نفسه أكثر من حقها في المجتمع

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

﴿وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٧].

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

فالوسطية في الإسلام هي التي تجمع بين طرفي المعادلة بدون إفراط ولا تفريط وبذلك يكون الإسلام هو التشريع الإلهي الذي غطى كل متطلبات الملكات النفسية ولم يُشَرِّع لملكة واحدة على حساب ملكات أخرى.

❁ خاصية ربط القول بالعمل والنظرية بالتطبيق:

فمن خصائص وسمات الأخلاق وتعاليم الإسلام ربطها الاعتقاد بالعمل والقول بالفعل والنظرية بالتطبيق ولا قيمة لإيمان لا يتبعه عمل بمقتضاه.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣].

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾

[البقرة: ٤٤]

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

[فصلت: ٣٣]

قال النبي ﷺ «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[1].

٦- خاصية الواقعية:

وهي أن الأخلاق الإسلامية متمشية مع إمكانيات الإنسان البشرية ومسايرة بل مطابقة تمامًا لفطرته السليمة. ومن مظاهر الواقعية في الأخلاق الإسلامية هو احترام هذه الأخلاق لمطالب الروح والجسد معا وعدم تكليفها للإنسان بما يفوق قدرته وإمكانياته أو يتنافى مع فطرته ودوافعه الفطرية.

* * *

(١) البخاري: كتاب الإيمان/ باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

السؤال الثالث والثلاثون

الغاية تبرر الوسيلة. ما مدى صحة هذا القول؟

الجواب

إن الالتزام بمقتضى الأخلاق مطلوب في الوسائل والغايات، فلا يجوز الوصول إلى الغاية الشريفة بالوسيلة الخسيسة.

ولهذا لا مكان في مفاهيم الأخلاق الإسلامية للمبدأ الخبيث «الغاية تبرر الوسيلة» وهو مبدأ انحدر إلينا من ديار الكفر. يدل على ذلك، أي على ضرورة مشروعية الوسيلة ومراعاة معاني الأخلاق فيها قوله تعالى ﴿**وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [الأنفال:٧٢] فهذه الآية الكريمة توجب على المسلمين نصرة إخوانهم المظلومين قياما بحق الإخوة في الدين، ولكن إذا كانت نصرتهم تستلزم نقض العهد مع الكفار الظالمين لم تجز النصرة لأن وسيلتها الخيانة ونقض العهد، والإسلام يمقت الخيانة ويكره الخائنين.



السؤال الرابع والثلاثون

هل الأخلاق صفات لازمة تخلق في الإنسان وينطبع عليها فلا يمكن تغييرها ولا تبديلها ولا تعديلها

أم يمكن تقويم الأخلاق واكتساب الجديد منها والتخلي عن قبيحها؟

الجواب

الأخلاق من حيث الجملة يمكن تقويمها وتعديلها كما يمكن اكتساب الجيد منها والتخلي عن قبيحها وبالعكس، ودليلنا على ذلك أن الشرع أمر بالتخلق بالأخلاق الحسنة ونهى عن التخلق بالأخلاق الرديئة فلو لم يكن ذلك ممكنًا مقدورا للإنسان لما ورد به الشرع فالإسلام لا يأمر بالمستحيل.

✽ قابلية الناس لاكتساب الأخلاق:

قال الله تعالى ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]

﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق:٧]

حيث أن الله تعالى لم يكلفنا إلا بما في مقدورنا فمسئولية الإنسان تنحصر في نطاق ما يدخل في وسعه فلو لم يكن في مقدورنا اكتساب الأخلاق لما كلفنا الله بذلك

واكتساب الإنسان لأي خلق من الأخلاق الفاضلة يكون بالتربية «تربية النفس» على هذا الخلق هذه التربية مقرونة بالإرادة والتصميم.

فالأخلاق في مجموعها أمورا مكتسبة وأنها تتأثر بعوامل الزمان والمكان وظروف المجتمع وعاداته وتقاليده وتوقعاته ويمكن تغير الأخلاق عن طريق التربية والمران والرياضة النفسية والمجاهدة.

ومن الشواهد على تغير الأخلاق ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١]

والتغير في الأخلاق يحتاج إلى تدريب وهذا نراه في الحيوانات.

فكلب الصيد والصقور مثلاً ينتقل الواحد منها من الشره من أكل كل ما يجده وهذا ما فطر عليه إلى أن يمسك الصيد ويحفظه لصاحبه.

ولو لم يكن الأمر هكذا لما كان هناك معنى لإرسال الرسل مبشرين ومنذرين ولا معنى لإنزال هذا الوحي الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولما كان هناك جدوى مطلقًا من النصائح والمواعظ وكل سبل التأديب والتهذيب.

❁ ❁ ❁

السؤال الخامس والثلاثون

لم يدع الإسلام وسيلة تربوية نافعة لا شر فيها إلا استخدمها في مختلف المجالات التربوية، ومنها التربية الأخلاقية.

فما هي الوسائل التي استخدمها الإسلام أو وجه إليها في منهجه التربوي لاكتساب الأخلاق الإسلامية ولإلزام الأفراد والجماعات بالمنهج الأخلاقي الذي رسمه؟

الجواب

❁ الخطوات العملية لاكتساب مكارم الأخلاق:

سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة متوقفة على مدى تزكية نفسه بمجاهدتها على فعل الخيرات واجتناب المنكرات وتحليتها بالفضائل وتخليتها من الرذائل.

قال سبحانه ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٠]

والإنسان مطالب بأمور:

١- أن يجاهد نفسه على تعلم الهدى ودين الحق.

٢- أن يجاهد نفسه على العمل به بعد علمه.

٣- أن يجاهد النفس على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلم.

٤- أن يجاهد النفس على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله تعالى وأذى الخَلق وبتحمل ذلك كله لله.

❁ الخطوات العملية التي تعين المسلم على اكتساب مكارم الأخلاق:

١- الإيمان بالله واليوم الآخر:

فهذا الإيمان هو المحور الأساسي الذي تدور عليه جميع الأوامر والتوجيهات والإرشادات القرآنية والأحاديث.

فكان ميدان القرآن الأول هو عالم النفس والضمير، وتأسيس اليقين ووسيلته الأولى للوصول إلى هدفه هي تربية فردية عميقة هادئة للنفس البشرية وترويضها على مكارم الأخلاق.

أما الإيمان باليوم الآخر والاعتقاد بالحساب والجزاء فهي تقترن مع جميع الأوامر والنواهي القرآنية لتكون ضابطًا للسلوك البشري ودافعًا لفعل الخير ومرهبا من فعل الشر.

❁ ومن آثار الإيمان بالله و اليوم الآخر الإخلاص في العمل لله وحده دون سواه فمن استشعر قلبه مراقبة الله ومحاسبته لا شك أن ذلك خير دافع له على مداومة الطاعات والحذر من المعاصي والسيئات.

٢- أداء العبادات:

فالعبادة هي التي تجعل العقيدة حية في النفس وتنقلها من حيز الفكر المجرد إلى حيز القلب الذي يحس ويشعر.

٣- التدريب العملي والرياضة النفسية:

لأن الأخلاق تكتسب كما جاء ذلك في كتاب الله تعالى ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾ [الشمس: ٧-١٠]

فالإنسان بالتدريب والمران يستطيع أن يعود نفسه الآداب المزكية والمطهرة ويحملها على فعل الخيرات

❁ **الخطوات العملية لتأديب وتهذيب النفس:**

١- التوبة:

قال سبحانه ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [آل عمران:١٣٥]

٢- المراقبة:

قال سفيان الثوري (رحمه الله)

«عليك بالمراقبة ممن لا تخف عليه خافية وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء وعليك الحذر ممن يملك العقوبة».

٣- المحاسبة:

٤- المجاهدة:

قال سبحانه ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

٥- الانغماس في البيئات الصالحة:

«حديث الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا . . »[1].

«لا تصاحب إلا مؤمنًا . . »[2].

«إنما مثل الجليس الصالح »[3].

فاختيار الجليس الصالح من العوامل المساعدة للالتزام بالأخلاق الفاضلة والسلوك القويم ويؤيد ذلك قول النبي ﷺ **«الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»**[4].

٦- القدوة الحسنة:

وهي المثال الحي لمكارم الأخلاق.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١] ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]

والقدوة الحسنة عموما مهمة في العملية التربوية فهي تثير في نفس العامل دوام الإعجاب والتقدير والمحبة والرغبة في التأسي والتقليد.

❁ ❁ ❁

---

(١) مسلم: كتاب التوبة/ باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله.

(٢) أبوداود: كتاب الأدب/ باب من يؤمر أن يجالس.

(٣) مسلم: كتاب البر والصلة/ باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء.

(٤) أبو داود: كتاب الأدب/ باب من يؤمر أن يجالس.

السؤال السادس والثلاثون

ما هي الغاية من الالتزام بالمنهج الأخلاقي وما هي ثمرات هذا الالتزام مع بيان أثر الأخلاق في تزكية النفوس؟

الجواب

❁ الغاية من الالتزام بالأخلاق:

إن من أعظم أهداف الرسالة المحمدية بناء الفرد الصالح والمجتمع الفاضل وفق المنهج الرباني بالتحلية بالفضائل والتخلية من الرذائل لإيجاد الإنسان الخليفة والأمة الربانية المتآلفة المتآخية المتوادة التي يعمل فيها الفرد لمصلحة الجماعة والجماعة لمصلحة الفرد في توازن وتناسق وتكامل إلى إيجاد المجتمع الفاضل والأمة الفاضلة.

وقول النبي ﷺ **«إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»**[1]

وقوله ﷺ «إنما» تفيد الحصر -وكان رسالته ﷺ محصورة ومقصورة على التهذيب والتزكية ليكون الأسوة الحسنى والقدوة العظمى والتطبيق العملي للمنهج الرباني «القرآن».

والغاية القصوى للدين والأخلاق هو تحقيق سعادة الدارين والكمال النفسي للفرد وتحقيق السعادة والتقدم والقوة والمنعة للمجتمع.

فالدين الإسلامي أو الأخلاق الإسلامية لا تقتصر غايتها على تحقيق السعادة الأخروية المتمثلة في الفوز برضا الله ورحمته وغفرانه ومثوبته والفوز بالنعيم الأخروي الذي وعد الله به الأبرار والمتقين من عباده والذي أشارت إليه الكثير من آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ قال الله تعالى ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم

(١) البخاري: كتاب الأدب المفرد.

مّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٧] وقال النبي ﷺ «هناك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»[١].

بل تتعدى تلك الغاية هذه السعادة الأخروية المحضة إلى تحقيق السعادة الدنيوية المشروعة التي توصل إلى السعادة الأخروية- قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

۞ ثمرات الالتزام بالمنهاج الأخلاقي:

١- رضا الله ومحبته:

قال الله تعالى ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة:١١٩] فمحبة الله تعالى لا تنال إلا بالتخلق بمكارم الأخلاق والتخلق بأخلاق القرآن والاقتداء بصاحب الخلق العظيم ﷺ.

٢- الأجور العظيمة والحسنات الكثيرة:

قال تعالى ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠]

وقال ﷺ «ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق»[٢]

٣- الأمن من الفزع الأكبر:

قال تعالى ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [النمل:٨٩]

وقال تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم

---

(١) مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ باب في الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) الترمذي: كتاب البر والصلة/ باب ما جاء في حسن الخلق.

مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢]

٤- محبة الرسول ﷺ:

قال رسول الله ﷺ **«إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا»**[1]

٥- حسن الخاتمة:

قال الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت:٣٠-٣٢]

٦- تحرير النفس من عوامل الضعف والخوف والفقر والذل والعبودية لغير الله:

١- التحرر من ذل الخضوع وعبودية السيطرة:

وذلك بالقضاء على الوثنية في كل لون من ألوانها وفي كل مظهر من مظاهرها، لو استشعرنا أن الله وحده هو النافع الضار بيده الإحياء والإماتة.

وكثيرا ما يلفت القرآن النفوس إلى هذه الحقيقة ليغرس في النفوس معناها ويعمق جذورها.

﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٦-٨٧]

﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٨- ٨٩]

وقال النبي ﷺ **«احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك**

---

(١) الترمذي: كتاب البر والصلة/ باب ما جاء في معاني الأخلاق.

إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك جفت الأقلام وطويت الصحف»(١)

٢- التحرر من الخوف والقلق والاضطراب:

وفي المقابل التحلي بالصبر والشجاعة وذلك لا يكون إلا بتعميق الإيمان بالله.

قال الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً﴾ [آل عمران:١٤٥]

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء:٧٨]

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [هود:٦]

﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر:٢]

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ﴾ [الأنعام:١٧]

٣- التحرر من عبودية القيم الزائفة:

قال الله تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣] وقال ﷺ «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم . .»(٢)

٤- التحرر من الهوى والشهوة والمتاع الزائل

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ﴾ [هود:١٥]

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن:١٥]

٥- التحرر من العزلة والانطوائية وكتمان الحق والاستسلام للطغيان

---

(١) الترمذي: كتاب صفة القيامة.

(٢) مسلم: كتاب البر والصلة / باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره.

ويتحلى بالشجاعة الأدبية ويتخلق على الجرأة.

وذلك بتطبيع المؤمن على قوله الحق والنصح لله ورسوله والمؤمنين والقيام بمسئولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دون أن تأخذه في الله لومة لائم ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ﴾ [الأحزاب:٣٩]

٦- التحرر من الغضب والانفعال وثورة الغيظ والعاطفة

وتأديب النفس على الحلم وذلك بتعويد المؤمن نفسه على كتم الغيظ وضبط الغضب وتحكيم العقل وتوطين النفس على الصبر.

٧- التحرر من شوائب النفاق ودبيب الرياء وآفات الغرور والكبر والإعجاب بالنفس ولا يكون ذلك إلا عن طريق تعميق الإخلاص لله وذلك بمراقبة العمل أن يكون خالصًا لوجه الله تعالى من أجل مصالح ذاتية ومطامع شخصية وغايات دنيوية.

* * *

السؤال السابع والثلاثون

لا قيمة لأي مبادئ وقواعد خلقية إذا لم تتضمن إلزام الناس باتباعها والالتزام بتنفيذها والعمل بمقتضاها

وأخلاق الإنسان لا تكتمل إلا إذا أصبح هذا الإلزام نابعا من الداخل بحيث يجد الشخص نفسه مدفوعا لاتباع تلك القواعد الخلقية وللالتزام بالعمل بمقتضاها بدوافع ونوازع داخلية يحس معها بالتحرك نحو الهدف المطلوب في سهولة ويسر واندفاع.

فكيف السبيل إلى تربية هذا الوازع الديني داخل الإنسان؟

الجواب

الإنسان مطالب بتربية هذا الوازع الديني أو السلطة الداخلية التي تراقب من الداخل أعمال الإنسان الخارجية فتحكم لها أو عليها، وهذا الوازع الديني الداخلي هو مركز التوجيه في الإنسان.

هذا الوازع الديني من الأمور المكتسبة يكتسبها الإنسان عن طريق التربية الدينية والممارسة الفعلية المستمرة للقيم الخلقية المرغوبة وعن طريق العبادة والرياضة الروحية ومجاهدة النفس

مع الجزم أن في أعماقنا وازعًا يدفعنا إلى الخير ويزجرنا عن الشر لأن النفس الإنسانية تلقت في تكوينها الأول الإحساس بالخير والشر ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[الشمس:٧-٨]

وزود الله الإنسان بالبصيرة ﴿بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة:١٤] وهدى الإنسان إلى طريقي الخير والشر ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد:٨-١٠]

هذا الوازع الديني هو الذي يعبر عنه في الإسلام بالخوف من الله أو خشية

الرب بالغيب أو محاسبة النفس أو مراقبة الخالق ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق:٤]

وفُسر الحافظ بالرقيب.

ومما يقوي الضمير في نفس المسلم ويحييه أن يربط العبد قلبه بربه خوفًا وطمعًا ورغبة ورهبة، فالخوف من الله والوقوف بين يديه يدفع الهوى ويقهره- ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات:٤٠-٤١]

ونَهي النفس عن الهوى هو نقطة الارتكاز في دائرة الطاعات فالهوى هو الدافع القوي لكل طغيان والخوف من الله هو الحاجز الصلب أمام دفعات الهوى العنيفة

وهناك آيات دالة على الرقابة الحكيمة الواسعة

قال الله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٦-١٨]

وكقوله سبحانه ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس:٦١]

ولو تبصرنا لعرفنا أن أساس الضمير ودعامته هو الإيمان بإله عليم حفيظ على كل شيء مطلع على ما تُكنه الضمائر والسرائر ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر:١٩]

﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النحل:٢٥]

﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه:٧]

﴿إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٤]

ولقد قال بعض الحكماء: «إنَّ ضميرًا بلا اعتقاد في الله يكون كمحكمة ليس

بها قضاة»

وإنما يوجد الضمير الحق عند الإيمان بالله مالك الملك وإذا أيقن الإنسان باطلاع الله على حركاته وسكناته وعلمه بخفي أمره وجليه أدرك أن الله معه حيثما كان فاستحى من الله الرقيب عليه القريب منه فخشيه بالغيب.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد:٤]

﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم:٣٨]

﴿سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد:١٠] ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس:١١]

وأفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت فهذا كفيل أن يحمل هذا الإنسان إلى أعلى مراتب العبادة في الإسلام ألا وهي الإحسان التي عبر عنها الرسولﷺ بقوله «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك»[1]

✽ تربية الضمير الأخلاقي:

واعظ الله في قلب كل مسلم

✽ ومن أسس تقويته وتقويمه:

- التعرف على كمال فضائل الأخلاق.
- التعرف على ثمرات الخلق الطيب «الصدق منجاة».
- المواعظ والنصائح النبوية.
- وسائل الترغيب والترهيب.
- القدوة الحسنة.

---

(١) مسلم: كتاب الإيمان / باب الإيمان والإسلام.

٢- النظام الاجتماعي

(٣٨-٤١)

٢- النظام الاجتماعي

السؤال الثامن والثلاثون

العقيدة الإسلامية هي أساس نظام المجتمع في الإسلام.

علل ذلك مع بيان النتائج المترتبة على اتخاذ العقيدة الإسلامية أساسًا لنظام المجتمع؟

الجواب

إن أساس نظام المجتمع في الإسلام هو العقيدة الإسلامية لأن المطلوب من كل إنسان أن يحمل هذه العقيدة ليعرف مركزه في الحياة وعلاقته بالكون والغرض الذي من أجله خلق.

وهذه العقيدة هي الموجهة لأفكار الإنسان وسلوكه وسائر تصرفاته. وحيث إن الإنسان اجتماعي بالطبع فمن البديهي أن تكون العقيدة الإسلامية هي الموجهة له في بناء هذا المجتمع والنظام الذي يختاره له.

❁ المجتمع الإسلامي:

هو المجتمع الذي يطبق فيه الإسلام عقيدة وعبادة وخلقًا وسلوكًا وشريعة ونظامًا. وهو المجتمع الذي يوحد فيه الله ويفرد بالعبادة وتكون الحاكمية فيه لله وحده ويعلى فيه شأن الدين والأخلاق والعلم وكرامة الإنسان والفرد والأسرة التي من شأنها أن ينشأ المجتمع كوحدة متماسكة متضامنة وتحقق التكامل والتعاون بين أفراده.

وهو مجتمع يقوم على الإيمان بالله وحده واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين والإيمان بالقدر خيره وشره والبعث والحساب والجزاء.

إيمانًا تفرد فيه العبودية لله وحده مما يملأ النفوس أمنًا وسلامًا ويربي في أفراد المجتمع روح العزة والكرامة ويدفعهم إلى العمل والإنتاج ويحررهم من كل خوف إلا من الله ويجعلهم عناصر فعالة في مجتمعهم.

عقيدة تجعل العبادة والسيادة لله وحده وليس لغير الله سيادة على خلق الله تعالى ﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون:٧]

إن أساس بناء المجتمع الإسلامي هي عقيدة الإيمان بوجود الله وبتوحيده وعقيدة الرسالة وعقيدة البعث بعد الموت.

والمجتمع الإسلامي الذي يقيم بناءه على الإيمان بالله وما يتبع هذا الإيمان يجعل جميع الممارسات والتصرفات التي تتم فيه محكومة بالإيمان الذي يكون له آثاره الإيجابية بالنسبة للأفراد والجماعات الذين يتكون هو منهم وبالنسبة له هو نفسه.

فمن شأن الفرد المؤمن بربه حقًّا أن يكون أكثر شعورًا بالأمن والاطمئنان النفسيين وأكثر ثقة بالنفس وبالناس وأكثر شعورًا بالعزة والكرامة وأكثر شجاعة وجرأة وإقدامًا وثباتًا في مواقف الحق وأكثر جودًا وسخاء وبذلاً في سبيل الحق وأقل تعرضًا لمشاعر فقدان الأمن الداخلي والخوف واليأس والتشتت والاضطراب النفسي والشك الهدام وفقدان الثقة بالنفس وبالناس ولمشاعر المذلة والهوان.

والنصوص التي تؤيد هذا المعنى ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ [غافر:٥١]

﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة:٢٤٩]

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧]

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور:٥٥]

وقال النبي ﷺ «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[(١)]

ولقد أدرك عمر بن الخطاب رضي الله عنه أهمية الإيمان في إعزاز العرب حين قال «لقد كنا أذلة في الجاهلية فأعزنا الله بالإيمان به فمهما طلبنا العزة من غيره أذلنا الله»

❁ نتائج اتخاذ العقيدة الإسلامية أساسا لنظام المجتمع:

١- الرباط الإيماني.

٢- زوال العصبية.

٣- تقوى الله هي ميزان التفاضل بين الناس.

١- الرباط الإيماني:

فالإسلام يعتبر المؤمنين بالعقيدة الإسلامية أخوة في الدين قال تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ وقال النبي ﷺ «المسلم أخو المسلم» «وكونوا عباد الله إخوانا»[(٢)]

والإخوة الإيمانية أعظم الروابط بين المسلمين وعلى أساسها تكون الموالاة والرابطة الإيمانية لا تقتضي اضطهاد غير المسلمين أو إيذائهم.

فإذا فاتت غير المسلم رابطة الإيمان وأخوة الدين فلن تفوته حماية المسلمين وعدل الإسلام ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة:٨] وقال سبحانه ﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨]

❁ العلاقة بعامة المسلمين:

ولقد قال ﷺ: «حق المسلم على المسلم خمس..» [(٣)] إلى جانب ذلك هناك حقوق أخرى منها

---

(١) البخاري: كتاب الإيمان/ باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

(٢) مسلم: كتاب البر والصلة / باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره.

(٣) البخاري: كتاب الجنائز/ باب الأمر باتباع الجنائز.

١- أن يحب المرء لهم ما يحبه لنفسه «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[١]

٢- ألا يسبهم ولا يقاتلهم «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»[٢]

٣- ألا يهجرهم فوق ثلاث «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث**»[٣].

٤- إصلاح ذات البين قالﷺ «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا بلى قال ﷺ إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين**»[٤]

٥- تنفيس كرباتهم والستر عليهم ومعاونتهم «**من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة . . .**»[٥]

٦- السعي في قضاء مصالحهم «**من مشى في حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيرا من اعتكاف عشر سنين ومن اعتكف يوما في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق أبعد مما بين الخافقين**» [مجمع الزوائد١٩٢:٨]

٧- اجتناب كل ما يسبب الخلاف والفرقة والعداوة والبغضاء كالسخرية واللمز قال الله تعالى ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [الحجرات: ١١]

---

(١) البخاري: كتاب الإيمان: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

(٢) البخاري: كتاب الأدب/ ما ينهى نه من السباب والكفر.
مسلم: كتاب الإيمان.

(٣) البخاري: كتاب الأدب/ باب الهجرة وقول النبيﷺ

(٤) أبو داود: كتاب الأدب/ إصلاح ذات البين.
الترمذي: كتاب صفة القيامة.

(٥) مسلم: كتاب الدعوات: كتاب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ **«لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانًا.**

المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم.

كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»(١)

۞ العلاقة بغير المسلمين:

الإسلام لا يتجاهل من يعيش في مجتمعه بل يقيم العلاقات بينه وبينهم على دعائم ثابتة وأسس وطيدة من العدل والتسامح.

وأساس العلاقة التي يقيمها الإسلام بينه وبين غير المسلمين وهي قول الله تعالى **﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذينَ لَمْ يُقَاتلُوكُمْ فِي الدينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾** [الممتحنة:٨-٩]

ولقد كفل الإسلام لأهل الذمة جميع حقوقهم وضمن لهم الأمان والطمأنينة في كل المجتمع الإسلامي وأهم حقوق أهل الذمة في المجتمع المسلم:

١- حفظ النفس فيجب حمايتهم والمحافظة عليهم والدفاع عنهم ما داموا في ديار الإسلام والمسلمين، قال النبي ﷺ **«من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا»**(٢).

٢- حماية أموالهم وأعراضهم فلا يجوز لمسلم أن يسلب مال الذمي أو يهتك عرضه أو يخدش كرامته فهذا يتعارض مع مبادئ الإسلام ما داموا يعيشون في كنف

---

(١) مسلم: كتاب البر والصلة/ باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره.

(٢) البخاري: كتاب الجزية/ إثم من قتل ذميا بغير جرم.

الدولة الإسلامية

٣- الحرية الدينية والشخصية ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[البقرة:٢٥٦] وأما كفالة الحرية الشخصية كالزواج والطلاق والتملك والسفر والإقامة.

❁ أما الواجبات التي تكون على أهل الذمة في المجتمع المسلم فتتمثل فيما يلي:

١- الالتزام بالتكاليف المالية المنصوص عليها «الجزية».

٢- الالتزام بأحكام الإسلام في الأمور العامة أي المدنية «غير الدينية والشخصية».

٣- الاحترام الكامل لشعائر الإسلام ومشاعر المسلمين.

٢- زوال العصبية:

والمقصود بالعصبية التناصر بالحق وبالباطل لاشتراك المتناصرين بالنسب أو القبيلة أو العشيرة.

فكان أفراد القبيلة الواحدة ينصر بعضهم البعض في الحق وفي الباطل.

حتى نهى النبيﷺ عن هذه العصبية الجاهلية وقالﷺ **«ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من مات على عصبية»** .

وقالﷺ **«من قتل تحت راية عمِّية يدعو عصبية أو ينصر عصبية فقتله جاهلية» «دعوها فإنَّها منتنة»**[1]

فخلو المجتمع الإسلامي من العصبية بأنواعها يقلل فرص الاعتداء والظلم والبغي ويساعد على شد الأفراد إلى معاني الحق والعدل وفي هذا كله خير مؤكد للمجتمع ولأفراده.

---

(١) مسلم: كتاب الإمارة / باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن.

٣- تقوى الله هي ميزان التفاضل بين الناس:

فالتفضيل بين الناس لا يكون أساسه على النسب أو القبيلة أو العشيرة ولكن على قدر ما تحمله نفسه من فضائل وأخلاق كريمة وبقدر ما يقدمه من صالح الأعمال وهذا كله يحققه تقوى الله عز وجل فأساس التفاضل هو تقوى الله عز وجل.

قال سبحانه ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣] وكانت هذه الإشارة النبوية من النبي محمدﷺ **«من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه»**[١]

❁ ❁ ❁

(١) مسلم: كتاب الذكر والدعاء/ باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

السؤال التاسع والثلاثون

تكلم عن معالم النظام الاجتماعي في الإسلام؟

الجواب

للمجتمع الإسلامي هويته المتميزة وله خصائصه ومميزاته التي تميزه عن بقية المجتمعات الإنسانية وتجعله بحق المجتمع المثالي الذي ينبغي للإنسانية قاطبة أن تسعى لتحقيقه لتجد فيه سعادتها ورخاءها وتلبية كافة مطالبها وحاجاتها الروحية والمادية.

وهذه الصورة للمجتمع ليست بالصورة الخيالية المبالغ في مثاليتها بحيث لا يمكن تطبيقها في عالم الوقع. بل هي صورة تجمع بين المثالية والواقعية وتجمع بين مطالب الدنيا ومطالب الآخرة بين مطالب الجسم ومطالب العقل والروح بين مطالب الفرد ومطالب الجماعة.

صورة تم تطبيقها فعلاً عند ازدهار الدعوة الإسلامية وازدهار دولة الإسلام فحققت نتائجها الإيجابية الباهرة نموا ورخاء وقوة وعزة وكرامة ورفعة وغلبة وعدالة وسعادة للمجتمع.

المجتمع الإسلامي - كما ذكرنا - هو المجتمع الذي يطبق فيه الإسلام عقيدة وعبادة وخلقًا وسلوكًا وشريعة ونظامًا وهو المجتمع الذي يوحد فيه الله ويفرد بالعبادة، وتكون الحاكمية فيه لله وحده ويعلى فيه شأن الدين والأخلاق والعلم وكرامة الإنسان والفرد والأسرة - التي من شأنها أن ينشأ المجتمع كوحدة متماسكة متضامنة وتحقق التكامل والتعاون بين أفراده.

❁ خصائص المجتمع الإسلامي:

١- الخصيصة الأولى:

مجتمع يقوم على الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين والإيمان

بالقدر خيره وشره والبعث والحساب والجزاء.

إيمانا تفرد فيه العبودية لله وحده مما يملأ النفوس أمنًا وسلامًا ويربي في أفراد المجتمع روح العزة والكرامة ويدفعهم إلى العمل والإنتاج ويحررهم من كل خوف إلا من الله ويجعلهم عناصر فعالة في مجتمعهم.

فهذا التوحيد صحح الوضع الديني والاجتماعي وجعل العبادة والسيادة لله الخالق وحده وليس لغير الله سيادة على خلق الله تعالى ﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون:٧]

ولقد جاء القرآن يؤكد أن المسلمين تتكافأ حقوقهم والتزاماتهم وتكاليفهم ودماؤهم وجعل منهم وحدة كاملة متناسقة متجانسة تربطهم رابطة واحدة هي رابطة العبودية لرب العالمين.

٢- الخصيصة الثانية:

يرد إلى الدين وإلى تعاليمه كل شأن من شئون حياته استجابة للقرآن الكريم الذي يطلب من المؤمنين أن يردوا كل ما تنازعوا فيه أو اختلفوا فيه إلى الله ورسوله ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء:٥٩]

٣- الخصيصة الثالثة:

كافة جوانب نشاط الإنسان وأفعاله خاضعة لما أقره الإسلام من مبادئ وقواعد خلقية إنسانية واضحة، وهذه القواعد الأخلاقية عامة شاملة واسعة للتطبيق في الحياة ويربط الأخلاق بالدين ويعتبرها الجانب العملي التطبيقي للدين.

بمعنى أن الأساس الأول لبناء المجتمع الإسلامي هو الأخلاق الفاضلة.

ولذا قال النبي ﷺ «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»[1]

٤- الخصيصة الرابعة:

اعتماد العلم

ويعتبر العلم الصحيح النافع خير سبيل لتثبيت العقيدة وتدعيم الإيمان بالله وبالدين وخير سبيل لتحقيق التقدم والرخاء والقوة الاقتصادية والعسكرية وزيادة الإنتاج المادي الذي يعتبر من مقومات الخلافة في الأرض عن الله تعالى.

ولتمكين الإنسان من تحسين أحوال معيشته ومن الانتفاع بما أودع في هذا الكون من أسرار وقوانين وقوى.

٥- الخصيصة الخامسة:

تكريم الإنسان والمحافظة على كرامته من غير نظر إلى لونه أو جنسه أو دينه مبينا حقه في الحياة وفي الكفاية والعيش الكريم وفي حرية الاعتقاد والتفكير والتعبير والدعوة إلى الله والنقد والتقويم وفي العدالة والمساواة ودفع المظالم والأمن والاستقلال وبناء الأسرة ورعاية الأبناء ويعتبر العبودية الخالصة لله المنبع الأصيل للحريات وحقوق الإنسان ولقد جاء الإسلام ليحرر المؤمن من كل سلطان لأحد أو لشيء إلا الله.

٦- الخصيصة السادسة:

يعطي أهمية كبيرة للأسرة وللحياة الأسرية ويعمل بكل الوسائل على تدعيمها وتقويتها وتماسكها ويقيم العلاقات الأسرية على أسس قويمة من الحق والعدل والمودة والرحمة ويكرم المرأة زوجة وأُمًّا وشريكة الرجل في مسئولية بناء الأسرة ويحفظ لها حقوقها وكرامتها

ولنعلم أن اهتمام المجتمع الإسلامي بالأسرة والمرأة وإباحة تعدد الزوجات

---

(١) البخاري: كتاب الأدب المفرد.

والطلاق وفرض الحجاب على المرأة وجعل القوامة في الحياة الأسرية للرجل فهي في الحقيقة وسائل تدعيم للحياة الأسرية.

٧- الخصيصة السابعة:

مجتمع إنساني متراحم متقارب متعاون متكامل متآزر فيما بين أفراده يقيم بناءه والعلاقات السائدة فيه على أساس إنساني وعلى أساس من المودة والرحمة يرفع من شأن صلة الرحم بين أفراده وجماعاته ويحث على الإحسان إلى الجار وعلى التعاون على البر والتقوى يتناصح أفراده ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر إلى غير ذلك من مظاهر التماسك والتضامن والتكامل في المجتمع الإسلامي.

❁ خصائص النظام الاجتماعي في الإسلام:

١- مراعاة الأخلاق:

حيث أن النظام الاجتماعي الإسلامي يحرص على طهارة المجتمع ونظافته من القبائح والرذائل ورعاية الأخلاق الفاضلة.

فلقد دعا الإسلام الناس أن يكونوا أمة واحدة تجمعها وحدة الاعتقاد والتفكير والعمل الصالح فأقام الإسلام العلاقات بين أفراد المجتمع المسلم على روابط متينة ومبادئ خالدة وأخلاقيات سامية تجعل من هذا المجتمع وحدة قوية متماسكة.

فكان من لب مقاصد الشريعة الإسلامية ومن الأهداف الرئيسية التي يرمي إلى تحقيقها الدين الإسلامي الحنيف تحقيق التكافل بين الناس وتضامنهم وترابطهم وتآخيهم وتراحمهم وتوادهم وتعاونهم وتحقيق العدالة والتوازن بين أفراد هذا المجتمع وتحقيق مصالحهم العامة ووحدتهم وتماسكهم وهذا من شأنه أن يحقق المجتمع الإسلامي القوي المتضامن المترابط المتآخي المتواصل المتراحم المتعاون المتوازن المتماسك الساعي دائما إلى التقدم والرقي الحقيقيين اللذين فيهما خيرا الدنيا والآخرة.

وتحقيق هذه المعاني والغايات يجب أن يكون بالإيمان بالله والتمسك بشريعة الله وتطبيقها في كافة جوانب الحياة وبآداب الدين وأخلاقياته التي هي كلها خير للناس وبالعمل الصالح القائم على أساس من الإيمان القوى والنية الطيبة والعلم النافع.

۞ فما هي تلك الأسس التي تنطوي عليها هذه الخصيصة؟

بمعنى ما هي الأسس الخلقية والاجتماعية التي تطلب من المسلم أن يتسم بها في خاصته ليكون جزءًا صالحًا من تركيب مجموع الأمة وما هي أسس تعامل أفراد المسلمين بعضهم بعضا ومعاملتهم من لا غنى لهم عن مخالطتهم من أهل الأديان الأخرى من الأمم الممتزجة بهم أو المجاورة أو المعاصرة.

۞ فالمبادئ العامة التي تنطوي عليها هذه الخصيصة تتمثل في:

١- مبدأ المصلحة العامة.

٢- مبدأ التآخي والتآلف والتواد والتراحم والتناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣- مبدأ التكامل والتضامن والتعاون.

٤- مبدأ التوازن.

٥- مبدأ العدالة.

٦- مبدأ المساواة.

١- مبدأ المصلحة العامة:

فالشريعة جاءت لتحقيق خير الناس وسعادتهم وتحقيق مصالحهم الحقيقية العامة بمعنى أن الشريعة الإسلامية جاءت لسعادة المجتمع ككل ولتحقيق المصالح العامة لأفراد المجتمع.

ومراعاة الشريعة الإسلامية لمبدأ المصالح العامة أو المرسلة لا يتجلى فقط فيما تتضمنه الشريعة من أسس للأحكام والمعاملات والنظم الاجتماعية والاقتصادية

والسياسية بل يتجلى أيضًا فيما أتت به الشريعة من العقائد الإيمانية وما وجهت إليه من عبادات وشعائر دينية فهذه العقائد والعبادات وإن كانت رابطة بين العبد وربه لكنها إلى جانب تحقيق الإيمان بالله تعالى وتأكيد العبودية له ترمي إلى إصلاح النفوس وتهذيب الغرائز والنزعات وتربية السلوك وتوثيق الروابط والعلاقات الاجتماعية بين الناس وإقامة هذه الروابط والعلاقات على أساس الإيمان بالله وإسلام الوجه له تعالى وعلى أساس من الأخلاق الكريمة.

٢- مبدأ التآخي والتآلف والتواد والتراحم والتعاون والتناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

فتعاليم الإسلام تهدف إلى تكوين المجتمع الفاضل الذي تسوده روح الأخوة والألفة والمودة والرحمة والتعاون والإيثار والتناصح والتواصي بالخير والتناهي عن المنكر قال تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]

وقال سبحانه ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٣]

وقال سبحانه ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:٦٢-٦٣]

والأمة التي تنشأ على التطبع بالرأي الصحيح والتخلق بأخلاق الأخوة والمواساة وحب الحرية وتوقير العدل فهي أمة كالجسد الواحد.

قال النبي ﷺ **«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»**[1]

---

(١) مسلم: كتاب البر والصلة/ باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.

وهذه الخصال لا تأتي إلا باستئصال جرثومة الضغائن التي تعرض للنفوس من جراء المخالطة والتزاحم فالإسلام يستأصلها بحثه للمسلمين على الاتحاد ونبذ الاختلاف قال سبحانه ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:١٠٣] وقال سبحانه في معرض ذم الاختلاف ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس:١٩] وقال سبحانه ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة:٢١٣] .

وقال سبحانه مبينًا القواعد القادحة في هذه الأخوة ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:١١-١٢].

وقال سبحانه ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾ [المائدة:٥٤] وقال سبحانه ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر:٩]

وكذلك وردت على لسان النبي ﷺ جملة من الأحاديث التي يحث فيها على التخلق بهذا الخلق الذي له الأثر البالغ في تماسك الأمة ووحدتها «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»[1]

«والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»[2]

---

(١) مسلم: كتاب البر والصلة/ باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.

(٢) مسلم: كتاب الذكر والدعاء/ باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

«من أراد أن يبارك له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه»[١]

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت»[٢]

وكذلك نهى النبي ﷺ عن كل خلق قادح في هذه الأخوة **«لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»**[٣]

فهذه بعض نصوص الشريعة التي كان المجتمع الإسلامي يستمد منها قيمه الاجتماعية وأسس حياته ومعالم طريقه نحو تحقيق التآخي والتآلف والتوادد والتراحم و التعاون والتناصح بالخير بين أفراده وجماعاته والتي استطاع بتطبيقها أن يحقق هذه المعاني فعلا في عالم الواقع وهو قادر على تحقيقها من جديد إذا ما رجع إلى دينه من جديد فاسترشد بتعاليمه ومبادئه وقيمه السامية واستوحى منه منهاجه في الحياة.

ولقد أقام الإسلام للمسلمين قواعد آداب المعاشرة: -

من إفشاء السلام- العون على المصاعب- إجابة دعوة الداعي- عيادة المريض- شهود الجنازة- تعزية المصاب[٤] .

وأمرهم بالاتحاد والوفاق: -

---

(١) مسلم: كتاب البر والصلة/ باب صلة الرحم وتحريم قطعيتها.

(٢) مسلم: كتاب الإيمان/ باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت.

(٣) مسلم: كتاب البر والصلة/ باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره.

(٤) مسلم: كتاب السلام/ باب من حق المسلم للمسلم رد السلام.

«اقرأوا القرآن ما ائتلفت قلوبكم فإذا اختلفت فقوموا عنه»[(١)]

وقال تعالى في وصيته ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣]

فبين بذلك مساوئ الأمم السابقة وحذر من اتباعها وأرشد إلى الأخلاق الفاضلة التي ينبغي أن يتحلى بها المسلم

٣- مبدأ التكافل والتضامن والتعاون:-

فالنظام الاجتماعي في الإسلام كما يقوم على مبادئ المصلحة العامة والعدالة والمساواة والتوازن فإنه يقوم أيضا على مبدأ التكافل والتضامن والتعاون

ففي المجتمع المسلم الفرد فيه مسئول عن غيره في الجماعة كما أن الجماعة مسئولة عن الفرد المسلم.

لذا شرعت المؤاساة وهذا الأصل يندرج تحت أصول الأخوة الإيمانية لأن تلك الأخوة الإيمانية جعلت المسلمين بمنزلة إخوة النسب وذلك بحكم قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]

والأخوة من النسب تقتضي مؤاساة الأخ أخاه عند الحاجة.

ومن الفطرة الإنسانية انفعال النفس برقة ورحمة عند مشاهدة الضعف والحاجة واستشعار ألم المحتاج ثم اندفاع بذلك الانفعال إلى السعي في تخليصه من آلام تلك الحاجة.

فالمؤاساة أصل من أصول نظام الإسلام وكانت من أول ما دعا إليه الإسلام ونزل به القرآن في أوائل نزوله قال تعالى ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾

---

(١) البخاري: كتاب الاعتصام/ باب كراهية الاختلاف.

مسلم: كتاب العلم/ باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه والنهي عن الاختلاف في القرآن.

أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد ١٢-١٦]

وقال سبحانه ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾ [المدثر:٤٢-٤٤]

والمواساة تظهر في أنواع كثيرة منها: (الزكاة - الصدقة - الإنفاق - الهبة - الإسلاف - العارية - الإرفاق - العتق بأنواعه - المنحة).

ولقد مدح الله الأنصار عندما واسوا إخوانهم المهاجرين ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٨-٩]

ولتحقيق قصد الشريعة من جعل المؤاساة خلقًا للمسلمين جاءت الأوامر والنواهي بتجريد أنواع المؤاساة عن كل ما فيه حظ عاجل لنفس المؤاسي وجعل مخفي الصدقة عظيما **«سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله -فذكر منها- ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه . . .»**[1]

وكذلك خلق المن والأذى الذي يتبعه البعض للمعروف مما يبطله ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى﴾ [البقرة:٢٦٤] وجعل المنفق لا يرى نفقته ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُورًا﴾ [الإنسان:٩]

وكذلك حرم الربا لأنه طلب أجر على الإسلاف وهو من المعروف، وبين ثواب من تصدق ثم لم يتبع هذه الصدقة بمن ولا أذى :

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلاَ أَذًى لَّهُمْ

---

(١) البخاري: كتاب الحدود باب فضل من ترك الفواحش.

﴿أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٢٦٢]

وأمر بإحسان القول إلى المبذول له ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾ [البقرة:٢٦٣]

وقال سبحانه ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾ [النساء:٨]

٤- مبدأ التوازن الاجتماعي:

وهذا المبدأ يتضمن محاربة الفروق الاقتصادية الفاحشة ومحاربة الطبقية الاجتماعية والاقتصادية لذا حرم الإسلام الظلم والطغيان في مختلف أشكالها وألوانها والاغتصاب وقطع الطريق والسرقة والاختلاس والربا والقمار والرشوة والغش والاحتكار وغير ذلك من الوسائل والسبل غير المشروعة المؤدية إلى الكسب غير المشروع. فروح الإسلام أقرب إلى التوازن الاجتماعي المناسب.

لذا قال الله تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء:٢٩]

وقال سبحانه ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٢٧٨]

وقال النبي ﷺ «**من غشنا فليس منا والمكر والخداع في النار**»[١]

وفي المقابل فقد حث الإسلام على الإنفاق الموجه لصالح المجتمع وطلب مرضاة الله وسد حاجات الفقراء.

٥- مبدأ العدالة والمروءة:

وهذا المبدأ من أهم سمات هذا الدين والعدالة ملكة تمنع من قامت به من اقتراف الكبائر، وكمال العدالة بالمروءة.

---

(١) مسلم: كتاب الإيمان / باب من غشنا فليس منا.

والمروءة أن لا تفعل في سرك ما تستحي أن تفعله جهرًا.

ولذا فسرت بأنها تجنب فعل ما في فعله خسة تنقص من فاعلها وتذمه عند الناس.

ولذلك وردت النصوص الحاثة على إقامة العدل والأمر به والتنفير من الظلم والنهي عنه:

قال الله تعالى ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات:٩]

﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء:٥٨]

وقال النبي ﷺ «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإنه أهلك من قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»[١]

والعدل الذي ينادي به الإسلام عدل مطلق بين الناس جميعًا حتى الأعداء والخصوم فلا تعتبر العداوة والخصومة التي تقدم بين الناس مبررًا لقيام الظلم أو ترك العدل – لذا قال الله تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[المائدة:٨]

وقال سبحانه ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[الأنعام:١٥٢]

والعدل الذي ينادي به الإسلام هو عدل شامل لجميع جوانب الحياة ولجميع تصرفات الإنسان فهو عدل في الحكم، عدل في القضاء، عدل في توزيع الحقوق والواجبات، عدل في إقامة الحدود والقصاص، عدل في معاملة الزوجات إن كن أكثر من واحدة: عدل في القول والشهادة: عدل في التسوية بين طوائف المسلمين إن تخاصمت: عدل في علاقة المسلمين بغيرهم، ....

---

(١) مسلم: كتاب البر والصلة/ باب تحريم الظلم.

❁ وكان من صور العدل:

❁ الإنصاف من النفس:

والإنصاف هو إعطاء حق الغير طوعًا قال تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا﴾ [النساء: ١٣٥] وقالﷺ «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[١]

وقال عمار بن ياسر ﷺ ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان منها الإنصاف من نفسك[٢].

٦- مبدأ المساواة:

الناس كلهم يتساوون في الحقوق والواجبات - فيطبق عليهم الأحكام على سواء لا فرق بين غني وفقير ولا شريف ولا وضيع ولا لون ولون ولا جنس وجنس ولا جاهل ومتعلم ولا قوي وضعيف بل الجميع أمام القانون سواء لا تفاضل بينهم إلا بالتقوى والعمل الصالح. ومن النصوص المؤكدة لمبدأ المساواة بين الناس ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ:٣٧]

---

(١) البخاري: كتاب الإيمان / باب لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

(٢) البخاري: كتاب الإيمان / باب إفشاء السلام من الإسلام.

وقال ﷺ «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسادكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»[(١)]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سئل رسول الله ﷺ أي الناس أكرم؟ قال «**أكرمهم عند الله تعالى أتقاهم**»[(٢)].

ولكن تأكيد الإسلام لمبدأ المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات وفي تطبيق القانون عليهم استنادًا إلى أن خالقهم واحد ووحدة أصلهم لا ينافي اعتراف الإسلام بالفروق الطبيعية بين الناس وبما يترتب عليها من تفاوت في الدرجات في هذه الدنيا.

فالناس يتفاوتون في المواهب والقدرات والإمكانيات البدنية والعقلية والنفسية- ولكن هذ التفاوت لا يكون عامل تفاضل حقيقي بين الناس خاصة أمام الله وفي الدار الآخرة.

❁ من استعراض هذه المبادئ التي تنضم تحت هذه الخصيصة «مراعاة الأخلاق» نقول لا يكاد ينتظم أمر الاجتماع كمال انتظامه ولا ترى الأمة عقدها مأمونا من انفصامه ما لم تكن مكارم الأخلاق غالبة على جمهورها وسائدة في معظم تصاريفها وأمورها.

لأن ملاك مكارم الأخلاق هو تزكية النفس الإنسانية - فإذا زكت النفوس ساد الأمن وانصرفت العقول إلى الأعمال النافعة وتسهل الألفة بين أفراد المجتمع.

ولذلك لا جرم أن نجد أن الإسلام يأمر أبناءه بحسن الخلق في مجادلتهم مع أهل الكتاب.

﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ**

---

(١) مسلم: كتاب البر والصلة/ باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره.

(٢) البخاري: كتاب الأنبياء / باب قول الله تعالى (واتخذ الله إبراهيم خليلا).

أَحْسَنُ﴾[النحل:١٢٥]

﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت:٤٦]

ولذلك،

كان تهذيب الأخلاق من أصول نظام الاجتماع في الإسلام لأنه به تهيئة أفراد الأمة لأن تكون منهم جامعة صالحة.

والقرآن جامع لمكارم الأخلاق والرسولﷺ هو مظهر تلك المكارم والقرآن ورد آمرًا الأمة تفصيلاً أن تعمل به وآمرا لها إجمالا أن تقتدي برسولهاﷺ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١] وجماع مكارم الأخلاق يعود إلى التقوى ولذلك قال الله تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣] ولقد قال الله تعالى عن رسولهﷺ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]

وقالت عائشة ﵂ لما سئلت عن خلق النبيﷺ قالت كان خلقه القرآن[1] .

فما من آية من آيات القرآن الواردة في خلق حسن وعمل صالح، وتأملت لسيرة النبيﷺ إلا وجدتها مطابقة لما تضمنه القرآن.

٢- العناية بالأسرة:-

فالأسرة هي أساس كيان المجتمع لأن مجموعها يتكون المجتمع وبناء على ذلك فإن صلحت الأسرة صلح المجتمع وإذا فسدت فسد المجتمع لذا كانت العناية الكبيرة في النظام الاجتماعي الإسلامي بالأسرة.

فالأسرة هي الوحدة الأولى في المجتمع والخلية الأولى على مستوى المؤسسات وهي أول مجتمع يتصل به الطفل بعد ولادته ويتفاعل معه ويكتسب عن طريق تفاعله معه أساسيات لغته وقيمه ومعايير سلوكه وعاداته واتجاهاته النفسية

---

(١) مسلم: كتاب صلاة المسافرين / باب صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض.

والاجتماعية وكثيرا من مقومات شخصيته.

فالأسرة مجال التعاون بين الرجل والمرأة ومجال التنشئة الأولى للطفل.

ولهذه الأهمية التي تمثلها الأسرة فإن من الواجب إقامتها على أساس من الحق والعدل والمودة والرحمة والتعاون والاحترام المتبادل والعمل المستمر على تقويتها وتحقيق تماسكها وتوثيق الروابط السائدة فيها وإحاطتها بكل عناية وحماية وتقدير وبكل ما يضمن لها الأمن والاستقرار والصلاح.

إن النظام الأسري الذي أقره الإسلام هو نظام «الأسرة الزوجية» التي تتألف الأسرة بمقتضاه «من الزوجين والأولاد» ومحور القرابة في الأسرة الإسلامية الأب والأم معا.

والأسرة بمفهومها الواسع في الإسلام لا تشمل فقط الزوجين والأولاد الذين هم ثمرة الزواج وفروعهم بل يشمل الأصول من الآباء والأمهات فيدخل في هذا الأجداد والجدات وكذلك فروع الأبوين من الأخوات وأولادهم وتشمل أيضا فروع الأجداد والجدات فتشمل الأعمام والعمات وفروعهما والأخوال والخالات وفروعهما.

❁ فما منهج الإسلام في تكوين الأسرة؟

الزواج هو السبيل الطبيعي لتكوين الأسرة ولبقاء الجنس البشري ولذا كان الحث على الزواج في كتاب الله تعالى وسنة النبي ﷺ.

واللبنة الأولى في بناء الحياة الأسرية وأساس العلاقة المشروعة بين الرجل والمرأة هو عقد الزواج وكل علاقة بين رجل وامرأة لا تستند إلى زواج أو ملك يمين هي علاقة ممنوعة في الإسلام تستوجب الذم والعقوبة، قال الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون:٥-٦]

ولهذا حث الشارع على الزواج ورغب فيه ﷺ «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» وفي رواية «من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج»(١)

وقال النبي ﷺ : «ولكني أصوم وأفطر وأقوم وأنام وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»(٢)

❁ الزواج وحكمة الزواج:

فالزواج في الإسلام ليس مجرد وسيلة لإشباع الغرائز الحيوانية ولكنه سكن ومودة ورحمة وهو السبيل لتكاثر الجنس البشري فكان من حكم الزواج :-

١- سكن للنفوس:

قال تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم:٢١]

٢- الزواج سبيل تكاثر الجنس البشري:

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء:١]

٣- العزوف عن الزواج يهدم ويهلك هذا الجنس البشري:

ولحرص الإسلام على عدم هدم بناء الأسرة وجعل هذا الكيان متماسك قوي فلقد حث الإسلام على اختيار الزوج الأمثل الذي ترجى معه عشرة صالحة دائمة وكذلك اختيار المرأة الصالحة التي تعين الرجل على الدنيا والآخرة.

وحث على إقامة العلاقة على أساس من المعاملة الحسنة والأخلاق الكريمة والمعاني الإنسانية النبيلة لذا قال النبي ﷺ «تنكح المرأة لمالها وجمالها وحسبها ودينها

---

(١) البخاري: كتاب النكاح/ باب من استطاع الباءة.

(٢) مسلم: كتاب النكاح/ باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه.

فعليك بذات الدين تربت يداك»[(١)]

وقال ﷺ «لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ولكن تزوجوهن على الدين ولأمة سوداء ذات دين أفضل»[(٢)]

ومن النصوص التي تحث على حسن المعاملة بين الزوجين ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٨]

وقال سبحانه ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء:١٩]

وقال ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وخياركم خياركم لنسائهم»[(٣)]

وقال ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقًا رضي منها آخر»[(٤)]

❁ إجراءات الزواج:

فشرع لنا الإسلام خطوات نتمم من خلالها هذا التزويج وهي طلب الرجل المرأة للزواج بالطرق المعروفة عند الناس.

والغرض من الخطبة أن ترى المرأة الرجل ويرى الرجل المرأة حتى ينظر كل منهما إن كان يرغب في صاحبه أم لا.

وبين لنا النبي ﷺ مقاييس اختيار الرجل للمرأة ومقاييس اختيار المرأة للرجل فقال ﷺ «تنكح المرأة لأربع لمالها وحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»[(٥)]

---

(١) البخاري: كتاب النكاح / باب الأكفاء في الدين.
مسلم: كتاب النكاح/ باب استحباب نكاح ذات الدين.

(٢) ابن ماجه: كتاب النكاح/ باب تزويج ذات الدين.

(٣) مسند الإمام أحمد (٧٣٩٦).

(٤) مسلم: كتاب الرضاع/ باب الوصية بالنساء.

(٥) ابن ماجه: كتاب النكاح/ باب تزويج ذات الدين.

وقال ﷺ «من جاءكم ممن ترضون دينه فزوجوه فإن لم تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»(١)

❁ فإذا حصل الاتفاق:

أفرغ في عقد النكاح الشرعي القائم على الإيجاب والقبول والمتضمن رضى الطرفين بحضور الشهود العدول ويتضمن رضا ولي المرأة.

❁ حقوق الزوجة:

فهناك حقوق للزوجة ترتب على عقد النكاح منها المهر وكذلك حق النفقة على الزوجة ولقول النبي ﷺ «ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف»(٢) ولها حق المعاملة الحسنة لقوله تعالى ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء:١٩] ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ﴾ [البقرة:٢٢٨]

❁ حقوق الزوج:

فمن حق الزوج على الزوجة طاعته فيما لم يكن معصية لأن القوامة له.

قال تعالى ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء:٣٤]

وقوامة الرجل على المرأة قائمة على المودة والرحمة كما قال الله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم:٢١]

وليس معنى القوامة التسلط والقهر والاستكبار والاستعلاء على المرأة.

ومن حقه عليها ألا تخونه في نفسها أو في ماله أو في ولده، بل تقوم برعاية وتربية الأولاد.

---

(١) ابن ماجه: كتاب النكاح/ باب الأكفاء.

(٢) مسلم: كتاب الحج/ حجة الوداع.

❁ تعدد الزوجات:

ومن حق الزوج أن يتزوج بأكثر من واحدة إلى أربع زوجات

﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ .

وهذا حق خالص للرجل لا دخل للمرأة أو لغيرها في تحديده ولكن يرجع إلى معايير مصلحة هذا الإنسان وقد يكون هناك مبررات لهذا التعدد كعقم المرأة وتطلع الزوج للذرية ، مرض الزوجة وعدم صلاحيتها للقيام بمهام الزوجة.

❁ وفي التعدد علاج حاسم لمشكلة اجتماعية خطيرة تتعرض له المجتمعات البشرية في أعقاب الحروب بل وفي الأوقات العادية وهي كثرة النساء وقلة الرجال.

وهذه المشكلة لا يمكن حلها بصورة صحيحة وسليمة إلا بإباحة التعدد شرعًا وإلا نشأ السفاح والعلاقات غير المشروعة والانحلال الخلقي.

❁ الطلاق:

وهو من حق الزوج وبيد الزوج لا الزوجة.

والطلاق في الإسلام من محاسن الشريعة وواقعيتها وهو بمثابة العلاج الذي تقدمه الشريعة حيث لا ينفع غيره – ولذا نجد أن الإسلام بين كيف التدرج في علاج المشكلات إذا تفاقمت بين الزوجين

١ – فكان التشكيك في وجدان الرجل إذا وجد الكره للزوجة:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء:١٩]

وقال النبي ﷺ «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر»[(١)]

(١) مسلم: كتاب الرضاع/ باب الوصية للنساء.

٢- العلاج بالإرشاد والزجر والهجر والضرب:

﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء:٣٤]

٣- التحاكم:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء:٣٥]

٤- إن لم ينفع العلاج بأي صورة من الصور السابقة كان الفراق بين الزوجين ولكن مهلة أعطتها الشريعة في مسألة التطليق:

أ- لا يطلق المرأة إلا في طهر لم تمس فيه المرأة أو إذا استبان حملها.

ب- فترة العدة «وهي المراجعة» بعد أن يطلقها تطليقة واحدة.

ج- إن استبان له الرجوع رجع قبل انقضاء العدة- وبعد انقضائها يرجع ولكن بقيود أخرى.

د- له حق التطليق ثلاث مرات حتى تبين منه ولا يجوز له أن يراجعها إلا بعد أن تنكح زوجًا غيره.

❁ ما الحكمة في إعطاء الزوج حق الطلاق دون الزوجة؟

الرجل عادة أكثر سيطرة على عواطفه من المرأة - ولأن الطلاق يحمله أعباء مالية كثيرة قد تدفعه إلى الروية وعدم الاستعجال «المهر المؤجل، نفقة العدة، نفقة الأولاد».

❁ حقوق الصغار في الإسلام:

أ- منها ثبوت النسب وما يترتب عليه من حقوق.

ب- منها حق الإنفاق عليهم من قبل الأب.

ج- منها حق الإرضاع لهم من الأم.

د- منها حق حضانة الصغار وتربيتهم إذا حدثت الفرقة بين الزوجين فيكونوا في حضانة الأم حتى يبلغوا السن التي يستغنون فيها عن حضانة الأم.

❁ حقوق الأبوين على أولادهما:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء:٢٣-٢٤]

❁ التضامن بين أفراد الأسرة

أ- وجوب النفقة لمستحقيها على القادر عليها من أفراد الأسرة.

ب- حق الميراث لهم.

ج- الولاية على النفس والولاية على المال.

❁ مكانة المرأة في الإسلام:

فالقرآن يؤكد في مجال التكليف أو مجال الثواب والعقاب يؤكد مساواة الرجل والمرأة قال سبحانه ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران:١٩٥]

وقال سبحانه ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧]

ولقد أكد الإسلام على كرامة المرأة واحترامها- ولكن ميز الإسلام بين الرجل والمرأة في بعض الأمور:

١- كالميراث.

٢- والتعدد فقد أباحه الشرع للرجل دون المرأة.

٣- جعل الطلاق بيد الرجل لا المرأة.

٤- عدم انعقاد الزواج بشهادة المرأة.

٥- جعل القوامة والرئاسة في الأسرة للرجل.

٦- فرض الحجاب على المرأة.

فنقول

إن الناظر والدارس لتاريخ معاملة المرأة وكيف كانت تعامل قبل الإسلام سواء في أسرتها أو في مجتمعها يدرك الحكمة البالغة وعظمة الشريعة الإسلامية في تقريرها لهذه الأحكام وغيرها من الأحكام التي كثيرا ما تثار الشبهات حولها ممن لا يعرفون شريعة الله.

كما يدرك أنه لا يوجد فيها ما يتنافى مع كرامة المرأة وتقديرها أو يتنافى مع حرص الإسلام على تماسك الأسرة وقوتها إذا ما طبقت التطبيق السليم المتمشي مع الحكمة منها ولعل سوء الفهم لتلك الأحكام كان مصدره النظر إليها نظرة جزئية سطحية أو النظر إليها في ظل ممارسات بعض المسلمين غير الواعين بشريعة ربهم.

❁ ولقد أثار الخصوم الشكوك والقدح في الشريعة الإسلامية واعتبر دعاة التطور والتمدن أن هذه الأمور جريمة ترتكب في حق المرأة وفيه احتقار وازدراء للمرأة وبسط لنفوذ الرجل عليها.

فكيف نفند هذه الشبه مع بيان لمحاسن الإسلام في هذه التشريعات وأن هذه الأمور التي تميز الرجل على المرأة تحسب لهذه الشريعة لا ضدها.

١- الميراث:

فالمرأة قبل الإسلام كانت متاعا يورث فمنحها الإسلام حق الإرث وحق الملكية وحق إدارة أموالها واستثمارها بل وسائر التصرفات المدنية وفرضت

الشريعة الإسلامية الميراث بسبب القرابة أو الزوجية.

وإذا كانت الشريعة الإسلامية قد أعطت البنت نصيبا يعادل نصف أخيها الذكر – فإن ذلك لم يكن بهدف هضم حق المرأة وغبنها بل إنه توزيع مرتبط بنظام التكليف المالي في الأسرة كما هو مرتبط أيضا بواقع الحياة الاجتماعية فهي حين كلفت الرجل بنفقة زوجته وجميع أفراد أسرته وحين يقتضيه واقع الحياة أن ينفق الكثير في الواجبات الاجتماعية التي لا تتعرض لها المرأة فإذا أعطت البنت هنا نصف أخيها في الميراث فإن البنت تكون أوفر حظًّا منه.

قال الله تعالى ﴿وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء:١٧٦] ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء:١١]

ولا شك أن الطريق التي هي أقوم الطرق وأعدلها تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث الذي ذكره الله تعالى كما أشار سبحانه إلى ذلك ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء:٣٤]

وقوله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٨٨]

وذلك لأن الذكورة كمال خلقي وقوة طبيعية وشرف وجمال. والأنوثة ضعف خلقي وضعف طبيعي كما هو محسوس ومشاهد لجميع العقلاء لا يكاد ينكره إلا مكابر في المحسوس وقال سبحانه ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ [النجم:٢١-٢٢]

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ [النحل:٦٢]

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [الزخرف:١٧] فكل هذه الآيات القرآنية تدل على أن الأنثى ناقصة بمقتضى الخلقة والطبيعة وأن الذكر أفضل وأكمل منها ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (١٥٣) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾

[الصافات:١٥٣-١٥٤] ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ إِنَاثًا . .﴾ [الإسراء:٤١] ومعلوم لدى العقلاء أن الأنثى متاع لا بد له ممن يقوم بشئونه ويحافظ عليه.

ولقد جاءت السنة بالنهي عن قتل النساء والصبيان في الجهاد لأنها من جملة مال المسلمين القائمين بخلاف الرجال فإنهم يقتلون.

فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنه «أن امرأة وجدت في بعض مغازي النبي ﷺ مقتولة فأنكر رسول الله ﷺ قتل النساء والصبيان»

وفي رواية «نهى النبي ﷺ عن قتل النساء والصبيان»[1]

ومن الأدلة على أفضلية الذكر على الأنثى أن المرأة الأولى خلقت من ضلع الرجل الأول فأصلها منه فإذا عرفت من هذه الأدلة أن الأنوثة نقص خلقي وضعف طبيعي فاعلم أن العقل الصحيح الذي يدرك الحكم والأسرار يقضي بأن الناقص الضعيف بخلقته وطبيعته يلزم أن يكون تحت نظر الكامل في خلقته والقوي بطبيعته ليجلب له ما لا يقدر على جلبه من النفع ويدفع عنه ما لا يقدر على دفعه من الضر كما قاله تعالى ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء:٣٤]

لذا كانت الحكمة البالغة مقتضية لأن يكون الرجل ملزما بالإنفاق على نسائه والقيام بجميع لوازمهم في الحياة كما قال تعالى ﴿وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء٣٤]

وكذلك الميراث ما سعيا في تحصيله عرفًا ولا تسبب فيه البتة - وإنما هو تمليك من الله ملكها إياه تمليكًا جبريًّا فاقتضت حكمة الحكيم الخبير أن يؤثر الرجل على المرأة في الميراث وإن أدليا بسبب واحد لأن الرجل مترقب للنقص دائمًا بالإنفاق على نسائه وبذل المهور لهن والبذل في نوائب الدهر والمرأة مترقبة للزيادة بدفع الرجل لها المهر وبإنفاقه عليها وقيامه بشئونها.

---

(١) مسلم: كتاب الجهاد: كتاب باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب.

٢- تعدد الزوجات:

والشرع قد أباح تعدد الزوجات إلى أربع وأن الرجل إذا خاف عدم العدل بينهن لزمه الاقتصار على واحدة أو ملك يمينه كما قال الله تعالى **﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾** [النساء:٣]

ولا شك أن الطريق التي هي أقوم الطرق وأعدلها هي إباحة تعدد الزوجات لأمور محسوسة يعرفها كل العقلاء.

أما دعاة التطور والتمدن قالوا إن زواج الرجل بأكثر من واحدة يعتبر :

- جريمة ترتكب في حق المرأة.
- فيه احتقار للمرأة.
- بسط لنفوذ الرجل عليها.
- سبب لتفكك الأسرة.
- بذر الشقاق بين الناس.

❁ والرد على هؤلاء نقول

١- التعدد أمر شرعه الله في كتابه وفعله الرسولﷺ وأصحابه ونحن واثقون موقنون أن شرع الله هو الشرع الصالح الذي لا شرع غيره **﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾** [الملك:١٤]

٢- التعدد ضرورة اجتماعية فالله تعالى أجرى العادة بأن الرجال أقل عددًا من النساء في أخطار الدنيا وأكثر تعرضًا لأسباب الموت منهن في جميع ميادين الحياة فلو قصر الرجل على واحدة لبقي عدد ضخم من النساء محرومًا.

وهذا من أعظم أسباب ضياع الأخلاق والانحطاط إلى درجة البهائم و عدم الصيانة والمحافظة على الشرف والمروءة والأخلاق.

٣- تحريم التعدد ظلم للأمة وظلم للرجال:

ففاعلية الرجل الجنسية أقوى وأدوم من فاعلية المرأة في هذا الجانب والمرأة تتوقف عن الإنجاب في سن الخمسين أو قبل ذلك والرجل تستمر قدرته على الإنجاب ولو عاش مائة عام.

والمرأة تحيض في كل شهر أياما قد تصل إلى أسبوع وتحمل مدة تسعة أشهر فتقل رغبتها في المعاشرة الجنسية وتلد وتصبح نفساء مدة تزيد على الشهر .

ففي الحيض والنفاس تعطل منافع المرأة حيث أنها عوائق مانعة من قيام المرأة بأخص لوازم الزوجية والرجل مستعد للتسبب في زيادة الأمة فلو حبس عليها في أحوال أعذارها لعطلت منافعه باطلاً في غير ذنب.

ومنها أن الإناث كلهن مستعدات للزواج وكثير من الرجال لا قدرة لهم على القيام بلوازم الزواج لفقرهم فالمستعدون للزواج من الرجال أقل من المستعدات له من النساء لأن المرأة لا عائق لها والرجل يعوقه الفقر وعدم القدرة على لوازم النكاح فلو قصر الواحد على الواحدة لضاع كثير من المستعدات للزواج أيضا بعدم وجود زواج فيكون ذلك سببا لضياع الفضيلة وتفشي الرذيلة والانحطاط الخلقي وضياع القيم الإنسانية فإن خاف الرجل ألا يعدل بينهن وجب عليه الاقتصار على واحدة أو ما ملك يمينه لأن الله تعالى يقول ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠]

وقد يقول قائل

إن إباحة تعدد الزوجات كثيرًا ما أساء استعمالها غير الواعين بتعاليم الإسلام وبالحكمة من وراء تشريعاته فنقول إن سوء استخدام هذا المبدأ أو الحق لا تقع على التشريع الذي أقر المبدأ وإنما تقع على الشخص الذي أساء استخدام المبدأ.

فالانحراف في تطبيق المبدأ الحق لا يدعو إلى إلغاء المبدأ وإنما يدعو فحسب إلى

إعادة التوجيه السليم.

٣- جعل الطلاق بيد الرجل لا المرأة:

من هدي القرآن للتي هي أقوم جعل الطلاق بيد الرجل كما قال الله تعالى ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ . .﴾ [الطلاق:١] ونحوها من الآيات لأن النساء مزارع وحقول تبذر فيها النطف كما يبذر الحب في الأرض كما قال الله تعالى ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٣] ولا شك أن الطريق التي هي أقوم الطرق أن الزارع لا يرغم على الإزدراع في حقل لا يرغب الزراعة فيه لأنه يراه غير صالح له.

والدليل الحسي القاطع على ما جاء به القرآن من أن الرجل زارع والمرأة مزروعة وأن آلة الازدراع مع الرجل فلو أرادت المرأة أن تجامع الرجل وهو كاره لها لا رغبة له فيها لم ينتشر فلا تقدر منه على شيء بخلاف الرجل فإنه قد يرغمها وهي كارهة فتحمل وتلد.

فدلت الطبيعة والخلقة على أنه فاعل وأنها مفعول به ولذا أجمع العقلاء على نسبة الولد له لا لها. فتسوية المرأة بالرجل في ذلك مكابرة في المحسوس كما لا يخفى.

فالطلاق لم يشرع إلا من أجل الحفاظ على تماسك الأسرة وعلاج التصدع الذي حدث فيها والذي لم يكن في الإمكان علاجه بغير الطلاق من الوسائل.

ولمسايرة الطبيعة البشرية التي من مقتضايتها اختلاف الطباع والميول والاتجاهات بين الأفراد الذي قد يصل من الحدة بين شخصين ما يصعب أو يستحيل معه الاستمرار في العلاقة بينهما.

فإذا انقطعت المودة ولم يكن ثمة سبيل لبقائها كان فصل هذه العلاقة أفضل للطرفين فالشريعة الإسلامية قد أجازت الطلاق باعتباره إجراء لا مفر منه وإنهاء لنفرة وبغضاء بين الزوجين سادت بينهما الكراهية واستحكمت ففي إكراههما على استمرار حياتهما الزوجية استمرار العذاب لكليهما.

ولقد جعلت الشريعة الطلاق حلاً أخيرًا يتم اللجوء إليه إذا استفحل الشقاق وأصبح من المتعذر التوفيق بين الزوجين.

فإذا ثارت بين الزوجين مشكلات فقد شرع الإسلام سبيل العلاج.

١- الوعظ

٢- الهجر

٣- الضرب غير المبرح تأديبا ﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ [النساء:٣٤]

وكذلك مع الشقاق يكون التحكيم ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء:٣٥]

فإن استحكم الأمر فلا مفر من الطلاق لفصل العلاقة بين الزوجين بعدما استبان استحالة المعاشرة.

ولهذا جعلت الشريعة الطلاق بيد الرجل لأنه أقدر على كظم الغيظ وكبت الغضب وعلى تقدير الطلاق والعواقب وخاصة الأعباء المالية التي يتحملها الرجل نتيجة للفراق.

ولا شك أن الناظر إلى ممارسات المسلمين لا تتفق دائما مع هذه الحكمة في إباحة الطلاق فقد استخف الناس بالحلال والحرام وتخطوا حدود ما أنزل الله وأكثروا من إيقاع الطلاق لأسباب شيطانية ونزوات طائشة واتخذوا آيات الله هزوا فتلاعبوا بالطلاق ومزجوا الهزل بالجد واللعب بالحزم والعزم ولم يراعوا الوجه الشرعي الصحيح الذي شرع من أجله الطلاق ليكون يسرا ورحمة ومنفذًا في بعض الحالات المستعصية الحل فأصبح مشكلة ونقمة وهدما وتخريبا سواء بالنسبة للزوجة أم للأولاد.

٤- عدم انعقاد الزواج بشهادة المرأة:

الزواج لا ينعقد بشهادة النساء وأنه لا يصح أن تنفرد باختيار زوجها فالمرأة تمتاز بقوة العاطفة وشدة الحساسية وسرعة التأثر وهذا من شأنه أن تتسرع في اتخاذ قرار خطير كقرار اختيار الزوج الصالح الكفؤ فأعطى الشارع لولي أمرها الحق في اختيار الزوج الكفؤ المناسب ولكن الشرع لم يعطه الحق أن يرغمها على زوج معين إذا كانت بالغة إلا برضاها فحقها في الاختيار لم يسقط ولكن يضاف إليه حق الولي في هذا الاختيار فإذا اجتمع رضا الولي ورضاها كان فيه تحقيق لمصلحة الزوجة والأسرة التي تنتمي إليها الأسرة لأن المرأة قليلة الخبرة كثيرة الحياء.

٥- القوامة والرئاسة في الأسرة للرجل لا للمرأة:

القوامة والرئاسة في الأسرة التي جعلتها الشريعة الإسلامية في يد الرجل استنادا لقول الله تعالى ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ**﴾ [النساء:٣٤]

فهذه القوامة لم تمنح امتيازًا أو فضلاً ولكنها فرضت أعباء وواجبات اقتضتها ضرورة وجود الانتظام في الأسرة.

فالشريعة الإسلامية توزع الوظائف الاجتماعية بين الرجل والمرأة بصورة تتناسب مع طبيعتها وتضمن لحياة المجتمع سيرًا حسنًا.

فالمرأة تحسن أعمال لا يحسنها الرجل بحكم طبيعتها التي خلقها الله عليها والرجل يحسن أعمال لا تحسنها المرأة.

والعلاقة الزوجية هي شركة بين الرجل والمرأة ولابد أن يسند القرار في النهاية إلى أحد الشريكين فبحكم تكوين الرجل الجسمي والنفسي وما يستتبعه من قوة بدنية وقدرة على السيطرة على أعصابه وانفعالاته وعلى تحمل المشاق وأعباء الحياة ومسئولياتها هو أنسب من المرأة لرئاسة الأسرة في الغالب الأعم.

وكذلك الرجل هو الذي يقوم بتحمل الأعباء المالية التي تحتاج إليها الأسرة وكذلك بذل الجهد في سبيل توفير هذه النفقات التي تحتاج إليها الأسرة.

٦- فرض الحجاب على المرأة:

وهو الذي فرضه الإسلام على المرأة وما يرتبط به من وجوب غض البصر عن غير المحارم وعدم الاختلاط وإظهار الزينة لغير المحارم.

لم يكن الغاية منه إلا صيانة المرأة من الانحلال والانهيار والحفاظ على تماسك الأسرة ولم يكن الحجاب عائقا عن تعلم المرأة التعليم المناسب لطبيعتها ووظيفتها في الحياة ولا حائلا دونها ودون ممارسة حقوقها المشروعة.

والمرأة مطلوبة مرغوبة وهي محط أنظار الرجال ولذا قال النبي ﷺ **«إن المرأة تُقبل في صورة شيطان وتُدبر في صورة شيطان فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله فإن ذلك يَرُدُّ ما في نفسه»** وفي رواية **«إذا أحدكم أعجبته المرأة فوقعت في قلبه فليعمد إلى امرأته فليواقعها فإن ذلك يرد ما نفسه»**[1]

❁ قال الإمام النووي (رحمه الله):

معناه الإشارة إلى الهوى والدعاء إلى الفتنة بها لما جعله الله تعالى في نفوس الرجال من الميل إلى النساء والالتذاذ بنظرهن وما يتعلق بهن فهي شبيهة بالشيطان في دعائه إلى الشر بوسوسته وتزيينه له.

ويستنبط من هذا أنه لا ينبغي لها أن تخرج بين الرجال إلا لضرورة.

وأنه ينبغي للرجل الغض عن ثيابها والإعراض عنها مطلقًا.

ففرض الحجاب على المرأة صيانة للمرأة ولجسدها وحفاظًا على القيم في المجتمع وعلى طهارته ونزاهته.

---

(١) مسلم: كتاب النكاح/ باب ندب من رأى امرأة فوقعت في نفسه إلى أن يأتي امرأته أو جاريته فليواقعها.

السؤال الأربعون

من أعظم المؤثرات في سير المجتمع وفي مدى صلاحه وفساده هو تحديد مركز المرأة في المجتمع وتحديد ما لها وما عليها من الحقوق والواجبات وتحديد الضوابط التي تحكم سلوكها حتى تتحقق للمجتمع طهارته ونظافته وعفته واستقامته وتنشأ فيه الأجيال القوية الأمينة.

فما هو مركز المرأة في المجتمع الإسلامي مع بيان الحقوق التي تُمتع بِها المرأة في ظل النظام الإسلامي مع بيان الآداب التي ينبغي للمرأة أن تلتزم بها وفق الشريعة الإسلامية؟

الجواب

۞ تحديد مركز المرأة في المجتمع:

من أعظم المؤثرات في سير المجتمع وفي مدى صلاحه وفساده هو تحديد مركز المرأة في المجتمع وتحديد ما لها وما عليها من الحقوق والواجبات وكذلك تحديد نوع الضوابط التي تحكم سلوكها لذا كان الحديث في القرآن والسنة عن شئون المرأة وتحديد مركزها الاجتماعي وما لها وما عليها فيتناول الكلام في هذا البند:

١- حقوق المرأة.

٢- واجبات المرأة.

٣- الوظيفة التي اختصت بها المرأة.

٤- الآداب التي تلتزم بها.

وقبل أن نتكلم عن هذه البنود يلزمنا أن نتكلم عن شأن المرأة في الإسلام.

❁ شأن المرأة في الإسلام

كانت المرأة في جميع العصور السالفة قبل الإسلام وبين جميع لأمم عضوا كالأشل في المجتمع

فجاء الإسلام بإلحاق المرأة بالرجل في التكاليف من اعتقاد وعمل و آداب ومعاملات وجمع في الأقوال التشريعية بين ذِكْر الرجال والنساء قال الله تعالى ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧]

وقال تعالى ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥]

وقال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦]

وأعلنت حقوق المرأة في آية ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:٢٢٨]

وفي الترغيب ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران:١٩٥]

وفي الترهيب ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ [الأحزاب:٧٣]

وفي شأن الآداب والصيانة: -

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور:٣٠]

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور:٣١]

﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾ [الأحزاب:٣٥]

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٥٨]

في مقام التشريع :-

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة:٣٨]

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى﴾ [البقرة:١٧٨]

و المبايعة على الإسلام والتزام أحكامه أول ما جاءت خاطبت النساء :-

﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ﴾ [الممتحنة:١٢]

فكان النبيﷺ إذا بايع الرجال بايعهم بمثل هذه الصيغة بعد تحويل الضمائر إلى ضمائر التذكير وقوله سبحانه ﴿وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ [الممتحنة:١٢] شملت جميع الشريعة التي جاء بها الرسولﷺ إلا الأحكام التي قامت الأدلة على استثناء النساء منها.

ولنعلم أن صيغ العموم التي في القرآن تشمل النساء ولو كانت صيغها جارية على التذكير وأن جموع المذكر وإن كانت في أصل الوضع غير شاملة للنساء ولكنها في الشرع شاملة لهن للأدلة الدالة على عموم الشريعة.

قال تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩٥]

فأسند الدعاء لضمائر الرجال وجاوبهم على دعائهم بالتعميم بقوله ﴿أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى﴾ فعلمنا أن اصطلاح القرآن أن صيغ التذكير تشمل النساء ولأن عادة العرب إذا خاطبوا جمعا فيه ذكور ونساء أن يجروا الخطاب بالتذكير لأن الأمة كلها مقصودة بتوجه الخطاب التشريعي.

١- حقوق المرأة:

والمرأة كالرجل في الحقوق إلا ما خص به الرجال دون النساء ولكنها تتمتع بالحقوق التالية :

❁ حق الحياة.

❁ حق اكتساب الأموال بالطرق المشروعة، لأن المرأة لها ذمة منفصلة عن الرجل وهذه الذمة صالحة لاكتساب الحقوق المالية وغير المالية.﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء:٧]

❁ لها حق المهر في عقد النكاح ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء:٤]

❁ وحق النفقة على زوجها ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:٢٣٣].

❁ حق الحضانة على أولادها الصغار إذا وقعت الفرقة بينها وبين زوجها.

❁ حق تعلم العلوم النافعة لها بالكيفية المناسبة لطبيعتها وبشرط الالتزام بالآداب الإسلامية اللازمة لها.

٢- واجبات المرأة:

فالمرأة لها أهلية وجوب- أي صالحية لاكتساب الحقوق وتحمل الواجبات- فالنساء كالرجال مطالبات بتقوى الله تعالى ويترتب على ذلك:

أ- أن المرأة مخاطبة كالرجل بالتكاليف الشرعية (في باب الاعتقاد والعبادات والمعاملات إلا ما تقضيه طبيعتها).

ب- وطالما أنها مخاطبة بالتكاليف الشرعية فإنها تثاب بفعل المأمور والقيام بما كلفت به ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء:٢٤]

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ [آل عمران:١٩٥]

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧]

جـ- الخطابات في القرآن التي تخاطب المؤمنين وتكلفهم بالتكليفات الشرعية يدخل فيها النساء إلا إذا كان الدليل على خلاف ذلك ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا﴾ [النساء:٢٣] وقال النبي ﷺ **«لا يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم»**[1] والأمر غير مقصور على الرجال فإنه ينطبق أيضًا على المرأة التي تسأل تكثرًا.

وفي رواية: **«سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»** - فذكر الحديث- وفيه **«ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»**[2].

---

(١) البخاري: كتاب الزكاة/ باب من سأل الناس تكثرا.

(٢) البخاري: كتاب الزكاة / باب الصدقة باليمين.

فهو غير قاصر على الرجل فإن المرأة كذلك.

د- على المرأة واجب الطاعة لزوجها بالمعروف ووفائها بحقه عليها **«لو أمرت أحدًا . . .»**[١].

هـ- والمرأة مسئولة عن البيت وشئونه ومؤتمنة عليه **«كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته – والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها..»**[٢]

٣- الوظيفة التي اختصت بها المرأة:

لقد خلق الله المرأة على نحو يمكنها أن تكون زوجة وأُمًّا وأودع فيها التطلع والحنين إلى ذلك.

فالوظيفة الأساسية التي اختصت بها المرأة هي وظيفة الزوجة والأم وتربية الأولاد وتنشئتهم النشأة الصالحة.

المرأة لم يكتب عليها الجهاد في سبيل الله ولم يكتب عليها صلاة الجماعة ولا صلاة الجمعة ولا شهود الجنائز ولا غيره من الأعمال التي تختص بالرجال دون النساء.

وللمرأة إن تمكث في بيتها ولا تخرج إلا لسبب يقتضي ذلك **﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾** [الأحزاب:٣٣]

فالمقصود أن المرأة تقر في بيتها ولا تخرج بلا غرض مشروع ولا سبب معقول لأن هذا هو مرغوب فيه في نظر الشرع.

٤- الآداب التي تلتزم بها المرأة:

هناك جملة من الآداب والأخلاق يجب أن تلتزم بها المرأة لتسهم في بقاء طهارة المجتمع ونظافته مما يشين.

---

(١) المنذري: الترغيب والترهيب/كتاب النكاح.

(٢) البخاري: كتاب الأحكام/ باب قوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم).

أ- لا يجوز للمرأة أن تخلو بأي رجل يحل له نكاحها حتى ولو كان قريبا لها كابن العم وابن الخال.

ب- لزوم ابتعاد المرأة عن الاختلاط بالرجال خوف الفتنة.

ج- إخفاء زينتها إلا ما ظهر منها ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور:٣١]

لا يجوز تعمد إظهار شيء من زينتها إلا ما ظهر منها بغير قصد أو ما كان ظاهرًا لا يمكن إخفاؤه كالرداء والثياب وهذه هي الزينة الظاهرة التي يجوز إبداؤها.

د- يجب أن تلتزم المرأة باللباس الشرعي ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور:٣١]

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٩]

هـ- التزام المرأة في مشيتها وكلامها ﴿وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور:٣١]

وقال تعالى ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب:٣٢]

❊ ❊ ❊

السؤال الواحد والأربعون

– قال الله تعالى

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

كل فرد في المجتمع المسلم مطالب بالعمل على إصلاح المجتمع وإزالة الفساد منه كل على قدر طاقته ووسعه والتعاون مع غيره في تحقيق هذا المطلب .

تكلم عن مسئولية الفرد في إصلاح المجتمع مع بيان الأدلة على ذلك من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مع التعليل لمسئولية الفرد عن إصلاح المجتمع؟

الجواب

۞ واجب الفرد في إصلاح المجتمع:

كل فرد مطالب بالعمل على إصلاح المجتمع وإزالة الفساد منه على قدر طاقته ووسعه والتعاون مع غيره لتحقيق هذا المطلوب ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

ومن أعظم التعاون التعاون على إصلاح المجتمع وعدم إفساد المجتمع ﴿وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

ولذا حرم الإسلام بعض صور الفساد «لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه»[١] «لعن الله الراشي والمرتشي والرائش بينهما»[٢].

۞ أدلة مسئولة الفرد عن إصلاح المجتمع:

١– من كتاب الله تعالى:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

(١) البخاري: كتاب البيوع/ باب موكل الربا.

(٢) البخاري: كتاب الأحكام/ باب ما جاء في الراشي والمرتشي في الحكم.

﴿الْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]

ويؤكد القرآن الكريم مسئولية الفرد عن إصلاح المجتمع بما يقصه من أخبار الأمم السابقة التي فرط أفرادها بواجب الإصلاح فلحقهم الذم والهلاك.

قال تعالى ﴿فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [هود: ١١٦]

وقال سبحانه ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥]

٢- من السنة النبوية:

قال النبي ﷺ **«من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»**[١]

فهذا الحديث صريح في تحميل الفرد مسئولية إزالة الفساد المطلوب من المسلم إزالته.

وقال ﷺ **«والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرًا ولتقصرنه على الحق قصرًا، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه فتدعونه فلا يستجاب لكم»**[٢].

❁ تعليل مسئولية الفرد عن إصلاح المجتمع:

١- الفرد يتأثر بالمجتمع.

٢- ضرورة قيام المجتمع الصالح.

قال الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]

---

(١) مسلم: كتاب الإيمان/ باب أن ينهى عن المنكر من الإيمان.

(٢) الترمذي: كتاب الفتن باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقال سبحانه ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:٩٧]

وقال سبحانه ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج:٤١]

٣- النجاة من العقاب الجماعي

فالمجتمع الذي يشيع فيه المنكر وتنتهك فيه حرمات الله وينتشر فيه الفساد ويسكت الأفراد عن الإنكار والتغيير فإن الله تعالى يعمهم بمحن غلاظ قاسية تعم الجميع وتصيب الصالح و الطالح.

قال الله تعالى ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال:٢٥]

وقال النبي ﷺ **«مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا»**[1] .

وعن أبي بكر ﷺ قال (يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول **«إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه»**)[2].

فهذا يدل على أن وقوع الفساد في المجتمع والسكوت عليه وعدم تغييره سبب

---

(١) البخاري: كتاب الشركة/ باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه؟

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل (٢٩، ٣٠).

للعقاب الجماعي.

❁ ميزان صلاح المجتمع وفساده:

المجتمع الصالح هو المجتمع الإسلامي القائم على أساس العقيدة الإسلامية التي ينبثق عنها النظام الاجتماعي الإسلامي.

والمجتمع الفاسد هو الذي يقوم على غير أساس العقيدة الإسلامية ولا يحكمه النظام الاجتماعي وتشيع فيه المنكرات.

❁ تلخيص ذلك:

المجتمع الصالح هو القائم على معاني الإسلام وأفكاره ومناهجه والتي تطبق فيه أحكامه والمجتمع الفاسد بخلافه.

فإن كان الفرد هو أساس إصلاح أو فساد المجتمع وهو المسئول عن ذلك.

❁ فما هي الأسس التي يبني عليها الإنسان الصالح؟

لخص لنا النبي ﷺ هذه الأسس من خلال هذه النصيحة التي ذكرها لهذا الصحابي الذي قال للنبي ﷺ **«قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدا غيرك قال ﷺ قل آمنت بالله ثم استقم»**[1]

فجمع له في قوله (قل آمنت بالله) إصلاح الاعتقاد.

وفي قوله (استقم) معاني صلاح العمل.

١- إصلاح العقيدة:

فإن تهذيب سلوك الأفراد عن طريق غرس العقيدة الإسلامية من أعظم أساليب التربية والإصلاح.

والعقيدة لها الأثر الكبير الفعال في تزكية النفوس وتطهيرها من الحسد والحقد

---

(١) مسلم: كتاب الإيمان/ باب جامع أوصاف الإسلام.

والكبر والعجب والغش والفحش والظلم والجور والأثرة والأنانية .

وقد كان الاهتمام البالغ في دين الإسلام بتوضيح العقيدة وتحديد معانيها والحرص على تلقينها وإقامة دلائلها.

٢- إصلاح العمل:

حيث أن أعمال العاملين تجري على حسب معتقداتهم وأفكارهم فجدير بمن صلحت عقائده وأفكاره أن تصدر عنه الأعمال الصالحة. ولذلك كان أسلوب الإسلام في الأمر بالأعمال الصالحة والنهي عن أضدادها أن يبتدئ بإصلاح العقيدة دل على ذلك قول الله تعالى

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ - أي طريق الخير والشر

﴿فَلاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ - أي لم يتجشم الإنسان سلوك طريق الهدى الذي هو لصعوبة إتيانه يشبه عقبة يعسر السير فيها لتوصل إلى المبتغى.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ - إلى آخر سورة البلد.

فالعقيدة هي القوة الدافعة للحياة ومنها يستمد المسلم طاقته وبها يحدد طريقه ويبلغ غايته وهي مصدر الأخلاق الفاضلة - وسلوك الإنسان وتصرفاته في الحياة مظهر من مظاهر عقيدته.

❁ ❁ ❁

٣- نظام الإفتاء

(٤٢-٦٠)

٣- نظام الإفتاء

السؤال الثاني والأربعون

أفعال المسلم لابد أن تكون وفق المناهج الإسلامية، كما ينبغي على المسلم قبول حكم الشرع في نتائج أفعاله، وكذا سلوكه لابد أن يكون وفق الحدود الشرعية.

فما هو الواجب على المسلم لكي يحقق هذا المطلب؟

الجواب

لكي يقوم المسلم بتحقيق ذلك المطلب لا بد له من السعي في المعرفة معرفة ما يجهله من دين الله تعالى فعليه أن يتعلم من العلماء الثقات ويسأل هؤلاء العلماء عن أحكام الإسلام.

قال الله تعالى ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

ولا يرفع عن الجاهل مسئولية تعلم ما يلزمه من أمور الدين تقصير العلماء بواجب التعليم والتبليغ ابتداءً إذ عليه أن يسأل أهل العلم عما يجهله من أمور الدين

❁ حاجة المجتمع الإسلامي إلى الإفتاء:

أمور الناس إذا جرت على شريعة الله تعالى ففي ذلك تحصيل الخير كل الخير لهم في أمور معاشهم ومعادهم وفي ذلك تهيئة لرحمة الله تعالى لتحل بهم كما قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]

❁ حكم الإفتاء ومنزلته والحاجة إليه:

لقد ألزم الله تعالى من لا يعلم أحكامه أن يسأل عنها ويتعلمها ليعمل بها قال تعالى ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣] - ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن

كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء:٧] كما أوجب سبحانه على أهل العلم أن يبينوا ما عندهم من العلم ويعلموه الناس ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران:١٨٧]

وقال سبحانه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾ [البقرة:١٥٤]

وقال النبيﷺ «من سئل عن علم فكتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار»[(١)]

❁ ❁ ❁

١) الترمذي: كتاب العلم/ باب ما جاء في كتمان العلم
أبو داود: كتاب العلم/ باب كراهية منع العلم.

السؤال الثالث والأربعون

عرف كل من الإفتاء – المفتِي – المستفتِي؟ مع بيان أهمية دور المفتي في الأمة ومنزلة الإفتاء وخطره؟

الجواب

❁ الإفتاء: هو في حقيقته تبليغ عن الله تعالى وإخبار عما شرعه لعباده من الأحكام ويتضمن وجود مستفت ومفت وإفتاء وفتوى.

فالاستفتاء السؤال عن أ مر أو عن حكم مسألة.

والسائل يسمى مستفتي.

والمسئول الذي يجيب يسمى المفتي.

وقيامه بالجواب هو الإفتاء وما يجيب عنه هو الفتوى.

وحكمها المراد معرفته هو حكم شرعي.

❁ من هو المستفتي؟

هو من يسأل عن حكم الشرع في مسألة ما

فالمستفتي يريد معرفة حكم مسألة وقعت له فيرفع ذلك الأمر للمفتي لكي يفتيه ويخبره بحكم الشرع في مسألته.

❁ من هو المفتي؟

هو من يقوم بالإفتاء (أي بالإخبار عن حكم الله تعالى في المسألة المسئول عنها) ولابد أن يكون أهلا لذلك (فمن شروط المفتي الإسلام – البلوغ – التكليف – فقيهًا –عدلاً – مجتهدًا)

❁ **أهمية دور المفتي في الأمة (حكم الإفتاء):**

المفتي قائم في الأمة مقام النبيﷺ فهو نائب عن النبيﷺ في تبليغ الأحكام متحقق بقولهﷺ «ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب»[١].

وقولهﷺ «بلغوا عني ولو آية»[٢].

❁ **منزلة الإفتاء وخطره:**

فالله تعالى تولى بنفسه الإفتاء في بعض المسائل كما هو واضح في كتابه سبحانه ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء:١٧٦]

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ [النساء:١٢٧]

وكذلك النبيﷺ كان بمقتضى الرسالة قائما بهذه الوظيفة الشريفة لأنها نوع بيان من البيان الذي هو وظيفة الرسولﷺ .

قال تعالى ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٤٤]

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة:١١٥]

فالمفتي يوقع على العباد أحكام الله تعالى .

❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري: كتاب الحج/ باب الخطبة أيام منى.

(٢) البخاري: كتاب الأنبياء/ باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

السؤال الرابع والأربعون

إن جهل الإنسان حكمًا شرعيًّا فينبغي أن يسأل عنه ليعلمه ويعمل بما يقتضيه لكن هناك صنف يحرم عليه الاستفتاء وصنف من الناس يجب عليهم الاستفتاء وصنف ثالث يجوز في حقهم الاستفتاء ولكن لا يجب ولا يحرم. بين ذلك؟

الجواب

١- الصنف الأول (المحرم عليهم الاستفتاء):

وهو من توافرت فيه أهلية الاجتهاد وشروطه.

حيث أن المجتهد يحرم عليه تقليد غيره لأنه يجب عليه أن يجتهد في المسألة حتى يعرف حكمها الشرعي على وجه التعيين أو غلبة الظن.

ولا يفهم من ذلك حرمة سؤال المجتهد عن حكم مسألة على وجه المذاكرة وفحص المعلومات وهذا جائز غير ممنوع إنما الممنوع هو السؤال عن مسألة لكي يقلد فيها من يفتيه ولكن بعد المذاكرة إذا تبين له الصواب فيعمل به ويكون متبعا للدليل لا مقلدا لغيره من المجتهدين.

٢- الصنف الثاني (من يجب عليهم الاستفتاء):

فيجب على كل من وجب عليه معرفة الحكم الشرعي ولم يصل بعد إلى مرتبة الاجتهاد ولكن شرط وجوب ذلك:

١- أن يكون غير مجتهد.

٢- وجوب معرفة الحكم الشرعي في المسألة النازلة.

فإن كان من أهل الصلاة وجب عليه أن يتعلم الأحكام المتعلقة بالصلاة وإن كان من أهل الزكاة وجب عليه أن يتعلم الأحكام المتعلقة بالزكاة على حسب نوع

المال الذي يكون في حوزته . . . ومن باشر التجارة والبيع والشراء وجب عليه أن يعرف أحكام هذه المعاملات

٣- الصنف الثالث (من يجوز لهم الاستفتاء):

ويجوز لغير المجتهدين فيما لا تلزمه معرفته من أحكام الشرع – وذلك كالإنسان يسأل في مسألة لم تقع له – كالسائل عن مناسك الحج والعمرة وهو لن يخرج الآن للحج أو العمرة.

وللعلماء في ذلك قولان:

١- كراهة ذلك.

٢- عدم كراهية السؤال عما لم يقع بعد إذا كان غرض السائل معرفة الحكم مسبقًا لاحتمال وقوعه.

* * *

السؤال الخامس والأربعون

إن كان الإنسان جاهلاً بالحكم الشرعي فعليه أن يستفتي من توافرت فيه الصلاحية للإفتاء لأن استفتاءه يتعلق بالدين فعليه أن يحتاط لدينه فيسأل من هو أهل للإفتاء.

فما سبيل العامي لكي يتعرف على الكفء الصالح للفتوى وهل يجب عليه التحري أم لا وما إذا لم يكن الكفء الأصلح موجود في بلدته فما يلزمه؟

الجواب

✵ على المستفتي أن يسأل الصالح للإفتاء:

ذلك لأن هذا كلام يتعلق بأمور الدين. فعليه أن يحتاط لدينه فيسأل من هو أهل للإفتاء ويتعرف العامي على الكفء لذلك من خلال إخبار الثقة له عنه أو باشتهار أمره بين الناس.

وإذا لم يجد العامي في بلده من يستفتيه فعليه أن يرحل إلى حيث يجد من يفتيه ولا يجب عليه أن يستفتي الأصلح طالما كل من سأله يصلح للفتوى.

✵ من هو الأصلح؟

هو الأورع — فعليه أن يستفتيه دون غيره

وذلك لقوله تعالى ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ**﴾ وهذا دين فلننظر ممن نأخذ منه الدين.

والأورع أولى بالسؤال دون غيره طالما كان عنده من العلم ما يكفي للإفتاء ولأنه لو سئل عن مسألة فإنه لا يستحي أن يقول لا أعلم لما لا يعلم.

✵ ✵ ✵

السؤال السادس والأربعون

هل يجوز للمستفق أن يسأل أكثر من مفتي وما العمل لو اختلفت عليه الفتوى؟

الجواب

وهذا في حالة عدم اطمئنان قلب المستفتي إلى جواب المفتي فله أن يسأل غيره ولكن ما العمل إذا اختلفت الفتوى فبأي القولين يعمل وما يلزمه عند ذلك؟

إن سأل الأعلم الأورع فله أن يأخذ برأيه حتى ولو لم يطمئن قلبه لأن القبول وعدم القبول غير متوقف على طمأنينة قلب المستفتي أو عدم الطمأنينة إلا أن شعر بريبة في إجابة المفتي.

وإذا لم يطمئن قلبه لعدم الاطمئنان للدليل الذي استند إليه المفتي فيلزمه أن يبحث ويستقصي عن الأعلم الأورع لكي يعرض عليه المسألة مرة أخرى فإن توافقت إجابته مع إجابة الأول فله أن لا يسأل وإن اختلفت فليأخذ بالقول المعضد بالأدلة.

* * *

السؤال السابع والأربعون

إذا استفتى العامي عن حادثة ثم وقعت له نفس الحادثة فهل يستفتي مرة أخرى عن الحادثة الثانية أم يكتفي بتنفيذ حكم الحادثة الأولى؟

الجواب

قولان للعلماء منهم من قال بوجوب إعادة الاستفتاء لاحتمال تغير اجتهاد المفتي. ومنهم من قال بعدم وجوب إعادة الاستفتاء لأن المستفتي قد عرف حكم الحادثة باستفتائه الأول فلا حاجة إلى إعادته.

فنقول: فإن كان الذي أفتاه أولا هو الأعلم الأورع فلا حاجة في هذه الحالة إلى إعادة الاستفتاء، وإن لم يكن كذلك ثم نزلت به الحادثة مرة أخرى ووجد الأعلم فعليه أن يستفتيه لأن اجتهاده مظنة الصواب أكثر من غيره وقد وجده فعليه أن يسأله. أما إذا لم يجد الأعلم الأورع فالأولى له أن يعيد استفتاءه إذا أمكنه ذلك لأن اجتهاد المجتهد قد يتغير لظهور ما لم يكن ظاهرا له من الأدلة، فإذا جاءت الفتوى الثانية كالأولى عمل بها وإن اختلف عليه الجواب كرر الاستفتاء وأخذ بما تسكن إليه نفسه على النحو الذي فصلناه من قبل.



السؤال الثامن والأربعون

ما هي صيغة الاستفتاء التي يستعملها المستفتي لطلب حكم المسألة– وهل يجب على المستفتي أن يكون استفتاؤه بموجب مذهب معين أم يجوز له الاستفتاء وفق أي مذهب شاء وما هو القول الراجح في هذه المسألة؟

الجواب

*** كيفية الاستفتاء وصيغته:**

* أن يقول ما حكم الشرع الإسلامي في هذه المسألة؟

أو يقول ما حكم الله في هذه المسألة؟

أو غير ذلك من الصيغ الدالة على هذا المعنى.

*** الاستفتاء بموجب مذهب معين:**

وقد تعرض الإمام أحمد بن حمدان الحراني الحنبلي لهذا السؤال وما ابتنى عليه، فقال ما خلاصته: إن العامي إما أن يكون منتسبًا إلى مذهب معين وإما أن لا يكون، ولكل حالة حكمها على النحو التالي:

الحالة الأولى: أن يكون منتسبًا إلى مذهب معين. وفي هذه الحالة قولان للعلماء:

القول الأول: إن انتسابه لمذهب معين لا يجعله ملتزمًا به لأن المذاهب إنما تكون لمن يعرف الأدلة، والعامي لا معرفة له بها، وعلى هذا له أن يستفتي من شاء من المفتين وعلى أي مذهب يفتيه المفتي.

القول الثاني: إن انتساب العامي إلى مذهب معين هو انتساب معتبر في حقه ملزم له لأنه اعتقد أن المذهب الذي انتسب إليه هو الحق فعليه الوفاء بما اعتقده

والتزم به. ورتبوا على ذلك أن عليه أن يستفتي من يفتيه بموجب مذهبه.

الحالة الثانية: عدم انتساب العامي إلى مذهب معين، وفي هذه الحالة قولان عند العلماء:

- **القول الأول:** لا يلزمه أن يتمذهب بمذهب معين وبالتالي لا يلزمه أن يستفتي بموجب مذهب معين بل له أن يستفتي أي عالم، ويأخذ بفتواه على أي مذهب جاءت فتواه. ودليل هذا القول أن السلف الصالح لم يلزموا العامي بتقليد عالم معين ولزوم استفتائه دون غيره، بل كانوا يبيحون له استفتاء أي عالم شاء.

- **القول الثاني:** يلزمه أن يتمذهب بمذهب معين فيأخذ بعزائمه ورخصه ويستفتي بموجبه. واحتج أصحاب هذا القول بأنه لو جاز للعامي اتباع أي مذهب شاء لأدى ذلك إلى التقاط رخص المذاهب اتباعًا لهواه، وهذا مسلك من شأنه أن يؤدي إلى الانحلال عن التكاليف الشرعية والتلاعب بالأحكام، ولا خلاص من هذه الفوضى إلا بإلزام العامي بالانتساب إلى مذهب معين والاستفتاء بموجبه فقط. وقالوا عن حجة أصحاب القول الأول بأن المذاهب لم تكن قد مهدت وحررت وعرفت في عهد السلف الصالح ومن ثم أباحوا عدم التقيد بمذهب معين. ثم خلص أصحاب هذا القول إلى ضرورة الانتساب إلى مذهب معين يختاره بعد التحري والسؤال عن المذهب الأصلح ويمكن أن يعرف ذلك بالسؤال كما قلنا وبالشهرة وشيوع المذهب ونحو ذلك، فإذا ما انتسب إلى مذهب معين كان عليه أن يستفتي بموجبه ولا يستفتي وفق غيره.

❁ القول الراجح في المسألة:

قال الدكتور عبد الكريم زيدان:

والراجح في المسألة التفصيل بعد ذكر بعض المقدمات على النحو التالي:

أ- إن الواجب على كل مسلم أن يعرف حكم الله فيما يلزمه من أمور كما

ورد في الكتاب والسنة وبالاستنباط الصحيح منهما أو من المصادر التي أشارت إليها نصوص الكتاب والسنة.

ب- والأصل أن المسلم - ما دام قادرا على الاجتهاد- أن يعرف حكم الله تعالى عن طريق البحث والنظر في معاني القرآن والسنة وفيما دلت عليه نصوصهما من أدلة الاستنباط، وبهذا تكون معرفته للأحكام مبنية على الدليل والبرهان، وهي المعرفة التي أمر بها الشرع الشريف.

ج- وللمسلم القادر على البحث والاجتهاد أن يأخذ بمناهج المجتهدين في البحث والاستنباط ما دامت تلك المناهج سائغة وجائزة الاتباع بموجب الدليل والبرهان وإن تفاضلت فيما بينها بالجودة والقرب من الصواب وبالأولوية بالاتباع.

د- وإذا كان المسلم عاجزا عما تقدم، فعليه أن يستعين بأهل العلم ليدلوه على أحكام الشرع ويقلدهم بما يقولون باعتبار أن ما يخبرونه به هو حكم الشرع، والله تعالى أمر من لا يعلم أن يسأل من يعلم، وفائدة السؤال هو الأخذ بجواب أهل العلم والعمل به وإلا لم يكن للسؤال فائدة ولا معنى، وهذا ما ينَزَّه عنه الشارع الحكيم.

هـ- وللمسلم العاجز عن الاجتهاد أن يستعين بكتب العلماء الموثوقة والمشهود لأصحابها بالإمامة بالدين مثل أصحاب المذاهب المعروفة فيتفقه بها ويتخرج عليها ويأخذ بما فيها باعتبار أن ما فيها هي أحكام الشرع التي وصل إليها أصحابها وهم علماء فقهاء أهل لمعرفة أحكام الشرع.

و- وإذا تفقه المسلم بفقه هذه المذاهب وانتسب إلى أحدها فقيل عنه: إنه شافعي أو حنفي فإن هذا الانتساب يعني تفقهه بفقه هذا المذهب واتخاذه دليلا وهاديا له إلى أحكام الشرع، فالمذهب بحقه كاشف له عن أحكام الشرع، وليس مصادمًا للشرع، وعلى هذا الأساس انتسب إليه.

ز- وعلى هذا فإذا تبين لهذا المنتسب أن مذهبه لم يوفق في الدلالة إلى الصواب في مسألة معينة وأن الصواب فيها عند غير هذا المذهب وبالتالي اتبع غير مذهبه في هذه المسألة فهو في هذا المسلك محسن غير مسيء، ولهذا نقل عن أصحاب المذاهب أن كل واحد منهم قال: إذا صح الحديث فهو مذهبي واضربوا بقولي عرض الحائط. لأن الحديث هو القول الحق وفيه حكم الله فيلزم اتباعه، ويقاس على قولهم هذا كل قول صحيح ظهرت صحته بالدليل والبرهان فيلزم اتباعه وهجر ما خالفه.

ح- وبناءً على ما تقدم يجوز للمسلم أن ينتسب إلى مذهب معين، فيدرسه ويتفقه به باعتباره مظنة الصواب ويستفتي بموجبه. كما يجوز للعامي أن لا ينتسب إلى مذهب معين وإنما يتعلم ما يلزمه من أحكام الشرع بسؤال أهل العلم عنها ابتداءً أو عند نزول الحادثة به. ولهذا العامي غير المنتسب إلى مذهب معين أن يستفتي دون تقيد بأي مذهب، فإذا استفتى بمذهب معين فإن استفتاءه هذا يمكن توجيهه وتصحيحه باعتبار أن هذا العامي اعتقد أن هذا المذهب أولى من غيره بالاتباع. وكما يجوز لغير المنتسب لمذهب أن يستفتي دون تقيد بمذهب فإن المنتسب هو الآخر له أن يستفتي دون تقيد بمذهب، وتوجيه ذلك انه يريد معرفة حكم الشرع كما يدله عليه هذا المفتي الذي هو أعلم منه ولذلك جاء يستفتيه.

ط- والخلاصة، فإنه في جميع الأحوال يسع العامي الذي لم يصل إلى رتبة الاجتهاد أن يستفتي دون تقيد بمذهب معين وإنما يسأل عن حكم الشرع سواء كان هذا العامي منتسبًا إلى مذهب معين أو غير منتسب، وسواء تفقه على مذهب معين أو لم يتفقه، فيقول للمفتي: ما حكم الشرع في كذا وكذا. وهذه صيغة صحيحة سليمة، أما السؤال بمذهب معين فغايته أنه سائغ وجائز على التوجيه الذي بيناه.

❁ ❁ ❁

السؤال التاسع والأربعون

هل للمستفتي أن يطلب دليل الفتوى من المفتي؟

وما هي الآداب التي ينبغي أن يلتزم بِها المستفتي؟

الجواب

للعامي أن يطلب من مفتيه الدليل لأن ما يفتيه به دين يدين لله تعالى به ويعمل به فمن حقه أن يستوثق من ذلك. وكذلك يسوغ للمستفتي أن لا يطالب مفتيه بالدليل اكتفاءً منه بظاهر حال المفتي وأنه لا يفتي إلا بعلم ودليل.

❁ آداب المستفتي:

الآداب الملزمة للمستفتي هي : آداب الإسلام بصفة عامة ويضاف إليها آداب طالب العلم وآداب المسلم نحو أهل العلم.

❁ ❁ ❁

السؤال الخمسون

الإفتاء «إخبار عن حكم الله تعالى» لذا ينبغي أن يكون المفتي مؤهلاً للفتيا.

فما هي الشروط التي ينبغي أن تتوافر في المفتي؟

الجواب

❁ الشروط التي يجب أن تتوافر في المفتي:

١- الإسلام

٢- البلوغ والعقل

٣- العدالة

٤- الاجتهاد

كذلك ينبغي أن يكون المفتي على قدر كاف من اليقظة وجودة الذهن والمعرفة بالناس ومكرهم وخداعهم حتى لا يقع في هذا الخداع وذلك المكر. وأن يكون صلبًا في دينه لا تأخذه في الله لومة لائم. وأن لا يتأثر بوعد أو وعيد. وأن يكون على قدر كبير من الورع والزهد ومخافة الله تعالى.

العدالة:

هيئة يكون عليها المسلم من مقتضياتها ولوازمها فعل المطلوب شرعًا وترك المنهي عنه شرعًا- وهجر ما يخرم المروءة ويوقع في التهم والشكوك .فالعدالة ملكة تحمل صاحبها على ملازمة التقوى والمروءة.

والمروءة صون النفس عن الأدناس وما يشينها عند الناس

❁ ❁ ❁

السؤال الواحد والخمسون

إنَّما هلك من كان قبلكم حين تشعبت بِهم السبل وحادوا عن الطريق وتركوا الآثار وقالوا في الدين برأيهم فضلوا وأضلوا.

فاذكر متى تجب الفتوى وما هي الأصول التي بني عليها الإمام أحمد بن حنبل فتاويه مع بيان حرمة الفتيا بالرأي؟

الجواب

١- شروط وجوب الفتوى:

أ- أن يكون المفتي عالما بالحكم ومتمكنًا من تحصيل العلم به.

ب- أن تكون المسألة قد وقعت فإن لم تكن وقعت وكان الحكم ثابتًا بنص أو إجماع أو قياس جلي وجب بيان الحكم حينئذٍ إذا كان الجواب ذا نفع للسائل - أما في حالة وقوع المسألة فإنه لا يجوز تأخير البيان عن الحاجة.

جـ- أن لا يخاف المفتي غائلة الفتيا.

د- أن لا يعلم من صراحة اللفظ أو قرائن الحال أن المستفتي يريد اتخاذ الفتيا حجة له على باطله بتحريفها أو إظهار العمل بها مع إبطان التوصل بها إلى ما حرمه الله تعالى.

❁ قال ابن تيمية (رحمه الله):

إذا كان المستفتي من المنافقين والكفار لم يجب الافتاء إذا كان يقصد موافقته على هواه.

❁ الأصول التي بنى عليها الإمام أحمد بن حنبل فتاويه:

❁ الأصل الأول – النصوص:

فإذا وجد النص أفتى بموجبه ولم يلتفت إلى ما خالفه ولا من خالفه كائنًا من

كان ولم يكن يقدم على الحديث الصحيح عملاً ولا رأيًا ولا قياسًا ولا قول صاحب ولا عدم علمه بالمخالف الذي يسميه كثير من الناس إجماعا يقدمونه على الحديث الصحيح.

❁ **الأصل الثاني:**

ما أفتى به الصحابة – فإنه إذا وجد لبعضهم فتوى لا يعرف له مخالف منهم فيها لم يعدها إلى غيرها ولم يقل إن ذلك إجماع بل من ورعه في العبارة يقول لا أعلم شيئا يرفعه أو نحو هذا.

❁ **الأصل الثالث:**

إذا اختلف الصحابة تخير من أقوالهم ما كان أقربها إلى الكتاب والسنة ولم يخرج عن أقوالهم فإن لم يتبين له موافقة أحد الأقوال حكى الخلاف فيها ولم يجزم بقول.

❁ **الأصل الرابع:**

الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف إذا لم يكن في الباب شيءٌ يدفعه وهو الذي رجحه على القياس وليس المراد بالضعيف عنده الباطل ولا المنكر ولا ما في روايته متهم بحيث لا يسوغ الذهاب إليه أو العمل به بل الحديث الضعيف عنده قسم والصحيح قسم من أقسام الحسن فالضعيف عند الإمام أحمد مراتب إذا لم يجد في الباب أثرا يدفعه ولا قول ولا إجماع على خلافه كان العمل به عنده أولى من القياس.

❁ **الأصل الخامس:**

إذا لم يكن عند الإمام أحمد في المسألة نص ولا قول الصحابة ولا أحد منهم ولا أثر مرسل أو ضعيف عول إلى الأصل الخامس وهو القياس فاستعمله للضرورة.

❁ الورع في الفتوى:

وكان يتوقف في الفتوى لتعارض الأدلة عنده أو لاختلاف الصحابة فيها أو لعدم إطلاعه فيها على أثر أو قول أحد من الصحابة أو التابعين.

وقد حرم الله سبحانه القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء وجعله من أعظم المحرمات بل جعله في المرتبة العليا منها فقال تعالى ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ (١١٧) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل:١١٧-١١٨].

وقال تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

❁ في تحريم الإفتاء في دين الله بالرأي المتضمن لمخالفة النصوص والرأي الذي لم تشهد له النصوص بالقبول:

قال الله تعالى ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

فقسم الأمر إلى أمرين لا ثالث لهما إما الاستجابة لله والرسولﷺ وما جاء به وإما اتباع الهوى فكل ما لم يأت به الرسولﷺ فهو من الهوى.

وقال سبحانه ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص:٢٦]

وقال سبحانه لنبيهﷺ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية:١٨-١٩]

فقسم الأمر بين الشريعة التي جعله هو سبحانه عليها وأوحى إليه العمل بها وأمر الله بها وبين اتباع أهواء الذين لا يعلمون فأمر بالأول ونهى عن الثاني.

وقال تعالى ﴿**اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ**﴾ فأمر سبحانه باتباع المنزل منه خاصة وأعلم ان من اتبع غيره فقد اتبع من دونه أولياء.

وقال تعالى ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾ فأمر بطاعته وطاعة رسولهﷺ وأعاد الفعل إعلامًا بأن طاعة الرسولﷺ تجب استقلالاً من غير عرض ما أمر به على الكتاب بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقًا سواء كان ما أمر في الكتاب أو لم يكن فيه فإنه أوتي الكتاب ومثله معه.

ولم يأمر بطاعة أولى الأمر استقلالاً بل حذف الفعل وجعل طاعتهم في ضمن طاعة الرسولﷺ إيذانًا بأنهم إنما يطاعون تبعًا لطاعة الرسولﷺ. فمن أمر منهم بطاعة الرسولﷺ وجبت طاعته ومن أمر بخلاف ما جاء به الرسولﷺ فلا سمع له ولا طاعة كما صح عنهﷺ أنه قال «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»[1].

وقالﷺ «**إنما الطاعة في المعروف**»[1].

وقالﷺ في ولاة الأمر «**من أمركم منهم بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»[1].

وقد أخبرﷺ عن الذين أرادوا دخول النار لما أمرهم أميرهم بدخولها «**إنهم لو دخلوها ما خرجوا منها**»[1].

مع أنهم إنما كانوا يدخلونها طاعة لأميرهم وظنًّا أن ذلك واجب عليهم ولكن لما قصروا في الاجتهاد وبادروا إلى طاعة من أمر بمعصية الله وحملوا عموم الأمر

---

(١) مسلم: كتاب الإمارة/ باب وجوب الطاعة للأمراء في غير معصية.

بالطاعة بما لم يرده الآمرﷺ وما قد علم من دينه إرادة خلافه فقصروا في الاجتهاد وأقدموا على تعذيب أنفسهم وإهلاكها من غير تثبيت وتبيين هل ذلك طاعة لله ورسوله أم لا

فما الظن بمن أطاع غيره في صريح مخالفة ما بعث الله به رسولهﷺ.

ثم أمر تعالى برد ما تنازع فيه المؤمنون إلى الله ورسوله إن كانوا مؤمنين وأخبرهم أن ذلك خير لهم في العاجل وأحسن تأويلاً في العاقبة.

❁ أبو بكر الصديق رضي الله عنه وإنكاره للرأي:

عن ابن أبي مليكة قال قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إن قلت في آية من كتاب الله برأي أو بما لا أعلم.

❁ في المنقول عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على المنبر يا أيها الناس إن الرأي إنما كان من رسول اللهﷺ مصيبا إن الله كان يريه وإنما هو منا الظن والتكلف.

ثم قال وذلك لأن الله تعالى قال في كتابه ﴿أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥].

وقال عمر: أصبح أهل الرأي أعداء السنن أعيتهم أن يعوها وتفلتت منهم أن يرووها فاستبقوها بالرأي.

وقال واستحيوا حين سُئلوا أن يقولوا لا نعلم فعارضوا السنن برأيهم فإياكم وإياهم.

❁ وقال ابن مسعود رضي الله عنه:

لا يأتي عليكم عام إلا وهو شر من الذي قبله أما إني لا أقول أمير خير من أمير ولا عام أخصب من عام ولكن فقهاؤكم يذهبون ثم لا يجدون منهم خلفًا ويجيء قوم يقيسون الأمور برأيهم.

❁ وقال ﷺ أيضًا:

إياكم وأرأيت أرأيت فإنما هلك من كان قبلكم بأرأيت أرأيت ولا تقيس شيئا فتزل قدم بعد ثبوتها وإذا سئل أحدكم عما لا يعلم فليقل لا أعلم فإنه ثلث العلم.

وصح عنه ﷺ في المفوضة أنه قال أقول فيها برأيي فإن يكن صوابًا فمن الله وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان والله رسوله بريء منه.

فالسلف جميعهم على ذم الرأي والقياس المخالف للكتاب والسنة وأنه لا يحل العمل به لا فُتيا ولا قضاء وأن الرأي الذي لا يعلم مخالفته للكتاب والسنة ولا موافقته فغايته أن يسوغ العمل به عند الحاجة إليه من غير إلزام ولا إنكار على من يخالفه.

❁ قال الحسن بن واصل رحمه الله:

إنما هلك من كان قبلكم حين تشعبت بهم السبل وحادوا عن الطريق وتركوا الآثار وقالوا في الدين برأيهم فضلوا وأضلوا.

فسبب هلاك الأمم اتباع الرأي وترك الأثر.

❁ المفتي قائم مقام النبي ﷺ:

والدليل على ذلك أمور

١- النقل الشرعي في الحديث **«أن العلماء ورثة الأنبياء وأن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا وإنما وَرَّثوا العلم»**[(١)]

- وقال النبي ﷺ **«بينا أنا نائم أتيت بقدح من اللبن فشربت حتى إنِّي لأرى الريَّ يخرج من أظفاري ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب»** قالوا فما أولته يا رسول

---

(١) أبو داود: كتاب العلم / باب الحث على طلب العلم.

ابن ماجه: كتاب المقدمة/ باب فضل العلماء والحث على طلب العلم.

فتح الباري (١/١٦٠) قال ابن حيان عقب الحديث: هذا الحديث بيان واضح أن العلماء الذين لهم الفضل الذين ذكرناهم هم العلماء الذين يعلمون علم النبي ﷺ.

الله؟ قال «العلم»(١)

وهو في معنى الميراث.

- وبُعث النبي ﷺ نذيرا لقوله الله تعالى ﴿إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ﴾ [هود:١٢] وقال سبحانه في العلماء ﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾ [التوبة:١٢٢] وأشباه ذلك.

٢- أنه نائب عنه في تبليغ الأحكام

لقول النبي ﷺ «ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب»(٢)

وقال النبي ﷺ «بلغوا عن ولو آية»(٣)

وقال ﷺ «تسمعون ويُسمع منكم ويُسمع ممن يَسمع منكم»(٤)

* * *

(١) البخاري: كتاب التعبير/ باب اللبن.
مسلم: كتاب فضائل الصحابة/ باب من فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) البخاري: كتاب العلم/ باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب.
كتاب المغازي / باب حجة الوداع.
مسلم: كتاب القسامة/ باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال.

(٣) البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء/ باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

(٤) أبو داود: كتاب العلم/ باب فضل نشر العلم.

السؤال الثاني والخمسون

«وجود المفتي من فروض الكفاية ولكن يجب العمل على إيجاده باتخاذ الوسائل الضرورية لذلك وإذا لم يوجد مفتي في مكان ما حرم السكن فيه ووجب الرحيل منه إلى حيث يوجد من يفتيه في أحكام الدين وما ينزل به من نوازل». علل ذلك؟

الجواب

لأهمية وجود المفتي في البلد قال العلماء: إذا لم يوجد مفت في مكان ما حرم السكن فيه ووجب الرحيل منه إلى حيث يوجد من يفتيه في أحكام الدين وما ينزل به من نوازل.

❁ العمل على إيجاد المفتين:

يجب العمل على إيجاد المفتي وذلك باتخاذ الوسائل الضرورية لذلك.

❁ قال ابن حزم (رحمه الله):-

«فرض على كل جماعة مجتمعة في قرية أو مدينة أو حصن أن ينتدب منهم من يطلب جميع أحكام الديانة أولها عن آخرها ويتعلم القرآن كله وما صح عن النبي ﷺ من أحاديث الأحكام وغيرها ثم يقوم بتعليمهم فإن لم يجدوا في محلتهم من يفقههُم في ذلك كله ففرض عليهم الرحيل إلى حيث يجدون العلماء المجتهدون في صنوف العلم وأن بعدت ديارهم وإن كانوا بالصين».

❁ ❁ ❁

السؤال الثالث والخمسون

متى يضمن المفتي ما حكم به في مسألة وعلى من تقع كفاية المفتي المالية وما هي الواجبات الملزمة للمفتي مع بيان لجملة من الآداب التي ينبغي للمفتي أن يلتزمها؟

الجواب

❁ ضمان المفتي:

فإذا أفتى المفتي مستفتيه بفتوى معينة فعمل بها وأدى عمله إلى إتلاف نفس أو مال وحكم على المستفتي بالضمان فهل يرجع على مفتيه بما ضمن أم لا؟

ينظر: فإن كانت فتوى المفتي باطلة مطلقا لمخالفتها للنص القاطع أو الإجماع الظاهر كان للمستفتي أن يرجع بما ضمن على المفتي لأنه هو المتسبب في ذلك.

وإن كانت فتوى المفتى سائغة لم يضمن المفتي شيئًا ولا يحق للمستفتي أن يرجع على المفتي بما ضمن. أما إذا كان المفتي غير أهل للإفتاء فإنه يضمن مطلقًا.

❁ واجبات المفتي وآدابه:

١- ينبغي أن يُطيل النظر والفكر ولا يسرع في الإجابة لأنه يتكلم في دين يحاسب عليه أمام الله.

٢- إذا لم يعرف الإجابة فليقل الله أعلم أو لا أدري.

٣- ينبغي أن يتعرف على عرف البلد وعاداته ليعرف مفهوم المستفتي وإذا لم يفهم السؤال استفهم من السائل عن مراده.

٤- ينبغي أن يبتعد عن مظان التهم والريب ليكون قوله مقبولاً عند المستفتي وغيره.

٥- لا ينبغي أن يقبل هدية من المستفتي لئلا يجره ذلك إلى التساهل معه في

الفتيا دون أن يشعر.

٦- ينبغي أن يكون متواضعًا لا فظًّا ولا غليظًا وأن يُقبل على المستفتي بلطف وبشاشة.

✽ ينبغي للمفتي (آداب المفتي في نفسه):

١- أن يكون حسن الزي على الوضع الشرعي فإن الخلق مجبولون على تعظيم الصور الظاهرة.

٢- أن يكون حسن السيرة والسريرة (فمن أسر سريرة كساه الله رداءها) فينبغي لمن تولى ذلك أن يعالج نفسه ويجتهد في صلاح حاله فيحمل نفسه على أدب الشرع وحفظ المروءة وعلو الهمة ويتوقى ما يشينه في دينه ومروءته وعقله فإنه أهل أن ينظر إليه ويقتدى به، وليس يسعه في ذلك ما يسع غيره فالعيون إليه مصروفة ونفوس الخاصة على الاقتداء بهديه موقوفة.

٣- أن يكون صدوعًا بالحق لأولي المهابة والسطوة لا تأخذه في الله لومة لائم.

٤- أن يجتهد في إيصال الحق بالتلطف إن أمكن فهو أولى ﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه:٤٤] وفي بعض الأحيان قد يتعين الإغلاظ والمبالغة في النكير إذا كان اللين يوهن الحق ويدحضه.

٥- أن يكون قليل الطمع كثير الورع فما أفلح مستكثر من الدنيا ومعظِّم أهلها وحطامها.

٦- فليبدأ بنفسه في كل خير يُفتي به فهو أصل استقامة الخلق بفعله وقوله. ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٤٤] ومتى كان المفتي متقيًا لله تعالى وضع الله البركة في قوله ويسر قبوله على مستمعيه.

٧- ألا يقبل الهدية وإن كافأ عليها أضعافها إلا من خواص القرابة. لأن الهدية تورث إدلال المُهدِي وإغضاء المهْدَى إليه.

٨- أن يجتنب بطانة السوء وألا يفتي وهو على حالة تشويش من جوع أو شبع أو غضب أو هَمّ أو انشغال قلب أو رهبة أو إرهاق وكذلك شدة الفرح وشدة الحزن.

٩- ظاهر الورع.

١٠- مشهور بالديانة الظاهرة والصيانة الباهرة.

❁ الأجرة على الإفتاء:

وتكون أجرة المفتي من بيت المال لأن الإفتاء من المصالح العامة — فلذلك يجوز للإمام أن يخصص شيئا لمن يقوم بالإفتاء من بيت المال طالما لم تكن عنده كفاية مالية فإن كانت له كفاية مالية فالأولى عدم أخذ الأجرة على الفتوى وأن يكون متطوعًا ولا يجوز للمفتي أخذ أجرة على فتاويه من المستفتي.

❁ قال ابن القيم (رحمه الله):

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله :

لا ينبغي للرجل أن ينصب نفسه للفتيا حتى يكون فيه خمس خصال :

١- أن تكون له نية، فإن لم تكن صالحة لم يكن عليه نور ولا على كلامه نور.

٢- أن يكون له علم وحلم ووقار وسكينة.

فلابد أن يحيط بالقواعد الفقهية الكلية التي تندرج تحتها أكثر الجزئيات لأن القواعد الكلية تدل على الاتجاهات العامة للشريعة وتعطي النظرة الكلية الشاملة وتجمع بين الأحكام الفقهية الفرعية.

وأن يكون هذا العلم مبنيًّا على الكتاب والسنة.

وكذلك ينبغي أن يكون حليمًا متأنيًا غير متسرع لا يعجل ولا تستفزه أوائل الأمور وظاهرها حتى يعلم أواخرها وبواطنها.

٣- أن يكون قويًّا على ما هو فيه وعلى معرفته.

٤- الكفاية وإلا مضغه الناس.

٥- معرفة الناس.

ومعرفة الناس أصل عظيم يحتاج إليه المفتي والحاكم حتى لا يروج عليه المكر والخداع والاحتيال فلابد أن يكون فقيهًا في معرفة مكر الناس وخداعهم واحتيالهم وعوائدهم وعرفياتهم.

فإن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والعوائد والأحوال وذلك كله من دين الله فإن جاءه مستفتي يسأله عن مسألة فيها تحيل على إسقاط واجب أو تحليل محرم أو مكر أو خداع فلا يعينه فيها ويرشده إلى مطلوبه أو يفتيه بالظاهر الذي يتوصل به إلى مقصوده بل ينبغي له أن يكون بصيرا بمكر الناس وخداعهم وأحوالهم ولا ينبغي أن يحسن الظن بهم بل يكون حذرًا فطنًا فقيهًا بأحوال الناس وأمورهم يوازره فقهه في الشرع.

❁ ❁ ❁

السؤال الرابع والخمسون

«الإفتاء تبليغ عن الله تعالى وإخبار عما شرعه لعبادة من أحكام».

فمن أول من قام بالإفتاء؟ ومن الذي قام بالإفتاء بعد النبي ﷺ مع بيان من له حق الإفتاء وما إذا كان الإفتاء يحتاج إلى إذن الإمام أم لا؟

الجواب

❁ أول من قام بالإفتاء:

هو النبي ﷺ.

❁ الإفتاء بعد النبي ﷺ:

الصحابة رضي الله عنهم قاموا بهذه المهمة بعد موت النبي ﷺ.

والمكثرون منهم من الفتيا سبعة (رضي الله عنهم أجمعين)

عمر بن الخطاب - علي بن أبي طالب - عبد الله بن مسعود - عائشة رضي الله عنها - زيد بن ثابت - عبد الله بن عباس - عبد الله بن عمر.

❁ من له حق الإفتاء:

كل من كان أهلاً لأن يكون مفتيًا جامعًا للشروط التي ينبغي أن تتوافر في المفتي فهذا له حق الإفتاء سواء عين مفتيًا أو لم يعين.

فالإفتاء لا يتوقف على أن يكون معينا من قبل الإمام- لأنه يخبر عن ربه تعالى أحكام الشرع.

لأن الإفتاء من الواجبات الدينية بالنسبة للقادرين عليه ولا يشترط للقيام بالواجب الديني أخذ الأذن من ولي الأمر.

۞ حكم الإفتاء:

فرض كفاية إذا وجد أكثر من عالم يصلح للفتيا فإذا قام بها واحد سقط الإثم عن الباقين أما إذا لم يقم بها أحد فقد أثم الجميع.

وتكون الفتيا فرض عين إذا لم يكن في الناحية أو البلدة الكبيرة إلا شخص واحد متأهل لها. وتحرم الفتوى على غير من تأهل لها ولم تكتمل لديه أدواتها كما يأثم من عينه أو أقره عليها.



السؤال الخامس والخمسون

هل يحق للعامي أن يفتِي بما يجده في كتب الحديث أو بما علم حكمه في مسألة ما؟

الجواب

۞ العامي إذا عرف حكم المسألة:

وإذا عرف العامي حكم مسألة من المسائل ودليلها، فهل له أن يفتي من سأله عنها؟ قال بعضهم: يجوز له ذلك، وقال آخرون: يجوز إذا كان دليل المسألة نصا من كتاب الله أو سنة نبيه.

وقال بعض آخر: لا يجوز للعامي أن يفتي مطلقا ولو في مسألة عرف حكمها ودليلها إذ قد يكون لهذا الدليل معارض يجهله هو.

ولكن لو أفتاه عالم بحكم مسألة ثم سئل عنها فله أن يخبر بحكمها عمن أخبره لأن الإفتاء إنما يكون باجتهاد من نفسه لا بالحكاية عن غيره. والظاهر أن العامي إذا عرف حكم مسألة بطريق من طرق المعرفة المعتبرة شرعا، فلهذا العامي أن يفتي غيره بها وإن كان الأحوط أن ينقل له نص فتوى من أفتاه بها.

۞ هل يفتي العامي بما يجده في كتب الحديث؟

ومن لم يكن مجتهدًا وكان عنده كتب الحديث وشروحه وأقوال الصحابة، فهل له أن يفتي بما يجده في هذه الكتب أم لا؟ قال عبد الله: سألت أبي -أي الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى- عن الرجل تكون عنده الكتب المصنفة فيها قول رسول الله ﷺ واختلاف الصحابة والتابعين وليس للرجل بصر بالحديث الضعيف المتروك ولا بالإسناد القوي من الضعيف فهل يجوز له أن يعمل بما شاء ويتخير ما أحب مما يجده في هذه الكتب فيفتي ويعمل به؟ قال (أي الإمام أحمد بن حنبل) لا

يعمل حتى يسأل أهل العلم عما يأخذ به منها حتى يكون عمله على وجه صحيح.



السؤال السادس والخمسون

ينبغي للمفتي ألا يريد بفتواه مباهاة العلماء وحصول المترلة عند الناس ولكن ينبغي أن يخلص لله فيقصد تبليغ شرع الله وتعليم الناس ما أنزل الله ابتغاء مرضاة الله. فعلى من يجب الإفتاء وعلى من يحرم وعلى من يكره؟

الجواب

❁ والإفتاء يصير واجبًا ممن هو أهل له في حالتين:

١- الإفتاء واجب في حق من عينه ولي الأمر مفتيًا ورضي بهذا التعيين. ولكن يجب أن يعرف بأن هذا الوجوب لا يعني وجوب الإفتاء عليه في كل ما يسأل عنه، وإنما يعني وجوب النظر في موضوع الاستفتاء وإرادته الإفتاء، فإذا عرف حكم المسألة المسئول عنها أفتى فيها وإذا لم يعرف قال: لا أعرف، ولا يجوز إلزامه بالإفتاء فيما يجهله.

٢- إذا كان أهلا للإفتاء ولم يعينه ولي الأمر مفتيا ولا يوجد غيره يفتي الناس فإن الإفتاء يتعين عليه إذا استفتاه أحد في مسألة شرعية وقدر على الجواب.

❁ على من يحرم الإفتاء:

ويحرم الإفتاء على الجاهل، لأن الإفتاء أخبار عن شرع الله فلا يجوز إلا بعلم، قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾.

فالإفتاء بغير علم ضلال وإضلال للغير وكل ذلك حرام، وكما يحرم على الجاهل الإفتاء يحرم الإفتاء على الماجن الذي لا يبالي بما يفتي وبما يقول.

❁ على من يكره الإفتاء:

اختلف الفقهاء في حكم الإفتاء بالنسبة للقاضي، فقال بعضهم يكره الإفتاء للقاضي في مسائل الأحكام التي ينظرها مخافة أن يجبن عن الرجوع عما أفتى به إذا ترجح عنده وقت المحاكمة ضد ما أفتى به، قال القاضي شريح: أنا أقضي لكم ولا أفتي.

ولكن للقاضي أن يفتي في مسائل العبادات كالصلاة والصيام. وقال الحنفية: للقاضي أن يفتي من لم يخاصم إليه، ولا يفتي أحد الخصمين فيما خوصم إليه.

وقال بعض الفقهاء: للقاضي أن يفتي ما دام أهلاً للإفتاء، ولم يقيدوا هذا الجواز بشيء.

❁ ❁ ❁

السؤال السابع والخمسون

كان السلف الصالح يتهيبون من الإفتاء مع صلاحيتهم له ويود كل واحد منهم أن يقوم غيره به بل وكان كل واحد منهم أو أكثرهم يحيل الإفتاء إلى غيره ليكفيه مؤنته ويجنبه خطرة.

علق على ذلك مع بيان متى تكون الجرأة على الفتيا مسلك محمود وليس بمذموم ومتى يحل للمفتِي الامتناع عن الفتيا؟

الجواب

❁ التهيب من الإفتاء:

الإفتاء وإن كان تبليغًا لشرع الله وقيامًا بواجب ديني إلا أن صاحبه معرض للخطأ ، ومن هنا كان السلف الصالح يتهيبون من الإفتاء مع صلاحيتهم له ويود كل واحد منهم أن يقوم غيره به ، بل وكان كل واحد منهم أو أكثرهم يحيل الإفتاء إلى غيره ليكفيه مؤنته ويجنبه خطره، قال عبد الرحمن بن أبي ليلى: أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب النبيﷺ يسأل أحدهم عن المسألة فيردها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول. وفي رواية أخرى: ما منهم من يحدث بحديث إلا ود أن أخاه كفاه إياه ولا يستفتى عن شيء إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا. وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى: لولا الخوف من الله تعالى أن يضيع العلم ما أفتيت، يكون لهم المهنأ وعليَّ الوِزر.

❁ الجرأة على الإفتاء:

وإذا كان التهيب من الإفتاء مسلكًا حميدًا عرف به السلف الصالح فإن الجرأة على الإفتاء وجدت أيضا في السلف الصالح ولهذا كان بعضهم كثير الفتيا، ولا تتأتي الكثرة في الفتيا مع التهيب من الإفتاء عادة، فكيف نوفق بين التهيب من

الإفتاء – وهو مسلك حميد- والجرأة عليه وقد وجد المسلكان في السلف الصالح دون نكير؟

التحقيق في المسألة أن التهيب من الإفتاء قد يكون سببه كثرة المفتين وعدم تعين الإفتاء على المسئول وهذا ما كان واقعًا وغالبًا في السلف الصالح، أما الجرأة على الإفتاء فقد يكون سببها قلة العلم كما قد يكون سببها سعة العلم وابتلاء صاحبه بكثرة السائلين. أما السبب الأول للجرأة وهو قلة العلم حيث يندفع من قل علمه إلى الجواب عن كل مسألة مخافة أن يتهم بالجهل، فهذا، ولله الحمد، لم يقع في السلف الصالح، أما السبب الثاني للجرأة وهو سعة العلم وابتلاء المسئول بكثرة السائلين فهذا قد وقع في السلف الصالح ولهذا عرف من كثرت فتاواه وبسبب هذه الكثرة عرف بالجرأة على الإفتاء، وهذه بلا شك جُرأة محمودة غير مذمومة، ولهذا كان ابن عباس رضي الله عنهما من أوسع الصحابة إفتاء وجمعت فتاواه في عشرين سفرًا، وكان سعيد بن المسيب في التابعين واسع الفتيا، وكانوا يسمونه سعيد بن المسيب الجريء.

❁ الامتناع عن الإفتاء:

وقد يكون الشخص أهلاً للإفتاء غير متهيب منه، ولكن يرى أو يوجد ما يدعوه إلى الامتناع عن الإفتاء فيجوز له ذلك الامتناع ومن هذه الحالات:

١- قد يسأل المستفتي عن أمر شرعي وتدل القرائن للمفتي المتيقظ أن مراد المستفتي التوصل بالفتوى إلى غرض فاسد.

٢- قد يسأل العامي عن مسألة عويصة لا يستطيع إدراكها وليس هي من المسائل التي يلزمه معرفة حكمها، فيمتنع المفتي عن الإجابة لئلا يوقعه في الحيرة والفهم الفاسد.

٣- إذا كان موضوع الاستفتاء حادثة لم تقع بَعد، فيمتنع المفتي عن الإجابة اتباعًا لمسلك بعض السلف في الامتناع عن الإفتاء فيما لم يقع بعد مخافة يأن يتبدل

اجتهاده عند وقوع الحادثة.

٤- إذا كان المفتي في حالة يخشى فيها عليه من عدم التثبت والتأمل في موضوع الاستفتاء، كحال الغضب والجوع والعطش و الهم والخوف والمرض والحر الشديد وانشغال الفكر ومدافعة الأخبثين ونحو ذلك من الظروف والأحوال.

❁ ❁ ❁

السؤال الثامن والخمسون

إن كانت الفتوى هي حكم الشرع الذي يخبر عنه المفتي بإفتائه فيجب أن تقوم على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وما دل عليه هذان الأصلان من أدلة الأحكام كالإجماع والقياس وغيره.

وينبغي أن تكون الفتوى متعلقة بموضوع الاستفتاء مطابقة له ليحصل المستفتي على بغيته من استفتائه ولكن يجوز أن تكون الفتوى أوسع من موضوع الفتوى إذا رأي المفتي فائدة للمستفتي من هذه التوسعة وينبغي أيضًا أن تكون واضحة. بين ذلك؟

الجواب

يجوز أن تكون الفتوى أوسع من موضوع الاستفتاء، بمعنى أنها تتعلق به وبغيره، إذا رأى المفتي أن في هذا التوسع فائدة للمستفتي، ودليل ذلك أن بعض الصحابة الكرام سألوا النبي ﷺ عن ماء البحر وهل يجوز الوضوء به، فقال ﷺ «هو الطهور ماؤه الحل ميتته»[1] فأجابهم ﷺ عن ميتة البحر ولم يسألوه عنها لعلمه ﷺ بفائدة بيان هذا الحكم لهم.

كما يجوز أن تكون الفتوى متعلقة بموضوع آخر غير موضوع الاستفتاء، وهذا يكون إذا رأى المفتي أن الجواب على موضوع الاستفتاء لا يفيد المستفتي أو لا يقوى على إدراكه وفهمه فيحيد عن جواب سؤاله إلى بيان بعض ما يحتاجه المستفتي، ويدل على ذلك قوله تبارك وتعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ١٨٢].

---

(١) الترمذي: كتاب العلم/ باب ما جاء في ماء البحر أنه طهور.

❁ وضوح الفتوى:

ولما كانت الفتوى تتضمن بيان حكم الشرع وتبليغه فيجب أن تكون واضحة مفهومة لأن التبليغ يجب أن يكون بالأسلوب المبين ولهذا قال تعالى في تبليغ الرسالة وقيام الرسول ﷺ ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾ ويتأتى وضوح الفتوى باللغة السهلة والأسلوب المفهوم لدى المستفتي، بعيدة عن الاصطلاحات التي لا يفهمها المستفتي. كما ينبغي أن تكون خالية من التردد وعدم القطع في الجواب كأن يقول المفتي: في المسألة قولان، لأن المستفتي يريد الجواب القاطع الذي يقلد المفتي فيه ويعمل بموجبه.

ومن لوازم وضوح الفتوى وإيضاحها للمستفتي أن يمهد لها المفتي إذا كان فيها حكم مستغرب حتى يزول هذا الاستغراب عند المستفتي بهذا التمهيد.

❁ الإيجاز والإطالة في الفتوى:

والوضوح في الفتوى لا يستلزم الإطالة بالضرورة، ولهذا كان الأصل في الفتوى الإيجاز والاختصار حتى تبدو وكأنها نص قانوني لأن الغرض من الفتوى بيان الحكم الشرعي في المسألة للمستفتي وليس الغرض منها مناقشة الآراء وسوق الأدلة. وعلى هذا يجوز للمفتي ويسعه أن يقول في فتواه جوابًا للمستفتي: يجوز، أو لا يجوز. أو يقول نعم، أو لا.

ولكن يجب أن يعلم أن الإيجاز في الفتوى لا يجوز إذا كان على حساب الإخلال بالبيان المطلوب والوضوح المطلوب، وعلى هذا يجب على المفتي أن يطيل في فتواه إذا كان ذلك لا بد منه لوضوح الفتوى وتخليصها من الإبهام والغموض، فمن استفتى عن حكم من قال قولا يكفر قائله، فلا يبادر المفتي بالقول: إنه حلال الدم، وإنما يجب أن يكون الجواب بشيء من التفصيل والإطالة كأن يقول في الجواب: إذا ثبت ذلك عليه بالبينة الشرعية أو بالإقرار استتابه ولي الأمر فإن تاب قبلت توبته وإن أصر ولم يتب قتل. وكذلك إذا سئل المفتي عن كلام يحتمل معنيين

فليقل في فتواه: إن أراد المستفتي بكلامه كذا وكذا، فالحكم كذا، وإن أراد كذا، فالحكم كذا.

وإذا كان في المسألة تفصيل لم يطلق المفتي الجواب بل يفصله. وإذا كان السؤال يتضمن جملة مسائل فصلها المفتي وذكر مع كل مسألة الفتوى التي تخصها..

❁ يحرم على المفتي التساهل في الفتوى:

فمن التساهل أن لا يتثبت ويسرع بالفتوى قبل استيفاء حقها من النظر والفكر. ومن التساهل أن تحمله الأغراض الفاسدة على تتبع الحيل المحرمة أو المكروهة والتمسك بالشبه طلبًا للترخيص لمن يروم نفعه أو التغليظ على من يريد ضره.

وينبغي أن لا يفتي في حال تغير خلقه وتشغل قلبه ويمنعه التأمل (كغضب وجوع وحزن ونعاس ومرض مؤلم أو حر مزعج).

وكل حال يشتغل فيه قلبه ويخرج عن حد الاعتدال.

❁ ❁ ❁

السؤال التاسع والخمسون

فتوى المفتي تحصل من جهة القول أو الفعل أو الإقرار. بين ذلك؟

الجواب

فالمفتي مخبر عن الله تعالى كالنبي ﷺ وموقع للشريعة على أفعال المكلفين بحسب نظره كالنبي ﷺ.

❁ **والفتوى من المفتي تحصل من جهة القول والفعل والإقرار:**

- **الفتوى بالقول.** فهذا أمر مشهور.

- **الفتوى بالفعل.** فمن جهتين:

١- ما يقصد به الإفهام في المعهود (معهود الاستعمال) فهو قائم مقام القول المصرح به كقوله ﷺ «**الشهر هكذا وهكذا وهكذا**»(١) وأشار بيديه.

وسئل النبي ﷺ في حجته فقال ذبحت قبل أن أرمي فأومأ بيده قال «**ولا حرج**»(٢).

وقال النبي ﷺ «**يقبض العلم ويظهر الجهل والفتن ويكثر الهرج**» قيل يا رسول الله وما الهرج؟ فقال «**هكذا**» بيده فحرفها كأنه يريد القتل(٣).

وحديث عائشة رضي الله عنها في صلاة الكسوف حين أشارت إلى السماء قلت آية؟

---

(١) البخاري: كتاب الصيام/ باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال.
كتاب الصوم / باب قول النبي ﷺ إذا رأيتم الهلال فصوموا.
البخاري: كتاب الطلاق/ باب اللعان.

(٢) البخاري: كتاب الصيام/ باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال.

(٣) البخاري: كتاب العلم/ باب من أجاب الفتيا بإشارة من اليد والرأس.

فأشارت برأسها أي نعم[(١)].

٢- ما يقتضيه كونه أسوة يقتدى به ومبعوثًا لذلك قصدًا وأصله قول الله تعالى

﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾ [الأحزاب:٣٧]

وقال سبحانه قبل ذلك ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١]

وقال سبحانه في إبراهيم عليه السلام ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ [الممتحنة:٤]

❁ **والتأسي**: هو إيقاع الفعل على الوجه الذي فعله.

وقال ﷺ لأم سلمة **«ألا أخبرتيه أنّي أقبل وأنا صائم»**[(٢)]

وقال ﷺ **«صلوا كما رأيتموني أصلي»**[(٣)]

وقال ﷺ **«خذوا عني مناسككم»**[(٤)]

فإذا كان كذلك وثبت للمفتي أنه قائم مقام النبي ﷺ لزم من ذلك أن أفعاله محل للاقتداء أيضًا فما قصد بها البيان والإعلام فظاهر وما لم يقصد به ذلك فالحكم فيه كذلك أيضا من وجهين:

أ- أنه وارث وقد كان المورث (قدوة) بقوله وفعله مطلقًا (أي سواء قصد به البيان أم لم يقصد).

---

(١) البخاري: كتاب الكسوف /باب صلاة النساء مع الرجال في صلاة الكسوف.
مسلم: كتاب الكسوف / باب فأعرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار.

(٢) مسلم: كتاب الصيام - باب بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته.

(٣) البخاري: كتاب الأذان - باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة.

(٤) مسلم: كتاب الحج: باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبًا.

فكذلك الوارث وإلا لم يكن وارثًا على الحقيقة فلابد من أن تنتصب أفعاله مقتدى بها كما انتصبت أقواله.

ب- أن التأسي بالأفعال بالنسبة إلى من يعظّم في الناس سر مبثوث في طباع البشر لا يقدرون على الانفكاك عنه بوجه ولا بحال لا سيما عند الاعتياد والتكرار.

۞ إيقاع الفتوى بالإقرار:

فراجع في المعنى إلى الفعل لأن الكف فعل وكف المفتي عن الإنكار إذا رأى فعلاً من الأفعال كتصريحه بجوازه وقد أثبت الأصوليون ذلك دليلاً شرعيًّا بالنسبة إلى النبيﷺ وكذلك يكون بالنسبة إلى المنتصب للفتوى.

۞ ۞ ۞

السؤال الستون

قد تتغير الفتوى زماناً مكاناً وشخصاً. وضح ذلك.

مع بيان الفرق بين الحكم والفتوى؟

الجواب

تغير الفتوى زمانًا ومكانًا وشخصًا تعتمد على مظنة المفتى وملاحظته الأحوال والأمكنة والأزمنة والظروف وحالة المستفتي...

❁ الفرق بين الفتوى والحكم:

هناك جملة فروق بين الفتوى التي تصدر عن المفتي وبين الحكم الذي يصدر عن القاضي، ومن هذه الفروق:

١- الفتوى تعتبر محض إخبار عن الله تعالى بما هو مطلوب شرعًا من المستفتي أو بما هو مباح له. أما حكم القاضي فهو وإن كان إخبارًا عن حكم الشرع أيضًا إلا أن فيه إلزاما للمحكوم عليه بما تضمنه الحكم.

٢- إن كل ما يجري فيه حكم القاضي تجري فيه الفتوى أيضا ولا عكس، فالعبادات تجري فيها الفتوى ولكن لا يجري فيها حكم القضاء فليس لحاكم أن يحكم أن هذه الصلاة صحيحة أو فاسدة أو أن هذا الماء نجس لا يجوز الوضوء به ولكن للمفتي أن يفتي في هذه المسائل ونحوها. ويلحق بالعبادات أسبابها كما لو شهد شاهد أو شاهدان بهلال رمضان وأثبت ذلك حاكم وأمر بإعلانه فإن ذلك منه فتوى وليس بحكم وهذا ما قاله المالكية.

٣- فتوى المفتي أعظم خطرًا من حكم القاضي، لأن الفتوى تعتبر شريعة عامة تتعلق بالمستفتي وغيره، أما حكم القاضي فهو خاص لا يتعدى إلى غير المحكوم عليه وله.



٤- نظام الحسبة

(٦١-٦٩)

٤- نظام الحسبة

السؤال الواحد والستون

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية إذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقين وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلا عذر ولا خوف ثم إنه قد يتعين كما إذا كان موضوع لا يعلم به إلا هو أو لا يتمكن من إزالته إلا هو وهو باب عظيم قد ضُيِّع أكثره من أزمنة طويلة ولم يبق منه في هذه الأزمنة إلا رسوم قليلة جداً وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه وإذا كثر الخبث عم الصالح والطالح وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقابه.

عرف الحسبة وما هي مكانتها في الإسلام وما هي أركانها؟

الجواب

❁ الحسبة:

وهي الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله.

❁ دليل مشروعية الحسبة:

قال الله تعالى

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤]

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة:٧١]

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران:١١٠]

﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [الحج:٤١]

وقال النبي ﷺ **«من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»**(١)

وقال ﷺ **«لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم»**(٢)

۞ مدى مشروعيتها:

هي من فروض الكفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقين وإن لم يقم بها أحد أثم القادرون عليها. وقد تكون من فروض الأعيان إذا تعينت على شخص معين.

۞ مكانة الحسبة في الإسلام:

۞ أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قد يظن من لا علم له بحقيقة ما بعث الله به نبيه ﷺ أنه يكفيه أن يؤمن بالله وحده ويتقرب إليه ببعض الطاعات دون أن يشتغل بأمر غيره بالمعروف أو نهيه عن المنكر.

وهذا غلط بين لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعد من أعظم شرائع الإيمان كما أنه يعد من الأسس والدعائم الهامة لتحقيق الهداية وتحصيلها.

وهي من أصول الإسلام العظيمة – لذا قال النبي ﷺ **«الدين النصيحة»** قيل لمن يا رسول الله قال **«لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»**(٣)

---

(١) مسلم: كتاب الإيمان/ باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان.

(٢) ابن ماجه: كتاب الفتن/ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٣) مسلم: كتاب الإيمان/ باب تفاضل أهل الإيمان.

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجدي ويثمر إذا استوفى شروطًا معينة فإذا أخل الداعي بها أساء إلى الدعوة وكان أداة تنفير وكان سكوته خيرًا للناس.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله وهو من الدين.

❁ في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال الله تعالى ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران:١١٣-١١٤]

فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الإيمان بالله واليوم الآخر حتى أضاف إليهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

❁ فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن:

- من أخص صفات صفيه من خلقه ﷺ حيث قال الله تعالى

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [الأعراف:١٥٧]

- وهذا وصف من أخص أوصاف من اصطفاهم الله تعالى من سائر البشر ليكونوا أتباعًا لرسله وأنبيائه ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ﴾ [التوبة:٧١]

- من أوصاف المؤمنين ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:١١٢]

– وصف الله تعالى عباده الذين يمكن الله لهم في الأرض ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج:٤٨]

– وصف الله عز وجل خير أمة أخرجت للناس كان من صفاتهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠]

فكان هذا الأصل (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) أحسن ما يعمله المؤمن ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣]

ولقد جعل الله تعالى حماية العقيدة وصيانة الفضيلة وعز الأمة والفلاح للمؤمنين منوطًا بالقيام بهذا الواجب قال الله تعالى ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤]

❁ أركان الحسبة:

– المحتسب (وهو من يقوم بها).

– المحتسب فيه (وهو الذي تجري فيه الحسبة سواء كان عمل أو ترك).

– المحتسب عليه (وهو من تجري عليه الحسبة).

– الاحتساب (وهو ما يقوم به المحتسب).

❁ ❁ ❁

السؤال الثاني والستون

المحتسب هو من يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحسبة من فروض الإسلام فلا يتوقف القيام بِها على التعين من قبل ولي الأمر ولكن تنظيم الحسبة وضبطها من قبل ولي الأمر وتعيين الأكفاء لها من الأمور الحسنة ولكن بشرط عدم منع الآخرين من القيام بواجب الحسبة على الوجه المشروع. ولكن فرق العلماء بين من يقوم بالحسبة بتكليف وتعيين من ولي الأمر وبين من يتطوع بذلك. فاذكر الفروق بينهما مع بيان ممن يستمد المحتسب ولايته وما هو المقصود من هذه الولاية؟ كذلك بيان الفرق بين ولاية المحتسب وولاية القاضي؟

الجواب

- الفرق بين المحتسب والمتطوع:

- الاحتساب فرض عين على المحتسب بحكم الولاية (أي بحكم تعيينه محتسبًا) أما المحتسب المتطوع فهو من فروض الكفاية.

- لا يجوز للمحتسب المعين من قبل ولي الأمر أن ينشغل عما عين له من أمور الحسبة بخلاف المتطوع.

- المحتسب عين للاستعداد وطلب العون منه عند الحاجة- ومن ثم تلزمه إجابة من طلب ذلك منه بخلاف المتطوع فإنه لا يلزمه.

- المحتسب عليه أن يبحث عن المنكرات الظاهرة لكي يقوم بإزالتها أما المتطوع فلا يلزمه ذلك.

- المحتسب له أن يستعين على أداء مهمته بالأعوان والمساعدين بقدر ما يحتاج لأداء مهمته التي عين لها وليس للمتطوع ذلك.

- للمحتسب أن يعزر على المنكرات الظاهرة ولا يتجاوزها إلى إقامة الحدود

وليس للمتطوع ذلك.

- للمحتسب أن يأخذ على عمله أجرًا من بيت المال وليس للمتطوع ذلك.

- للمحتسب الاجتهاد فيما يتعلق بالمنكرات العرفية التي لم يرد الشرع بالنهي عنها كما أنكر عمر ﷺ على ذلك الرجل الذي رآه يمشي متماوتًا.

- لا تسمع الدعوى في أهل الحسبة ولا يفتح باب الجرح فيهم بخلاف غيرهم وذلك لأن مسألة الحسبة وعملها ليست من باب الدعوى والإجابة ولا يشترط لها شروطها.

- أن شهادة أهل الحسبة في حق الله ليست كشهادة غيرهم لأنهم إنما يقومون بواجبهم غيرة لله تعالى وحفظا لحرماته من أن تنتهك.

- يجعل لأهل الحسبة نوع حصانة بحيث لا يتجرأ سفيه على الإساءة إلى واحد منهم بضرب أو سباب أو غير ذلك من التعدي.

ومن حصل منه شيء من ذلك فإنه يؤدب أبلغ التأديب وينكل به ليعتبر به غيره كل ذلك حفظا لمنزلة أهل الحسبة من أن تهبط أو تهتز.

❁ ولاية المحتسب:

يستمدها من الشرع لأن المسلم مكلف بالحسبة وحيث يوجد التكليف توجد الولاية على القيام بما كلف به.

والمحتسب المعين بالإضافة إلى ذلك فإنه يستمد ولايته من قبل ولي الأمر.

- **مقصود هذه الولاية**

هو إقامة شرع الله في الأرض وتطهيرها من الفساد لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى.

- **ولاية المحتسب وولاية القاضي:**

تقل ولاية المحتسب عن ولاية القاضي من وجهين:

١- ليس للمحتسب سماع الدعاوى التي تخرج عن نطاق المنكرات الظاهرة

٢- للمحتسب النظر في الحقوق المعترف بها - أما ما يدخله التجاحد والتناكر فلا ينظر فيه لأن الحق لا يثبت عند ذلك إلا ببينة من المدعي أو تحليف المنكر اليمين وهذا للقاضي وليس للمحتسب.

❁ **تزيد ولاية المحتسب عن ولاية القاضي من وجهين:**

١- للمحتسب أن يأمر بما هو معروف وينهى عما هو منكر وإن لم يرتفع في ذلك إليه خصم ولم يتقدم إليه أحد بدعوى. وليس للقاضي ذلك إلا برفع دعوى ومطالبة خصم.

٢- للمحتسب من سلاطة السلطة فيما يتعلق بالمنكرات الظاهرة ما ليس للقاضي.

❁ ❁ ❁

السؤال الثالث والستون

لكي يكون المحتسب أهلاً للاحتساب فينبغي أن يكون جامعًا لشروط ومستوفيًا إياها لأن الحسبة نصرة لدين الله تعالى.

فما هي هذه الشروط مع بيان للآداب التي ينبغي أن يتحلى بِها المحتسب حتَّى يؤدي الحسبة على الوجه المرضي المقبول؟

الجواب

❁ من هو المحتسب؟

هو من يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سواء نصب لذلك أم لا.

❁ الشروط التي لابد من توافرها فيه:

الشروط التي عددها أهل العلم للمحتسب تنقسم إلى قسمين من حيث الاعتبار لشرطيتها وعدمه وهما:

١- قسم معتبر ولابد من توفره.

٢- قسم غير معتبر ولا يصح اشتراطه.

❁ القسم الأول المعتبر ولا بد من توفره:

١- التكليف.

٢- الإسلام.

٣- الإخلاص وإحضار النية.

٤- المتابعة.

٥- العلم .

٦- القدرة.

❁ القسم الثاني الشروط غير المعتبرة:

١ - العدالة .

٢- الإذن من ولي الأمر.

٣- الذكورة.

٤- الحرية.

❁ الشروط التي لابد من توافرها:

١- التكليف:

وهذا الشرط من شروط الوجوب لكن لا يعني هذا الاشتراط للتكليف أن غير المكلف (غير البالغ) لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر بل يكون ذلك مندوبا في حقه.

٢- الإسلام:

فالحسبة منها نوع ولاية ولا ولاية للكافر على المسلم –لأن الحسبة نصرة للدين ورفع له فلا يرجى من الكافر أن يكون ناصره لأنه جاحد لأصله.

٣- الإخلاص وإحضار النية:

لابد للمحتسب من أن يطلب بعمله وجه الله تعالى ورضاه دون أن يقصد بعمله وحسبته رياء ولا سمعة ولا منزلة في قلوب الخلق أو شيئا من دنياهم.

وهذا الشرط شرط في قبول سائر الأعمال الصالحة.

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

[الكهف: ١١٠]

٤- المتابعة:

إن الغرض من الاحتساب هو إيجاد المعروف وإزالة المنكر والمعروف هو ما

جاء به النبي محمدﷺ فالمتابعة شرط في قبول عمل المحتسب

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا ﴾ [الكهف:١١٠]

والعمل الصالح هو العمل الصائب الموافق لهدي النبي محمدﷺ. فيجب أن يكون منهج تغيير الانحرافات الواقعة في الأمة سائرا على المنهج الذي سار عليه رسول اللهﷺ.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١]

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١]

٥- العلم:

لابد للآمر أن يعلم أن ما يأمر به هو من المعروف كما لابد للناهي أن يعلم أن ما نهى عنه يعد من المنكر، فلابد أن يكون فقيها فيما يأمر به فقيها فيما ينهى عنه.

فمن عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح لأن العلم أمام العمل والعمل تابعه فإن القصد والعمل إن لم يكن بعلم كان جهلاً وضلالاً واتباعًا للهوى - لذا نقول فلابد من العلم بالمعروف والمنكر والتمييز بينهما ولابد من العلم بحال المأمور وحال المنهي.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف:١٠٨]

✿ قال ابن القيم (رحمه الله):

وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه بل لابد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى حد أقصى ما يصل إليه السعي. ويكون هذا في شرف العلم أن صاحبه يحوز به هذا المقام والله يؤتي فضله من يشاء.

قال عمر بن عبد العزيز (رحمه الله):

«من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح».

٦- القدرة

يقول الله تعالى

﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]

فمن كان بوسعه القيام بالأمر والنهي لزمه ومن لا فلا.

والناس يتفاوتون في القدرة تفاوتًا كبيرًا. فالسلطان أقدر من غيره على القيام بذلك - كما أن المتطوع أقل اقتدارًا في الغالب من المنصوب للاحتساب.

فإذا كان يعجز عن القيام به بيده تعين بلسانه فإن عجز تعين بالقلب والإنكار بالقلب لا يسقط عنه بحال من الأحوال.

قال النبي ﷺ **«من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»**[1]

❁ الشروط غير المعتبرة:

١- العدالة:

ذهب قوم إلى اشتراط العدالة مستدلين:

بقول الله تعالى ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤]

فالفاسق ليس من المفلحين فيجب أن يكون الآمر الناهي غير فاسق.

ويقول الله تعالى ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٤٤]

---

(١) مسلم: كتاب الإيمان باب بيان أن النهي عن المنكر من الإيمان.

فأنكر عليهم أمرهم بالشيء وواقعهم يخالفه.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٢-٣]

واستدلوا بقول النبي ﷺ «يؤتى بالرجل فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه..»[1] الحديث.

❁ الرد على ذلك:

النصوص التي تضمنت الإنكار والوعيد لمن يأمر ولا يمتثل فيقال قد اجتمع في هذا الموضع على المكلف واجبات.

الأول – الامتثال لأمر الله تعالى

الثاني – حث الناس على ذلك وأمرهم به وتحذيرهم ونهيهم عما خالفه.

فإذا قصر في أحد هذين فإن ذلك لا يعني سقوط الآخر عنه.

فإن ترك الأمر والنهي بقي عليه الامتثال وإن ترك الامتثال بنفسه بقي عليه الأمر والنهي.

لذلك نقول أن العصمة من المعاصي ليست من شروط الاحتساب بالإجماع – فلو اشترط ذلك لتعطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في جميع الأعصار إذ لا أحد معصوم من المعاصي إلا الأنبياء.

٢– الإذن من ولي الأمر:

ذهب بعض العلماء إلى شرطية إذن السلطان أو نائبه للقائم بالأحتساب – وهذا باطل لا دليل عليه من كتاب ولا سنة بل الدليل يرده ويرفضه – فكل مسلم يلزمه تغيير المنكر إذا رآه أو علم به وقدر على إزالته وتغييره. فلا يختص الأمر ولا

---

(١) البخاري: كتاب بدء الخلق/ باب صفة النار وأنها مخلوقة.
مسلم: كتاب الزهد/باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله.

النهي بأصحاب الولايات وحدهم دون من سواهم.

❁ **قال القرطبي (رحمه الله):**

أجمع المسلمون فيما نقل ابن عبد البر أن المنكر واجب تغييره على كل من قدر عليه وأنه إذا لم يلحقه بتغييره إلا اللوم الذي لا يتعدى إلى الأذى.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مهمات الدين ومن ميراث سيد المرسلين محمدﷺ فقد أمر به رب العالمين ودعا إليه رسول اللهﷺ.

لا شك أن تنصيب الإمام لمن يقوم بالحسبة أمضى في إزالة كثير من المنكرات لما للمحتسب عند ذلك من قوة مستمدة من السلطان في إزالة المنكر وتغييره.

٣- الذكورة:

النساء شقائق الرجال من حيث التكليف والمطالبة بالعمل والعبادة إلا ما علم اختصاصه بالرجال دونهن.

والآيات والأحاديث الواردة في الحث على القيام بهذا العمل أو التحذير من تركه لا تختص بالرجال دون النساء بل على المرأة أن تأمر نساءها كما تأمر إخوانها وأخواتها وأولادها وكذلك زوجها بالمعروف كما تأمر وتنهى النساء مثلها.

ومما يدل على دخولها مع الرجل في ذلك قول الله تعالى

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]

ومن اشترط الذكورة إنما اشترط ذلك فيما يتعلق بتولي ولاية الحسبة والانتصاب لذلك..

٤- الحرية:

إن القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دليل وبرهان على غيرة المسلم على دينه وعقيدته وحبه وإخلاصه لهما وإنه لا يتصور انتفاء المراتب الثلاثة

(اليد واللسان والقلب) مجتمعة من رجل في قلبه إيمان حي – وهذا أمر مشترك فيه الحُر والعبد.

فالعبد مكلف بأعمال القلوب كلها كالحر تمامًا سواءً بسواء لا فرق بينهما في ذلك البتة.

وكذلك لم يرد دليل على تقييد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالأحرار دون الأرقاء بل إن ظاهر الآيات والأحاديث يدل على دخول الأرقاء في الخطاب ولا يخرجوا من ذلك إلا بدليل.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]

۞ الآداب الواجب توافرها في المحتسب:

١- الرفق.

٢- البدء بالنفس.

٣- المساواة بين القرابة وغيرهم.

٤- البدء بالأهم وتقديمه على غيره وأهمية التدرج في ذلك حسب ما تقتضيه المصلحة.

٥- الصبر واحتمال الأذى.

٦- الحلم.

٧- البدء بالأرفق.

٨- مراعاة المصالح وتحقيقها ودرء المفاسد وتعطيلها.

١- الرفق:

حيث أن الإنسان بطبعه وفطرته يحب الإحسان ويكره الإساءة ويقبل من

طريق الرفق ما لا يقبل من طريق العنف والشدة.

قال تعالى ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩]

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨]

٢- البدء بالنفس:

قال الله تعالى ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٤٤]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٢-٣]

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ [هود:٨٨]

لا تنه عن خُلُق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

وابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإن انتهت فأنت حكيم

فهناك يُقبل إن وعظت ويُقتدى ... بالقول منك وينفع التعليم

فيجب على المرء أن يُقوِّم نفسه ويزكيها.

قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم:٦]

٣- البدء بالأهم وتقديمه على غيره ومراعاة المصلحة في ذلك:

فينبغي أن يُبدأ بترسيخ الإيمان في النفوس أولاً - وتعليم الناس توحيد الله عز وجل وتصفية نفوسهم وواقعهم من الشرك ومظاهره. ثم ينطلق الدعاة والمحتسبون إلى ما دونه من الأمور والتي تليه أهمية وهكذا.

لكن هذا لا يعني أن تقتصر الدعوة في أول أمرها على التوحيد فحسب بل

يكون هو المنطلق والأساس والقاعدة التي ينبى عليها الأمر بالتخلي عن سائر الانحرافات الأخرى.

وهذا واضح جلي فيما حكاه القرآن من دعوة الرسل إذ كانوا يدعون إلى عبادة الله وحده مع كونهم ينكرون جرائم أخرى قد تفشت في أقوامهم كاللواط ونقص المكيال والميزان وقطع الطريق وما إلى ذلك من الانحرافات المتنوعة.

لذا قال النبي ﷺ «التأني من الله والعجلة من الشيطان» «السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة»[1]

٤- الحلم:

والمحتسب أحوج ما يكون إلى التحلي بهذه الخصلة الكريمة لأنه سيواجه من الناس ما يثيره كثيرا فإن كان غضوبا لا يحلم فإن البلاء سيكون أعظم في حقه والغالب أن لا يقبل الناس أمره ونهيه بل قد يحمله الشيطان على أن ينتقم لنفسه وينتصر لها.

* * *

(١) الترمذي: كتاب البر والصلة/ باب ما جاء في التأني والعجلة.

السؤال الرابع والستون

تختلف صورة الاحتساب باختلاف المحتسب عليه. وضح ذلك مع تعريف من هو المحتسب عليه؟

الجواب

*** المحتسب عليه:**

وهو كل من يُؤمر بمعروف أو يُنهى عن منكر.

وهو كل إنسان يباشر أي فعل يُشرع فيه الاحتساب.

*** شروطه:**

يشترط فيه أن يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه في حقه منكرًا وإن لم يكن معصية يحاسب عليها ديانة.

ويدخل فيه من وقع في المنكر جاهلاً أو نسيانًا أو نائمًا لأنه ممنوع منه أصلاً فعلى من رآه أن يحتسب عليه.

*** أنواع المحتسب عليهم من حيث القرب والاجتماع والشوكة وأضداد ذلك:**

١- أنواعهم من حيث القرب والبعد:

أ- قرابة المحتسب.

ب- غير الأقارب.

٢- أنواعهم من حيث الدخول في عقد الإسلام وعدمه

أ- المسلمون.

ب- غير المسلمين (وهم أنواع - منهم المحارِبون - ومنهم المستأمنون والمعاهدون وأهل الذمة).

٣- أنواعهم من حيث تحصيل الولاية وعدمها

أ- أصحاب الولايات.

ب- من ليس لهم ولاية (سائر الناس غير الولاة).

٤- أنواعهم من حيث الاجتماع والافتراق

أ- أفراد.

ب- مؤسسات وأحزاب وتجمعات وأندية.

٥- أنواعهم من حيث قبول الحق ورده

- قال ابن القيم رحمه الله عند قول الله تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥]

قال جعل سبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق:

- فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه يُدعى بطريق الحكمة.

- والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر يدعى بالموعظة الحسنة وهي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب.

- والمعاند الجاحد يجادل بالتي هي أحسن.

✿ أنواع المحتسب عليهم:

✿ أولاً – الأقارب:

تجري الحسبة على الأقارب والأباعد على حد سواء لأن الحسبة أمر بمعروف ونهي عن منكر والكل أمام هذا الفرض سواء. ولكن الفقهاء رحمهم الله تعالى قالوا: احتساب الابن على والديه يكون ببيان الحكم الشرعي والموعظة الحسنة والتخويف من الله تعالى ولا يتعدى ذلك إلى الوسائل الأخرى كالكلام الغليظ

والضرب، رعاية لحق الأبوة والأمومة دون تفريط بواجب الاحتساب.

❁ ثانيًا – غير المسلمين:

ويجري الاحتساب على غير المسلم المقيم في دار الإسلام ذميًّا كان أو مستأمنًا لأننا وإن أُمرنا بتركهم وما يدينون إلا أن هذا الترك لهم لا يعني تركهم يخرقون نظام الإسلام ويتعاطون ما يناقضه علانية، وإنما يعني تركهم وما يعتقدن وما يباشرونه في بيوتهم ومعابدهم من صنوف العبادة، أما إذا تظاهروا وأعلنوا ما يناقض الإسلام كما لو سكروا في قارعة الطريق، أو خطبوا في الناس يعلنون شتمهم للإسلام وتكذيبهم لنبي الإسلام فإنهم يمنعون من ذلك وتجري الحسبة عليهم في ضوء ما يفعلون.

❁ ثالثًا – الأمراء:

ويجري الاحتساب على السلطان ونوابه وسائر ذوي الأمرة والولاية كما يجري على آحاد الناس، ولكن يجب أن يلاحظ المحتسب منزلة السلطان وفقه الاحتساب معه، ومن هنا قال الفقهاء يكون الاحتساب عليه بتعريف الحكم الشرعي والوعظ لا بالقوة أو القهر. وقد زخر تاريخنا الإسلامي بأخبار المحتسبين مع الخلفاء والأمراء دون أن يلحقهم أذى بل كانوا يقابلون بالقبول والتقدير وهكذا يكن شأن الحكام الصالحين.

❁ رابعًا – القضاة:

وتجري الحسبة على القضاة. قال الفقهاء: «وينبغي للمحتسب أن يتردد على مجالس القضاة والحكام ويمنعهم من الجلوس في الجامع والمسجد للحكم بين الناس وأنه متى رأى المحتسب القاضي قد استشاط على رجل غضبًا أو شتمه أو احتد عليه في كلامه ردعه عن ذلك ووعظه وخوفه بالله عز وجل، فإن القاضي لا يجوز أن يحكم وهو غضبان ولا يقول هجرًا ولا يكون فظًّا غليظًا».

❁ خامسًا – أصحاب المهن المختلفة:

ويجري الاحتساب على جميع أصحاب المهن والحرف والصنائع المختلفة لأن للإسلام حكمه فيهم وفيما يباشرونه. فمن أحكام الإسلام في الصنائع التي يحتاجها الناس أنه يعتبرها من فروض الكفاية فإذا امتنع أصحابها عنها ألزمهم المحتسب بالقيام بها. وحكم الإسلام فيما يباشرونه هو أداؤه على الوجه الصحيح السليم الخالي من الغش والتدليس والإضرار. ومن ثم كانت واجبات المحتسب تمتد إلى مراقبتهم جميعا ليقرهم على أعمالهم إن كانت على الوجه الشرعي ويمنعهم منها إن كانت مخالفة للشرع. ولهذا بين العلماء رحمهم الله تعالى الضوابط والحدود الواجب مراعاتها في مباشرة المهن المختلفة والتي يجب على المحتسب التأكد من مراعاتها من قبل أصحاب هذه المهن.



السؤال الخامس والستون

«المنكر هو موضوع الحسبة وقد يكون بإيجاد فعل نهت عنه الشريعة وقد يكون بترك فعل أمرت الشريعة بفعله».

فما هي الشروط التي ينبغي أن تتوافر في هذا المنكر لكي نحتسب فيه؟

ومن يملك إعطاء وصف المنكر؟ مع بيان أن موضوع الحسبة يشمل جميع تصرفات وأفعال الإنسان؟

الجواب

❁ من يملك إعطاء وصف المنكر:

الشريعة الإسلامية هي صاحبة الحق في وصف الفعل أنه منكر لأن إعطاء هذا الوصف حكم شرعي وكما قال تعالى ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]

❁ شروط المنكر محل الحسبة:

١- أن يكون ظاهرًا:

أي ظاهرًا للمحتسب وعلم به بدون تجسس.

ويدخل في مفهوم أو في معنى ظهور المنكر أي مكان يغلب على ظن المحتسب وقوع المنكر فيه فعليه أن يخرج إلى ذلك المكان ويقوم بالاحتساب فيه ولا يجوز له أن يسقط وجوب الحسبة عليه بالقعود بالبيت بحجة عدم انكشاف المنكر وظهوره له.

٢- أن يكون قائما في الحال:

لأن المنكر إذا وقع وانتهى فلا احتساب فيه على فاعله.

وإنما لولي الأمر أن يعاقبه إذا ثبت ذلك عليه - ولكن يجوز الاحتساب على

فاعله بوعظه بعدم العودة إليه.

وليس الأمر في الاحتساب لا يتم إلا إذا وقع المنكر ولكن متى ظهرت مقدماته ولاحت علاماته وقامت القرائن الدالة على وشك وقوعه - وجب عند ذلك الاحتساب بالوعظ والإرشاد.

٣- عدم الخلاف فيه:

أي يكون مما اتفق الفقهاء على اعتباره منكرًا حتى لا يدع فرصة للمحتسب عليه أن يعترض على المحتسب على أن هذا الفعل مما أجازه بعض الفقهاء وإن كان غير جائز على رأي المحتسب وهذا إن كان الخلاف سائغًا.

❁ اتساع موضوع الحسبة:

فهو يشمل جميع تصرفات وأفعال الإنسان ولا يخرج من ذلك إلا ما لا تتوافر فيه شروط الاحتساب ولا يدخل في ولاية المحتسب.

وبالتالي فإن موضوع الحسبة يشمل: -

- الاعتقادات.
- العبادات.
- المعاملات.
- فيما يتعلق بالطرق والدروب.
- فيما يتعلق بالحرف والصناعات.
- فيما يتعلق بالأخلاقيات والفضيلة. (كالخلوة بالأجنبية . .).

❁ المنكر أعم من المعصية:

فكل فعل نهت عنه الشريعة من أكل أو شرب محرم لذاته أو من جهة الزمان الذي وقع فيه أو غير ذلك من إهدار مال معصوم المال والحرمة - فهذا منكر بغض النظر عن فاعله فقد يكون صبيًّا أو مجنونًا أو ناسيًا أو نائمًا أو يقع من بهيمة فوجب

إزالة هذا المنكر وإن لم يُعد معصية في حق مرتكبها.

❁ ضابط المسألة:

أن ما حرم لذاته وجب تركه يستوي في ذلك المكلف وغيره - فغير المكلف يمنعه وليه من ورود موارد المنع أو من رآه أو علم بوقوعه فيه - فعلى من رآه تنبيهه وتعليمه.

وبالتالي لا يجوز إقرار الأولياء لأطفالهم على جمع الصور أو الإسبال أو شرب المسكر أو سماع الغناء أو العزف على آلات العزف أو السرقة أو غير ذلك بحجة أنه غير مؤاخذ.

«كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راعٍ ومسئول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهل بيته ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده ومسئول عن رعيته، وكلكم راعٍ ومسئول عن رعيته» [1] الحديث

❁ أقسام النهي عن المنكر من حيث التعلق:

ينقسم إلى قسمين:

١ - ما كان من حقوق الله تعالى المحضة - وهو ثلاثة أقسام:

أ- ما تعلق بالعبادات- كمن خالف هيئات العبادات المشروعة أو غيَّر في أوصافها المطلوبة عمدًا كمن زاد في الصلاة أو الأذان أو الأذكار المشروعة - وكذا من أخل بصومه أو بالطهارة..

ب- ما تعلق بالمحظورات- فيمنع شارب الدخان والخمور والمخدرات والمسبل كما يمنع من تناول النجاسات وأكل الميتات وكل خبيث من المطعومات أو

(١) البخاري: كتاب الأحكام/ باب قول الله تعالى (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم).
مسلم: كتاب الإمارة / باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر.

المشروبات.

ج- ما كان متعلقا بالمعاملات المنكرة كالبيوع الفاسدة وما منع منه الشرع مع تراضي المتعاقدين به ما دام محرمًا.

٢- ما كان مشتركًا بين حقوق الله عز وجل وحقوق الخلق؛ وهو على نوعين:

أ- ما غلب فيه حق الخالق، كالتعامل مع أصحاب البدع والزندقة والشبه

ب- ما غلب فيه حق المخلوق، كالمنع من الغش والتدليس والاحتكار والتجسس وتتبع العورات والغيبة والنميمة والوقوف في مواطن الريب ومظان التهم ومن يقوم بنشر الخلاعة والعُري عن طريق التبرج والسفور والاختلاط أو الدعاية لشيء من ذلك عن طريق الكتاب أو المجلة أو غير ذلك من الوسائل المتعددة.

❁ فائدة:

كل ما كان من حقوق الله فلا قدرة لأحد من المخلوقين على إسقاطه بحال من الأحوال وأما ما كان من حق العبد في نفسه فله فيه الخيرة.

❁ ❁ ❁

السؤال السادس والستون

قال النبي ﷺ

«من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»

فالغرض من الاحتساب إزالة المنكر من الأرض وإيجاد المعروف فعلاً فيجب الوصول إليه بأيسر طريق وأقصره بشرط أن يكون مشروعاً وأن ينظر إلى ما يؤول إليه احتسابه من جهة ما يترتب عليه من زوال مفسدة المنكر وحلول مصلحة المعروف مكانه.

فما هي مراتب الاحتساب؟ وما هي القواعد التي تعين على تفهم فقه الاحتساب؟

الجواب

* مراتب الاحتساب:

١- تغيير المنكر باليد.

٢- تغيير المنكر باللسان:

- بالتعريف بالحكم الشرعي لفعله أو تركه.
- بالوعظ والنصح والإرشاد والتخويف من الله تعالى.
- التقريع والتعنيف بالقول الغليظ.
- التهديد والتخويف بإنزال الأذى به من قبل المحتسب.

٣- تغيير المنكر بالقلب.

وهذا إن عجز عن المرتبتين السابقتين.

✽ **فقه الاحتساب:**

ومما يعين على تفهم الاحتساب بيان القواعد التالية:

✽ **القاعدة الأولى:**

الإنكار القلبي يجب أن يكون كاملاً ودائمًا وبالنسبة لكل منكر.

✽ **القاعدة الثانية:**

يطلب الاحتساب إذا كان من ورائه تحصيل مصلحة أو دفع مفسدة.

أما إذا كان ما يترتب عليه فوات معروف أكبر أو حصول منكر أكبر لم يكن هذا الاحتساب مطلوبًا شرعًا.

✽ **القاعدة الثالثة:**

الأخذ بالرفق ما أمكن ذلك ومستند هذه القاعدة قول النبي ﷺ **«إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله»**[1]

وقال الله تعالى

﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩]

ولكن يستعاض عن الرفق في الاحتساب عند الحاجة والضرورة.

لأن من معاني الرفق الحرص على مصلحة المحتسب عليه بإبعاده عن المنكر وتخليصه من المعصية وما يترتب عليه من عقاب.

✽ **خطوات الاحتساب:**

✽ **الوقوف على المنكر والتعرف عليه:**

فليس للمحتسب أن يحتسب بمجرد الوهم والظن المرجوح بل لابد من وجود

---

(١) البخاري: كتاب الأدب/ باب في الرفق.
مسلم: كتاب البر والصلة باب فضل الرفق.

العلم بوقوع المنكر -وما في حكمه- أو حصول غلبة الظن مع وجود الأمارات المرجحة للوقوع.

كما لا يجوز أن يتتبع أخبار الناس وينقب عن عوراتهم التي لم تظهر فإن فعل ذلك محرم عليه ولذا قال الله تعالى ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات:١٢]

وذلك بعد قوله سبحانه ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات:١٢]

وقال النبي ﷺ **«يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته»**(١)

وعن معاوية رضي الله عنه مرفوعًا **«إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتَهم أو كدت تفسدهم»**(٢)

❁ **قال النووي** (رحمه الله) عن أبي المعالي الجويني (رحمه الله) قوله

«وليس للآمر بالمعروف البحث والتنقير والتجسس واقتحام الدور بالظنون بل إن عثر على منكر غيره جهده».

❁ **قال الماوردي** (رحمه الله):

«ليس للمحتسب أن يبحث عما لم يظهر من المحرمات فإن غلب على الظن استسرار قوم بها لأمارة وآثار ظهرت فذلك ضربان:

أحدهما: أن يكون ذلك في انتهاك حرمة يفوت استدراكها مثل أن يخبره من يثق بصدقه أن رجلاً خلا برجل لقتله — أو بامرأة ليزني بها فيجوز له في مثل هذا الحال

---

(١) أبو داود: كتاب الآداب/ باب في الغيبة.
الترمذي: كتاب البر والصلة/ باب ما جاء في تعظيم المؤمن.

(٢) أبو داود: كتاب الآداب/ باب النهي عن التجسس.

أن يتجسس ويقدم على الكشف والبحث حذرًا من فوات ما لا يُستدرك.

وكذا لو عرف ذلك غير المحتسب من المتطوعة جاز لهم الإقدام على الكشف والإنكار.

الثاني: ما قصر عن هذه المرتبة فلا يجوز التجسس عليه ولا كشف الأستار عنه فإن سمع أصوات الملاهي المنكرة من دار أنكرها خارج الدار لم يهجم عليها بالدخول لأن المنكر ظاهر وليس عليه أن يكشف عن الباطن.

فإذا تمكن المحتسب من معرفة المنكر بالطرق الشرعية انتقل إلى الخطوة التي تلي ذلك هي:

٢- النظر في حال فاعل المنكر هل هو عالم بالحكم أو جاهل لا يعلم؟

فالمحتسب عليهم أحد رجلين:

أ- جاهل أو متأول أو له نوع شبهة، وهذا يبين له الحق بحسب حاله من حيث التهيؤ لقبول الحق أو عدم ذلك.

ب- عالم بأن فعله منكر ومحرم ومع ذلك يفعله فهذا يجب الإنكار عليه وتغيير منكره متدرجا من اليد إلى اللسان فالقلب.

❁ مراتب تغيير المنكر:

المرتبة الأولى - اليد:

إن عجز المحتسب عن هذه المرتبة انتقل إلى المرتبة الثانية اللسان فإن عجز عنه انتقل إلى المرتبة الثالثة القلب.

فعن أبي سعدي الخدري رضي الله عنه مرفوعًا **«من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»**[1]

(١) مسلم: كتاب الإيمان/ باب كون النهي عن المنكر من الإيمان.

❁ ضابط التغيير باليد:

فمسألة التغيير باليد مع وجود القدرة مشروطة بعدم ترتب مفسدة أكبر من جراء الاحتساب فإذا رأى أنه لا يتمكن من تغييره بيده إما لعدم قدرته على ذلك أو خشية ترتب مفسدة أكبر من المصلحة المرجوة انتقل إلى المرتبة التالية.

❁ المرتبة الثانية – الإنكار باللسان:

فإن عجز المحتسب عن القيام بهذا الواجب، وهو من تطبيق قول الله تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥]

انتقل إلى المرتبة الثالثة والأخيرة

❁ المرتبة الثالثة – الإنكار بالقلب:

ولا رخصة لأحد في تركه البتة بل يجب أن يكون كره المنكر وبغضه تامًا مستمرًا.

فإنكار القلب هو الإيمان بأن هذا منكر وكراهته لذلك.

❁ أما إذا كان القلب لا يعرف المعروف ولا ينكر المنكر فهذا دليل على موته فعن حذيفة ﷺ مرفوعًا «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تصير القلوب على قلبين أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة مادامت السموات والأرض والآخر أسود مربادًا كالكوز مجخيًا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب من هواه»[1]

❁ حقيقة الإنكار بالقلب:

يظن بعض الناس أنه ما دام كارهًا للمنكر فلا بأس عليه بمخالطة فاعله

(١) مسلم: كتاب الإيمان/ باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا.

والجلوس معه حال مواقعته للمنكر - وهذا مخالف لما دل عليه القرآن والسنة

قال الله تعالى ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء:١٤٠]

وهذا نهي صريح عن مجالستهم حال مواقعتهم لهذا المنكر - فما دام لا يقدر على الإنكار باليد أو اللسان فلابد إذًا من مفارقته للمنكر.

۞ قال عبدالرحمن السعدي (رحمه الله):

وكذلك يدخل فيه حضور مجالس المعاصي والفسوق التي يستهان فيها بأوامر الله ونواهيه وتقتحم حدوده التي حدها لعباده.

۞ قال البخاري رحمه الله - كتاب النكاح - باب هل يرجع إذا رأى منكرا في الدعوة ثم قال ورأى ابن مسعود ﷺ صورة في البيت فرجع.

۞ الأمور المعينة على الاحتساب:

١- الإخلاص لله عز وجل

﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ [الحج:٤٠]

﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران:١٠١]

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩]

٢- تذكر عظمة الله تعالى والتفكر في ضعف الخلق وعجزهم أمام قدرته وقوته.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ [غافر:٥١]

﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٤٠]

﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ [الزمر:٣٦]

ومن أعظم ما يربي ذلك في القلب وينميه إدمان النظر في معاني أسماء الله تعالى وصفاته والتعرف على الله بها والعلم بمدلولاتها إضافة إلى النظر في دلائل قدرته وقوته وجبروته.

٣- تيقن الابتلاء والامتحان

فإذا عرف المرء هذه الحقيقة رَوَّض نفسه عليها وبالتالي فإنه يصبر على ما لحق به من الأذى.

٤- اليقين بما وعد الله الداعين إليه من الأجر العظيم.

٥- التفكر في حقارة الدنيا وزوال ملذاتها مع مقارنة ذلك كله بالدار الآخرة.

٦- معرفة طبيعة هذه المهمة الكبيرة وما تقتضيه وتتطلبه من التكاليف والتضحيات والمشقات.

فإن المحتسب يقف في وجه أصحاب الشهوات وهؤلاء لا يتركونه بل يعملون على إيصال الأذى إليه بكل سبيل.

٧- إمعان النظر فيما قص الله تعالى في كتابه من أخبار الأنبياء مع أقوامهم وما ورد عن النبي ﷺ في ذلك وما سطره أهل العلم في ذكر تراجم الأخيار من علماء هذه الأمة ومصلحيها وما لاقوه من الأذى.

٨- التعرف على سنن الله الكونية مع ربط ذلك بالسنن الشرعية.

٩- البحث عن المعين.

١٠- الحذر من الجلوس والاستماع للمخذِّلين.

١١- الإيمان الراسخ بعقيدة القضاء والقدر مع صدق التوكل.

١٢- أن يكون للمحتسب كسب من عمل يده.

❁ ❁ ❁

السؤال السابع والستون

(من الاحتساب ما كان واجباً ومنه ما كان حرامًا ومنه ما كان مستحبًا) بين ذلك؟ مع بيان هل يشترط للمحتسب لمباشرة الاحتساب رفع المنكر إليه من قبل من وقع عليه هذا المنكر أو شاهده؟

الجواب

الاحتساب القلبي واجب على كل مسلم في جميع الأحوال إذا ما سمع بمنكر أو رآه أما الاحتساب باليد أو بالقول فهذا يجب بالقدرة على هذا النوع من الاحتساب بشرط أن يأمن المحتسب على نفسه من الأذى والضرر كما يأمن على غيره من المسلمين من الأذى والضرر.

❁ ويستحب الاحتساب بالقول إذا علم المحتسب أن قوله لا يفيد ولكن لا يلحقه أذى منه كما يستحب الاحتساب إذا علم المحتسب أن إنكاره يفيد ولكن يلحقه أذى ووجه الاستحباب إزالة المنكر مع تحمله الأذى.

❁ **ويحرم الاحتساب**

إذا ألحق المحتسب أذى جسيمًا بغيره من أصحابه أو أقاربه أو رفقائه أو عموم المسلمين حتى لو قدرنا زوال المنكر لأنه يفضي إلى منكر آخر هو إلحاق الأذى بالآخرين وهذا لا يجوز.

❁ ❁ ❁

السؤال الثامن والستون

ما هي الآثار والنتائج المترتبة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سواء كان على شخص الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أو على محل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو على المجتمع الذي يؤدى فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

الجواب

❁ الفوائد والمصالح العائدة للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر:

١- خروجه من عهدة التكليف: -

قال الله تعالى ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف:١٦٤]

٢- إقامة حجة الله على خلقه: -

﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥]

٣- الشهادة على الخلق: -

قال الإمام مالك رحمه الله «وينبغي للناس أن يأمروا بطاعة الله فإن عُصوا كانوا شهودًا على من عصاه».

٤- أداء بعض حق الله عليه من شكر النعم التي أسداها له من صحة البدن وسلامة الأعضاء: -

قال النبي ﷺ

«يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة ولك تكبيرة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر

صدقة[(١)]

٥- تحصيل الثواب وتكفير السيئات: -

قال الله تعالى ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٧] ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود:١١٤]

٦- النجاة من العذاب الدنيوي والأخروي الذي توعد الله به من قعد عن هذا الواجب وأهمله: -

قال الله تعالى ﴿فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود:١١٦-١١٧]

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ [هود:٦٦]

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف:١٦٥]

٧- التشبه بالرسل والقيام بدعوتهم والسير في طريقهم.

٨- إلقاء هيبته في قلوب الخلق.

❁ **الفوائد والمصالح العائدة على المأمور والمنهي:**

١- رجاء الانتفاع والاستقامة:

قال الله تعالى ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥]

﴿مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:١٦٤]

٢- تهيئة الأسباب لتحقيق النجاة الدنيوية والأخروية:

عن أبي هريرة ﷺ في قول الله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال

---

(١) مسلم: كتاب صلاة المسافرين/ باب استحباب صلاة الضحى والحث على المحافظة عليها.
كتاب الزكاة / باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف.

«خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام»[1]

❁ **الفوائد والمصالح العامة التي لا تختص بطرف دون آخر:**

١- إقامة الملة والشريعة وحفظ العقيدة والدين لتكون كلمة الله هي العليا: -

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة:٢٥١]

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٩٣]

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠]

فمن لم يزحف بمبادئه زُحف عليه بكل مبدأ وفكرة ، والنفس تتلقى وتتشرب من الأخلاق والمبادئ الأخرى.

ولذلك أمر الإسلام بمجالسة الصالحين وأهل البر والمعروف والخير ونهى عن مجالسة غيرهم لأن النفس والطبع سرَّاقان لما يريانه وصاحبهما لا يشعر في كثير من الأحيان.

٢- رفع العقوبات العامة: -

﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى:٣٠]

وقال سبحانه في بيان سبب مصائبهم يوم أحد

﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران:١٦٥]

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود:١١٧]

٣- استنزال الرحمة من الله تعالى لأن الطاعة والمعروف سبب للنعمة: -

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧]

وقال سبحانه ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي

---

(١) البخاري: كتاب تفسير سورة آل عمران/ باب كنتم خير أمة أخرجت للناس.

سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٤٦- ١٤٨]

وقوله سبحانه ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ [الأعراف:٩٦]

وقوله سبحانه ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة:٦٦]

وقال ﷺ «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا»[1]

٤- شد ظهر المؤمن وتقويته ورفع عزيمته وإرغام أنف المنافق.

فالمؤمن يقوى ويعتز حينما ينتشر الخير والصلاح وتضمحل المنكرات ويخنس عند ذلك المنافق.

قال الثوري رحمه الله «إذا أمرت بالمعروف شددت ظهر المؤمن وإذا نهيت عن المنكر أرغمت أنف المنافق».

٥- يحصل للمسلمين الطموح والترفع عن الدنايا بقيامهم بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٦- ابتلاء الخلق بعضهم ببعض، لأن هذا العمل بجميع مراتبه وأنواعه جهاد وما قتال الكفار بالسيف والسنان إلا نوع من أنواع الجهاد

﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد:٤]

وبمثل هذه الابتلاءات يظهر إيمان المؤمن وصبره على مكاره النفس في سبيل

(١) الترمذي: كتاب الزهد / باب التوكل على الله.

رضى ربه ولأجل نشر دينه وشريعته.

٧- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب للنصر على الأعداء فإن الأمة لا تنتصر بعدد ولا عدة وإنما تنتصر بهذا الدين.

ولذا كانت مخالفة النبي ﷺ وإرادة الدنيا من بعض أصحابه سببًا لوقوع الهزيمة يوم أحد- قال الله تعالى

﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران:١٦٥]

﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠]

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة:٢٥]

﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج:٤٠-٤١].

٨- تحقيق وصف الخيرية في هذه الأمة ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠].

٩- التجافي عن صفات المنافقين وظهور الفرقان بين صفاتهم وصفات المؤمنين .

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة:٧١]

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة:٦٧].

١٠- استقامة الموازين واتزان المفاهيم فيجلوا أمر المنكر أمام االناس ويعلمون

أنه منكر.

❁ **بالإضافة إلى فوائد أخرى، منها:**

❁ رجاء الثواب من الله تعالى.

❁ الخوف من الله تعالى.

❁ الغضب لله تعالى على انتهاك محارمه.

❁ النصيحة للمؤمنين والرحمة لهم.

❁ إجلال الله تعالى وإعظامه ومحبته لأنه أهل أن يطاع فلا يُعصى ويُشكر فلا يُكفر.

❁ فطاعة الله سبب لكل خير من صحة و أمن ورزق وعافية كما أن معصية الله سبب للعلل والأوجاع والجريمة وخراب العمران.

❁ ❁ ❁

السؤال التاسع والستون

قال النبيﷺ

«والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد المسيء ولتأطرنه على الحق أطرا أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض أو ليلعنكم كما لعنهم».

ما هي النتائج والآثار المترتبة على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

الجواب

❁ الآثار المترتبة على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

١- وقوع الهلاك:

أ- إن المعاصي التي تظهر ولا تنكر سبب للعقوبات والمصائب

ب- السكوت ذاته يعد معصية يستحق صاحبها العقوبة كما أنه يدل على التهاون في دين الله تعالى قال الله تعالى ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥] (١) .

إن الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة.

والأحاديث في ذلك كثيرة.

وكذلك حديث أم المؤمنين زينب بنت جحش ﵂ قالت للنبيﷺ «أنهلك

---

(١) البخاري: كتاب التفسير/ سورة الأنفال/ باب ما جاء في قوله تعالى ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾.

رفينا الصالحون؟» قال النبي ﷺ «نعم إذا كثر الخبث»[(١)]

٢- انتفاء وصف الخيرية عن هذه الأمة.

٣- أنه يجرئ العصاة والفساق على أهل الحق والخير فينالون منهم ويتطاولون عليهم.

٤- سبب لظهور الجهل واندراس العلم.

٥- أن في هذا الأمر تزيينا للمعاصي عند الناس وفي نفوسهم.

٦- عدم إجابة الدعاء: في حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا «مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم»[(٢)].

٧- سبب ظهور غربة الدين واختفاء معالمه وتفشي المنكرات والكفر والظلم قال النبي ﷺ «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريب كما بدأ فطوبى للغرباء»[(٣)].

٨- إلف المسلم لهذه المنكرات المتفشية لكثرة مشاهدته لها.

* * *

(١) البخاري: كتاب المناقب / باب علامات النبوة في الإسلام.

(٢) ابن ماجه: كتاب الفتن/ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٣) مسلم: كتاب الإيمان/ باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا بدأ وسيعود غريبا. حديث/١٤٥.

٥- نظام الحكم

(٧٠-٨٠)

٥- نظام الحكم

السؤال السبعون

من خصائص الإسلام الشمول فهو نظام شامل لجميع شئون الحياة وسلوك الإنسان منها نظام الحكم حيث الأمر بالشورى ولزوم طاعة الحُكام والحكم بما أنزل الله.

تكلم عن أهمية وجود الحاكم ومكانة الحكم في الإسلام مع بيان المقومات والأسس التي يبنى عليها نظام الحكم في الإسلام؟

الجواب

المجتمع ضروري للإنسان – والنظام ضروري للمجتمع ووجود رئيس للمجتمع ضروري لبقائه ونظامه لأنه يستطيع أن يحمل الناس على طاعة النظام وعدم الخروج عليه فيجنبهم حياة الفوضى والاضطراب.

لأن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض ولابد لهم عند الاجتماع من رئيس.

✽ المقصود بنظام الحكم:

وهو مجموعة من القواعد والأحكام التي تتعلق بالحاكم – وتبين كيفية اختياره ومركزه القانوني وعلاقة الأمة به والأغراض التي يهدف إليها الحكم ونحو ذلك.

✽ مقومات نظام الحكم في الإسلام:

المقومات التي يقوم عليها نظام الحكم في الإسلام: –

١- وجود الخليفة.

٢- قاعدة الشورى.

٣- الخضوع لسلطان الإسلام.

❁ مكانة الحكم في الإسلام وأهميته:

فنقول: هل جاء الإسلام ليقيم دولة ويحكم أمة وينظم العلاقات بين البشر ويضع القواعد التي تنظم الحكم وتبين طريقة ممارسة السلطة الحاكمة للحكم؟

هل في الإسلام وتعاليمه ما يقتضي للمؤمنين به من إقامة دولة على أساسه؟ هل الإسلام يصلح كمنهج حياة ونظام حكم؟

إن الناظر إلى دلالات نصوص القرآن والسنة النبوية القولية منها والفعلية وإلى أفعال الصحابة وفعل علماء المسلمين عبر العصور ليرى انعقاد الإجماع عند علماء الأمة على وجوب إقامة الحكومة الإسلامية الملتزمة بحكم الله تعالى.

ففي القرآن أحكام لا يتصور تنفيذها دون وجود حكم ودولة تأخذ بها وتعمل على تنفيذها كأحكام القصاص والسرقة والزنا، وأحكام الذين يسعون في الأرض فسادا فلا يتصور ترك تنفيذ هذه الأحكام للأفراد دون قضاء وحكم.

كذلك جملة من الأحكام المالية كالميراث وتقسيمه بين الورثة، الزكاة وجمعها وتفريقها بين مستحقيها، فهذه الأحكام لن تكون ملزمة للأفراد دون وجود سلطة حاكمة تلزم من رفض الانقياد لهذه الأحكام وأمثالها إذا امتنعوا عن أداء ما عليهم من حقوق واجبة للأفراد والدولة.

فلا يتصور تنفيذ هذه الأحكام إلا إذا وجدت دولة قائمة تتخذ من هذه القواعد المالية أساسًا لها وتعمل على تطبيقها.

- الآيات الداعية إلى الجهاد في سبيل الله للدفاع عن الدولة الإسلامية ونشر الإسلام بين الأمم كثيرة في كتاب الله ويترتب على الدعوة إلى الجهاد الإعداد المادي من سلاح وتدريب وتموين وآلات قتال ثم الدعوة إلى الجهاد يترتب عليها وقوع الأعداء في الأسر ووقوع غنائم في أيدي المسلمين ووقوع بعض المسلمين في

الأسر عند الأعداء.

فلابد من وجود سلطة حاكمة تتولى شئون هذه الأحكام وتنفيذها.

ويتضمن القرآن جملة من الأحكام التي توجب على المسلمين إقامة أحكام الإسلام جملة وتفصيلاً.

كوجوب الحكم بما أنزل الله **﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾** [المائدة:٤٤]

﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥]

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء:٥٨]

فجملة هذه الأحكام توجب على المسلمين أن يقيموا سلطة ودولة تقيم أحكام الإسلام وتصون مبادئه وتنفذ شرائعه.

إن مجموع هذه الأحكام الجنائية والمالية والجهادية وغيرها لا يمكن إيرادها والإلزام بها إلا إذا كان القرآن يفرض على المسلمين تنظيم الحكم وإقامة الدولة.

وكذلك في السنة النبوية دلالات واضحة على وجوب سلطة حاكمة تنفذ أحكام الله.

ففي أقوال النبي ﷺ دلالة واضحة على أن الحكم والدولة جزء من تعاليم الإسلام.

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال **«لا يحل لثلاثة يكونون في فلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم»**[1]

---

١١) أبو داود: كتاب الجهاد/ باب في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم.

وقول النبي ﷺ «إن الله يرضى لكم ثلاثة أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاّه الله عليكم»(١)

وقول النبي ﷺ «الدين النصيحة» قيل لمن يا رسول الله قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»(٢)

وقال النبي ﷺ «لتنقضن عُرى الإسلام عُروةً عروةً فأولها نقضًا الحكم وآخرها الصلاة» «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»(٣)

فهذه الأحاديث وغيرها تدور حول الإمارة والحكم والانتماء إلى الدولة الإسلامية.

كذلك فعل النبي ﷺ أكبر شاهد على ذلك.

✽ فمع أول قدوم النبي ﷺ المدينة بدأ في تأسيس دولة الإسلام فعقد الاتفاقات بين المهاجرين والأنصار، وبين المسلمين واليهود ثم ولى الولاة وأرسل السرايا والجيوش وجمع الزكاة ووزعها على أصحابها وأرسل الرسل واستقبل الرسل والوفود.

فأول ما فعله الرسول ﷺ بعد وصوله إلى المدينة المنورة: -

- بناء مسجد للجماعة الإسلامية ليكون مركزا للقيادة والدراسة والتشاور في الشئون العامة.

- المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وكان الغرض من هذا النظام تمكين المهاجرين من المعيشة في المدينة وإشعار الأنصار بأن المهاجرين ليسوا أغرابًا عنهم.

- وضع دستور تنظيم الحياة في المدينة التي كانت في حالة فوضى فأراد بهذا

---

(١) مسلم: كتاب الأقضية/ باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن المنع والهات.

(٢) مسلم: كتاب الإيمان/ باب بيان أن الدين النصيحة.

(٣) مسلم: كتاب الإمارة/ باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين.

الدستور تنظيم هذه الجماعة الإسلامية الأولى كأمة واحدة تسودها الوحدة والترابط.

وكُل هذه الأعمال من مسئولية السلطة الحاكمة ولو كان الإسلام لا شأن له بالسلطة والحكم والدولة لما فعل ذلك الرسول ﷺ ولترك لغيره من المسلمين وغيرهم أن يقوموا بذلك.

وأعظم دليل هو إسراع الصحابة ﷺ إلى اختيار خليفة للمسلمين وإقامة السلطة وذلك بعد وفاة النبي ﷺ وحتى قبل دفنه فقد سارع الأنصار إلى سقيفة بني ساعدة ثم تبعهم المهاجرين ودارت بينهم نقاشات ومحاورات انتهت ببيعة أبي بكر ولم ينقل أن أحد الصحابة قد أنكر هذه الفعلة وادعى أن هذا التصرف مخالف للشريعة الإسلامية وفي هذا أكبر دليل على أن السلطة والحكم جزء من الإسلام بل لا يقام الإسلام دون ذلك.

* * *

السؤال الواحد والسبعون

«من أعظم واجبات الدين هو تنصيب خليفة للمسلمين حيث أنه لا قيام للدين إلا به».

دلل على صحة ذلك؟

الجواب

لا شك أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين لا قيام للدين إلا بها.

فمن فرائض الدين تنصيب الخليفة الذي يتولى الحكم وإدارة شئون الناس.

قال الله تعالى ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ [النساء:٥٩]

وقال النبيﷺ **«من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»**[١]

وقال أيضاﷺ **«لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة وأولها نقضا الحكم وآخرها الصلاة»**[٢]

وكذلك من دراسة سيرة النبيﷺ نعلم أن النبيﷺ أقام أول دولة إسلامية بعدما استقر به المقام في المدينة.

وكذلك أجمع أهل العلم على وجوب تنصيب الخليفة.

وفي الحقيقة فإن هناك كثيرا من أحكام الشريعة يحتاج تنفيذها إلى قوة وسلطان كأحكام الجهاد، وكإقامة الحدود والعقوبات وإقامة العدل بين الناس.

فلابد من منصب الإمام حتى يتمكن من تنفيذ هذه الأحكام.

---

(١) مسلم: كتاب الإمارة/ وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن.

(٢) المنذري: الترغيب والترهيب: كتاب الصلاة.

❁ **قال ابن تيمية (رحمه الله):**

ولأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحج والجمع والأعياد ونصر المظلوم وإقامة الحدود لا تتم إلا بالقوة والإمارة.

❁ **فالإمامة هي:**

رياسة تامة وزعامة عامة تتعلق بالخاصة والعامة في مهمات الدين والدنيا متضمنها حفظ الحوزة ورعاية الرعية وإقامة الدعوة بالحجة والسيف وكف الحنف والحيف والانتصاف للمظلومين من الظالمين واستيفاء الحقوق من الممتنعين وإيفاؤها على المستحقين[1] .

❁ **وجوب الإمامة:**

فقد اتفق السواد الأعظم من المسلمين على وجوب نصب الإمام وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع على وجوب الإمامة.

دلت سنة النبيﷺ على أن الولاية أمانة يجب أداؤها.

ولذا قال النبيﷺ في الإمارة لأبي ذر **«إنَّها أمانة وإنَّها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها»**[2]

وقالﷺ **«إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة»** قيل يا رسول الله وما إضاعتها؟ قال **«إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»**[3]

وقد أجمع المسلمون على معنى هذا فإن وصى اليتيم وناظر الوقف ووكيل الرجل في ماله عليه أن يتصرف له بالأصلح فالأصلح كما قال الله تعالى ﴿وَلاَ

(١) الحوزة: الناحية وهي هنا بمعنى البلد.
الحنف: الميل والانحراف.
الحيف: الجور والظلم.

(٢) مسلم: كتاب الإمارة/ كراهة الإمارة بغير ضرورة.

(٣) البخاري: كتاب الرقاق/ باب رفع الأمانة.

تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء:٣٤]

وذلك لأن الوالي راع على الناس بمنزلة راعي الغنم كما قال النبيﷺ **«كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها والولد راع في مال أبيه وهو مسئول عن رعيته والعبد راع في مال سيده وهو مسئول عن رعيته ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»**(١)

وقالﷺ **«ما من راع يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لها إلا حرم الله عليه رائحة الجنة»**(٢)

❁ **ومنها القاعدة الشرعية (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب).**

فالله سبحانه أمر بأمور ليس في مقدور آحاد الناس القيام بها ومن هذه الأمور إقامة الحدود وتجهيز الجيوش المجاهدة لنشر الإسلام وإعلاء كلمة الله وجباية الزكاة وصرفها في مصارفها المحددة وسد الثغور وحفظ حوزة المسلمين ونشر العدل ودفع الظلم وقطع المنازعات الواقعة بين العباد إلى غير ذلك من الواجبات التي لا يستطيع أفراد الناس القيام بها وإنما لابد من إيجاد سلطة وقوة لها حق الطاعة على الأفراد تقوم بتنفيذ هذه الواجبات وهذه السلطة هي الإمامة.

❁ **قال ابن تيمية (رحمه الله):**

«يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين بل لا قيام للدين إلا بها فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض لأن الله أوجب الأمر بالمعروف ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد والعدل وإقامة الحج والجمع والأعياد ونصر المظلوم وإقامة الحدود لا

---

(١) البخاري: كتاب الأحكام/ باب قول الله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم).
مسلم: كتاب الإمارة / باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية.
(٢) مسلم: كتاب الإمارة / باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية.

تتم إلا بالقوة والإمارة.

✿ **دفع أضرار الفوضى:**

لأن في عدم اتخاذ إمام معين من الأضرار و الفوضى ما لا يعلمه إلا بالله ودفع الضرر وحماية الضروريات الخمس (الدين – النفس – العرض – المال – العقل) واجب شرعًا ومن مقاصد الشريعة حِفظها وهذا لا يتم إلا بإقامة إمام للمسلمين فدل على وجوبه.

✿ **الإمامة من الأمور التي تقتضيها الفطرة وعادات الناس:**

فالإنسان مدني بالطبع فهو لا يستطيع أن يعيش بمفرده وحيدًا مستقلاً عن أخيه الإنسان الآخر بل لابد أن يعيش مع الناس حتى تستقيم أمور حياته وتتحقق مصالحه ونتيجة لمخالطة الناس الآخرين قد تتعارض مصالحهم مع مصالحه ويحدث الاحتكاك بينه وبينهم ويحصل التنازع فلابد من أمير يختصم إليه الناس ويرتضونه ليحكم في منازعاتهم وخصوماتهم.

ومن هنا كان تنصيب الإمام أمرًا ضروريًّا للمحافظة على حقوق الناس وضمان استقرار الحياة.

✿ **قال ابن تيمية (رحمه الله):**

كل بني آدم لا تتم مصلحتهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالاجتماع والتناصر فالتعاون والتناصر على جلب منافعهم والتناصر لدفع مضارهم.

✿ ✿ ✿

السؤال الثاني والسبعون

«يجب على الأمة السعي في إيجاد الخليفة حيث هي التي تملك حق نصب الخليفة».

بين ذلك مع بيان كيف يتم اختيار الخليفة؟

وما هو المركز القانوني للخليفة؟ مع بيان حقوق هذا الحاكم على رعيته؟

الجواب

❁ الأمة تملك حق انتخاب الخليفة:

فالأمة هي صاحبة الحق في اختيار من تراه أهلاً لمنصب الخلافة.

وذلك يتضح من خلال توجيه الخطاب في القرآن للأمة للقيام بتنفيذ أحكام الشرع وإعلاء كلمة الله في الأرض وإقامة المجتمع الإسلامي الفاضل.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة:٧١]

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا . . ﴾ [المائدة:٣٨]

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ . . .﴾ [النور:٢]

فطالما أن الأمة هي المسئولة عن تنفيذ أحكام الإسلام ومطالبة بذلك فهي تملك السلطة على هذا التنفيذ وحيث يتعذر أن يتم التنفيذ فكان لابد من اختيار الأمة لمن ينوب عنها في مباشرة سلطاتها لتنفيذ ما هي مكلفة بتنفيذه شرعًا.

❁ وبالتالي فمركز الخليفة القانوني:

هو مركز النائب والوكيل عن الأمة في تنفيذ أحكام الشرع، وبالتالي يجب على الجميع طاعته.

❁ طرق تنصيب الحاكم في الدولة الإسلامية:

١- اختيار الأمة له:

إن الأمة الإسلامية هي صاحبة الحق في اختيار من يتولى الإمامة العظمى فيها فتعقد له الخلافة وتبايعه عليها إذا شغر منصب الخليفة ممن يشغله إما بالوفاة أو العزل أو الاستقالة منه فإن أهل الحل والعقد في الأمة ينظرون في اختيار من يخلفه.

❁ وقد يستدل على أن الأمة هي صاحبة السلطان في اختيار الأئمة وأنها مصدر السيادة بأكثر من إشارة في التشريع الإسلامي منها:

إن القرآن في كثير من آياته يتوجه بالخطاب في الأمور العامة إلى المؤمنين أي إلى الجماعة الإسلامية كلها وما هذا إلا لأنها صاحبة الحق في تنفيذ الأوامر والرقابة على القائمين بها وهذا هو مظهر السيادة والسلطان.

من ذلك قول الله تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾ [النساء:٣٥]

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة:١]

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة:٢]

ففي توجيه الخطاب في تلك الآيات وأمثالها إلى الأمة جميعًا دلالة واضحة على أن الأمة هي التي تتحمل مسئولية إقامة الدين ورعاية المصالح العامة ولا يمكن للأمة القيام بهذا الواجب إلا بعد تنصيب إمام أو قائد يقودهم وينظم لهم طريق الوصول إلى القيام بهذا الواجب العام وعلى هذا فالإمام نائب ووكيل عنها.

ومن أعظم الأدلة حادثة السقيفة وما دار فيها من أحداث[1].

٢- العهد والاستخلاف:

وهو أن يعهد الخليفة المستقر إلى غيره ممن استجمع شرائط الخلافة بالخلافة من

---

(١) البخاري: كتاب فضائل الصحابة/ باب مناقب أبي بكر الصديق.

بعده فإذا مات العاهد انتقلت الخلافة بعد موته إلى المعهود إليه ولا يحتاج إلى تجديد بيعة من أهل الحل والعقد.

❁ قال النووي (رحمه الله):

إن المسلمين أجمعوا على أن الخليفة إذا حضرته مقدمات الموت وقبل ذلك يجوز له الاستخلاف ويجوز له تركه – فإن تركه فقد اقتدى بالنبي ﷺ في هذا وإلا فقد اقتدى بأبي بكر رضي الله عنه وأجمعوا على انعقاد الإمامة بالاستخلاف[١]

ولكن الظاهر أن انعقاد الإمامة بالعهد من الخليفة القائم لا يتم إلا برضا الأمة بهذا العهد، وأن العهد في حد ذاته لا يتجاوز أن يكون ترشيحا لمن سيخلفه في حكم الأمة فقط.

❁ قال أبو يعلى الحنبلي (رحمه الله):

لأن الإمامة لا تنعقد للمعهود إليه بنفس العهد وإنما تنعقد بعهد المسلمين فعهده إلى غيره ليس بعقد للإمامة.

❁ قال ابن تيمية (رحمه الله):

أن عمر إنما صار إمامًا بمبايعة الناس له بعد موت أبي بكر الصديق رضي الله عنه لا بمجرد عهد أبي بكر له بالخلافة «وكذلك عمر لما عهد إليه أبو بكر إنما صار إماما لما بايعوه وأطاعوه ولو قدر أنهم لم ينفذوا عهد أبي بكر ولم يبايعوه لم يصر إمامًا فإن أبا بكر عهد إليه وبايعه المسلمون بعد موت أبي بكر فصار إمامًا.

وأما عهد عمر للستة فهو ترشيح لهم من قبله بناء على طلب المسلمين والخلافة انعقدت لعثمان بن عفان رضي الله عنه ببيعة الناس له لا بترشيح عمر رضي الله عنه فعثمان رضي الله عنه لم يصر إمامًا باختيار بعضهم بل بمتابعة الناس وجميع المسلمين بايعوا عثمان ابن عفان رضي الله عنه ولم يتخلف عن بيعته أحد وعلى ذلك لابد من بيعة المسلمين

---

(١) مسلم: كتاب الإمارة/ باب الاستخلاف وتركه.

للخليفة ولا يجوز أن تكون بالعهد والاستخلاف فإذا أجمعوا جميعا أو أكثرهم على اختيار شخص انعقدت له الإمامة باختيار الجميع أو أكثرهم

❁ الخلافة القهرية:

هل تنعقد الإمامة بالقهر والغلبة؟

بمعنى إذا تولى الحكم غاصب متسلط وفرض نفسه على الناس قسرًا وقهرًا دون اختيار منهم فهل يعتبر ذلك طريقا من طرق انعقاد الإمامة وأن الغالب عليها والآخذ لها بحد السيف هو خليفة ينبغي الاعتراف به والولاء له باعتباره ولي الأمر؟ أم أن سلطته تفتقر إلى رضا المسلمين؟

انقسم العلماء إلى فريقين:

❁ الفريق الأول:عدم انعقاد الخلافة بالقهر والغلبة.

قالوا لا يكون أحد خليفة إلا إذا ولاه المسلمون ولا يملك صلاحيات الخلافة إلا إذا تم عقده لها ولا يتم هذا العقد إلا من عاقدين أحدهما طالب الخلافة والمطلوب لها والثاني الذين رضوه خليفة لهم ولهذا كان لابد من انعقاد للخلافة من بيعة المسلمين وعلى هذا إذا قام متسلط واستولى على الحكم بالقوة فإنه لا يصبح بذلك خليفة ولو أعلن نفسه خليفة للمسلمين لأنه لم تنعقد به الخلافة ولو أخذ البيعة على الناس بالإكراه والإجبار لا يصبح خليفة ولو بويع لأن البيعة بالإكراه والإجبار لا تُعدُّ ولا تنعقد بها الخلافة.

استدلوا بالسنة وفعل الصحابة رضوان اله عليهم والعقل: -

١- السنة:

عن السائب بن يزيد عن أبيه ﵁ قال قال رسول الله ﷺ **«لا يأخذن أحدكم متاع أخيه جادًّا ولا لاعبًا وإذا أخذ أحدكم عصا أخيه فليردها عليه»**[1]

---

(١) أبو داود: كتاب الآداب/ باب من يأخذ الشيء من المزاح.

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال **«من ظلم شبرًا من الأرض طوقه الله من سبع أرضين»**[1]

ووجه الدلالة من هذه الأحاديث أن السلطان أي الحاكم للأمة أي للمسلمين فهم الذين ينصبونه الحاكم فهو حقهم فمن يأخذه بالقوة ولا تعطيه الأمة له قد اغتصب الحكم اغتصابًا وأخذه بغير حق، فهو مغتصب للحكم يطبق في حقه الغصب.

قد يقال- إن الحاكم مستثنى من حكم الغصب لأن أدلة حكم الغصب عامة وجاءت أدلة طاعة الحاكم خاصة فهي مخصصة لذلك العموم فلا يُطبق حكم الغصب في حق السلطان بدليل أن الرسول ﷺ يقول في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه **«يكون بعدي أئمة لا يهتدون بِهديي ولا يستنون بسنتِي وسيقوم فيكم رجال قلوبُهم قلوب الشياطين في جثمان إنس»** قلت كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال **«تسمع وتطيع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسْمع وأطع»**[2]

فيقال إن الأدلة الخاصة التي تستثني الحاكم إنما هي في حق الحاكم إذا كان حاكمًا أي معينًا من قبل الأمة، ولكن مغتصب السلطة حين ارتكب جريمته لم يكن حاكما بل كان شخصًا عاديًا من الناس فاغتصبها وهو ليس بحاكم وبعد اغتصابها صار حاكمًا فلا تنطبق عليه الأحاديث لأن الجريمة قد ارتكبت من قبله وهو ليس بحاكم ولذلك لا تنطبق عليه أحاديث الأمر بالصبر على أئمة الجور وينطبق عليه حكم الغاصب ولا يدخل في الاستثناء.

٢- اجتهاد الصحابة:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه **«فمن بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا**

---

(١) البخاري: كتاب المظالم والغصب/ باب إثم من ظلم شيئًا من الأرض.

(٢) مسلم: كتاب الإمارة/ باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن.

يتابع هو والذي بايعه تغرة أن يقتلا»[1]

قالوا : هذا نص قاطع في رفض اغتصاب السلطة وأن من سلب الجماعة حقها واستأثر فيها لخاصة نفسه فإنه لا يتابع هو ولا الذي أعانه على ذلك قال إن هذا الفعل قد يفضي إلى قتل صاحبه ومن بايعه على ذلك.

٣- الخلافة عقد لا بد فيه من رضا المتعاقدين:

فعقد الخلافة عقد مراضاة واختيار كسائر العقود ولا يتم إلا بين عاقدين أحدهما الأمة والثاني الحاكم أو الخليفة فهو عقد حكم فإذا فقد فيه أحد العاقدين بطل العقد كليًّا فكان كأي عقد من العقود الباطلة.

❁ الفريق الثاني: انعقاد الإمامة بالغلبة والقهر:

ذهب جمهور فقهاء أهل السنة إلى أن من غلب الناس واستولى على الخلافة بالقهر فإنه يصبح إماما تجب طاعته.

❁ قال الإمام النووي (رحمه الله):

أما الطريق الثالث فهو القهر والاستيلاء فإن مات الإمام فتصدى للإمامة من جمع شرائطها من غير استخلاف ولا بيعة وقهر الناس بشوكته وجنوده انعقدت خلافته لينتظم شمل المسلمين، فإن لم يكن جامعا للشرائط فإن كان فاسقًا أو جاهلاً فوجهان أصحهما انعقادها لما ذكر وإن كان عاصيًا بفعله.

❁ قال ابن تيمية (رحمه الله):

«فمتى صار قادرا على سياستهم إما بطاعتهم أو بقهره فهو ذو سلطان مطاع إذا أمر بطاعة الله».

ونقل ابن حجر رحمه الله إجماع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه قال: وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد

---

(١) البخاري: كتاب الحدود: باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت.

معه وأن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن للدماء وتسكين للدهماء ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح فلا يجوز طاعته في ذلك بل يجب مجاهدته لمن قدر عليها».

❁ **أدلة هذا الفريق:**

١- حديث حذيفة بن اليمان ﷺ لما قال قلت يا رسول الله إن كنا بشر فجاء الله بخير فنحن فيه فهل من وراء هذا الخير من شر؟ قال «**نعم . .**» الحديث قال قلت كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال «**تسمع وتطيع أميرك وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع**»(١)

٢- عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال قال رسول الله ﷺ «**إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها**» قالوا يا رسول الله كيف تأمر من أدرك منا ذلك؟ قال «**تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم**»(٢)

٣- عن عبادة بن الصامت ﷺ قال «**دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وألا ننازع الأمر أهله قال إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان**»(٣)

❁ **كيف تتم بيعة الإمام؟**

❁ **البيعة:**

(هي العهد على الطاعة لولي الأمر) وهي الصفة على إيجاب الطاعة لولي الأمر.

---

(١) مسلم: كتاب الإمارة/ باب وجود ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن.

(٢) مسلم: كتاب الإمارة/ باب وجوب الوفاء ببيعة الخليفة الأول فالأول.

(٣) مسلم: كتاب الإمارة/ باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية.

البخاري: كتاب الأحكام/ باب كيف يبايع الإمام الناس.

❁ مستند البيعة من القرآن والسنة:

❁ دليل القرآن:

قال الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:١٨]

﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة:١٢]

❁ دليل السنة:

رواية عبادة بن الصامت ﷺ قال دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه فقال فيما أخذ علينا أن «**بايعناه على السمع والطاعة في المنشط والمكره وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان**»[١]

وكذلك أخذ النبي ﷺ البيعة في العقبة الأولى والثانية وكذلك يوم الحديبية وأجمع المسلمون على مشروعية طلب البيعة وأخذها.

❁ حكم إعطاء البيعة للحاكم:

والحاكم في الدولة الإسلامية إذا وصل إلى الحكم عن طريق مشروع وتوفرت فيه الشروط المعتبرة فيجب على المسلمين جميعًا مبايعته والاجتماع عليه ونصرته على من يخرج عليه حفاظًا على وحدة الأمة وتماسك بنيانها أمام الأعداء في داخل الدولة الإسلامية وخارجها.

---

(١) مسلم: كتاب الإمارة/ باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية.

ولقد دلت النصوص على وجوب الوفاء بالبيعة ولا يحل من أعطاها أن ينقض عهده أو يتحلل منها.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة:١]

﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء:٣٤]

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ **«ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ما استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر»**[١].

وكذا حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه السابق[٢].

❁ حقوق وواجبات الحاكم في الدولة الإسلامية:

١- حقوق الحاكم في الدولة الإسلامية

فالحاكم في الدولة الإسلامية له حقوق على رعيته من شأنها أن تمكنه من تنفيذ أحكام الإسلام وتشريعاته بشرط أن يكون قائمًا بأمر الله منفذًا لحكم الشرع راعيًا لأماناته وعهده.

وهذه الحقوق هي:

أ- الطاعة.

ب- النصرة.

جـ- بذل النصيحة.

د- عدم الخروج عليه.

هـ- دفع الحقوق المالية إليه.

---

(١) مسلم: كتاب الإمارة: وجوب الوفاء ببيعة الخليفة الأول فالأول.

(٢) مسلم: كتاب الإمارة: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية.

أ- الطاعة:

فالطاعة والانقياد للإمام فريضة شرعية لأنها أمر أساسي لوجود الانضباط في الدولة والمؤمن يتخذ هذه الطاعة قربة يتقرب بها إلى الله تعالى لأنه يطيع ولاة الأمر امتثالاً لأمر الله تعالى ورسوله ﷺ.

✿ **يقول ابن تيمية (رحمه الله):**

«فطاعة الله ورسوله واجبة على كل أحد وطاعة ولاة الأمر واجبة لأمر الله تعالى بطاعتهم فمن أطاع الله ورسوله بطاعة ولاة الأمر لله فأجره على الله ومن كان لا يطيعهم إلا لما يأخذه من الولاية والمال فإن أعطوه أطاعهم وإن منعوه عصاهم فما له في الآخرة من خلاق».

فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال **«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل ورجل بايع رجلاً بسلعة بعد العصر فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا فصدقه وهو غير ذلك ورجل بايع إمامًا لا يبايعه إلا للدنيا فإن أعطاه منها ما يريد وفى وإن لم يعطه منها لم يف»**[1]

وهذه الطاعة الواجبة لولاة الأمر سندها القرآن والسنة:

قال الله تعالى ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾ [النساء:٥٩]

والنص لم يجعل طاعتهم أصلية بل جعلها تبعية ليدل على أن طاعتهم مستمدة من طاعتهم لله ورسوله ومن قيامهم على شريعة الله ورسوله وليس لهم طاعة فيما وراءها لأن الطاعة لهم مستمدة من الأصل وهي طاعة الله ورسوله

---

(١) البخاري: كتاب الشهادات: باب اليمين بعد العصر.

وليست هي بذاتها أصلاً.

وجاءت أحاديث النبي ﷺ تؤكد من وجوب طاعة أولي الأمر في غير معصية

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ **«من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني»**(١)

وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ **«اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله»**(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ **«عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك»**(٣).

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وأثرة علينا وعلى ألا ننازع الأمر أهله وعلى أن نقول الحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم»(٤).

فهذه النصوص تدل نصًّا على وجوب طاعة إمام المسلمين لأن نظام الحياة الإسلامية الذي جاء به الإسلام لا ينتظم إلا بسلطان مطاع لأن من شأن الخليفة والإمام الأعظم بعث الجيوش لقتال الكفار وصرف أموال بيت المال في مصارفها الشرعية وجمعها من محالها وتولية القضاة والولاة وعقد العهود والمواثيق مع الكفار وغير ذلك من الأحكام.

---

(١) البخاري: كتاب الأحكام/ باب قوله تعالى ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾.
مسلم: كتاب الإمارة/ باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية.

(٢) البخاري: كتاب الأحكام/ باب السمع والطاعة للإمام ما لم يكن معصية.
مسلم: كتاب الإمارة/ باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية.

(٣) مسلم: كتاب الإمارة/ باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية.

(٤) البخاري: كتاب الأحكام: كيف يبايع الإمام الناس.
مسلم: كتاب الإمارة/ باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية.

❁ **الطاعة في المعروف:**

فعن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال «**السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سَمع ولا طاعة**»(١)

وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال «بعث النبي ﷺ سرية وأمر عليهم رجلاً من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه فغضب عليهم وقال أليس قد أمر النبي ﷺ أن تطيعوني؟ قالوا بلى قال قد عزمت عليكم لما جمعتم حطبًا وأوقدتم نارًا ثم دخلتم فيها فجمعوا حطبًا فأوقدوا نارًا فلما هموا بالدخول فقاموا ينظر بعضهم إلى بعض فقال بعضهم إنما تبعنا النبي ﷺ فرارًا من النار أفندخلها؟ فبينما هم كذلك إذ خمدت النار وسكت غضبه فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «**لو دخلوها ما خرجوا منها أبدًا إنما الطاعة في المعروف**»(٢) .

ب- النصرة:

لأن الإمام في منصبه العظيم الذي وكلته الأمة القيام به من تنفيذ الشرع (شرع الله تعالى) وحراسة البلاد والعباد والقيام بأمر الدعوة إلى الله ونشرها وغير ذلك يحتاج إلى تأييد الأمة وأن تكون بجانبه لإعانته على تأمين سلامة الوطن وتحقيق النصر على كل من يعتدي عليه.

وقد جاءت النصوص من القرآن والسنة دالة على ذلك.

قال الله تعالى ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾ [التوبة:٧١]

---

(١) مسلم: كتاب الإمارة/ باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية.
البخاري: كتاب الأحكام / باب السمع والطاعة للإمام ما تكن معصية.

(٢) البخاري: كتاب الأحكام/ باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية.
مسلم: كتاب الإمارة: وجوب اتباع الإمام في غير معصية.

وقال سبحانه ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة:٢]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ **«كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي وستكون خلفاء فتكثر»** قالوا فما تأمرنا؟ قال **«وفوا ببيعة الأول فالأول وأعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم»**[١] .

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ **«ومن بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر»**.

فمن نصرة الإمام أن يؤيد ويعاضد إذا واجهه أهل البغي لأن الباغي يريد أن يفرق شمل الجماعة، وهذا العمل لا شك في خطورته على المجتمع والدولة لذا يجب مقاومته إلى أن يندفع ويزول.

ج- بذل النصيحة:

وهذه من حقوق الحاكم على الرعية فيجب توجيه النصح الأمين إلى ولي الأمر في كشف الأخطاء والانحرافات حتى يمكن علاجها قل أن تستفحل وتلحق الضرر بالمصلحة العامة وعلى الأمة القيام بنصيحة الولاة سواء طلبوها أم لا.

فعن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال **«الدين النصيحة»** قلنا لمن يا رسول الله؟ قال **«لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»**[٢] .

فنصح الإمام فرض واجب وأمر لازم لا يتم الإيمان إلا به ولا يثبت الإسلام إلا عليه.

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ **« ثلاثة لا يغل عنهن قلب**

---

(١) مسلم: كتاب الإمارة/ باب وجوب الوفاء ببيعة الخليفة الأول فالأول.

(٢) مسلم: كتاب الإيمان / باب بيان أن الدين النصيحة.

مؤمن إخلاص العمل لله والنصيحة لولاة المسلمين ولزوم جماعتهم فإن دعوتهم تحيط من وراءهم»(١) .

فواجب كل فرد من أفراد الأمة إذا رأى خللا أو قصورا في إمامه أو أميره أو مجتمعة أن ينصح وأن يتابع النصيحة مع التلطف في التعريف بالعيب الذي يعلمه المنصوح من نفسه وذلك بالتعريض مرة والتصريح مرة أخرى وأن يحتال لإزالة الخلل والقصور وأن يبذل غاية الجهد للإقناع.

د- عدم الخروج عليه:

الأصل في رئيس الدولة الإسلامية أن يلتزم في نهجه الحكم بالكتاب والسنة وما هو مقرر فيهما من مبادئ وقواعد للحكم إذ هو مكلف برعاية أمور الأمة وتدبير شئونها بما يوافق الشرع.

فإذا كان الإمام ملتزما بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وكان آمرًا بالشرع فإنه لا يجوز الخروج على الإمام العادل حفظًا للمجتمع من الفوضى التي يسببها التمرد والعصيان.

ولقد وردت النصوص الكثيرة التي تتوعد الخارج بعذاب عظيم ومن خرج على الإمام العادل يعد باغيًا ويجب على الأمة أن تنتصر للحاكم وتقف إلى جانبه.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ **«من رأى من إمامه شيئًا يكرهه فليصبر فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات فميتته جاهلية»**(٢) .

وعن عرفجة بن شريح رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول **«من أتاكم وأمركم جميع يريد أن يفرق جماعتكم فاقتلوه»**(٣) .

---

(١) ابن ماجه: كتاب المناسك/ باب الخطبة يوم النحر.

(٢) مسلم: كتاب الإمارة/ وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن.

(٣) مسلم: كتاب الإمارة/ إذا بويع الخليفتين يقتل الآخر منهما.

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»**(١)

ولكن هذا الخضوع للسلطة يجب أن يكون متفقًا مع أصول التشريع الإسلامي فلا يكون إلا في طاعة الله إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

أما إذا جار الحكام وظلموا وبلغ الضرر إلى المصلحة العامة كنبذ الأحكام الشرعية والأمر بالمعاصي فلا صبر ولا سمع ولا طاعة وقال سبحانه **﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾** [الأحزاب:٦٧].

هـ- دفع الحقوق المالية إليه:

فمن حقوق الإمام العادل على رعيته أن تدفع إليه المال الذي فرضه الله عليها لأن الدولة تحتاج إلى كثير من الأموال لأداء الأعمال المشروعة.

وقد دلت النصوص الصريحة على أن السلطان أو الحاكم في الدولة الإسلامية هو الذي يتولى جمع الزكاة بنفسه أو بنوابه وفرض على الأمة أن تستجيب لذلك وأن تتعاون في تنفيذ ذلك تطبيقًا لنظم الإسلام وإرساء لدعائم الدولة الإسلامية وتقوية لبيت مال المسلمين.

ولقد كان الرسول ﷺ يبعث بسعاته لجمع هذه الفريضة من أهلها ويوزعونها على مستحقيها ويوصي السعاة دائمًا بالرفق والتيسير على الناس وأن يبتعدوا عن كرائم الأموال.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ حين بعث معاذًا إلى اليمن قال له **«أعلمهم أن الله افترض عليهم في أموالهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»**(٢).

---

(١) مسلم: كتاب الإمارة/ وجوب لزوم جماعة المسلمين عند ظهور الفتن.

(٢) البخاري: كتاب التوحيد/ باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى.

وهناك أموال أخرى تؤخذ من الأمة كأموال الخراج وهي الأموال التي تضرب على الأرض التي فتحت عنوة وتركت في أيدي أصحابها.

وهناك أيضًا العشور وهي الضريبة التي تؤخذ من التجار عند دخولهم إلى دار الإسلام.

وكذلك إذا خلا بيت المال وارتفعت حاجات الجند إلى مال يكفيهم فللإمام إن كان عادلا أن يوظف على الأغنياء بما يراه كافيا لهم في الحال إلى أن يظهر مال في بيت المال.

❁ ❁ ❁

السؤال الثالث والسبعون

عرف من هم أهل الحل والعقد.

وما هي علاقتهم بالأمة؟ وكيف ينالون هذه المنزلة؟

الجواب

أهل الحل والعقد هم الطائفة التي تتوافر فيها الشروط التالية:

١- العدالة.

٢- العلم الذي يتوصل به إلى معرفة من يستحق الإمامة على الشروط المعتبرة فيها.

٣- الرأي والحكمة المؤديان إلى اختيار من هو الأصلح للأمة وبتدبير المصالح أقوَم.

وعلاقة هذه الطائفة بالأمة هي علاقة النائب والوكيل فهم الذي يباشرون اختيار الخليفة للأمة.

❁ أما كيف ينالون هذه المنزلة؟

فهم يعرفون بتقواهم وسابقتهم في الإسلام ودرايتهم بالأمور وإخلاصهم في العمل.

❁ ❁ ❁

السؤال الرابع والسبعون

«الأمة هي صاحبة الحق في اختيار من تراه أهلاً لمنصب الخلافة.

وقد جوز الفقهاء أن يعهد الى إمام بعده كما حدث أن أبا بكر الصديق عهد إلى عمر بن الخطاب.

وكما عهد عمر بن الخطاب إلى الستة لاختيار الخليفة».

فهل ولاية العهد لاغية لحق الأمة في الاختيار؟

الجواب

لا شك أن ولاية العهد غير لاغية لحق الأمة في الاختيار وذلك أن الإمامة لا تنعقد بمجرد العهد وإنما تثبت باختيار أهل الحل والعقد.

ومعنى ذلك أن التكييف القانوني للعهد أنه ترشيح للخلافة وليس تعيينًا نهائيًّا لمن يتولاه ولذلك عندما عهد أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالخلافة من بعده إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكذا عندما عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالخلافة من بعده إلى الستة لاختيار الخليفة منهم كان ذلك بمثابة ترشيح للخلافة.

وذلك أن المعهود إليه لا يتولى منصب الخلافة إلا بعد موت الخليفة الحالي فكان لابد من إعلان الموافقة الصريحة من أهل الحل والعقد ببيعتهم للمرشح (المعهود إليه).

فما لم يعلن أهل الحل والعقد اختيارهم الصريح وبيعتهم الصريحة لا يصير المعهود إليه خليفة.

❁ ❁ ❁

السؤال الخامس والسبعون

ما هي الشروط التي يجب أن تتوافر فيمن ينصب لخلافة المسلمين لكي يستطيع أن يقوم بأعباء هذا المنصب على الوجه المرضي لله تعالى والمحقق لمصلحة الأمة؟

الجواب

ولاشك لكي يستطيع الخليفة أن يقوم بمهام منصبه وبأعباء هذا المنصب الخطير على الوجه المرضي لله تعالى والمحقق لمصلحة الأمة فينبغي أن تتوافر عدد من الشروط في الخليفة:

١- الإسلام:

وهذا شرط واجب في كل ولاية إسلامية صغيرة كانت أو كبيرة.

﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ [النساء:١٤١]

وقال سبحانه **﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾** [النساء:٥٩]

منكم: أي منكم أيها المسلمون فهو من المسلمين.

٢- الذكورة:

ولا خلاف بين العلماء في ذلك لأن المرأة تعجز عن القيام والنهوض بمهام رئاسة الدولة.

وقالﷺ **«لن يفلح قومٌ ولوا أمرهم امرأة»**[١]

٣- البلوغ: وهذا من الشروط البديهية واللازمة في كل ولاية إسلامية صغيرة كانت أو كبيرة.

٤- العقل: من الشروط البديهية.

---

(١) البخاري: كتاب المغازي/ باب كتاب النبيﷺ إلى كسرى وقيصر.

٥- الحرية: من الشروط الضرورية في الإمامة لأن المملوك لا يحق له التصرف في شيء إلا بإذن سيده فلا ولاية له على نفسه.

٦- العلم: والجمهور على أن يكون الإمام قد بلغ إلى رتبة الاجتهاد.

فلابد أن يكون جامعًا للعلم بالأحكام الشرعية لأنه مكلف بتنفيذها.

٧- العدالة: (والعدالة صفة كامنة في النفس توجب على الإنسان اجتناب الكبائر والصغائر والتعفف عن بعض المباحات الخارمة للمروءة وهي مجموعة صفات أخلاقية من التقوى والورع والصدق والأمانة والعدل ورعاية الآداب الاجتماعية ومراعاة كل ما أوجبت الشريعة الالتزام به.

٨- الكفاءة النفسية: الشجاعة والجرأة على إقامة الحدود واقتحام الحروب ... فطبيعة المنصب تحتاج إلى هذه الصفات.

٩- الكفاءة الجسمية: سلامة الحواس والأعضاء التي يؤثر فقدانها على الرأي والعمل كذهاب البصر والنطق والسمع.

١٠- عدم الحرص عليها وقد نص النبيﷺ على هذا الشرط وجعل الحرص عليها بغير مصلحة شرعية تهمة يعاقب عليها بمنعه منها.

١١- القرشية: وهو من الشروط التي وردت به النصوص صريحة وانعقد إجماع الصحابة والتابعين عليه (وهذا قول جمهور العلماء)

❁ ❁ ❁

السؤال السادس والسبعون

«إن كانت الأمة هي صاحبة الحق في اختيار الخليفة فهي تَملك أيضًا عزل الخليفة إذا وُجد السبب الشرعي للعزل».

بين ذلك مع بيان الضوابط التي ينبغي أن تراعى عند تنفيذ العزل؟

الجواب

إن كانت الأمة هي صاحبة الحق في تعيين الخليفة فهي أيضا صاحبة الحق في عزله ولكن متى وجد المبرر الشرعي، فلا يكون ذلك باستعمال هذا الحق تعسفًا أو اتباعًا للهوى.

❁ **والمبرر الشرعي:**

إن خرج الخليفة عن مقتضى وكالته عن الأمة خروجا يبرر عزله.

أو إذا عجز الخليفة عن القيام بمهام الخليفة.

ولا شك أن الأصل في الحاكم المسلم أن يقود الأمة على أساس كتاب الله عز وجل وإقامة حكمه والأصل فيه كذلك المحافظة على الصلاة والصوم من شعائر الإسلام وأن يدعو الناس إلى إقامة هذه الشعائر.

وأن الأصل فيه ألا يسمح بالمعاصي أو بالكفر يُستَعْلَن ظاهرًا واضحًا دون نكير.

ولذا يقول الرسول ﷺ **«ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله فاسمعوا وأطيعوا»**[1].

وفي رواية أخرى **«يأيها الناس اتقوا الله وإن أُمِّرَ عليكم عبد حبشي مُجدَّع**

---

(١) مسلم: كتاب الإمارة وجوب طاعة الأمراء في غير معصية.

فاسْمعوا وأطيعوا ما أقام فيكم كتاب الله»[(١)] .

*** تنفيذ العزل:**

فليس مجرد وجود المبرر الشرعي لعزل الإمام أنه يعني بالضرورة تنفيذ ذلك العزل لأن عند التنفيذ لابد من النظر في إمكانية التنفيذ والنتائج والآثار المترتبة على عزله.

فعزل الخليفة هو من باب النهي عن المنكر وبالتالي لابد من النظر إلى قواعد تغيير المنكر وهل سيأتي بمنكر أكبر منه أم لا.

*** عزل الإمام والخروج على الأئمة:**

* قبل استعراض موجبات الخروج وما ينعزل به الحكام والوسائل التي يلجأ إليها في ذلك لابد من بيان أصناف الحكام وبيان من منهم لا يجوز الخروج عليه ومن منهم يجب الخروج عليه- فنقول إن أقسام الحكام ثلاثة :

١- الحاكم العادل

٢- الحاكم الكافر

٣- الحاكم الجائر والفاسق

١- الحاكم العادل:

هو من التزم بأحكام الشريعة الإسلامية فآمن بالله تعالى وباليوم الآخر وحافظ على كتاب الله تعالى وسنة رسولهﷺ ووقف عند حدودهما والالتزام بأحكامهما ورحم الرعية وقبل المحاسبة من الرعية دون ضيق ولا وجل وجاهد في الله تعالى لنشر عقيدة الإسلام وعمل الصالحات لأن الله تعالى أوجب عليهم ذلك قال تعالى **﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾** [الحج:٤١]

---

(١) مسلم: كتاب الإمارة وجوب طاعة الأمراء في غير معصية.

ولقد وردت الأحاديث الصحيحة عن الرسولﷺ تدل دلالة واضحة على وجوب الالتزام ببيعة الإمام العادل ووجوب طاعته.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]

٢- الحاكم الكافر:

فإذا ارتد الحاكم عن الدين الإسلامي بأن أظهر ذلك صراحة بلسانه وطالب الأمة بالالتزام بشرع غير شرع الله فعندئذ يجب على الأمة ممثلة في أهل الحل والعقد خلعه بكل وسيلة تملكها وتقديمه إلى القضاء لمعاقبته على جنايته فإن امتنع ولم يمتثل إلى قرار العزل وجب على الأمة جميعا الخروج عليه بقوة السلاح حتى ينخلع، وهذا إجماع الأمة.

قال النبيﷺ **«من بدل دينه فاقتلوه»**(١)

✽ وعن عبادة بن الصامت ﷺ قال دعانا رسول اللهﷺ **فبايعناه فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله قال إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان»**(٢).

٣- الحاكم الفاسق والجائر:

لا خلاف بين العلماء أن الإمامة لا تنعقد لفاسق ابتداء ولكن الخلاف فيما إذا انعقدت الإمامة لرجل عدل ثم طرأ عليه الفسق أو الجور فهل ينعزل بسببها أم لا؟

اختلف أهل العلم في مدى جواز الخروج على الحاكم بسبب فسقه وجوره إلى قسمين:

١- المذهب الأول - وجوب الخروج على الحاكم الفاسق والجائر عند القدرة.

٢- المذهب الثاني - منع الخروج على أهل الفسق والجور مطلقًا.

---

(١) البخاري (٦/١٤٩).

(٢) مسلم: كتاب الإمارة/ وجوب طاعة الأمراء في غير معصية.

❁ مسببات العزل: (بم يكون انحراف الحاكم):

١- الكفر والردة بعد الإسلام:

قال النبي ﷺ «**من بدل دينه فاقتلوه**»[1].

٢- ترك الصلاة والدعوة إليها:

عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتُصلون عليهم ويُصلون عليكم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم**» قال: قلنا يا رسول الله أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال «**لا ما أقاموا فيكم الصلاة لا ما أقاموا فيكم الصلاة . .**»[2].

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت أن رسول الله ﷺ قال «**إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون فمن كره فقد برئ ومن أنكر فقد سلم ولكن من رضي وتابع**» قالوا أفلا نقاتلهم؟ قال «**لا ما صلوا**»[3].

معنى إقامة الحاكم للصلاة في الأمة هو دعوة الأمة إلى الصلاة ومحاسبتهم على تركها لأن عدم المحاسبة على تركها يجعل الدعوة الظاهرة فارغة المحتوى مجرد شكل لا حقيقة له وترجمة المحاسبة أن يشمل قانون العقوبات في الدولة عقوبة معينة على ذلك وقد اعتبر القاضي عياض أن ترك الإمام للدعوة إلى الصلاة هو مثل طروء الكفر عليه ينعزل بذلك عن الإمامة.

---

(١) البخاري: كتاب الجهاد – باب لا يعذب بعذاب الله.
أبو داود: كتاب الحدود-باب الحكم فيمن ارتد.
ابن ماجه: كتاب الحدود-باب المرتد عن دينه.

(٢) مسلم: كتاب الإمارة/ باب خيار الأئمة وشرارهم.

(٣) مسلم: كتاب الإمارة-باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع.
أبو داود: كتاب السنة / باب في قتل الخوراج (عون١٣/١٠٦).

٣- ترك الحكم بما أنزل الله.

٤- الفسق والظلم والبدعة.

بين قائل بالعزل مطلقًا، وقائل بعدم العزل بالفسق مطلقًا (الجمهور).

٥- نقص التصرف.

كالحجر عليه وكذلك إذا وقع في الأسر.

٦- نقص الكفاءة

- سواء بعجز جسدي أو عقلي له تأثير على الرأي والعمل.
- كزوال العقل.
- فقد بعض الحواس المؤثرة في الرأي أو العمل (كالعمى-الصمم والخرس)
- فقد بعض الأعضاء المخل فقدها بالعمل أو النهوض (كذهاب اليدين أو الرجلين)

٧- من انحرافات الحاكم (أمر الرعية بالمعصية) «المعصية السافرة الظاهرة التي تجري بين الناس مستعلنة لا تقابل بتغيير ولا نكير».

قال النبي ﷺ **«السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»**[1].

❁ من الذي يباشر العزل والخروج:

فالعزل لا يترك للأفراد وإنما هو من اختصاص أهل الحل والعقد، حيث أن عزل الخليفة أو رئيس الدولة الإسلامية من الأمور الخطيرة التي ربما تعصف بالأمة وكيانها وتجعلها أثرًا بعد عَين فلابد أن يتولى ذلك عقلاء الأمة وأهل الشورى فيها وقد سماهم الفقهاء قديمًا أهل الحل والعقد ولا يترك الأمر للدهماء وعامة الناس عند وجود هؤلاء.

---

(١) مسلم: كتاب الإمارة: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية.

السؤال السابع والسبعون

«مبدأ الشورى من أسس ومقومات نظام الحكم في الإسلام وقد ثبت هذا المبدأ بالكتاب والسنة وإجماع الأمة وهو حق للأمة وواجب على الخليفة والتفريط فيه إلى حد ترك المشاورة موجب للعزل».

اذكر الأدلة على وجوب مبدأ الشورى مع التعليل لأهمية الشورى وبيان في أي الأمور تجرى الشورى وبيان لأوصاف أهل الشورى وما إذا كان خلاف بين الخليفة وبين أهل الشورى. فلمن يكون الرأي؟

الجواب

✿ **الشورى:**

هي استطلاع الرأي من ذوي الخبرة فيه للتوصل إلى أقرب الأمور للحق.

✿ **مشروعية الشورى:**

مبدأ الشورى من أهم مقومات الحكم في الإسلام وهو حق للأمة وواجب على الخليفة.

وثبتت مشروعية الشورى بالقرآن والسنة والإجماع.

✿ **أدلة القرآن:**

قال الله تعالى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩]

وقال سبحانه ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى:٣٧- ٣٨]

❁ **أدلة السنة:**

قال النبي ﷺ «**لو كنت مؤمرًا أحدًا من غير مشورة منهم لأمرت ابن أم عبد**»[١].

وقال ﷺ «**ما ندم من استشار ولا خاب من استخار**»[٢]

❁ قال ابن تيمية (رحمه الله):

«لا غنى لولي الأمر عن المشاورة فإن الله تعالى قد أمر بها نبيه ﷺ».

وكذلك من استعرض السنة نجد أن النبي ﷺ كان كثير المشاورة لأصحابه.

وقد استشار الخلفاء الراشدون الصحابة في مواضع كثيرة منها استشارة أبي بكر الصديق رضي الله عنه المسلمين في قتال أهل الردة.

واستشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه الصحابة في قسمة أرض العراق على الفاتحين.

❁ **أهمية الشورى:**

فهي الطريق السليم التي يتوصل بها إلى أصوب الآراء والحلول لتحقيق مصالح الأفراد والجماعات والدول.

فالشورى هي الطريق الصحيح لمعرفة الحقيقة وجلاء الأمر وتوضيح السبيل - وهو مظهر من مظاهر المساواة بين المسلمين وحرية الرأي والنقد.

وهي استفادة بلا جهد من خبرات الآخرين وتجاربهم التي اكتسبوها في سنوات حياتهم.

وفي الشورى عصمة لولي أمر المسلمين من الإقدام على أمور تضر الأمة ولا يشعر هو بضررها.

وفي الشورى تذكيرًا للأمة بأنها صاحبة السلطة وتذكيرًا للحاكم بأنه نائب

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل (٥٦٦).

(٢) الدر المنثور للسيوطي.

عنها في مباشرة السلطة.

ولنعلم أن رأي الجماعة أصوب من رأي الفرد.

❁ والنصوص من القرآن والسنة تدل على وجوب الشورى على الحاكم لا يحل له تركها والأخذ برأيه دون مشورة المسلمين كما أنه لا يحل للمسلمين أن يتنازلوا عن حقهم في إعطاء الشورى للحاكم.

❁ من هم أهل الشورى؟

هم جماعة من أهل البصيرة والرأي والقدرة على الاستنباط في سائر الأمور التي تحتاجها الأمة فيما لم يرد فيها نص من كتاب وسنة خاصة في الأمور الإدارية سريعة التطور.

قال تعالى قال الله تعالى **﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾** [النساء:٨٣]

وقد حدد العلماء الشروط المعتبرة فيهم وهي ثلاثة:

- العدالة.
- العلم (العلم الذي يتوصل به إلى معرفة من يستحق الإمامة).
- الرأي والحكمة.

❁ الفوائد والحكم التي من أجلها شُرعت الشورى:

- إحراز الصواب غالبًا.
- الأمن من ندم الاستبداد بالرأي الظاهر وخطؤه.
- ازدياد العقل بها واستحكامه.
- الأمن من عتب الأمة عند الخطأ وإقامة الحجة على المعترض.
- التجرد بها عن الهوى والبعد عن الوقوع في شباكه.

- استمناح الرحمة والبركة.

قال عمر بن عبد العزيز (رحمه الله):

«المشورة والمناظرة بابا رحمة ومفتاحا بركة لا يقبل معهما رأي ولا يفقد معهما حزم».

- خير وسيلة للكشف عن الكفاءات والقدرات وبها يظهر الأكفاء وتستفيد الأمة من كفاءاتهم.

۞ في أي الأمور تكون المشاورة:

والمشاورة تكون في كل شئون الدولة المختلفة وفي الأمور الشرعية الاجتهادية التي لا نص فيها.

أهل الشورى يختلفون باختلاف موضوع المشاورة من المسائل التي تحتاج إلى نوع معرفة وحسن رأي فيشاور رئيس الدولة أهل الاختصاص والمعرفة.

۞ الخلاف بين رئيس الدولة وأهل الشورى:

إن حدث خلاف بين رئيس الدولة وبين أهل الشورى فما الحل في ذلك؟ الحل فيما بينه قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء:٥٩].

فيجب رد المتنازع فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كما تقتضي به الآية الكريمة وأجمع عليه المفسرون.

فإذا وجد الحكم صريحًا في الكتاب أو السنة وجب اتباعه ولا طاعة لأحد في مخالفته.

وإذا لم يظهر الرأي الذي هو أشبه بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وبقي الخلاف بين رئيس الدولة وبين أهل الشورى فما الحكم في هذه الحالة؟

لا شك أن رأي رئيس الدولة يقدم لقول الله تعالى

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٩]

كذلك هذا يعلم من خلال تصرف أبي بكر الصديق ﷺ في إنفاذه جيش أسامة بن زيد بعد وفاة النبيﷺ على الرغم من اعتراض الصحابة على إرساله، وكذلك في محاربة المرتدين.

ووجه الدلالة في ذلك أن أبا بكر الصديق أخذ برأيه ونفذه ولم يأخذ برأي غيره وإن كانوا هم الأكثر.

كذلك ليست الكثرة دليلاً قاطعًا لذاتها أو راجحًا على الصواب كما أن القلة ليست لذاتها دليلاً قاطعًا أو راجحًا على الخطأ.

ولذا أشار القرآن

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام:١١٦]

﴿قُل لاَ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ [المائدة:١٠٠]

كذلك في الحروب وهي أخطر ما تمر به الأمة يفوض الأمر إلى قائد الجيش لينفذ ما يراه من خطط الهجوم والدفاع بعد أن يستشير مساعديه ولا يلزم برأيهم مطلقًا وإن كان ملزمًا باستشارتهم.

❁ ❁ ❁

السؤال الثامن والسبعون

«آحاد الأمة لهم الحق في إبداء آرائهم في تصرفات الخليفة وهذا يكون وفق قواعد وحدود ضابطة وأن مشاورة الخليفة لأهل الحل والعقد غير لاغية لحرية إبداء الأفراد لآرائهم وفق هذه القواعد والضوابط». بين ذلك؟

الجواب

قيام الخليفة بمشاورة أهل الحل والعقد لا يعني بذلك إلغاء حق الأفراد في إبداء آرائهم في شئون الحكم وتصرفات الخليفة.

فالحق لكل فرد في أن يبدي رأيه فيما يرى فيه المصلحة أو إزالة المفسدة، وأساس هذا الحق تكليف الشارع لكل مسلم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال الله تعالى ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾.

وقال النبي ﷺ **«من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»**[١]

❁ ولكن إبداء الأفراد لآرائهم له حدود وضوابط لابد من مراعاتها:

١- أن يقصد الفرد بذلك بذل النصح الخالص للخليفة.

«الدين النصيحة» قيل: لمن يا رسول الله قال: **«لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»**[٢].

٢- أن يكون بيان المسلم لرأيه في تصرفات الحكام على أساس من العلم والفقه.

---

(١) مسلم: كتاب الإيمان / باب النهي عن المنكر من الإيمان.

(٢) مسلم: كتاب الإيمان / بيان أن الدين النصيحة.

٣- لا يجوز للأفراد إحداث فتنة ومقاتلة المخالفين لهم بالرأي إذا لم يأخذوا برأيهم ما دام الأمر يحتمل رأيهم ورأي غيرهم.

۞ حقوق الأفراد في الأمة الإسلامية:

لكل فرد في الدولة الإسلامية حقوق وقد كفل الإسلام هذه الحقوق وطالب المسلمين بالحفاظ عليها ما دام الفرد واحدًا من رعية الدولة الإسلامية سواء أكان مسلمًا أو كتابيًّا التزم بقانون الدولة وخضع لنظامها العام ولم يتمرد أو يخرج عن الدولة.

- حق الحياة.
- حرية الدين والاعتقاد.
- حرية العمل.
- حرية النقد والحرية السياسية.
- الحرية الشخصية.

١- حق الحياة:

لقد صان الإسلام حق الحياة لكل الناس داخل الدولة الإسلامية أو خارجها للمسلم وغير المسلم لا يستثنى من ذلك إلا الذي يقف في وجه الدولة الإسلامية.

ولا يجوز للدولة أن تعتدي على حياة أي شخص إلا إذا ارتكب جرما يؤاخذه عليه الشرع ويعاقبه عليه القانون الإسلامي. فالإسلام حرم الاعتداء على الأنفس إلا بمسوغ شرعي.

قال رسول الله ﷺ «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة**»[1] .

---

(١) أبو داود: كتاب الحدود / باب الحكم فيمن يرتد.

٢- حرية الدين والاعتقاد:

قال الله تعالى ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦]

هذا هو سلوك الدولة الإسلامية مع اليهود والنصارى وذلك لأنهم يلتقون مع الإسلام في الإيمان بالله واليوم الآخر.

أما أهل العقائد التي يها حط من قيمة الإنسان كمن يؤله حيوانا أو إنسانا أو حمارًا فالإسلام يعد ذلك نوعًا من الوثنية الضارة ومنبعًا للظلم والاستبداد والانحراف والانحطاط ويعمل على إزالتها بشتى الطرق ابتداء بالدعوة بالحكمة و الموعظة الحسنة وانتهاء بمقاومتها ومحاربتها لتخليص البشرية من شرورها وآثامها.

والواجب على الدولة الإسلامية المحافظة على عقيدة الأفراد المسلمين من أي خلخلة أو بلبلة فلا يسمح لهم بالتمرد على أحكام الشريعة التي هي الإطار الذي يحكم المجتمع الإسلامي.

لذا فالمسلم يمنع من ترك دينه ويعد الإسلام ذلك ردة تبيح دم من ارتد وكذلك الواجب على الدولة أن تمنع وتردع كل من يحاول التشكيك أو إثارة الشبهات في عقيدة الإسلام ونظامه.

قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلاَفٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:٣٣]

٣- حرية العمل:

أباح الإسلام الحرية الاقتصادية المتمثلة في حرية العمل والتملك ولقد دعا الإسلام الناس إلى العمل وحثهم عليه- قال الله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ

ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك:١٥]

وقال النبي ﷺ «ما أكل ابن آدم طعاما خيرا من عمل يده وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده»(١).

ولقد أعطى الإسلام الفرد في الدولة الإسلامية الحق في ممارسة جميع الشئون الاقتصادية من بيع وشراء وزراعة وتجارة وغير ذلك على أن لا يخرج الفرد في تصرفاته وأعماله عن الدائرة التي حددتها الشريعة الإسلامية فلا يتعامل بالأعمال المحرمة كالربا والغش والاحتكار والقمار.

٤- حرية النقد والحرية السياسية:

فإن كانت الأمة قد وكلت الحاكم ليقوم مقامها في تنفيذ الأحكام الشرعية وسياسة الدنيا ولكن هذا لا يلغي حق المسلم في إبداء رأيه في الشئون العامة وتصرفات الحكام ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٧١]

وقد وردت أحاديث توجب على الأفراد محاسبة السلطة ونصحها:

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»(٢).

٥- الحرية الشخصية:

وهي من أهم الحريات التي كفلها الإسلام للفرد في الدولة الإسلامية فلا يمكن إقرار أي نوع من الحريات الأخرى ما لم تكن الحرية الشخصية مصونة

---

(١) البخاري: كتاب البيوع / باب كسب الرجل وعمله بيده.

(٢) مسلم: كتاب الإيمان / بيان أن النهي عن المنكر من الإيمان.

معترف بها. وتشمل الحرية الشخصية حرية التنقل من مكان إلى آخر، وكذلك حق الأمن فلا يجوز حبس شخص أو القبض عليه إلا بسبب جريمة تستحق العقوبة. وكذلك أعطاه حرمة المسكن فلا يجوز اقتحامه عليه بغير استئذان إلا عند الضرورة قال الله تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ [النور:٢٧]



السؤال التاسع والسبعون

«إن الأمة مخاطبة بأحكام الشرع مكلفة بتنفيذها وإنَّها تملك السلطة لتنفيذ هذه الأحكام وحمل الناس عليها – واختيار الأمة للخليفة ليكون نائبًا عن الأمة في تنفيذ هذه الأحكام– ولكن سلطان الأمة والخليفة سلطان مقيد وليس مطلق.

بين ذلك مع بيان ما يترتب على تقييد سلطان الأمة والخليفة بسلطان الإسلام؟

الجواب

فسلطان الأمة مقيد وليس مطلق وذلك أن سلطانها مقيد بسلطان الله المطلق الذي له الحاكمية ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾ [يوسف:٤٠]

فسلطان الأمة سلطان تنفيذ لشرع الله تعالى وليس سلطان لتشريع الأحكام التي هي حق خالص لله تعالى. ويترتب على ذلك أن سلطان الخليفة سلطان مقيد وليس مطلق لأن الخليفة نائب عن الأمة في تنفيذ الأحكام.

۞ ما هي الآثار التي تترتب على تقييد سلطان الأمة والخليفة؟

١– لا يملك واحد منهما الخروج على هذا السلطان.

فلا يملك أي منهما تغيير أو تبديل شرع الله، ولكن يجوز أن يضع الخليفة الترتيبات اللازمة لتنفيذ شرع الله وذلك في نطاق القواعد العامة في الشرع الإسلامي.

٢– الجدية والمساواة في تنفيذ شرع الله تعالى.

ينظر إلى قصة المرأة المخزومية التي سرقت[1].

---

(١) البخاري: كتاب الحدود/ باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع.
باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان.

٣- الدولة الإسلامية دولة قانونية

أي أنها تخضع في جميع تصرفاتِها وشئونِها كما يخضع جميع الأفراد في جميع تصرفاتهم وعلاقاتهم إلى القانون. ويقصد بالقانون هنا (كتاب الله تعالى وسنة رسولهﷺ).

❁ الحاكم في الدولة الإسلامية

الحاكم هو الذي يتولى سياسة الدولة وتنظيم شئونِها ويفصل في مشكلاتها وقضاياها ويحدد علاقات الأفراد وينظر في شئون معاشتهم وعمرانِهم والدفاع عنهم.

❁ سلطة الحاكم في الدولة الإسلامية:

الحاكم لا يتميز عن سائر المسلمين إلا من حيث كنه منفذا للأحكام وحارسا للدين وليس هو بنائب عن الله تعالى أو يستمد سلطانه منه سبحانه.

ولو كان الخليفة خليفة الله في الأرض لما كان للأمة من سلطان في التولية والعزل لأنه استمد سلطانه من الله تعالى وكان له الحق المقدس دون اعتراض في تصريف شئون الناس ولما جاز للأمة أي حق في الاعتراض.

❁ قال ابن حزم الظاهري (رحمه الله):

«الإمام الواجب طاعته ما قادنا بكتاب الله وسنة رسولهﷺ فإن زاغ عن شيء منهما منع من ذلك وأقيم عليه الحد والحق فإن لم يؤمن أذاه إلا بخلعه خلع وولي غيره»

وعلى هذا فسلطة الخليفة مستمدة من الشرع وهو منفذ لأحكام الشريعة ويجب عليه أن يلتزمها ولا يجوز أن يقال إن الخليفة نائب عن الله تعالى.

❁ سيادة الشريعة الإسلامية:

فالنصوص من القرآن والسنة النبوية توجب على المسلم حاكمًا أو محكومًا

الخضوع والاستسلام للشريعة الإسلامية وأن القواعد الشرعية تسمو على جميع القواعد التشريعية والإدارية واللوائح المختلفة وأنه لا يجوز إصدار قواعد أو قوانين تخالف هذه القواعد التشريعية.

❁ النصوص من القرآن الكريم على سيادة الشريعة:

١- قال الله تعالى ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٤٠]

فالله تعالى يقرر في هذه الآية أن الحكم لا يكون إلا لله ومقصورا عليه وما على البشر من حكام ومحكومين إلا الخضوع والانصياع لهذه الشريعة سواء تعلقت بشريعة تعبدية أم بتوجيه أخلاقي أو تعلقت بشريعة قانونية.

٢- قال تعالى ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَات قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْت بِقُرْآن غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس:١٥]

٣- قال تعالى ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ (٤٤) لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَد عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة:٤٤-٤٧]

٤- قال تعالى ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى:١٣]

٥- قال تعالى ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥]

٦- قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَة إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦]

٧- قال الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوت وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ

الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]

۞ النصوص من السنة النبوية على سيادة الشريعة:

عن عائشة ﵂ قالت «كانت امرأة مخزومية تستعير المتاع وتجحده فأمر النبي ﷺ بقطع يدها فأتى أهلها أسامة بن زيد فكلموه فكلم النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ **«يا أسامة لا أراك تشفع في حد من حدود الله عز وجل»** ثم قام النبي ﷺ خطيبًا فقال: **«إنما أهلك من كان قبلكم بأنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه والذي نفسي بيده لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها فقطع يد المخزومية»**(١)

فهذا الحديث يدل على أن أحكام الشرع هي المهيمنة على الحكام والمحكومين وأنه إذا ثبت الحكم في الشريعة الإسلامية فلا يجوز لأحد أن يتجاوزه أو أن يغير فيه أو يبدل منه.

۞ ما يترتب على سيطرة أحكام الشريعة الإسلامية:

١ – أنّها حاكمة لغيرها:–

ويترتب على هذه الهيمنة وخضوع جميع من في الدولة الإسلامية لأحكام الشريعة الإسلامية أن يمتنع الاستبداد الناشئ عن عدم سيادة القانون لأنها تؤدي إلى منع السلطة الحاكمة من الانطلاق حسب هواها ورغباتها الخاصة ويعلم الحاكم والمحكوم سلفا حتى قبل قيام الدولة حدود حقوقه وواجباته وتؤدي إلى المساواة فيكون الجميع من حكام ومحكومين خاضعين لقاعدة واحدة في مركز متساو وبذلك تتقيد السلطة العامة ويمتنع الفساد.

---

(١) البخاري: كتاب الحدود / باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع.
باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان.

٢- أنّها موضع احترام من السلطة في الدولة الإسلامية ومن الأفراد على حد سواء:-

فما دامت السلطة في الدولة الإسلامية وكذلك الأفراد يعتقدون أن هذه الشريعة من عند الله تعالى وأنها الصيغة النهائية للتكليف الإلهي فإن لها في نفوسهم شأنًا عظيمًا واحترامًا كبيرًا ويحرص الجميع على تنفيذها بصدق وإخلاص ويحذر من مخالفتها ولو كان في مكان بعيد عن أعين الناس لا يطلع عليه أحد لأنه يعلم أن الله العليم الخبير يطلع عليه ويراه.

٣- أنّها ثابتة مستقرة لا يجوز إلغاؤها أو تبديلها أو تعديلها.

إن ثبات القانون الذي يتحاكم إليه الناس يحقق الطمأنينة لأفراد المجتمع لأنه يؤدي إلى معرفة ما للأفراد من حقوق وما عليهم من واجبات ويحدد الإطار العام للسلطة في الدولة فيعرف كل فرد في المجتمع ما له وما عليه -وهذا الثبات يؤدي إلى امتناع أسباب الصراع بين السلطة الحاكمة وبين الطبقة المحكومة- وكذلك يؤدي إلى منع السلطة الحاكمة أو الطبقة المهيمنة على المجتمع من تغيير وتبديل القواعد القانونية كي توافق أهواءها ونزواتها.

فالثبات والاستقرار سمة بارزة من سمات الشريعة الإسلامية والسبب في ذلك أن الأحكام الشرعية أو القوانين الشرعية التي تنظم حياة المجتمع الإسلامي وتحدد علاقاته تستند إلى مصدرين أساسيين هما القرآن الكريم والسنة النبوية.

٤- العدل والمساواة:

وهو أصل من أصول الإسلام العدل والمساواة بين الناس ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]

وقال سبحانه ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ

الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]

وقال سبحانه **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾** [النساء: ١٣٥]

فالإسلام ألغى الفوارق بين الناس بسبب الجنس أو اللون أو النسب أو الطبقة والحكام والمحكومين كلهم في نظر الإسلام سواء.

❁ ❁ ❁

السؤال الثمانون

«الحكم في الإسلام وسيلة لا غاية، فما هي مقاصد الحكم الأساسية التي هي من المهام الرئيسية للخليفة مع بيان لمظاهر تحقيق هذه العناصر؟

الجواب

❁ مقاصد الإمامة:

الإمامة والحكم في الإسلام وسيلة لا غاية وسيلة إلى مقاصد معينة يستطيع الإمام بما له من صلاحيات خاصة أن يحقق ويبلغ ما يعجز عن بلوغه آحاد المسلمين وجماع هذه المقاصد هو إقامة أمر الله عز وجل في الأرض على الوجه الذي شرع.

❁ قال ابن تيمية (رحمه الله):

«وجميع الولايات الإسلامية إنما مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمقصود والواجب بالولايات إصلاح دين الخلق الذي متى فاتهم خسروا خسرانًا مبينًا ولم ينفعهم ما نعموا به من الدنيا وإصلاح ما يقوم الدين به من أمر دنياهم»

❁ وهذه المقاصد للإمامة تتمثل في مقصدين كبيرين:

١- المقصد الأول- إقامة الدين.

٢- المقصد الثاني- سياسة الدنيا بالدين.

❁ المقصد الأول: (إقامة الدين):

ويتمثل هذا في أمرين:

١- حفظ الدين.

٢- تنفيذه.

✿ إقامة الدين:

١- حفظ الدين

والمراد بالحفظ هنا ليس المذكور في كتاب الله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩]

وإنما المراد هنا بحراسة الدين وحفظه هو حراسة العقيدة الإسلامية في صدور المؤمنين بها وحفظ تصور المؤمنين لهذا الدين صافيًا سالمًا من الغبن وإبقاء حقائقه ومعانيه كما أنزله الله عز وجل وكما بلغها رسول الله ﷺ وسار عليها الصحابة الكرام ونقلوها إلى الناس من بعده.

فحفظ الدين يتمثل في:

أ- نشره والدعوة إليه بالقلم واللسان والسنان:-

وإن كان واجب الدعوة لدين الله تعالى واجب على مجموع الأمة وحيث أن الإمام هو النائب عن مجموع الأمة فإن هذا الواجب يكون في حقه أكبر وعليه فرض عين.

فمن وظائف السلطان تجنيد الجنود وإقامة فرض الجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى فإن الله تعالى لم يوله على المسلمين ليكون رئيسًا آكلاً شاربًا مستريحًا بل لينصر الدين ويعلي الكلمة فمن حقه ألا يدع الكفار يكفرون أنعم الله ولا يؤمنون بالله ولا رسوله.

والجهاد لنشر الدين وإن كانت من فروض الكفايات على آحاد المسلمين إلا أنه في حق الإمام من فروض الأعيان كالدعوة.

ب- دفع الشبه والبدع والأباطيل ومحاربتها:-

قال أبو يعلى «إن على الإمام حفظ الدين على الأصول التي أجمع عليها سلف الأمة فإن زاغ ذو شبهة عنه بين له الحجة وأوضح له الصواب وأخذه بما

يلزمه من الحقوق والحدود ليكون الدين محروسًا من خلل والأمة ممنوعة من الزلل».

فصيانة الأفكار من غبش البدع والأفكار الهدامة من مقاصد الإمامة ومن مسئوليات الإمام نشر الدين وتوعية المجتمع وتثقيفهم بأمور دينهم حتى يكونوا في حصن منيع من الأفكار الهداة وعليه ألا يدع لها مجالا للوصول إلى أفكارهم وأن يحاربها بكل وسيلة تجدي.

ج- حماية البيضة وتحصين الثغور:

فمن مقاصد الإمامة توفير الأمن للمسلمين حتى يكون الناس في أمن وسلام على دينهم وأرواحهم وعقولهم وأعراضهم وأموالهم.

وقد ورد الحث على المرابطة في سبيل الله والأمر بها في كتاب الله حيث قال الله تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]

٢- تنفيذه:

وذلك يكون بالأمور التالية:

أ- إقامة الشرائع والحدود وتنفيذ الأحكام:

فمن لوازم حراسة الدين تنفيذ أحكامه من جباية الزكاة وتقسيم الفيء وتنظيم الجيوش المجاهدة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود التي شرعها الله عز وجل وأمر بتنفيذها.

ب- حمل الناس عليه بالترغيب والترهيب:

ومن مقاصد الإمامة في تنفيذ الدين حمل الناس على الوقوف عند حدود الله والطاعة لأوامره وترغيبهم في ذلك ومعاقبة المخالفين بالعقوبات الشرعية.

❁ المقصد الثاني:

سياسة الدنيا بالدين (أو الحكم في شئون هذه الحياة بما أنزل الله)

بمعنى إدارة وتدبير جميع شئون الحياة وفقًا لقواعد الشريعة ومبادئها وأحكامها المنصوص عليها أو المستنبطة منها وفقا لقواعد الاجتهاد السليم — فالحدود جزء من الحكم بما أنزل الله وليس قاصرًا عليها كما يتصور أكثر الناس.

❁ عموم الرسالة المحمدية:

فمما يجب الإيمان به عموم الرسالة المحمدية وشمولها لكل متطلبات الحياة وأنها الشريعة الخاتمة الصالحة للبشرية جمعاء حتى قيام الساعة حيث قال الله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]

وقال سبحانه ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:٨١]

فما من قضية إلا ولها في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ حكم إما نصًّا أو ظاهرًا أو استنباطًا أو غير ذلك من الدلالات علم ذلك من علم وجهله من جهله وإلا كان ذلك تكذيبًا لله عز وجل القائل ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾

وقول الله تعالى ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء:٦٥]

فقوله ﴿فِي شَيْءٍ﴾ هي نكرة في سياق الشرط فتدل على العموم أي كل شيء صغيرا كان أو كبيرا والتنازع شامل لأمور الدين والدنيا.

وكذلك قول الله تعالى ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء:٦٥] فإن اسم الموصول مع صلته من صيغ العموم عند الأصوليين وغيرهم.

✿ حكم سياسة الدنيا بغير الدين:

قال الله تعالى في شأنهم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾ [النساء:٦٠]

وقول الله تعالى ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦]

والطاغوت هو كل ما جاوز العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع- ومن رءوس الطواغيت الحاكم الذي يحكم بغير ما أنزل الله أي المبدل والمغير لشرع الله.

وقول الله تعالى ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥]

وقال سبحانه

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥]

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٧]

✿ المقاصد الفرعية:

١-العدل ورفع الظلم

فالله تعالى قد أوجب هذا العدل وهذا يشاهد من خلال الآيات الكثيرة التي أمر الله سبحانه فيها بإقامة العدل حتى مع الأعداء.

قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠]

وقال سبحانه ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ

النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء:٥٨]

وقال سبحانه ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:١٥٢]

قال سبحانه ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٨]

وقال سبحانه ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص:٢٦]

وقال النبي ﷺ في حديث السبعة «وإمام عادل»[(١)]

قال النبي ﷺ «المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين هم الذين يعدلون في حكمهم وأهلهم وما ولوا»[(٢)]

وكذلك ندد الإسلام بالظلم والظالمين وتوعدهم.

قال النبي ﷺ «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»[(٣)]

وقد جعل الله الظلم من أسباب هلاك الأمم فما من دولة يتفشى فيها الظلم إلا ويبدأ فيها الانهيار وحلت عليها عقوبة الله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢]

---

(١) البخاري: كتاب كتاب الحدود / باب فضل من ترك الفواحش.
مسلم: كتاب الزكاة / باب إخفاء الصدقة.
الترمذي: كتاب الزهد / باب في الحب في الله.
(٢) مسلم: كتاب الإمارة / باب فضيلة الإمام العادل.
الترمذي: كتاب آداب القضاة / باب فضل الحاكم العادل في حكمه.
(٣) البخاري: كتاب تفسير سورة هود.
مسلم: كتاب البر – باب تحريم الظلم.

❁ **قال ابن تيمية (رحمه الله):**

إن العدل نظام كل شيء فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق وإن لم تقم بعدل لم تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة.

العدل الحق لا يكون إلا في تطبيق أحكام الشريعة التي تضمنت العدل كل العدل في إعطاء الحقوق لأصحابها وتنظيم العلاقات بين الناس تنظيمًا عادلاً وإن من أكبر الظلم وأخطره أن يتعدى حاكم من الحكام على حق من حقوق الله تعالى فيقوم بالتشريع للأمة التي يرعاها.

❁ **وللعدل صور شتى:**

فمنها القيام بمنع الظلم وإزالته عن الظلوم.

- منع انتهاك حرمات الناس وحقوقهم المتعلقة بأنفسهم وأعراضهم وأموالهم وإزالة آثار التعدي الذي يقع عليهم وإعادة حقوقهم إليهم ومعاقبة المعتدي عليها بما يستحقه من العقوبة.

- فض المنازعات والخصومات بين المسلمين وإعطاء كل ذي حق حقه وتعيين القضاة الأكفاء لتحقيق ذلك ومراعاة حقوق أهل الذمة.

- القيام بحق أفراد الشعب في كفالة حرياتهم وحياتهم المعاشية حتى لا يكون فيهم عاجز متروك ولا ضعيف مهمل ولا فقير بائس ولا خائف مهدد.

- التسوية بين الناس في المعاملة ومكافأة جهودهم بحسبها وإسناد الأعمال والوظائف لمن يستحقونها وعدم المفاضلة والتمييز بينهم تبعا للهوى والمصلحة الشخصية أو غير ذلك من الأسباب غير الشرعية.

- ألا تتداخل مراكز الناس الاجتماعية وأنسابهم في خضوعهم لمقتضى العدل فالشريعة الإسلامية تطبق على كل أحد لا فرق في ذلك بين شريف وغيره ولا بين

حاكم ومحكوم – ولذا قال النبي ﷺ «إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»(١).

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما خطب الناس فقال «إني لم أبعث عمالي ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم فمن فعل به ذلك فليرفعه إلي أقصه منه؟ فقال عمرو بن العاص رضي الله عنه لو أن رجلا أدب بعض رعيته تقصه منه؟ قال« أي والذي نفسي بيده أقصه وقد رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه» (٢).

٢- جمع الكلمة وعدم الفرقة:

فمن مقاصد الإمامة جمع الكلمة وعدم الفرقة وتوحيد صفوف المؤمنين وهذا لا يتم إلا تحت قيادة واحدة – وقد قال الله تعالى ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٩٢]

وقال سبحانه ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:١٠٣]

❁ من مقومات جمع الكلمة:

– أنه آخى بين المسلمين وجعل الرابطة بينهم رابطة العقيدة.

قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠].

وقال تعالى ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران:١٠٣].

وقال النبي ﷺ «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره . . »(٣) .

---

(١) البخاري: كتاب الحدود / باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان.
أبو داود: كتاب الحدود / باب الحد يشفع فيها.

(٢) أبو داود: كتاب الديات / باب القود من الضربة.

(٣) مسلم: كتاب البر / باب تحريم ظلم المسلم وخذله.

- وقضى على الحواجز الجغرافية والعصبات الوطنية والقبلية وقضى كذلك على اختلافات اللغة والجنس واللون وجعل الميزان والمعيار الثابت لقياس الأفضلية هو التقوى والعمل الصالح - قال الله تعالى ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

٣- القيام بعمارة الأرض واستغلال خيراتها فيما هو صالح للإسلام والمسلمين:

ومن عمارة الأرض أن تقوم الدولة الإسلامية بتهيئة جميع ما يحتاجه الناس من مختلف الصناعات والحرف والعلوم وتوفير سبل البحث العلمي والاختراع وكذلك استثمار خيرات البلاد بما يحقق مصالح المسلمين العامة كشق الطرق وإقامة المصانع واستخراج المعادن وتنظيم الري وإقامة السدود وتحسين وسائل الزراعة التي تزيد في المحصول وإيجاد سبل العمل الشريفة للأمة.

٤- استيفاء الحقوق المالية لبيت المال وصرفها في مصارفها الشرعية:-

❁ موارد بيت المال:

١- الزكاة.

٢- الجزية.

٣- الخراج.

٤- العشور.

٥- الغنائم.

٦- الفيء.

٧- موارد أخرى (كالغصوب والمواري والودائع التي تعذر معرفة أصحابها وكذلك الأراضي التي تستغلها الدولة أو توفرها والمعادن التي تستخرجها الدولة من باطن الأرض وخمس الركاز ونحو ذلك).

- الزكاة.

وتجب على كل مسلم ومسلمة ملك نصابا وحال عليه الحول فيما يشترط ذلك.

- الجزية.

وهي المال المقدر المأخوذ من الذمي يلتزم إذا ما دخل في ذمة المسلمين بأدائها إلى الدولة الإسلامية إذا أحب البقاء على دينه

قال تعالى ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة:٢٩]

- الخراج.

وهو ما ضرب على أراضي الكفار والمغنومة عنوة التي تركت بيد أصحابها.

- العشور.

وهي ضريبة تؤخذ من الذميين والمستأمنين على أموالهم المعدة للتجارة إذا دخلوا بلاد المسلمين ومقدارها نصف العشر على الذمي والعشر على الحربي.

- الغنائم

الغينمة هي المال المأخوذ من الكفار بالقتال.

- الفيء.

وهو كل مال أخذه المسلمون من الكفار بغير قتال. قال تعالى ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر:٦]

❁ ومن واجبات الإمام أيضًا:

٥- اختيار الأكفاء للمناصب القيادية.

٦- الإشراف بنفسه على تدبير الأمور وتفقد أحوال الرعية.

٧- الرفق بالرعية والنصح لهم وعدم تتبع عوراتهم.

٨- أن يكون قدوة حسنة لرعيته.

❁ واجبات السلطة في تنفيذ الأحكام الشرعية:

فالسلطة في الدولة الإسلامية ملزمة بإقامة أحكام الشريعة الإسلامية فتعمل على إيجاد الإسلام عمليًّا في واقع الناس داخل أرض الإسلام. فهذه هي الوظيفة الأساسية للدولة الإسلامية

﴿**الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ**﴾ [الحج:٤١]

وفي سورة المائدة يؤكد الله تعالى وجوب التزام السلطة الإسلامية بأحكام الشريعة الإسلامية في مواضع عدة وأن اختراع السلطة أحكامًا تخالف شرع الله تعالى وجعل ذلك دينًا يعمل به بين الناس منقصة لتلك السلطة بل يخرجها من ربقة الدين لقول الله تعالى في سورة المائدة ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [المائدة: ٤٤]

﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [المائدة: ٤٥]

﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [المائدة:٤٧]

فالسلطة الإسلامية ملزمة بإقامة شريعة الله مأمورة بتنفيذها وإلزام الرعية بها لا خيار لها في ذلك.

فعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال «**اسْمعوا وأطيعوا وإن استعمل**

عليكم عبد حبشي كأن له رأس زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله»[1].

فهذا نص صريح بوجوب التزام السلطة الإسلامية بتنفيذ أحكام الكتاب وعدم الخروج عليه.

فالخلاصة.

أن الوظيفة الأساسية للسلطة في الدولة الإسلامية منحصرة في حراسة الدين وسياسة الدنيا بالدين اللذين هما وسيلة لتحقيق إقامة أمر الله تعالى في الأرض على الوجه المشروع بالحكم بكتاب الله وسنة رسولهﷺ.

❁ مسئولية السلطة عن تقصيرها:

فالحاكم أو الخليفة في الدولة الإسلامية نائب عن الأمة في إقامة الدين وسياسة الدنيا وهما وسيلة لتحقيق أمر الله تعالى في الأرض على الوجه المشروع.

وأن الأمة هي التي منحته هذا الحق في السيادة عليها وهي التي أمدته بالسلطة وما هو إلا وكيل عنها فلها الحق أن تسأله وتحاسبه عن عمله فهي رقيبة عليه باستمرار لأنها الطرف الأول في عقد البيعة الذي بموجبه تولى السلطة والحكم فإذا حاد عن الطريق الشرعي ولم يرعَ الأمانة التي حملتها الأمة إياه أو عطل الشريعة الإسلامية أو جار أو ظلم فما الموقف من ذلك؟

نقول إن الذي منح الحاكم وأمده بالسلطة هي الأمة وهي التي لها الحق في إقصاء الحاكم عن هذا المنصب إذا تغير حاله وبدر منه ما يوجب انتكاس أمور الدين أو اختلال أمور المسلمين.

والأحاديث الواردة في ذلك كثيرة الدالة على وجوب منابذة الحكام عند انحرافهم عن نهج الإسلام وخروجهم عن الكتاب والسنة حيث بينت السنة أن

---

(١) البخاري: كتاب الأحكام / باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية.
مسلم: كتاب الإمارة / وجب طاعة الأمراء في غير معصية.

السمع والطاعة لولاة الأمر ما أقاموا فينا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فإن حادوا فلا سمع ولا طاعة.

❁ **السياسة الداخلية للدولة الإسلامية:**

الغاية الأساسية للدولة الإسلامية عند التمكين في الأرض إقامة شرع الله تعالى والقضاء على الشرك والانحراف والفساد وسياسة أمور الرعية في حدود ما أنزل الله.

يقول سبحانه ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج:٤١]

فسياسة الدولة الإسلامية الداخلية تقوم على الأمور التالية:

١- تنفيذ أحكام الإسلام في البلاد التي تخضع لسلطانها.

٢- حراسة الأخلاق ورعاية الآداب العامة.

٣- منع انتشار العقائد الباطلة.

٤- المساواة في تطبيق الأحكام ورعاية الشئون.

٥- إقامة العدل بين الناس.

٦- حماية الحرية الشخصية والاقتصادية والدينية.

❁ **السياسة الخارجية للدولة الإسلامية:**

الدولة الإسلامية تبني علاقة المسلمين بغير المسلمين على الحق والعدل باعتبار الدعوة الإسلامية دعوة عالمية للبشرية جمعاء ورسالة موجهة لخير بني الإنسان على اختلاف الأجناس والألوان.

فالدولة الإسلامية تقيم علاقتها بغيرها من الدول على مبادئ أخلاقية رفيعة أهمها استنقاذ البشرية من أوحال الضلال والانحراف والوفاء بالعهد والميثاق واحترام الكرامة الإنسانية والتزام الفضيلة والتقوى- فهذه السياسة تبنى على

المبادئ التالية:

١- علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول.

٢- احترام الكرامة الإنسانية.

٣- الوفاء بالعهود.

٤- وحدة الأمة والدولة.

❁ ❁ ❁

٦- النظام الاقتصادي

(٨١- ٨٦)

٦- النظام الاقتصادي

السؤال الواحد والثمانون

«النظام الاقتصادي عبارة عن قواعد وأحكام تنظم هذا النشاط الاقتصادي للأفراد والمجتمع وهذا النظام الاقتصادي لابد أن يقوم على أساس وأفكار تكون معالمه وخصائصه وتنسجم مع قواعده وأحكامه.

والنظام الاقتصادي كنظام من أنظمة الإسلام قائم في أساسه الفكري على العقيدة الإسلامية».

بين ذلك من خلال بيان معاني العقيدة الإسلامية التي لها علاقة في موضوع النظام الاقتصادي؟

الجواب

العقيدة الإسلامية هي الأساس الفكري للنظام الاقتصادي الإسلامي – وهذه العقيدة هي التي تبين علاقة الإنسان بالكون وبخالق الكون وبالغاية التي من أجلها خلق الإنسان

❁ من معاني العقيدة الإسلامية ولوازمها المتصلة بالنظام الاقتصادي:

١- الملك لله وحده:-

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوات وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [المائدة:١٧]

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنــزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ﴾ [آل عمران:٢٦]

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ الله لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَات وَلاَ فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ [سبأ:٢٢]

٢- المال مال الله

﴿وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور:٣٣]

٣- تسخير الله تعالى مخلوقاته لنفع الإنسان

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية:١٣]

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان:٢٠]

٤- الملك المجازي للإنسان

فقد أذن الله تعالى للإنسان أن ينتفع بالمال وأن يتصرف فيه

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [البقرة:٢٧٤]

﴿وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٨٨]

وعلى هذا فينبغي للإنسان أن يخضع فيما يملكه إلى جميع القيود والتنظيمات التي شرعها الله تعالى فهو سبحانه المالك الحقيقي.

﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد:٧]

فلا يجوز للإنسان أن يخرج في تصرفاته عن هذه القيود والضوابط —فليس للإنسان إلا التصرف الذي يرضي الله تعالى

٥- استعمال المال في مرضاة الله تعالى:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص:٧٧]

٦- الدنيا وسيلة لا غاية:

فالدنيا وسيلة ليحقق الإنسان من خلالها الغاية التي خلقه الله من أجلها ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ

يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الشورى:٣٦]

﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [القصص:٦٠]

* * *

السؤال الثاني والثمانون

النظام الاقتصادي في الإسلام يراعي الفطرة الإنسانية ومعاني الأخلاق ويأكد على سد حاجات الإنسان الضرورية للحياة.

فما هي خصائص هذا النظام الاقتصادي في الإسلام؟

الجواب

❁ خصائص النظام الاقتصادي في الإسلام:

١- مراعاة الفطرة الإنسانية:

فهو نظام لا يصادم الفطرة الإنسانية ولا يناقضها.

❁ ومن مظاهر مراعاة الفطرة الإنسانية:

١- إقراره بحق الملكية للإنسان (لأنه مفطور على ذلك).

٢- إقرار الإسلام لنظام الإرث.

٣- إقرار الإسلام للإنسان أن يستمتع بثمرات جهوده ونشاطه.

❁ الملكية الخاصة:

فالإسلام يقرر مبدأ الملكية الخاصة فيبيح للإنسان تملك المال ويحيط هذه الملكية بمختلف الضمانات والحمايات الشرعية ويقر ما يترتب على ذلك من حق التصرف في الملك (كالبيع والإجارة والرهن وحق الإرث . .).

قال سبحانه ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء:٧]

وقال سبحانه ﴿وَلاَ تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء:٣٢]

والإسلام بتقريره حق الملكية الفردية يتجاوب مع الميول الفطرية في نفس الإنسان من ناحية المال.

﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر:٢٠]

﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات:٨]

غير أن الإسلام لم يترك الأمر على إطلاقه حتى لا تتحول الملكية الفردية إلى رأسمالية طاغية وإنما وضع لذلك قيودا وشروطا لابد من مراعاتها أهمها أن يكون التملك قائما على طرق مشروعة بالنسبة لرأس المال من ناحية وبالنسبة للربح من ناحية أخرى.

فالملكية لا تثبت إلا بإثبات الشارع وتقريره لأسبابها وكذلك الربح لا يكون إلا بطريق مشروع.

ومن أهم وسائل التملك العمل والميراث فهي وسائل أقرها الشارع وأحلها. ومن وسائل تنمية المال المشروع التجارة والزراعة والصناعة.

❁ ومن الأمور التي حرمها الإسلام لاكتساب المال أو استثماره:

١- الغصب.

٢- السرقة.

٣- الاحتكار.

٤- القمار.

٥- الربا.

٦- الغش في المعاملة.

وهذا يدل على حرص الإسلام على استقامة الإنسان وحسن سيره في طريق

الرشاد حتى لا يضل ولا يشقى ولا يكتسب من المال إلا ما كان حلالاً طيبًا.

فالإسلام لا يسمح لاكتساب المال بوسيلة غير مشروعة أيا كان لونها واسمها فلا يسمح بالنهب والابتزاز وأكل الأجور والحقوق وسائر طرق استغلال الأخرين.

۞ الخلاصة:

أن الإسلام لا يترك الحرية للإنسان في تنمية ماله بالصورة التي يريدها وإنما يرسم له الطريق ليسير في دائرة الحدود المشروعة ويكتسب ماله وينميه وفقًا لما شرعه الله حتى يكون مالاً حلالاً طيبًا ويبتعد عن تنمية المال واكتسابه بما يكون فيه مضرة للآخرين.

– طبيعة الملكية الفردية في الإسلام:

فالإسلام دين الفطرة ولذلك فقد عالج قضية الملكية الفردية بطريقة تتفق مع فطرة الإنسان وحبه للمال فأباح له كسب المال وتملكه وتنميته وأعطاه حق التصرف فيه على أن يكون ذلك كله بالوسائل المشروعة حتى يحقق المال للإنسان السعادة في دنياه وأخراه.

ولكن الإسلام بيَّن للإنسان أن ملكيته للمال ملكية مؤقتة والملكية الحقيقية للمال لله تعالى

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:١٨٩]

وأن ملكية الإنسان للمال مؤقتة تنتهي بانتهاء أجله فهو مستخلف في جزء من مال الله مدة حياته فإذا انقضى أجله زالت ملكيته وانتقلت إلى ورثته. وهذا الإيمان بأن ملكية المال للإنسان ملكية زائلة يقلل من تكالب الإنسان المسلم على المال ويهذب نفسه ويجعله يراقب الله في أثناء الكسب وحين إنفاقه فيصبح المال بذلك وسيلة لإسعاد الإنسان في الدنيا والآخرة.

قال سبحانه **﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾** [الحديد:٧]

وقال النبي ﷺ **«لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع.... منها عن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه»**[١].

ولذلك جعل الله تعالى في المال الذي يملكه الإنسان حقوقا كثيرة للغير كالزكاة والصدقات وغيرها من النفقات حتى يعلم الإنسان أنه ليس حرًّا حرية مطلقة في التصرف في المال الذي يملكه كيف يشاء وكما يحلو له أو حسب أهوائه وشهواته.

لأن الإسلام قيد تصرفات الإنسان بقيود كثيرة من أجل تحقيق الصالح العام واتقاء الضرر والضرار كما أن الإنسان ليس حرًّا في كسب ماله أو استثماره وتنميته من أي طريق شاء بل حدد له الطرق المشروعة التي يكسب بها ماله ويستثمره بها.

– الميراث:

وهي وسيلة من وسائل حصول الإنسان على المال –والميراث من النظم الحكيمة التي شرعها الله لعباده المسلمين وبه تتوزع الثروة بعد موت صاحبها مما يحول دون تجمع ثروات كبيرة في يد عدد محدود من الأفراد.

وقد وضع الإسلام قواعد لتوزيع تركة الميت توزيعًا صحيحًا عادلاً حتى يحقق نظامه الاقتصادي الهدف المنشود والغاية المرجوة منه.

– استمتاع الإنسان بثمرات جهوده ونشاطه:–

فالدافع الأساسي الذي يدفع الإنسان لبذل الجهد والعمل هو الكسب وحق الإنسان في الاستمتاع بثمرات جهوده ونشاطه لكي يحقق من خلاله الإشباع لمتطلبات حياته وحيث إنه لا يكفي لتحقيق التنمية الاقتصادية أن توجه العناية إلى زيادة الإنتاج وتنميته إذا كان كل ما ينتجه المجتمع يأتي عليه الناس بالاستهلاك مما تتعثر معه خطى التنمية لعدم وجود الفائض الذي نستثمره أو مدخرات يمكن استغلالها في مشروعات إنتاجية جديدة.

---

(١) الترمذي: كتاب صفة القيامة.

فالتنمية الاقتصادية لا تقوم إلا إذا كان هناك بجانب الوفرة في الإنتاج وزيادته ترشيد للاستهلاك وتوجيه الإنفاق إلى الوجوه المشروعة التي تحقق المصلحة للفرد والمجتمع على السواء.

والإسلام له في هذا الشأن نظام متميز وخاصية متفردة وإن كان الإسلام يبيح الإنفاق بل ويأمر به إلا أنه قد جعل له حدودًا لا يجوز أن يتخطاها وشرع للمسلم الوجوه النافعة التي يوجه إليها أمواله وإنفاقه ووضع الإطار العام الذي يتحرك خلاله المسلم منتجًا ومستهلكًا مستثمرًا ومنفقًا عاملاً ومستمتعًا بثمرات عمله.

وما إذا تخطى المسلم هذا الإطار أو تعدى تلك الحدود فإن الإسلام قد وضع نظاما يكفل رفع يده عن ماله ومنعه من التصرف فيه حتى لا يذهب فيما لا فائدة من ورائه ولأن في ذلك ضررا على الفرد وعلى الدولة في نفس الوقت.

- إباحة الاستهلاك وحدوده في الإسلام:

لقد بين الله تعالى لنا القواعد التي يخضع لها الاستهلاك حتى لا يختل نظام المجتمع

- إباحة الإنفاق:

دعا الإسلام إلى الإنفاق وحض عليه ذلك لأنه يؤدي إلى الرواج وانتعاش الأحوال - أما الإمساك فيؤدي إلى الكساد والبطالة وركود الحالة الاقتصادية

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّبًا﴾ [البقرة:١٦٨]

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ﴾ [البقرة:٦٠]

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة:١٧٢]

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ﴾ [البقرة:٢٦٨]

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ [الطلاق:١٣]

والنفقة سواء كانت على النفس أو الأهل والأقارب أو كانت صدقة على محتاج تؤدي في النهاية إلى تداول الأموال والإقبال على شراء السلع مما يتطلب معه الزيادة في الإنتاج وبالتالي انتعاش الحالة الاقتصادية.

- حدود الاستهلاك:

وضع الإسلام الضوابط والحدود التي يلتزم بها المسلم في عملية الاستهلاك فدعاه إلى التوسط والاعتدال. فالمسلم في إنفاقه واستهلاكه وسط بين طرفي الإسراف والتقتير.

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف:٣١]

قال ابن عباس رضي الله عنهما «كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأت خصلتين سرف ومخيلة»[1].

وقال سبحانه ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام:١٤١]

وقال سبحانه ناهيًا عن التبذير:-

﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء:٢٦-٢٧]

وقال سبحانه ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء:٢٩]

وقال سبحانه في وصفه لعباد الرحمن ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان:٦٧]

وقال النبي ﷺ «كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا ما لم يخالط إسراف ولا

---

(١) ابن ماجه: كتاب اللباس / باب البس ما شئت ما أخطأت سرف أو مخيلة.

مخيلة»[١]

فالإسلام يدعو إلى التوسط في الإنفاق والاستهلاك فلا إسراف ولا تقتير.

❁ وجوه الإنفاق المشروعة في الإسلام وضوابطها:

اشترط الإسلام لكسب المال أن تكون الوسيلة لذلك مباحة مشروعة بعيدة عن ظلم الناس واستغلالهم وأكل أموالهم بالباطل- وهو يشترط لإنفاق المال والتصرف فيه أن يكون في وجوه نافعة مشروعة بعيدة عن كل ما حرمه الله تعالى ونهى المسلمين عنه.

وقال النبي ﷺ **«لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن علمه ماذا عمل فيه»**[٢]

فإذا ما أنفق الإنسان ماله في شراء مأكولات محرمة أو مشروبات نهى الشارع عنها أو أدوات اللهو والعبث أو غير ذلك مما جاء الإسلام بتحريمه كان ذلك ضربا من السفه والمجون الذي يحتم التصدي لأصحابه والضرب على أيديهم لما في عملهم من خطر بالغ يحيق بهم وبالمجتمع ويلحق بالاقتصاد أبشع الأضرار ويهوي بالأمة إلى الحضيض.

ولقد كفل الإسلام لولاة الأمر أن يحجروا على هؤلاء الذين يذهبوا بأموالهم مذاهب السفه والتبذير حتى لا تضيع هذه الأموال سدى في غير فائدة أو مصلحة.

قال تعالى ﴿وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾ [النساء:٥]

ينهى سبحانه عن تمكين السفهاء من التصرف في الأموال التي جعلها الله

(١) ابن ماجه: كتاب اللباس / باب البس ما شئت ما أخطأت سرف أو مخيلة.

(٢) الترمذي / صفة القيامة.

للناس قياما أي تقوم بها معايشهم من التجارة وغيرها. والحجر على السفيه ليس مصادرة حرية ولا تعطيلا لإرادته بل إن هذا الحجر حماية لماله وصيانة له من الضياع في غير نفع جدي يعود عليه.

۞ أثر ترشيد الاستهلاك في تحقيق التنمية الاقتصادية:

فالإسلام بما وضعه من ضوابط للإنفاق وحدود للاستهلاك قد ضمن للتنمية الاقتصادية أهم عناصرها وهو توفير الموارد العينية اللازمة لتمويلها وإمدادها بكل ما هي في حاجة إليه.

وعن طريق التوسط في الإنفاق والتزام جادة الاعتدال في الاستهلاك ينشأ فائض في الثروة من زيادة الإنتاج على الاستهلاك وعن طريق هذه الزيادة يتكون رأس المال في المجتمع- ويقصد برأس المال كل السلع التي يملكها المجتمع في لحظة بعينها وهذه السلع إما أن تكون سلعًا معدة للاستهلاك وإما أن تكون معدة لإنتاج سلع أخرى كالمصانع والآلات والمواد الخام ومواد الوقود النصف المصنوعة. وتسمى الأولى سلع الاستهلاك وتسمى الثانية سلع الإنتاج والإنفاق على النوع الأول من السلع يسمى نفقة استهلاكية والإنفاق على النوع الثاني يسمى نفقة إنتاجية.

والادخار ينجم عن زيادة الإنتاج عن الاستهلاك فإذا أنفق هذا الادخار على سلع الإنتاج سمي استثمارًا ويترتب على الاستثمار من جديد زيادة جديدة في ثروة المجتمع. وإذا كان الادخار يعمل على تكوين رأس المال ورأس المال يزيد من الإنتاج فإن الفائدة المترتبة على الادخار سوف يستفيد بها المجتمع والأفراد في نفس الوقت.

فالادخار يفيد مباشرة هؤلاء الذين ساهموا فيه إذ أنهم سيستخدمون هذه الأموال التي ادخروها في مشروعات تعود عليهم بالفائدة وكلما ازدادت مدخرات هؤلاء الأفراد كلما عاد النفع عليهم واستفاد المجتمع نتيجة لذلك.

إذ إن قيام مشروعات إنتاجية جديدة على حصيلة المدخرات سوف يزيد من ثروة المجتمع كما أنه يفتح الباب واسعًا لتشغيل كثير من الأيدي العاطلة وإلى زيادة إنتاجية العامل وبهذا يستفيد المجتمع ويخطو خطوات جادة في طريق التنمية والاستثمار.

ولقد حث الإسلام على الادخار الاستثماري وتكوين رأس المال الذي يعد عنصرا هاما من عناصر زيادة الإنتاج وتحقيق التنمية. والإسلام دعا إلى ترشيد الاستهلاك والتوسط في الإنفاق وذلك حتى يمكن تكوين المدخرات التي يعاد استثمارها واستغلالها في إقامة مشروعات إنتاجية جديدة تسهم في زيادة ثروة المجتمع وتؤدي إلى ثرائه ورخائه.

٢- مراعاة معاني الأخلاق:

فالمجتمع الإسلامي يقوم على معاني الأخلاق كالمحبة والتعاون النظيف حيث قال سبحانه ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة:٢]

فلا حسد ولا خصام ولا حقد ولا بغضاء ولا كذب ولا غش ولا خداع ولا غدر. ولذلك نجد أن الإسلام قد وضع جملة من القواعد والضوابط في مجال تنظيم السوق راعى فيها الجوانب الأخلاقية في تنظيم السوق.

- قواعد الإسلام وضوابطه في مجال تنظيم السوق:

✽ ترك السلعة حتى تصل إلى السوق والاستغناء عن دور الوسيط في عملية البيع والشراء

قال النبي ﷺ **«لا تلقوا الركبان ولا يبع حاضر لباد»** قيل لابن عباس ما قوله لا يبع حاضر لباد؟ قال لا يكون له سمسارًا [(١)].

وفي رواية أن النبي ﷺ **«نهى عن تلقي الجلب فإن تلقاه فاشتراه فصاحبه**

(١) البخاري: كتاب البيوع / هل يبيع حاضر لباد بغير أجره وهل يعينه أو ينصحه.

باالخيار إذا أتى السوق»[١]

فالإسلام قد كفل للسلعة أن تصل إلى سوقها لتباع فيه وقضى على دور الوسيط الذي لا فائدة من تدخله في عملية البيع والشراء بل ربما يكون عبئًا على البائع والمشتري بما يأخذه منهما دون أن يقدم في مقابل ذلك عملاً نافعًا وبذلك تتحقق مصلحة أهل السوق جميعًا.

❁ المنع من التلاعب في أسعار السلع والتضليل فيها نفس الدليل السابق- بالإضافة إلى الأساليب التالية: -

- اتفاق البائع مع إنسان آخر لا يريد شراء السلعة على أن يزيد في ثمنها حتى يغري المشتري الحقيقي بدفع ثمن يتجاوز قيمتها الحقيقية. وقال النبي ﷺ **«ولا تناجشوا»** وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال «نهى النبي ﷺ عن النجش»[٢].

- إظهار البائع للسلعة في صورة غير صورتها الحقيقية حتى يغري المشتري برفع ثمنها والزيادة في قيمتها. ولذلك لما مر النبي ﷺ على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا فقال **«ما هذا يا صاحب الطعام؟** قال أصابته السماء يا رسول الله قال **«أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا»**[٣].

وكذلك نهى النبي ﷺ عن بيع المصراة وقال ﷺ **«لا تصروا الإبل والغنم فمن ابتاعها بعد فإنه بخير النظرين بعد أن يحتلبها إن شاء أمسك وإن شاء ردها وصاع تمر»**[٤]

- الترويج للسلعة عن طريق الدعاية الكاذبة:

قال النبي ﷺ **«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم**

---

(١) البخاري: كتاب البيوع / باب تلقي الركبان.
مسلم: كتاب البيوع / النهي عن تلقي الجلب.

(٢) البخاري: كتاب البيوع / باب النجش.

(٣) مسلم: كتاب الإيمان / من غشنا فليس منا.

(٤) البخاري: كتاب البيوع / باب النهي للبائع أن لا يحفل الإبل والبقر والغنم وكل محصلة.

عذاب أليم المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»[١].

❁ إظهار العيوب (عيوب السلعة) والتبصير بها:

قال النبي ﷺ «**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما**»[٢]

قال عقبة رضي الله عنه مرفوعا «**لا يحل لامرئ مسلم يبيع سلعة يعلم أن بها داء إلا أخبره**»

❁ العناية بضبط المقاييس والموازين والمكاييل والتأكد من سلامتها:

قال سبحانه ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [الأعراف:٨٥]

وقال سبحانه ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [الإسراء:٣٥]

﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن:٩]

وقال سبحانه ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلاَ يَظُنُّ أُوْلَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين:١-٦]

٣- التأكيد على سد حاجات الأفراد (ربانية الهدف):-

حيث أن للإنسان حاجات ضرورية لا يستطيع العيش بدونها كحاجته إلى الطعام والشراب والسكن واللباس وغيرها من ضرورات الحياة ولابد من توفير هذه الأشياء لكل إنسان إلى الحد الأدنى للعيش الكريم. وقد أكد النظام الاقتصادي الإسلامي على هذه الناحية أي لزوم سد هذه الحاجات الضرورية لكل إنسان في المجتمع الإسلامي.

---

(١) مسلم: كتاب الإيمان / باب تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف.

(٢) البخاري: كتاب البيوع / باب البيعان بالخيار ما لم يتفرقا.

❁ ربانية الهدف:

فالاقتصاد الإسلامي يهدف إلى سد حاجات الفرد والمجتمع الدنيوية مع ما لا يخالف شرع الله تعالى. فالله تعالى استخلف الإنسان في التصرف في المال والانتفاع به ولكن تصرفات لا تخرج عن قيود الشرع- فالمسلم يدرك أن المال ملك لله تعالى فيكون إرضاء مالك المال سبحانه هدفا يسعى المسلم إليه في نشاطه الاقتصادي.

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص:٧٧]

لذلك نجد المسلم وهو يزاول نشاطه الاقتصادي يسلك مسلكه وهو يعبد الله بل الهدف من نشاطه أساسًا عبادة الله تبارك وتعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]

❁ دفع الإنسان إلى العمل النافع:

فالإسلام دفع الإنسان إلى الكد والعمل وصرفه عن البطالة والكسل وشرف الإسلام العمل النافع وأثاب عليه- وأمر الله خلقه بالسعي في الأرض والعمل الدائب طلبًا لرزق الله.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك:١٥]

وقال سبحانه ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة:١٠]

وكذلك حث النبي ﷺ «**لأن يأخذ أحدكم أحبله فيأتي حزمة حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه**»[١].

ولقد دفع النبي ﷺ للعمل إلى آخر لحظة في حياته فقال النبي ﷺ «إذا قامت

---

(١) البخاري: كتاب الزكاة / باب الاستغناء عن المسألة.
مسند الإمام أحمد (٩١٠٨).

الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها»[١].

❁ **إيجاد عمل لكل قادر:**

وهذا يتضح من خلال قصة الرجل الذي سأل الصدقة فأمره النبي ﷺ أن يشتري بدرهم قدومًا ثم يذهب فيحتطب[٢].

بل لكل عامل الحق في أن تكفل له الدولة الحياة الكريمة المستقرة لا يجوع فيها ولا يعرى ولا يظمأ ولا يضحى حياة مكفولة الضرورات على أقل تقدير من مسكن وملبس وطعام وشراب ورعاية صحية نظيفة ودابة تنقله.

وهذا ما بينه النبي ﷺ **«من ولي لنا عملاً وليس له منزل فليتخذ منزلاً وليست له زوجة فليتزوج وليس له خادم فليتخذ خادمًا وليست له دابة فليتخذ دابة»**[٣]

فالنظام الاقتصادي في الإسلام يكفل السعادة والطمأنينة لجميع أفراد المجتمع الذين يستظلون بظله.

٤- الرقابة المزدوجة:

فالنشاط الاقتصادي في الإسلام يخضع لرقابتين رقابة بشرية ورقابة ذاتية. والرقابة البشرية- تكون عن طريق إمام المسلمين في مباشرته ومراقبته للأسواق

والرقابة الذاتية- إحساس المسلم بأن الله تعالى يراقبه (فهو الرقيب سبحانه) فهذا يفرض على المسلم أن يراقب سلوكه في نشاطه الاقتصادي كما يراقب سلوكه في عبادته.

❁ **الرقابة على السوق في النظام الإسلامي:-**

فلم يقتصر دور الإسلام في ترشيده لسلوك المتعاملين وتنظيمه للأسواق

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل (١٢٩١٦).

(٢) أبو داود: كتاب الزكاة / باب ما تجوز فيه المسألة.

(٣) أبو داود: كتاب الخراج / باب أرزاق العمال.

والعناية بها على مجرد الأوامر والنواهي التي وردت في هذا الشأن – وإنما أوجد- بالإضافة إلى ذلك نظامًا دقيقًا من الرقابة على الأسواق حتى لا تخرج عن الإطار الذي رسمه لها الإسلام أو تنحرف عن القواعد والأسس التي جاءت بها الشريعة في هذا المجال.

والرقابة في الإسلام رقابة مزدوجة تتمثل في الرقابة الداخلية (الذاتية) والرقابة الخارجية.

– الرقابة الذاتية:

وهي بمعنى أن المراقب والمراقب فيها شخصا واحدا. وهذا النوع من الرقابة لا يتحقق إلا بتربية الإنسان تربية سليمة بتنمية الدوافع الذاتية التي تحفزه إلى ممارسة نشاطه الاقتصادي والاجتماعي بما يتفق مع مصلحة الناس وتحقيق الخير للمجتمع.

وقوام هذه التربية مراقبة الله تعالى وخشيته في كل ما يصدر عنه من قول أو عمل.

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [المجادلة:٧]

﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَخْفَى عَلَيهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران:٥]

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر:١٩]

فهي مراقبة الإنسان لربه – ونضج الضمير الديني.

فالتقوى – ضابط من ضوابط السلوك الاقتصادي الإسلامي بل هي ضابط أساسي من ضوابط السلوك الإنساني جميعه. فالمسلم الذي يخشى الله ويتقيه يحرص على أن يكون قويم السلوك ويتجنب كل ما يجعله في قرارة نفسه مسئولاً في يوم تعرض فيه الأعمال على رب العالمين الذي لا تخفى عليه خافية.

– الرقابة الخارجية على السوق:

وتكون عن طريق إمام المسلمين في مباشرته ورقابته للأسواق.

وهذا النوع يقوم به المحتسب أو والي الحسبة.

فهذا النبي ﷺ يمر على السوق ثم يدخل أصابعه في الطعام فيجد بللاً فقال **«من غشنا فليس منا»**[1].

ومهمة المحتسب فيما يتصل بالسوق وتنظيمه والرقابة عليه: -

أ- **تنظيم السوق:** وتفقد أحوال المكاييل والموازين ومنع الناس من الازدحام في الطرقات إلى غير ذلك من الأمور التي تؤدي إلى انضباط السوق وحسن سيره.

ب- العناية بالرقابة على إنتاج السلع حتى لا يقع الغش أو التدليس في تصنيعها وحتى لا يقوم بعض الناس بصناعة الأشياء التي حرمه الإسلام والاتجار فيها.

ج- المنع من المعاملات المحرمة.

٥- الجمع بين الثبات والمرونة (أو التطور)

في الاقتصاد الإسلامي أمور ثابتة لا تتغير ولا تتبدل مهما تغير الزمان والمكان كتحريم الربا والميسر والخمر وكثير من العقود.

ولما جاء الإسلام خاتمًا للأديان ليطبق في كل مكان وزمان فكان في اقتصاده من المرونة والتطور ما جعله يتسع للأساليب المختلفة والوسائل المتجددة والعرف ما دام لا يتعارض مع أصل ثابت.

ولذا اتسع الاقتصاد الإسلامي ليشمل كل ما يجد من المعاملات المختلفة التي خلت من الربا والميسر والغرر الفاحش.

ولذا نقول

- الثبات والمرونة خصيصة الاقتصاد الإسلامي:

فالجمع بين الثبات والمرونة من خصائص الاقتصاد الإسلامي وحده فكل المذاهب الاقتصادية الأخرى غير الإسلامية ليس فيها شيء ثابت بل هي نفسها تتغير.

---

(١) مسلم: كتاب الإيمان/ باب من غشنا فليس منا.

٦- التوازن بين المادية والروحية:

فالاقتصاد الإسلامي يوازن بين المادية والروحية بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر ولهذا وجدنا الربط بين التنمية الاقتصادية والتنمية الإيمانية.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ [الأعراف:٩٦]

ولقد وازن الإسلام بين هذين الأمرين فلقد منع التفرغ للعبادة ولكن جمع بين العبادة والعمل وأوجب العمل ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة:١٠]

٧- التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة:

فلقد راعى الاقتصاد الإسلامي التوازن التام بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع حيث أن الإنسان له دوافعه ورغباته وما يراه محققا لمصالحه الخاصة لكن قد تتعارض في بعض الأحيان هذه المصلحة الفردية مع مصلحة الجماعة فإن كان الإنسان له حق التملك وللمالك حق الانتفاع بما يملك ولكن بما لا يتعارض مع مصلحة الجماعة وليس له استخدام ما يملك بطريقة تسب الضرر للآخرين.

نَهى النبيﷺ عن تلقي الركبان[١] .

نَهى النبيﷺ أن يبيع حاضر لبادي[٢] .

وليس له كذلك تعطيل الانتفاع تعطيلاً يضر بمصلحة الجماعة - ولذلك نرى أن المحتكر لسلعة يجبر على البيع بثمن المثل.

وكذلك إذا أصبح العمل فرض عين على أحد لمصلحة الجماعة أجبر على العمل بأجر المثل وللعامل في غير هذه الحالة أن يختار العمل المشروع الذي يراه

---

(١) البخاري: كتاب البيوع / النهي عن تلقي الركبان.

(٢) البخاري: كتاب البيوع / باب هل يبيع حاضر لباد بغير أجرة.

محققًا لمصلحته.

❁ **قال ابن تيمية (رحمه الله):**

إن هذه الأعمال التي هي فرض على الكفاية متى لم يقم بها غير الإنسان صارت فرض عين عليه ولا سيما إن كان غيره عاجزا عنه.

فإذا كان الناس يحتاجون إلى فلاحة قوم أو نساجتهم أو بنائهم صار هذا العمل واجبا يجبره ولي الأمر عليه -إذا امتنعوا عنه- بعوض المثل. ولا يمكنهم من مطالبة الناس بزيادة عن عوض المثل ولا يمكن الناس من ظلمهم.

٨- الواقعية:

فالاقتصاد الإسلامي واقعي في مبادئه ومنهجه وأحكامه ينظر إلى الواقع العملي الذي يتفق مع طبائع الناس ويراعي دوافعهم وحاجاتهم ومشكلاتهم قال سبحانه ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف:٣٢]

فاختلاف واقع الناس في الرزق والجاه حتى يتساندوا في طلب العيش وتنظيم الحياة.

وقال سبحانه ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام:١٦٥]

٥- العالمية:

فرسالة الإسلام للناس كافة كما قال ذلك الله تعالى

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[سبأ:٢٨]

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان]

﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨]

ولهذا جاء الإسلام صالحًا للتطبيق في كل زمان ومكان- والاقتصاد جزء من هذا الدين الخاتم- ولهذا جاء بأحكام كلية ومبادئ عامة تناسب كل زمان ومكان.

فالاقتصاد الإسلامي لم يكن لبيئة مكة وحدها أو المدينة أو الجزيرة العربية ولم يقتصر على بيئة تجارية أو زراعية أو صناعية.

والرسالات السابقة على الإسلام لم تأت بنظام اقتصادي عالمي متكامل لأنها كانت محددة الزمان والمكان.

والمذاهب الاقتصادية الوضعية كل مذهب نظر إلى البيئة التي نشأ فيها والظروف المحيطة.



السؤال الثالث والثمانون

يشتمل النظام الاقتصادي على مبادئ عامة تقوم على أساس العقيدة الإسلامية والفطرة الإنسانية والمصلحة العامة.

فما هي هذه المبادئ العامة؟

الجواب

المبادئ العامة التي يقوم عليها النظام الاقتصادي الإسلامي: -

١- حرية العمل.

٢- حق الملكية الفردية.

١- حرية العمل:

فالإسلام حث على العمل وكره العجز والكسل.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة:١٠]

وقال سبحانه ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك:١٥]

وقال النبي ﷺ **«ما أكل أحد طعامًا قط خير من أن يأكل من عمل يده»**[١]

والإسلام يعتبر العمل هو الوسيلة الأولى للارتزاق والدعامة الأساسية للإنتاج ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلاَ يَشْكُرُونَ﴾ [يس:٣٣-٣٥]

والمقصود بالعمل: الجهد الإرادي الذي يبذله الإنسان مستهدفا إنتاج السلع

---

(١) البخاري: كتاب البيوع / باب كسب الرجل وعمله بيده.

والخدمات.

والعمل هو العنصر الفعال في كل طرق الكسب التي أباحها الإسلام.

فموارد الطبيعة رغم أهميتها البالغة في العملية الإنتاجية لن يكون لها أثر بدون مجهود العامل التي يستغلها ويستثمرها ويوجهها الوجهة المطلوبة.

ومن المعلوم أن عناصر الإنتاج على تعددها يمكن ردها إلى مصدرين أساسيين: -

- موارد الطبيعة.
- عمل الإنسان.

❁ مكانة العمل في الإسلام (كعنصر من عناصر الإنتاج)

وكيف إن الإسلام حفز همم الناس وحثهم على العمل.

فلقد دعا الإسلام كل قادر على العمل أن يسعى في الأرض وأن يجتهد في طلب الرزق وأن يبتغي من فضل الله- قال سبحانه ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك:١٥]

وقال سبحانه ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة:٩-١٠]

وقال سبحانه ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]

وقال النبي ﷺ «من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفورًا له»[1]

وقال النبي ﷺ «ما أكل أحد طعامًا خيرًا من أن يأكل من عمل يده وإن نبي

---

(١) البخاري: كتاب البيوع / كسب الرجل وعمله بيده.

الله داود كان يأكل من عمل يده» [١].

وقال النبي ﷺ **«الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار»** [٢]

وقال النبي ﷺ **«ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه طير أو إنسان أو بَهيمة إلا كان له به صدقة»** [٣].

✽ تحريم البطالة:

فكما حث الإسلام على العمل ورغب الناس في السعي في طلب الرزق فإنه قد حذر من البطالة والكسل ونَهى عن القعود والتواكل والاستسلام للفقر.

فكل قادر على العمل مطالب في شريعة الإسلام أن يسعى سعيه وأن يأخذ مكانه في موكب العاملين ولذا قال النبي ﷺ **«لأن يأخذ أحدكم أحبله فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف بِها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»** [٤]

وقصة الرجل الأنصاري الذي أتى النبي ﷺ يسأله فقال **«أما في بيتك شيء»**[٥] وكذلك لا يجيز الإسلام للإنسان أن ينقطع للعبادة دون أن يكون له عمل يتكسب منه فقد امتدح قوم رجلاً عند رسول الله ﷺ بالاجتهاد في العبادة والغنى عن العمل وقالوا: صحبناه في سفرنا فما رأينا بعدك يا رسول الله أعبد منه كان لا ينتقل من صلاة ولا يفطر من صيام فقال لهم: **«فمن كان يقوته ويقوم به؟»** قالوا: كلنا يا رسول الله قال: **«كلكم أعبد منه»**

---

(١) البخاري: كتاب البيوع / باب كسب الرجل وعمله بيده.
(٢) ابن ماجه: كتاب التجارات / باب الحث على المكاسب.
(٣) مسلم: كتاب المساقاة والمزارعة / باب فضل الغرس والزرع.
(٤) البخاري: كتاب البيوع / باب كسب الرجل وعمله بيده.
(٥) أبو داود: كتاب الزكاة / باب ما تجوز فيه المسألة.

ولذلك فإن أنبياء الله ورسله مع عظم الرسالة الملقاة على عاتقهم من الدعوة إلى الله تعالى وتبليغ دينه للناس كانوا يتكسبون ويأكلون من أعمالهم.

فهذا النبي ﷺ رعى الغنم لأهل مكة قبل النبوة واشتغل بالتجارة لخديجة أم المؤمنين ﵂[١] وأن الصحابة كانوا عمال أنفسهم وأن المهاجرين كان يشغلهم الصفق في الأسواق[٢].

وكان لكل نبي حرفة يعمل فيها ويعيش منها مع ضخامة مسئولياته ليكون قدوة للناس وليكون كل فرد في المجتمع يدًا عاملة منتجة يساهم بجهده وعرقه في زيادة الإنتاج ورفع المستوى المعيشي لأبناء أمته.

❁ تأهيل العامل:

ودائرة العمل في الإسلام واسعة متعددة المجالات والأنواع وأنه من الواجب على المسلمين وعلى أولي الأمر أن يوفروا لكل باب من أبواب العمل من يحسنونه ويقومون عليه خير قيام حتى تتحقق مصالح الناس وتلبي كل متطلباتهم ورغباتهم ويتوافر لهم كل ما هو في حاجة إليه.

وعلى الرغم من أن لكل عامل أن يتخير ما يناسبه من عمل يحقق له النفع ولا يضر بالآخرين ولكن إذا خلت بعض ميادين العمل من بعض الأعمال التي يحتاج إليها الناس فقد جعل الإسلام لولي الأمر الحق في أن يلزم أصحاب حرفة من الحرف أن يعملوا فيها ولا يتحولوا عنها في هذا الظرف الخاص ليسدوا حاجة الناس.

الإسلام أمرنا بالتعليم وتحصيل العلم في كل ميدان ومجال ليس فقط في أمور الدين والعقيدة وإنما أيضًا في شئون الدنيا وكل ما تصلح به الحياة.

---

(١) ابن ماجه: كتاب التجارات / باب الصناعات.

(٢) البخاري: كتاب البيوع / باب ما ذكر في الأسواق.

والمسلم مطالب بإتقان ما يقوم عليه من الأعمال **«إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه»**

وبالتأهيل السليم والاختيار المناسب الذي يقوم على قدرات كل فرد مع إيجاد الدوافع والحوافز وتنميتها ودفع الجميع إلى التعاون في مجال العمل تخطو الأمة أولى خطوات الإنتاج السليم.

– حسن اختيار من يقوم على أداء العمل:

يحرص الإسلام على أن يختار لأداء العمل أكفأ العناصر القادرة على القيام به وتنفيذه على أكمل وجه وأحسنه وحذر من أن يتولى العمل إنسان وهناك من هو أفضل منه وأقدر على أدائه

لذلك يقول الرسول ﷺ **«من استعمل رجلاً من عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله وجماعة المؤمنين»**(١)

بل إن النبي ﷺ بين أن الأمر إذا أسند إلى غير أهله يعد علامة من علامات قيام الساعة ويعد من باب تضييع الأمانة الذي وكل الإنسان بحفظها.

«إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»(٢)

ويلفت القرآن أنظارنا إلى حسن اختيار من يقوم على أداء العمل عندما يحكي لنا قصة موسى عليه السلام مع ابنة شعيب عليها السلام والتي طلبت من أبيها أن يستأجره وعللت ذلك بقولها ﴿**يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ**﴾ [القصص:٢٦].

وكذلك قول يوسف عليه السلام ﴿**قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾ [يوسف:٥٥].

---

(١) المنذرى / الترغيب والترهيب ٣ / ١٤٣.

(٢) البخاري: كتاب الرقاق / باب رفع الأمانة.

ليستبين لنا علاقة الدين بالدنيا وأنه لا فصل بينهما.

والأصل في تقليد الأعمال والمناصب ليس الدين فحسب ولكن خبرته بالدنيا وهذا ما بينه النبي ﷺ في مقولته لأبي ذر رضي الله عنه عندما قال أبو ذر رضي الله عنه: يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال فضرب بيده على منكبي ثم قال **«يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها»**[(١)]

فبين لنا النبي ﷺ الطريق إلى كيفية اختيار العمال الذين يوكل إليهم القيام على أمور الناس ومصالح المسلمين فأوجب أن يكون الاختيار قائمًا على أساس أن المختار هو من أهل التجربة والكفاءة وحسن النظر فيما يقوم عليه لا على أساس القرابة والمحاباة والوساطة والمحسوبية.

فقدرة العامل الكاملة لمباشرة عمله على أكمل وجه وأحسنه هي التي تؤهله لتولي هذا العمل دون أي اعتبار آخر.

❁ واجبات العمال:

١- واجب العامل بالنسبة لاختيار العمل:

فالمسلم مطالب بأن يأكل من حلال وإذا ما أنفق فعليه أن ينفق من طيبات ما كسب ولا يتحقق ذلك إلا بأن يكون للعمل الذي اختاره وعمل فيه مشروعا قد أباحه الإسلام وأحله.

فالإسلام يدعو المسلم إلى أن يباشر العمل في أية صورة من صوره وفي سائر أنواعه وجميع مجالاته سواء كان عملا يدويا أو فنيا أو فكريا ولم يحظر من العمل إلا ما به إضرار بالعامل نفسه أو بأبناء مجتمعه حيث لا ضرر ولا ضرار.

ومن الواجب على العامل بالنسبة لاختيار العمل أن يختار العمل الذي يناسب قدراته ويستطيع أداءه بكفاءة ومقدرة ولا ينبغي له أن يختار عملاً لا يستطيع أداءه

---

(١) مسلم: كتاب الإمارة / باب كراهة الإمارة بغير ضرورة.

ولا يحسنه إذ المسلم مطالب بإتقان عمله وأدائه على الوجه الأمثل مما يحقق المصلحة العاملة والخير للمسلمين.

٢- واجب العامل بالنسبة لأداء العمل والقيام به:

فمهمة العامل لا تنتهي بمجرد اختياره عملاً مباحًا أحله الإسلام بل يقع عليه بعد ذلك عدة واجبات أثناء تأديته لهذا العمل منها: -

أ- إتقان العمل وإجادته:

«إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه»(١).

فإذا كان المسلم مطالب بإتقان عمله فعليه أن يعرف مستلزماته ومتطلباته حتى يتمكن من الوفاء بها فيتحقق له إتقان العمل وتأديته على أحسن وجه.

ب- أداء العمل بأمانة وإخلاص:

فواجب العامل أن يكون أمينًا في عمله مخلصًا في القيام به

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء:٥٨]

جـ- واجب الشعور بالمسئولية تجاه العمل:

«كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالرجل راع في بيته وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده وهو مسئول عن رعيته»(٢)

ولا شك أن الشعور بالمسئولية تجاه العمل يؤدي إلى الإخلاص فيه وإحسانه وتنفيذه على أكمل وجه.

د- واجب الصدق والوفاء بالعقود:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة:١]

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان.

(٢) البخاري: كتاب الأحكام / باب ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون:٨]

وقال النبي ﷺ «المسلمون على شروطهم إلا شرطًا حرم حلالاً أو أحل حرامًا»[1].

هـ- المحافظة على مواعيد العمل.

و- البعد عما يخل بأداء العمل.

فلقد نهى الإسلام عن كل ما يؤدي بالعمل إلى الخلل والفساد- لذلك نهى عن الهدية والرشوة وقال النبي ﷺ **«لعن الله الراشي والمرتشي والرائش»**[2]

ز- المحافظة على أموال العمال وعدم إهمالها.

❁ حقوق العمال:

في مقابل أداء العامل ما عليه من واجبات كفل له الإسلام حقوقه كاملة غير منقوصة وألزم رب العمل أو الجهة التي يعمل فيها الإنسان أن تؤدي له تلك الحقوق وأن تقوم على راحته وتوفير متطلباته الأساسية.

فكفل الإسلام للعامل حقه في التعليم والحرية والعبادة وكفل له كرامته الإنسانية في أوسع صورها وجعله هو وصاحب العمل سواء يتمم كل منهما رسالة الآخر.

ومن الحقوق المتعددة التي كفلها الإسلام للعامل

١- الحق في استيفاء الأجر:

فإذا أدى العامل ما كلف به من عمل على الوجه المطلوب وكان له في مقابل ذلك أن يأخذ أجره كاملاً قال سبحانه:

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾ [التوبة:٦٠]

---

(١) الترمذي: كتاب الأحكام/ باب ما ذكر عن رسول الله ﷺ في الصلح بين الناس.

(٢) أبو داود: كتاب القضاء / باب كراهية الرشوة.

وقال ﷺ «**لا تحل الصدقة لغنى إلا لخمسة . . . لعامل عليها**» (١)

٢- حق العامل في الحصول على ضرورياته:

فقد لا يكفي الأجر الذي يتقاضاه العامل عن عمله لإقامة حياته وتوفير احتياجاته ومن هنا فقد كفل الإسلام الحق للعامل في أن يأخذ من بيت مال المسلمين ما يسد به الأشياء الضرورية.

لذا قال النبي ﷺ «**من ولي لنا شيئًا فلم تكن له امرأة فليتزوج امرأة ومن لم يكن له مسكن فليتخذ مسكنًا ومن لم يكن له مركب فليتخذ مركبًا ومن لم يكن له خادم فليتخذ خادمًا فمن اتخذ سوى ذلك كنزًا أو إبلاً جاء الله به يوم القيامة غالاً أو سارقًا**»(٢)

فالإسلام يعمل على راحة العاملين فيه وتسهيل أسباب السعادة لهم وإلزام الدولة بضمان هذه الحقوق قائم على أساس مسئوليتها عن رعيتها والت يقدرها الإسلام.

«**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . . .**» (٣)

فتوفير ما يحتاج إليه الناس ويتطلبونه (سواء من خدمات تعليمية أو صحية...) أمر مقرر على الدولة لجميع أبنائها ومنهم العاملون حتى ينشط العامل في أداء عمله ويتفرغ لإتقانه وإحسانه مما يعود بالخير على الدولة وعلى جميع أبناء المجتمع.

٣- حق العامل في الراحة وأداء العبادة وغيرها:

«**إن لربك عليك حقًا وإن لبدنك عليك حقًا وإن لزوجك عليك حقًا فأعط كل ذي حق حقه**»(٤)

---

(١) البخاري: كتاب الزكاة / باب رزق الحاكم والعاملين عليها.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل (١٧٩٣٨).

أبو داود: كتاب الخراج والفيء والإمارة/ باب في أرزاق العمال.

(٣) البخاري: كتاب الأحكام / باب قوله تعالى ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾.

(٤) البخاري / النكاح / باب لزوجك عليك حق.

٤- يجب أن يكون العمل على قدر طاقة العامل

فلا يجوز تكليف العامل ما لا يستطيعه أو يقدر عليه

﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]

وقال النبي ﷺ **«إن إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم»**(١)

فالإسلام يتجه في تنظيم الأعمال إلى أن يكون تكليف العامل مقيدا بكونه في طاقته وأنه يمكنه الاستمرار عليه.

فمن الواجب أن يكون العمل في مقدرة العامل أو استطاعته سواء من ناحية نوع العمل المكلف به أو من ناحية الزمن الذي يقوم فيه بأدائه.

فهذه بعض الحقوق التي يقررها الإسلام للعاملين وهي بلا شك تكفل لهم الحياة الطيبة الكريمة وتوفر لهم كل ما يحتاجون إليه- وهذا مما يحفز همة العامل إلى الجدية في عمله وإتقانه وتطويره حسب متطلبات العصر وبذلك يزيد الإنتاج ويرتقي وتنمو الثروة وتتكاثر ويعم الخير كل أرجاء المجتمع الإسلامي.

❁ وختامًا

فالمسلم حر في اختيار العمل الذي يناسبه وطرق الكسب التي يستريح لها والتملك الذي يفضله والإنفاق الذي يشبع رغباته ولكن هذه التصرفات مقيدة بأحكام التشريع الإسلامي من الحلال والحرام فالمسلم كالوكيل يتصرف في الحدود التي يسمح بها الموكل فليس من حق المسلم أن ينتفع بالمال أو يتصرف فيه إلا بما شرعه مالك المال حقيقة وهو الله تعالى الذي استخلف هذا الإنسان في المال.

وإذا لم يراقب الله تعالى فمنع حقا أو ارتكب حراما جاء دور الشق الثاني من

(١) البخاري: كتاب العتق / باب قول النبي ﷺ العبيد إخوانكم فأطعموهم مما تأكلون.

الرقابة المزدوجة الرقابة البشرية التي تقوم بها الدولة المسلمة.

فقد حث الإسلام أن يمارس الإنسان جميع أنواع النشاطات التي تسد الحاجات الضرورية التي يحتاج إليها الإنسان سواء تجارة أو زراعة أو صناعة . .

وسائر ما يباشره الإنسان من أوجه العمل والنشاط الاقتصادي لغرض الكسب الحلال واختيار العمل المناسب للفرد متروك له ولتقديره بمعنى أن الإسلام يمنح الفرد حرية العمل (أي الحرية الاقتصادية) فله أن يباشر ما يشاء من أوجه النشاط الاقتصادي دون إكراه أو إجبار أو منع.

٢- حق الملكية الفردية:

قال سبحانه ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُون وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩]

﴿وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الإسراء:٣٤]

﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد:٢]

- تقرير حق الملكية في الشريعة الإسلامية وأثر ذلك في التنمية:

فالإسلام يعترف بملكية الأفراد ويقر المالك على الانتفاع بملكه والتصرف فيه ما يحميه من كل اعتداء على ماله. والملكية في الإسلام شرعت لإشباع حاجات الناس المشروعة دون أن يكون في ذلك إضرار بالغير أو انحراف بالملكية عما شرعت له من أغراض.

- حكمة تقرير الملكية الخاصة في الشريعة الإسلامية:

ينظر الإسلام للإنسان على أنه مخلوق له دوافعه الفطرية وغرائزه الاجتماعية وإن من بين هذه الدوافع والغرائز غريزة التملك وحب المال وهي التي تدفع الإنسان إلى الكسب والتعمير وحب البقاء.

قال سبحانه ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ أي شديد المحبة للمال - فالخير هنا يعني المال وكلام رسول الله ﷺ يوضح هذا المعنى

«لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديًا ثالثًا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب»[(١)]

لذا عندما أقر الإسلام الملكية الخاصة فإنما أقر ميلاً طبيعيًّا في الإنسان إلى تملك نتائج عمله.

وإذا كان المال في نظر الإسلام ضروريًّا للحياة البشرية ودعامة وجود المجتمع وبه قيامه وبه حياة الإنسان وبقاؤه فإن سعى الإنسان إلى تحصيله واقتنائه إنما هو بحكم فطرته وغريزته لأن فيه رزقه وسد حاجته والحصول عليه واجب تجنبا للهلكة وبعدا عن الفناء وهذا ما يساير الفطرة الإنسانية.

ولقد أقر الإسلام الملكية الفردية حينما تكون الوسيلة إلى التملك وسيلة مشروعة وجعل ذلك ضرورة اجتماعية.

وفي إقرار الملكية الفردية تحقيق للعدالة بين الجهد والجزاء فوق مسايرته للفطرة واتفاقه مع الميول الأصلية في النفس البشرية -وفي الوقت ذاته يتفق مع مصلحة الجماعة بإغراء الفرد على بذل أقصى جهد لتنمية الحياة.

وقد جاءت الآيات صريحة قاطعة في إقرار هذا الحق فالله تعالى يضيف الأموال لأصحابها فيقول ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾

وقال سبحانه ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾

وقال سبحانه ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُون وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾

وقال النبي ﷺ «إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا»[(٢)]

---

(١) الترمذي: كتاب الزهد / لو كان لابن آدم واديًا من مال لابتغى ثالثًا.

(٢) البخاري: كتاب الحج/ باب حجة الوداع.

وقالﷺ «**لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس**»[(١)]

وفي حديث معاذ بن جبل ﷺ عندما بعثه النبيﷺ إلى اليمن قالﷺ «**فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم . .**» [(٢)]

والإسلام لا يكتفي بإقرار الملكية وتيسير سبل الحصول عليها بل يحيطها بالحماية ويفرض عقوبات قاسية على كل معتد عليها أيا كانت صورة هذا الاعتداء.

– الأموال التي ترد عليها الملكية الخاصة:

الأصل في الشريعة أن الأعيان ومنافعها قابلة للتملك والتمليك ما لم يكن هناك محظور شرعي أو منافاة لقصد الشارع– فقابلية الأموال لورود الملكية الخاصة عليها ليست مطلقة وإنما تخضع لقيود شرعية تجعل المال قابلاً للتملك أو غير قابل كليًّا أو جزئيًّا.

ولذا تقسم الأموال إلى ثلاثة أقسام:

١– مالا يجوز للأفراد تملكه ولا تمليكه وهي ثلاثة أنواع :

أ– ما خصص للمنافع العامة ورصد لمصلحة الناس جميعا فلا يثبت لأحد فيه ملك خاص (كالمساجد والطرق العامة والأنهار والجسور والقلاع والحصون).

ب– ما تكون فيه الثمرة غير متكافئة مع الجهد المبذول في العمل كالمعادن التي في باطن الأرض.

ج– الأموال التي تؤول إلى ملك الدولة أو ما كان ملكها أساسًا أو تلك الأموال التي تنفرد الدولة بالولاية عليها.

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل (٢٣٤٩٦).

(٢) البخاري: كتاب التوحيد/ باب ما جاء في دعاء النبيﷺ أمته إلى توحيد الله تعالى.

٢- ما لا يقبل التمليك إلا بمسوغ شرعي ولمصلحة عامة تعود على الدولة وذلك كالأعيان الموقوفة والعقارات المملوكة لبيت المال فلا يجوز تمليك شيء من هذه لشخص من الأشخاص إلا بمسوغ من المسوغات الشرعية وكان في ذلك مصلحة – كوقف رأت المحكمة حله أو استبدال شيء من هذا الوقف.

٣- ما يقبل التملك والتمليك من غير قيد أو شرط إلا القواعد التي وضعها الفقه الإسلامي في هذا الشأن.

- القيود والالتزامات الواردة على الملكية الخاصة:

إن الشارع الحكيم حين أقر الملكية الفردية لم يقرها مطلقة في آثارها بل أقرها مقيدة بقيود عديدة أريد بها تخليص الملكية من شرورها وأخباثها وتوجيهها الوجهة السليمة التي تطيب معها فتكون خيرًا محضًا لصاحبها وصلاحًا لمجتمعه.

فلقد قيد الإسلام حرية التصرف في الملكية الخاصة بقيود تكفل عدم الإضرار بحقوق الآخرين وبالصالح العام.

كما أن الإسلام فرض على ملكية المال بعض التكاليف والواجبات.

- بعض القيود التي وضعتها الشريعة الإسلامية على الملكية الخاصة والتي بمراعاتها يتحقق النفع والمصلحة وتؤتي الملكية أكلها وثمارها الطيبة بالنسبة للفرد والمجتمع على حد سواء.

١- إلزام المالك باستثمار ماله وتنميته بالطرق المشروعة.

٢- الفرائض المالية الواجبة في المال.

٣- نزع الملكية للمنفعة العامة.

٤- تحديد الملكية.

٥- عدم التعسف في استعمال حق الملكية.

٦- الحد من حرية التصرف في المال في حالات معينة.

٧- مراعاة حق الجار وتقدير حقوق الارتفاق.

١- إلزام المالك باستثمار ماله وتنميته بالطرق المشروعة

فلقد ألزم الإسلام مالك المال بالعمل على استثماره وتنميته إذ إن في تعطيله لما يملك إضرارًا بنماء ثروة المجتمع.

فإذا عمد المالك إلى وسائل حرمها الله في كسب المال أو استثماره أو تصرف فيه بغير ما أذن الله كان لولي الأمر التدخل صيانة لمصلحة المجتمع الإسلامي- وكذلك إذا أبقى المالك ماله معطلاً بغير استثمار يعود بالنفع عليه وعلى المجتمع وكان هذا التعطيل متعمدًا من المالك وطال أمده فجاز لولي الأمر التدخل إذا اقتضت مصلحة المجتمع ذلك.

لذا يشترط على واضع اليد على الأرض الموات لإحيائها أن يعمل فيها وقيدت تلك الحيازة بوجوب العمل وبدونه لا تتحقق ملكية واضع اليد على تلك الأرض.

✿ الالتزام بالامتناع عن الوسائل غير المشروعة في التنمية

فإذا كان الإسلام قد حث كل مسلم على تنمية ماله والعمل على استثماره وتداوله فإنه قد وضع عليه بعض القيود وهو بسبيل استثماره هذا المال فألزمه بالامتناع عن أن ينمي ماله بالطرق غير المشروعة التي حرمها ونهى المسلمين عن أن تكون وسائل لكسبهم أو مجالا لاستثماراتهم.

- ومن الأساليب التي حرمها الإسلام طريقًا للتنمية:

- الربا

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٢٧٥]

وقال سبحانه

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٧٨-٢٧٩]

وحكم الله على الربا بالمحق ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة:٢٧٦]

وقال النبي ﷺ «لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه»[1]

فالطرق الربوية طرق غير سليمة للكسب من الناحية الاجتماعية لأن المجتمع لا يفيد شيئًا من التعامل الربوي ولا تزيد شيئا من قدراته ولا إمكاناته بل يصيبه من جرائها أضرارًا بالغة لما تنطوي عليه من استغلال لحاجات المعوزين وانتهاك لقواعد الأخلاق والمثل العليا وخروج على مبادئ الإخاء والتكافل الاجتماعي وواجب الإنسان نحو أخيه الإنسان.

وفي اعتماد الطرق الربوية صرف لأصحاب رءوس الأموال عن طريق الكد والكسب الإنتاجي السليم مما يترتب عليه آثار هدامة في حياة المجتمع.

كما أن الطرق الربوية تقوم بتضحيم ثروات المرابين إلى حد غير معقول ولا مقبول ووجود الطبقية علوا وسفلا ثم وجود طبقة متعطلة مترفة لا تعمل شيئًا وتحصل على كل شيء.

كما تضيق فرص العمل للعاملين ليتكسب عن طريق العمل مما يخلق أيدي معطلة عن العمل مع وجود متطلبات حياتية لها لا تستطيع تحقيقها مما يؤدي إلى زيادة الأحقاد والضغائن بين أفراد المجتمع.

(١) البخاري: كتاب البيوع / باب آكل الربا وشاهده وكاتبه.

فيسير المجتمع بعيدًا عن القواعد والمبادئ الأخلاقية التي يبثها الإسلام لينشأ التعاون بين الناس.

- الاحتكار:

وهو حبس الطعام أو غيره مما يحتاجه الناس إرادة إغلائه عليهم. وهذا الطريق من طرق كسب المال وتنميته قد حرمه الإسلام تحريمًا قطعًا وتوعد من يحتكر على المسلمين شيئًا مما يحتاجون إليه أشد العذاب.

وقد قال النبي ﷺ **«من احتكر طعاما فهو خاطئ»**(١)

قال ابن القيم (رحمه الله):

«والقول بوجوب منع الاحتكار حق -مثال ذلك أن يمتنع أرباب السلع من بيعها مع ضرورة الناس إليها إلا بزيادة على القيمة المعروفة فهنا يجب عليهم بيعها بقيمة المثل وهذا من البغي في الأرض والفساد والظلم الذي يحبس به قطر السماء».

- الغش:

فلقد حرم الإسلام أن يلجأ الإنسان إلى طريق من طرق الغش والاحتيال والخداع.

ولذا قال النبي ﷺ **«من غشنا فليس منا»**(٢)

والغش قد يكون بإخفاء العيب في المبيع أو في الثمن وهذا طريق محق البركة

«البيعان بالخيار حتى يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما»(٣).

وقد يكون الغش بالتطفيف في الكيل والميزان

---

(١) ابن ماجه: كتاب التجارات / باب الحكرة والجلب.

(٢) مسلم / الإيمان / باب بيان من غشنا فليس منا.

(٣) البخاري: كتاب البيوع / البيعان بالخيار ما لم يفترقا.
باب ما يمحق الكذب والكتمان في البيع.

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين:١-٣]

وقد يكون الغش بخلط المبيع بشيء رديء ليس من جنسه أو أقل منه في الجودة والادعاء بأن السلعة من نوع جيد وهي ليست كذلك.

- أكل أموال الناس بالباطل:

ولقد حذر الإسلام من أن ينمي الإنسان ما له عن طريق أكل أموال الناس بالباطل

﴿وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٨٨]

ومن أكل أموال الناس بالباطل: الرشوة- إذ هي استيلاء على مال الغير بغير حق وقال النبي ﷺ: **«لعن الله الراشي والمرتشي»**[١].

ومن أكل أموال الناس بالباطل: الهدايا إلى الحكام تقربا إليهم. ومن أكل أموال الناس بالباطل «القمار» بأي وسيلة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة:٩٠]

- التجارة فيما يضر أو إنتاجه:

كالتجارة أو إنتاج الخمور

وقال النبي ﷺ **«لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها»**[٢]

٢- الفرائض المالية الواجبة في المال:

لقد أوجب الإسلام في المال بعض التكاليف والواجبات التي يلتزم المالك

---

(١) أبو داود: كتاب القضاء/ باب كراهية الرشوة.

(٢) ابن ماجه: كتاب الأشربة / باب العنت في الخمر على عشرة أوجه.

بأدائها ويقع على كاهله واجب الوفاء بها وإذا لم يفعل ذلك فإنه يعد مقصرا وكان لولي الأمر أن يجبره على أداء هذه التكاليف.

١- الزكاة: وهي ركن من الأركان التي بني عليها الإسلام

وهي التزام المسلم بأداء نصيب من ماله لمصلحة الطبقات الفقيرة والمحرومة في المجتمع فهي فريضة إلزامية ذات هدف اجتماعي وبالتالي تخرج عن معنى الإحسان الاختياري أو التطوع الذي يترك لحرية الفرد.

ومن واجبات ولي الأمر أن يقوم على جمع الزكاة وصرفها في مصارفها الشرعية وإجبار من يمتنع عن أدائها على أدائها وقتال من لا يؤديها.

والزكاة لا تعتبر إحسانًا ولا منة من صاحب المال وليس فيها إذلال للفقير بل هي حق اجتماعي ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٩] والمال الذي تجب فيه الزكاة قد وردت النصوص به من النبي ﷺ وكذلك عمل النبي ﷺ وبعمل أصحابه ﷺ وهي أربعة أنواع:

- النعم (الإبل- البقر- الغنم).
- الزروع والثمار.
- النقود وعروض التجارة

وقد فرضت هذه الزكاة في تلك الأموال بنسب حددها النبي ﷺ

وللزكاة مصارف معينة محصورة في ثمانية محددة بقول الله تعالى ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

والزكاة لها وظيفة هامة في حفظ التوازن الاقتصادي وتقليل الفروق بين الطبقات وإشاعة روح التكافل والإحسان بين المسلمين.

❁ والزكاة لها مدلول مزدوج:

١- أنَّها تزكية وتطهير للروح وهذا هدف روحي تعبدي فإنها تزكي نفس مؤديها بما تتيح له من تدريب مستمر على البر بالغير وشفاء نفسه من سيطرة الشح عليها.

٢- تزكية وتنمية للمال وهذا هدف اقتصادي واجتماعي لأنها تبث روح التراحم بين طبقات المجتمع وتنزع غل الطبقات المحرومة للطبقات الموسرة وتساعد على توزيع الثروة في طبقات المجتمع وتحول دون تكدسها في أيد قليلة.

ومالك المال ليس له الحرية في إخراجها أو عدمه لأنها حق مقرر من قبل الشارع الحكيم لا يسع الإنسان إزاءه إلا الامتثال والانقياد فإذا لم يفعل كان لولي الأمر التدخل لإجباره على أدائها وأخذها قهرًا عنه.

٢- صدقة الفطرة:

وهذه الصدقة يلتزم الإنسان بأدائها عن نفسه وعن كل من تلزمه نفقته وله الولاية عليه من زوجة وولد وخادم.

وقد قال أبو سعيد الخدري ﷺ «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطرة من رمضان صاعًا من تمر أو صاعًا من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين»[1]

وهي إسعاد للفقير في يوم عيد الفطر -وهذه الصدقة معينة المقدار- وهذه الصدقة تعتبر قيدًا على المال.

٣- الخراج:

وهو ما يوضع من الضرائب على الأرض الزراعية أو محصولاتها.

(١) البخاري: كتاب الزكاة / زكاة الفطر.

فالخراج هو مقدرا الواجب في الخارج من الأرض التي تركها الإمام في أيدي أهلها فإن الذمي هو الذي يلتزم بأداء هذا الواجب المالي- وقد يؤديه المسلم وذلك إذا ما تحولت إليه الأرض الخراجية من الذمي أو أسلم الذمي عليها بعد انتصار المسلمين فإن الأرض تظل خراجية. ويخصص الخراج للمصالح العامة للمسلمين.

٤- العشور:

وهي الضريبة التي تفرض على أموال التجارة الصادرة من البلاد الإسلامية والواردة إليها.

٥- فرض الضرائب وتوظيف الأموال:

وهي فريضة من المال تستأديها الدولة أو السلطات المحلية من رعيتها والقاطنين في ديارها على قدر يسار كل مكلف لتمكينها من أداء المرافق العامة التي تضطلع بها.

وهذه الضريبة لا تفرض إلا إذا لم يكن في بيت مال المسلمين ما يقوم بمواجهة أعباء المجتمع الإسلامي وسد حاجاته فقد انتقل واجب القيام بها إلى أموال الناس بحيث يؤخذ منها ما يفي بهذه الأعباء كل مسلم حسب طاقته وفي إطار إن الضرورة تقدر بقدرها فلا يجوز لأولياء الأمور أن ينتهزوا هذه الفرصة للتسلط على أموال الناس وممتلكاتهم ونهبها.

❁ قال الشاطبي (رحمه الله):

«إذا قررنا إمامًا مطاعًا مفتقرًا إلى تكثير الجنود ولسد حاجات الثغور فللإمام إذا كان عدلا أن يوظف على الأغنياء ما يراه كافيًا لهم في الحال إلى أن يظهر مال بيت المال ثم إليه النظر في توظيف ذلك على الغلات والثمار وغير ذلك — ووجه المصلحة هنا ظاهر فإنه لو لم يفعل الإمام ذلك بطلت شوكته وصارت دياره عرضة لاستيلاء الكفار».

فعلى ذلك فإنه يجوز لولي الأمر (بشروط) أن يفرض ضرائب على أموال الناس غير ما يؤخذ منهم من زكاة إذا قامت بالمجتمع ضرورة أو مصلحة تدعو إلى ذلك.

ولضمان ألا تتدخل أهواء الحكام وشهواتهم في فرض الضرائب ولكفالة العدالة في هذا الأمر وضع العلماء عدة ضمانات واشترطوا عدة شروط يجب أن تتوافر قبل أن يقوم ولاة الأمر بجباية هذه الأموال وتحصيل تلك الضرائب وحتى يصح القول بمشروعيتها - ومن هذه الشروط :

أ- أن تكون هذه الضرائب أمرًا استثنائيًّا تدعو إليه المصلحة العامة للمجتمع وتدبيرًا مؤقتًا حسبما تدعو إليه الضرورة التي تقدر بقدرها ينتهي ويزول بزوال العلة وانتهاء الحاجة.

ب- أن يكون الحاكم الذي يفرض هذه الضرائب عادلا تجب طاعته ليكون في هذا ضمانة لعدم الظلم والتعسف ولتحقيق العدل.

ج- ألا يكون هناك في بيت المال والخزانة العامة ما يكفي لسد هذه الحاجات ولا ينتظر أو يرجى أن يكون شيء من ذلك نظرا للظروف الطارئة وأن يرد الحاكم وأعوانه ما عندهم من أموال فائضة إلى بيت مال المسلمين.

د- أن يقع التصرف في جباية المال وإنفاقه على الوجه المشروع.

هـ- يشترط أن تكون أحكام الله نافذة كما يجب وحدوده مقامه.

٣- نزع الملكية للمنفعة العامة:

الأصل عدم انتقال الملكية إلا بتوافر الرضا وكما قال النبي ﷺ **«لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفسه»**[(١)]

وقال سبحانه **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾** [النساء:٢٩]

ولكن اتفق الفقهاء على جواز نزع الملكية للمنفعة العامة كتوسعة مسجد أو شق طريق ونحو ذلك .

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل (٢٣٤٩٦).

❁ **يقول ابن القيم (رحمه الله):**

«الناس مسلطون على أموالهم ليس لأحد أن يأخذها أو شيئًا منها بغير طيب أنفسهم إلا في المواضع التي تلزمهم الأخذ منها

ولكن يعوض المالك عما أخذ منه تعويضا عادلا إذ إنه لا يجوز أخذ ملك إنسان بلا عوض. والتعويض يكون بقيمة الشيء والقيمة تقدر بمعرفة أهل الخبرة العدول.

٤- تحديد الملكية:

أباح الإسلام للناس أن يتملكوا ما بوسعهم أن يتملكوا وأن يمضوا في تملكهم للأموال إلى حيث يشاءون ما دام ذلك في غير ما حرم الله.

٥- عدم التعسف في استعمال حق الملكية:

وهو استعمال الإنسان لحقه على وجه غير مشروع أو هو المضارة في استعمال الحق فمن القيود الشرعية التي تتوجه إلى كيفية استعمال المالك لملكه قيد عدم الإضرار بالناس لقول الرسول ﷺ **«لا ضرر ولا ضرار في الإسلام»**[1]

فالأصل في مشروعية استعمال الحق أن يكون سبيلاً إلى تحقيق المصالح وجلبها وإلى دفع المفاسد وتجنبها.

فإذا كان استعمال المالك لحقه ينشأ عنه ضرر بغيره وجب أن يوازن بين مصلحته المشروعة التي قصدها والمضرة التي تترتب على استعماله له فإن رجحت مصلحة المالك قدم حقه وإن رجحت مضرة غيره قيد حقه بما يدفع الضرر.

فإذا ما تعارضت المصالح والمفاسد وجب اللجوء إلى استعمال القواعد الشرعية المقررة في هذا الشأن منها:

١- الضرر يزال.

---

(١) ابن ماجه: كتاب الأحكام / باب من بنى في حقه ما يضر بجاره.

٢- الضرر لا يزال بالضرر.

٣- يتحمل الضرر الأخف لدفع الضرر الأشد.

٤- يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام.

٥- يجب تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة.

٦- دفع المفاسد مقدم على جلب المصالح.

٧- الضرورات تبيح المحظورات.

٨- ما أبيح للضرورة يقدر بقدرها.

٦- الحد من حرية التصرف في المال في حالات معينة:

أ- النهي عن الإسراف والتقتير:

يقول الله تعالى

﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الفرقان:٦٧]

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف:٣١]

﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء:٢٧]

ب- النهي عن مجاوزة الحدود التي وضعها الإسلام لنظام الميراث والوصية:

فيقول الله تعالى بعدما بَيَّن نظام الإرث وأنصبة المستحقين **﴿تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾** [النساء: ١٣- ١٤]

فنظام الإرث في الإسلام يقيد حرية مالك المال في التصرف في ماله بعد وفاته فليس له أن يوصي بماله كله بعد وفاته لمن يشاء بل لا ينصرف سلطانه إلا في حدود

ثلث التركة.

وكذلك ليس له أن يحابي بعض المستحقين من ورثته على حساب البعض الآخر.

بل يجري بينهم توزيع التركة طبقًا للفرائض التي قررها الإسلام.

جـ- حق الشفعة:

فحق الشفعة يعتبر قيدًا على حرية المالك في تصرفه في ملكه إذ يجوز لشريك هذا المالك أو لجاره أن يأخذ ما يبيعه ولو جبرًا عنه.

فالشفعة هي حق تملك العقار المبيع ولو جبرًا عن المشتري بما قام عليه من ثمن.

٧- مراعاة حق الجار وتقدير حقوق الارتفاق:

أ- مراعاة حق الجار وعدم الإضرار به

قال النبي ﷺ **«لا يمنع أحدكم جاره أن يغرز خشبه في جداره»** (١)

فما دامت هناك مصلحة للجار وهي في نفس الوقت لا تضر صاحب الملك فمن الواجب على المالك ألا يمنع جاره من قضاء هذه المصلحة.

فمراعاة حق الجار وعدم الإضرار به قيدًا على الملكية يجب مراعاته والعمل على ملاحظته عند استعمالها أو التصرف فيها.

ب- حقوق الارتفاق:

تمثل حقوق الارتفاق قيدا على الملكية إذ يجب على المالك مراعاة هذه الحقوق وإلا أجبر عليها.

والارتفاق هو حق مقرر على عقار لمنفعة عقار آخر مملوك لشخص آخر.

وحقوق الارتفاق المشهورة هي:

حق الشرب، حق المسيل، حق التعلي، حق المجرى، حق المرور.

---

(١) مسلم: كتاب المساقاة والمزارعة / باب غرز الخشب في جدار الجار.

أثر تقرير الملكية الخاصة في التنمية

فحينما يعطي الإسلام لكل إنسان الحق في أن يتملك ما ينتج عن عمله من ثمرات فإنه يضمن بذلك أن توجه القوى والجهود البشرية إلى تحقيق التنمية الاقتصادية وزيادة الثروة داخل المجتمع.

لقد قدر الإسلام الحافز الفردي ليسوق به الإنسان إلى العمارة وليجعله يساهم في تحقيق التنمية بأوفر نصيب – لذا قرر الإسلام الملكية الفردية وأباح للفرد الاستيلاء على حصيلة عمله وتملكه ملكية فردية.

ولكي يحقق النبي ﷺ العمارة والتنمية عمد إلى تشجيع بث الحياة في الأرض الموات وإدخالها حيز الأرض المنتجة التي تضيف إلى الدخل القومي سالكا عدة طرق تصل كلها إلى نهاية واحدة تتمثل في جعل الملكية الفردية للأرض مكافأة لكل من يدخلها حلبة الإنتاج.

❁ ومن هذه الطرق:

١- إحياء الأرض الموات:

والأرض الموات هي الأرض غير المملوكة ملكية فردية وغير المنتفع بها ولم يتعلق بها حق للعامة أو الخاصة.

فهي أرض معطلة عن العمل ولا تستغل بأي وجه من وجوه الاستغلال- فلا هي متخذة مرفقا من المرافق العامة ولا هي مزروعة ولا هي مملوكة لإنسان معين.

وإحياء الأرض يعني نقلها من حالة هي فيها غير منتجة لسبب من الأسباب إلى حالة أخرى تكون فيها منتجة.

فالإحياء وتحقيق التنمية والعمارة هدف في ذاته قبل أن يكون وسيلة للملكية وأن الإسلام يستغل فطرة الإنسان التي فطر عليها من حب التملك وحب الحصول على نتائج عمله في تحقيق الهدف المقصود لذاته وهو التنمية الاقتصادية.

فإن كان الإسلام ينشر الملكية الخاصة فهذا ليس بهدف مقصود وإنما لأنها وسيلة يغري بها الأفراد على بذل الجهد لتحقيق التنمية مما يحقق للمسلمين مجتمع الوفرة والرخاء.

❁ الفوائد الإنمائية لإحياء الأرض وعمارتُها:

أ- حفزهم الأفراد إلى العمل والقضاء على البطالة وذلك باستغلال الطاقات المعطلة في عملية إحياء الأرض واستصلاحها والحصول على ثمارها.

ب- توسيع قاعدة الملكية بين أفراد المجتمع – إذ بإحياء الأرض يصبح الإنسان مالكا لها.

ج- زيادة رقعة الأرض المنتجة – مما يحقق الازدهار وقوة المجتمع الإسلامي وسد حاجات الناس الضرورية.

٢- التحجير:

وهو أن يضع الإنسان أمارة دالة على إرادته إحياء بقعة من الأرض.

فالتحجير شروع في عملية إحياء الأرض- وهو احترام لرغبة الساعين إلى الإصلاح وفيها المحافظة على تحقيق رغباتهم في تعمير الأرض.

ولكن أحقية الإنسان بالأرض التي تحجرها تنتهي وتسقط إذا لم يقم بإحيائها وعمارتها خلال ثلاث سنين.

٣- الإقطاع:

جعل بعض الأراضي الموات مختصة ببعض الأشخاص فيصير بذلك البعض أولى بها من غيره على ألا يكون لأحد اختصاص بها.

وهي أن الإمام يُمَكِّن فردًا أو جماعة من الانتفاع بأرض ليست عامرة ولا يد لأحد عليها ليحميها ويعمرها.

فالنبي ﷺ لم يكتف بالدعوة النظرية إلى إحياء الموات وحفز الهمم للقيام

بذلك وإنما يسلك مسلكًا عمليًا عندما يمارس إقطاع الأرض لبعض من رأى منهم القدرة على عمارتها وإحيائها -والجديد في هذا الطريق أنه يضع الفرد في مواجهة عملية الإحياء مباشرة أي هي تكليف بالإحياء وليس مجرد دعوة إليه.

٤- تملك النباتات الطبيعية للأرض والانتفاع بها:

قال النبي ﷺ «**المسلمون شركاء في ثلاثة: في الماء والكلأ والنار**» (١)

فلقد جاءت النصوص الشرعية لتعطي الإنسان حق ملكية ما يكتسبه ويحصل عليه من هذا الطريق فالحيازة للمال المباح والاستياء عليه يعطي للحائز حق التملك لهذا المال ومن ثم الانتفاع به واستثماره واستغلال خيراته.

ولقد وجه الرسول ﷺ أنظار المسلمين إلى كسب قوتهم وتنمية مواردهم عن طريق الحصول على نباتات الأرض من كلأ وعشب وغيرها.

فيحث الإسلام كل إنسان مسلم قادر على العمل أن يكون له أثر فعال في عملية الإنتاج والتنمية على السواء وألا يكون عالة على المجتمع وحملاً ثقيلاً على غيره.

ويوجه الرسول ﷺ أنظار المحتاجين إلى ما تنبته الأرض من كلأ وحطب وأعشاب وغيرها ليكون طريقًا من طرق الكسب التي يسلكونها لسد حاجاتهم وإشباع رغباتهم وتنمية مواردهم وثرواتهم وهو في هذا يعطيهم حق الملكية الخاصة فيما يسبقون إليه من هذه الموارد المباحة.

طرق كسب الملكية وحمايتها في الشريعة الإسلامية

فلقد أوجب الإسلام على كل إنسان وهو بصدد كسبه للمال أن يسلك في ذلك الطرق المشروعة وأن يبتغي الحلال في كسبه وحيازته للثروة وحذره من أن يقارف عملاً محرمًا وسيلة لكسبه وطريقًا لتحصيل المال- بل أنه مأمور بالبعد عما

(١) أبو داود: كتاب الإجارة / باب في منع الماء.

فيه شبهة صيانة لماله وتطهيرًا لنفسه فإذا ما سلك الإنسان في كسبه للمال الطريق الصحيح واصطبغت الملكية بالصبغة الشرعية أضفى عليها الإسلام حماية وكفل لها الاحترام وأوصد الأبواب في وجه الطامعين فيها ووضع العقوبات الرادعة لكل من تمتد يده بالاعتداء على هذه الملكية وبهذا تصان الحقوق وتحفظ الأموال عن أن يعبث بها عابث أو يطمع فيها طامع.

✿ طرق كسب الملكية:

أسباب الملك تنقسم إلى عدة أقسام:

١- سبب ينشئ الملكية على الأعيان بعد أن لم تكن ثابتة فيها و هذا هو الاستيلاء على الأشياء المباحة ووضع اليد عليها.

٢- أسباب تنقل الملكية من سلطان شخص إلى غيره- ويشمل العقود الناقلة للملكية كالبيع والهبة والصدقة.

٣- سبب يجعل الملكية تنتقل بطريق الخلافة وهو الميراث.

١- كسب الملكية عن طريق الاستيلاء على الأشياء المباحة:

وهذا السبب سبب منشئ للملكية ويحدثها بعد أن لم تكن فمن يضع يده على شيء مباح يصير مالكًا له وقد كان غير مملوك لأحد قبله.

وكسب الملكية عن هذا الطريق له عدة صور هي :

١- الزرع وإحياء الأرض الموات- كما سبق الكلام عليه.

٢- الاستيلاء على الكلأ وحيازته- كما سبق الكلام عليه.

٣- كسب ملكية الصيد عن طريق حيازته والاستيلاء عليه

فالصيد سبب من أسباب الملكية لأنه إحراز لشيء مباح غير مملوك لأحد ومن المعروف أن من سبق إلى مباح صار ملكًا له.

٤- الاستيلاء على المعادن والكنوز

فالمعدن إذا وجد في أرض مملوكة لشخص كان ملكًا لذلك الشخص وإن وجد في أرض مملوكة للدولة فهو للدولة وإن وجد في أرض مباحة غير مملوكة فهو لواجده لأنه مباح تبعًا للأرض فيملك بالاستيلاء عليه غير أن بيت المال له نصيب معين من هذه المعادن اختلفوا في تقديرها.

والكنز إن كان جاهلي أي أنه دفن قبل ظهور الإسلام فهو لواجده ولكن يؤدي خمسه إلى بيت المال.

٢- كسب الملكية عن طريق العقود الناقلة لها

ومن العقود التي تعتبر سببًا من أسباب الملك عقد البيع والهبة والوصية والصلح والزواج إذا كان المهر عينًا من الأعيان والطلاق على مال والإجارة إذا كانت الأجرة عينًا كذلك وغيرها.

والعقود لا تعد سببًا ناقلاً للملكية إلا فيما للمسلم أن يتملكه وهي الأموال المقومة.

والمال المقوم هو ما كان محرزا وأباح الشرع الانتفاع به في حال السعة والاختيار. والعقود الناقلة للملكية لا ترد على الأموال غير المتقومة ولا فيما لا يجوز الانتفاع به شرعا كالخمر والخنزير.

٣- كسب الملكية عن طريق الميراث

فالملكية تنتقل بالخلافة عن المالك والحلول محله فيما يملك (وهذا النوع هو الذي تئول فيه الملكية إلى شخص له صلة بالمالك الذي مات لأن الموت يذهب بالذمة المالية للميت فكان لابد أن ينتقل ما كان له من أموال وحقوق إلى آخر يعده خليفة له وهذه الخلافة تثبت بحكم الشارع لا بإرادة المورث ولا الوارث.

ويعرف الميراث بأنه: الخلافة عن الميت في ماله بسبب قرابة أو زوجية أو ولادة.

❁ الآثار الاقتصادية لنقل الملكية بالميراث:

١- يؤدي إلى تفتيت الثروة تفتيتا هادئا مستمرا ويكفل توزيعها بين الناس توزيعا عادلا ويعمل على تذويب الفوارق بين الطبقات ويحول دون أن تتضخم الثروة وتتجمع في أيدي فئة قليلة ومحدودة من أفراد المجتمع.

❁ ولنظام الميراث في الإسلام مزايا عديدة منها:-

١- نظام الإسلام حرم كل إجراء يؤدي إلى الإخلال بقواعد الميراث وتوعد على ذلك بالعذاب الشديد فبعد أن بين الله تعالى قواعد الميراث والمستحقين في التركة وأنصبتهم قال سبحانه ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء:١٣-١٤]

فالإسلام يمتاز عن النظم التي تعطي صاحب المال حق تعيين المنتفعين بماله من بعده وحق تحديد الأنصباء.

٢- الإسلام عمل على حفظ حق الورثة فلم يسمح لصاحب المال أن يتصرف فيه بالوصية إلا في حدود الثلث وإذا كان لصاحب المال حق التصرف في ثلث ماله عن طريق الوصية فإنه يشترط عدم الانحراف في وصيته فلكي تكون الوصية صحيحة يجب ألا تكون بمعصية وألا يكون الباعث عليها منافيًا لمقاصد الشريعة وألا يقصد بها مضارة الورثة.

٣- الإرث في الإسلام إجباري بالنسبة إلى المورث والوارث فليس للمورث أن يحرم أحد ورثته من ميراثه وليس للوارث أن يرد إرثه من المتوفى.

٤- الإسلام جعل الميراث للأكثر قرابة الذي يعتبر شخصه امتدادًا في الوجود لشخص المورث فالأساس في تقديم بعض الورثة على بعض هو قوة القرابة وشدة الصلة بين الوراث والمورث.

٥- نظام الميراث عمل على حماية المستضعفين من النساء والأطفال وأولاهم من الرعاية ما هم أهل له فجعل للمرأة نصيبًا في التركة، وكذلك جعل للطفل الصغير والحمل في بطن أمه نصيبًا مثل الكبير ولم يجعل للابن الأكبر أية ميزة يمتاز بها عمن يصغره من إخوته.

❁ طرق حماية الملكية وتحريم الاعتداء عليها:

ألزم الإسلام كل إنسان أن يتحرى مصادر الكسب الطيب الحلال وهو بصدد حيازته للمال وحرم عليه مصادر الكسب الخبيث. فإذا ما التزم الإنسان هذا المبدأ واكتسب أمواله بالطرق المشروعة التي أباحها الإسلام كانت ملكيته لهذه الأموال محترمة لا يجوز المساس بها ولا الاعتداء عليها وأسبغ الشارع عليها حمايته وشرع لها من الأحكام ما يكفل أمنها وسلامتها واستقرارها ووضع العقوبات الرادعة لمن يبغي الاعتداء على هذه الملكية المحترمة فيمد إليها يد العبث أو الطمع والإفساد.

❁ احترام الإسلام للملكية وأثر ذلك في حمايتها:

لقد وردت النصوص الشرعية داعية إلى احترام حق الإنسان في ملكيته للمال وآمرة بعدم الاعتداء عليه فمن ذلك:

١- أن الإسلام جعل الحفاظ على المال من مقاصده الخمسة التي يجب المحافظة عليها ورعايتها وهذه الكليات الخمس هي حفظ الدين/ النفس/ المال/ العرض/ العقل

فهذه الأمور من الضروريات التي تقوم عليها حياة الناس والتي يترتب على فقدانها أو عدم الاهتمام بها اختلال حياة البشر ونظامهم.

٢- جاءت الكثير من النصوص ناهية الناس عن الاعتداء على أموال الآخرين بأي لون من ألوان الاعتداء

قال سبحانه ﴿لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ﴾

[النساء:٢٩]

﴿وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٦٨]

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء:١٠]

وقال النبي ﷺ في خطبة الوداع «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا»[1]

ولقد حذر الرسول ﷺ من التحايل على أخذ حق المسلم واستعمال الإنسان لذكائه وفصاحته للوصول إلى ما ليس له.

قال ﷺ «من ظلم شبرا من الأرض طوقه الله من سبع أرضين»[2]

«إن الظلم ظلمات يوم القيامة»[3]

۞ العقوبات التي قررها الإسلام للاعتداء على المال وأثر ذلك في حمايته:

فلقد شرع الإسلام عقوبات لمن يتعدى على حقوق الناس وأموالهم لردعهم عن الاعتداء.

١- العقوبة المقررة لجريمة السرقة

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة:٣٨]

٢- عقوبة قطع الطريق

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ

---

(١) البخاري: كتاب الحج / حجة الودع.

(٢) البخاري: كتاب المظالم والغصب/ باب إثم من ظلم شيئًا من الأرض.

(٣) البخاري: كتاب المظالم والغصب/ باب الظلم ظلمت يوم القيامة.

يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلاَفٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:٣٣]

فهذه عقوبة رادعة لمن أراد ترويع الناس وإخافتهم والاعتداء على مالهم وهي بجانب حمايتها للمال وصاحبه تكفل انتقال الأموال من مكان إلى آخر وهي في مأمن من أن يبغي عليها باغ أو يعتدي عليها معتد وبذلك تنشط التجارة وتزداد المبادلات بين البلاد المختلفة وتنتقل رءوس الأموال من بلد إلى بلد.

٣- عقوبة الغصب

﴿وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٨٨]

ويقوم الحاكم بمعاقبة هذا الغاصب بما يراه من عقوبة رادعة.

❁ ❁ ❁

السؤال الرابع والثمانون

ما الهدف من إنشاء بيت مال المسلمين وما هي موارد ومصارف بيت مال المسلمين؟

الجواب

حيث إن الدولة تحتاج إلى نفقات كثيرة لسد حاجاتها المختلفة وهذه النفقات تغطيها من مواردها المتعددة. فلذا قد دعت الحاجة إلى إنشاء بيت المال لحفظ أموال المسلمين وإحصاء دخل الدولة الإسلامية من مواردها المتعددة وإحصاء مصاريفها ومقدار هذه المصاريف مثل رواتب الجند والعمال والولاة ونحو ذلك من وجوه الصرف على المصالح العامة وحاجات الدولة.

❁ موارد الدولة الإسلامية:

- الزكاة.
- الجزية.
- الخراج.
- العشور.
- الغنائم.
- الفيء.
- موارد أخرى

❁ مصارف بيت المال:

وتصرف أموال بيت المال على حسب نوع المال

فالزكاة وزكاة المعادن وخمس الركاز تصرف في مصارف الزكاة المعتادة

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

والغنيمة على ما ذكر في كتاب الله تعالى

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١].

الفيء - ويقسم على من ذكرهم الله تعالى في سورة الحشر

﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر: ٧].

❁ ❁ ❁

السؤال الخامس والثمانون

الزكاة مورد من موارد بيت المال.تكلم عن أهداف الزكاة وآثارها في حياة الفرد والمجتمع

وكذلك عن أثر الزكاة في التنمية الاقتصادية وأثر الزكاة في توجيه الطلب الاقتصادي؟

الجواب

✿ الزكاة وأثرها في التنمية الاقتصادية:

١- تأثير الزكاة على الإنتاج والاستثمار:

حيث إن فريضة الزكاة على رأس المال والدخل المتولد منه فهذا يدعو إلى عدم ترك الأموال عاطلة دون استغلال مما يشجع الاستثمار.

كما أن إنفاق حصيلة الزكاة على مستحقيها له آثار اقتصادية هامة على الإنتاج والاستثمار.

أ- فمستحقو الزكاة من الفقراء والمساكين سوف ينفقونها في الغالب بقضاء حاجاتهم الاستهلاكية سواء أكانت سلعًا أو خدمات وهذا يؤدي على زيادة الاستهلاك الذي يؤدي إلى استثمار جديد.

ب- إنفاق أموال الزكاة للفقراء والمساكين يستخدم كأداة لمساعدتهم في القيام باستثمارات صغيرة وذلك بمنح الفقراء من أرباب الحرف والمهن بعض رءوس الأموال التي تمكنهم من القيام بمشروعاتهم وبأعمالهم التجارية أو الصناعية والنهوض بها.

جـ- الإنفاق من حصيلة الزكاة لسداد ديون الغارمين فإن هذا يعني أن بيت

المال يضمن للدائن وفاء دينه وفي هذا دعم للائتمان وتشجيعه الأمر الذي له أكبر الأثر على تمويل التنمية الاقتصادية.

د- الإنفاق في الرقاب من شأنه أن يحرر قوى عاملة لا بأس بها لتساهم في الأعمال الاقتصادية المختلفة بما يعود عليهم وعلى المجتمع بأسره بمزيد من الإنتاج الذي من شأنه أن تزيد من فرص الاستثمار والتنمية.

٢- دور الزكاة التوزيعي وأثره في التنمية الاقتصادية:

للزكاة دور كبير في إعادة توزيع الدخل بين الأفراد وذلك بتأثيرها على دخول الأفراد التي تصرف لهم الزكاة ودخول من تجب عليهم الزكاة.

ويمكن القول بأن للزكاة أثرًا واضحًا في إعادة توزيع الدخل بالنسبة لمن تصرف له فهي تغطي كل أهداف التضامن والتكافل الاجتماعي فضلاً على أنها دخلاً مناسبًا للمحتاج يسمح له بمواصلة النشاط الاقتصادي.

❁ أثر الزكاة في توجيه الطلب الاقتصادي:

الطلب الاقتصادي عبارة عن مجموعة طلبات الأفراد الذين يرغبون في السلع ويمكنهم دفع ثمنها ويتقدمون فعلاً لشرائها.

فالزكاة تضيف دخولاً إلى دخول موجودة بالفعل أو توجد دخولاً جديدة فيؤدي ذلك إلى زيادة الطلب على السلع الاستهلاكية فيترتب على ذلك في جانب العرض زيادة في عرض السلع والتوسع في إنتاجها فتنشط الصناعات القائمة عليها ويحتمل قيام مشروعات جديدة لمواجهة ذلك الطلب ومن ثم يزداد الطلب على رءوس الأموال لتثميرها في هذه الصناعات.

والطلب الذي تخلقه الزكاة يعتبر قوة شرائية جديدة على آليات جهاز السوق وعناصر التوزيع فيه فالقوة الشرائية الجديدة هي التي لم تكن تملك وصار لها نوع ملك لنصيبها المستحق من الزكاة.

وديمومة الزكاة يترتب عليه استمرار دورة نقدية أو تيار نقدي دائم أيا كان حجمه مما يشكل ضمانه أساسية ضد مخاطر الركود الاقتصادي على الأقل -وهذا التيار النقدي الدوري الدائم يؤدي إلى زيادة حقيقية في مكونات العملية الاقتصادية إذ تذهب هذه القوة الشرائية إلى إشباع أو سد الحاجات الأساسية.

۞ الزكاة أداة جبرية لإعادة توزيع حقيقي:

حيث هذا الجزء الذي يقتطع من المزكي يصل إلى الأصناف التي حددها الله في كتابه مما يشكل إعادة حقيقية لتوزيع الثروات.

۞ أثر الزكاة في تحقيق التوازن الاجتماعي:

والزكاة تعويد للمسلمين عن البذل واتقاء الشح والبخل

قال تعالى ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۝١ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۝٢ وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الماعون:١-٣]

﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة:٢١٩]

وقال تعالى ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران:١٨٠]

والزكاة تطيب بها النفوس مما يحد من سوء العلاقة التي من الممكن أن تنشأ بين الأغنياء والفئات المستحقة للزكاة.

فبالزكاة تقوى روح الإخلاص والتفاهم بين فئات المجتمع بل والمجتمعات- وبذلك يحصل التضامن الاجتماعي.

۞ أثر الزكاة وفرضيتها من الناحية الخلقية والنفسية:

١- الآثار النفسية.

أ- إزالة الخوف والقلق والعمل باطمئنان من مفاجآت المستقبل.

ب- إيجاد الثقة بالنفس والشعور بالكرامة التي كرم الله بها الإنسان

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الإسراء:٧٠]

ج- وتخفيف أسباب الحقد والكراهية من الفقراء للأغنياء.

٢- الآثار الخلقية:

أ- حفظ روح المبادأة والاعتماد على النفس.

ب- التفاهم والتعاون.

ج- الإخلاص والولاء.

❁ أهداف الزكاة وآثارها في حياة الفرد والمجتمع:

١- أهداف الزكاة وآثارها في حياة الفرد:

- هدف الزكاة وأثرها في المعطي:

فليس هدف الإسلام من الزكاة جمع المال فحسب وليس هدفه منها مساعدة الفقراء ذوي الحاجات والضعفاء وإقالة عثرتهم فحسب ولكن لها أثر إيجابي على المعطي- قال الله تعالى

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة:١٠٣]

- الزكاة تطهير من الشح:

حيث إن الإنسان مفطور على حب التملك وحب الذات وحب البقاء وكان من آثار هذه الغرائز أو النوازع الشح (شح الإنسان بما في يده) وحبه الاستئثار بالخيرا والمنافع دون الناس - ولذلك وصف الله تعالى الإنسان بالشح والتقتير

﴿وَكَانَ الإنسَانُ قَتُورًا﴾ [الإسراء:١٠٠]

﴿وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ﴾ [النساء:١٢٨]

والشح آفة خطيرة على الفرد وعلى المجتمع

قال الله تعالى ﴿**وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [الحشر:٩] [التغابن:١٦].

وقال النبي ﷺ «**إياكم والشح فإنما أهلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالفجور ففجروا**»(١)

فإن كانت الزكاة تحقق تطهير النفس من الشح فإنها تحقق معنى التحرر- تحرر الإنسان من ذل التعلق بالمال والخضوع له ومن تعاسة العبودية للدنيا والدرهم فإن الإسلام يحرص على أن يكون المسلم عبدًا لله وحده متحررًا من الخضوع لأي شيء سواه سيدًا لكل ما في هذا الكون من عناصر وأشياء.

قال النبي ﷺ «**تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد القطيفة تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش**»(٢)

- الزكاة تدريب على الإنفاق والبذل:

فهي تدريب على خلق البذل والعطاء والإنفاق. ومن ثم كان هذا الخلق من أوصاف المؤمنين المتقين. كما قال الله تعالى ﴿**الم ۝ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾ [البقرة :١-٣]

والآيات الدالة والحاثة على الإنفاق كثيرة في كتاب الله تعالى

- الزكاة شكر لنعمة الله:

فهو اعتراف الإنسان بفضل الله ومنته عليه فلابد من مقابلة هذا الفضل وتلك النعمة بواجب الشكر.

---

(١) أبو داود: كتاب الزكاة / باب في الشح.

(٢) ابن ماجه: كتاب في الزهد / باب في المكثرين.

البخاري: كتاب الرقاق / باب ما يتقى من فتنة المال.

- علاج القلب من حب الدنيا:

قال تعالي ﴿أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن:١٥]

﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ﴾ [الفجر:١٥]

فالزكاة تدريب للمسلم على مقاومة فتنة المال وفتنة الدنيا بإعداد النفس بالبذل امتثالاً لأمر الله وسعيًا في مرضاته سبحانه.

- الزكاة تطهير للمال ونماء للمال:

«ما منع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا المطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا»[1]
قال تعالى ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة:٢٧٦]

۞ هدف الزكاة وأثراها في الآخذ:

- الزكاة تحرير لآخذها من ذي الحاجة:

فالناس إذا توافرت لهم كفايتهم وكفاية من يعولونه استطاعوا أن يطمئنوا في حياتِهم ويتجهوا بالعبادة الخاشعة إلى ربهم الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف.

إن شعور الفقير أنه ليس ضائعًا في المجتمع وأن مجتمع يهتم به ويرعاه كسب كبير لشخصيته وزكاة لنفسيته.

- الزكاة تطهير من الحسد والبغضاء.

٢- أهداف الزكاة وآثارها في حياة المجتمع

فالزكاة جزء من نظام التكافل الاجتماعي.

۞ ۞ ۞

---

(١) ابن ماجه: كتاب الفتن / باب العقوبات.

السؤال السادس والثمانون

«لقد عدد الله تعالى لنا في كثير من الآيات الثروات الطبيعية وعناصر الإنتاج التي خلقها الله تعالى لإشباع حاجات الإنسان وسخرها لمنفعته والتي أنعم الله بها على عباده لينتفعوا بها في معيشتهم وليستغلوها في شئون حياتهم وحقيقة الإنتاج هو تناول الموارد الطبيعية بالتحويل والتحوير والتبديل بحيث تصير تلك الموارد في شكلها النهائي مالكة لخاصية إشباع الحاجيات أي تصير سلعًا تؤدي إلى إشباع حاجات المستهلكين. والطريق المعتمد لتداول هذه السلع بين الناس يكون عن طريق التجارة.

فتكلم عن مفهوم التجارة في الإسلام؟ وما هي التوجيهات والضوابط والقواعد التي أرساها الإسلام في مجال المعاملات الإسلامية والتي ينبغي أن يلتزم بها المسلم في معاملاته وتجارته؟ وما هي القيود الواردة على حرية التجارة؟

الجواب

مفهوم التجارة في الإسلام وتوجيهاته بشأنها

- مشروعية التجارة في الإسلام ودعوته إليها

لقد أباح الإسلام التجارة بالنص القرآني الذي يصرح بأن التجارة ليست أكلاً لمال الناس بالباطل قال سبحانه ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النساء:٢٩]

وقال سبحانه ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ [البقرة:٢٨٢]

ولم يقف الإسلام عند حد إباحة التجارة بل إنه قد دعا إليها وحث المسلمين على الاكتساب من طريقها ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن

فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة:١٠]

وقال النبي ﷺ «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء» (١)

❁ التوجيهات والضوابط الإسلامية في مجال المعاملات الإسلامية:

وضع الإسلام جملة من القواعد والأسس التي يجب على المسلمين أن يلتزموا بها في معاملاتهم وتجارتهم فالمعاملات كالعبادات مجال عبودية يتعبد العبد لربه سبحانه من خلالها.

❁ التوجيهات والإرشادات والضوابط:

١- ألا يخالف العمل بالتجارة مقاصد الشريعة في العبادة:-

فمن الواجب على المسلمين ألا تلهيهم التجارة عن ذكر الله و أداء.فرائضه وإقامة شعائر الإسلام.

فالتجارة وإن كانت ممدوحة باعتبار كونها من المكاسب الحلال فإنها قد تذم إذا قُدمت على ما يجب تقديمه عليها فلقد عاتب الله تعالى على ما وقع من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة إلى التجارة التي قدمت المدينة يومئذ فقال تعالى ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة:١١]

ولقد وصف الله عباده المؤمنين بقوله

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور:٣٧-٣٨]

قال قتادة «كان القوم يتبايعون ويتجرون ولكنهم إذا نابهم حق من حقوق الله لم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله حتى يؤدوه إلى الله»

---

(١) ابن ماجه: كتاب التجارات / باب الحث على المكاسب.

وهذا التوجيه الإسلامي يجعل من التاجر إنسانا دائم الصلة بالله لا تلهيه تجارته عن أداء فرائض الله ولا تنسيه القيام بحقوق ربه فهو عامل عابد ولا شك أن ذلك يؤثر على أخلاقه وسلوكه فيجعله متقيا لله في بيعه وشرائه فيسعد ويسعد به مجتمعه.

٢- التحري في كسب المال:

يوجب الإسلام على التاجر أن يتحرى الحلال في كسبه وأن يبتعد عن التجارة فيما حرم الله تعالى ونهى عنه رسوله ﷺ ويحذر النبي ﷺ من ترك التحري في المكاسب فيقول النبي ﷺ **«يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه أمن الحلال أم من الحرام»**[1]

وفي رواية **«يأتي على الناس زمان ما يبالي الرجل من أين أصاب المال من حل أو من حرام»**.

ويرغب النبي ﷺ المسلمين في طلب الحلال والابتعاد عما حرم الله تعالى فقال ﷺ **«إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال «يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا إنّي بما تعملون عليم» وقال «يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم» ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنّى يستجاب لذلك»**[2]

٣- قيام التجارة على التراضي:

فالإسلام يهتم بأن يكون التعاقد بين الناس نتيجة إرادة حرة مبعثها رضا الطرفين وموافقتهما على إتمام التعاقد.

والقرآن عندما أباح التجارة ذكر وصف التراضي فيها

---

(١) البخاري: كتاب البيوع / باب من لم يبال من حيث كسب المال.

(٢) مسلم: كتاب الزكاة / اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النساء:٢٩]

والمعنى أن البائع والمشتري كلا منهما مختارًا – فإذا كان أحدهما مضطرا إلى الشراء بأي ثمن فإن عنصر الرضا لا يكون قائما ولذلك كان الاحتكار والتجارة نقيضين لا يجتمعان لأن الاحتكار لا يعتمد على الرضا بل يعتمد على الاضطرار.

ولذا أوصى النبي ﷺ الرجل الذي شكى له أنه يخدع في المعاملات أن يقول عند بيع وشرائه لا خلابة أي لا خديعة.

٤- التجارة في الإسلام من قبيل التعاون الإنساني والتكافل الاجتماعي:

لأن خيرات الأرض تختلف باختلاف البلاد والأقاليم حرًّا وبردًا وتختلف باختلاف نوعية الأرض والإسلام قد حرض على التعارف الإنساني وذكر سبحانه أن اختلاف الناس شعوبا وقبائل ليتعارفوا لا ليتناكروا فقال سبحانه

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

٥- السماحة في التعامل:

يحرص الإسلام على ترشيد سلوك الإنسان وهو يتعامل مع غيره ويهدف إلى إقامة التعامل بين الناس على أساس متين من الحب والمودة وحسن الخلق.

والإسلام يوصي بالسماحة في المعاملات كلها بيعًا وشراء واقتضاء وقضاء- ولذا قال النبي ﷺ **«رحم الله سمحًا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى»**[(١)]

٦- التلطف في استيفاء الدين والأمر بحسن قضائه:

لذا قال الله تعالى ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٨٠]

---

(١) البخاري: كتاب البيوع / السهولة والسماحة في الشراء والبيع.

وقال النبي ﷺ «**كان تاجر يداين الناس فإذا رأى معسرًا قال لفتيانه تجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه**»(١)

وقال النبي ﷺ «**من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه**»(٢)

وقال ﷺ «**من أنظر معسرًا أو وضع له أظله الله في ظل عرشه**»(٣)

وكما حث الإسلام الدائن على التلطف والإحسان في استيفاء دينه ورغبه في إنظار المعسر والتجاوز عنه فإن من جهة أخرى يأمر المدين بالإحسان في توفية ما عليه من الديون.

فبجانب الأحكام العملية التي قررتها الشريعة الإسلامية لاستيفاء الديون فإن الإسلام يضيف إلى الأحكام العملية حكما أخلاقيا فيحث الناس على أدائها.

وقال النبي ﷺ «**مطل الغني ظلم وإذا اتبع أحدكم على مليء فليتبع**»(٤)

وقال ﷺ «**من أخذ أموال الناس لا يريد أداءها أدى الله عنه ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله**» (٥).

٧- وجوب الصدق في التعامل:

قال النبي ﷺ «**التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء**»(٦)

وقال ﷺ «**يا معشر التجار**» فاستجابوا لرسول الله ﷺ ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه فقال «**إن التجار يبعثون يوم القيامة فجارًا إلا من اتقى الله وبر**

---

(١) البخاري: كتاب البيوع / باب من أنظر معسرًا.

(٢) مسلم: كتاب المساقاة/ باب فضل إنظار المعسر والتجاوز في الاقتضاء.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل (٨٦٩٦).

(٤) البخاري: كتاب الاستقراض / باب مطل الغني ظلم.

(٥) البخاري: كتاب الاستقراض/ باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها.

(٦) ابن ماجه: كتاب التجارات / باب الحث على المكاسب.

وصدق»[1]

وقال ﷺ «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقًا وبينا بورك لهما في بيعهما وإنْ كتما وكذبا محقت بركة بيعهما»[2]

فالصدق في التعامل يغرس الثقة في نفوس المتعاملين ويبعث الاطمئنان في قلب كل من البائع والمشتري ويجعلهما على بينة من أمرهما فإن شاءا أتما البيع وإن شاءا لم يتماه.

٨- الدعوة إلى التناصح بين المتعاملين:

قال النبي ﷺ «الدين النصيحة» قيل لمن يا رسول الله؟ قال «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[3]

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال بايعت رسول الله ﷺ على السمع والطاعة وأن أنصح لكل مسلم.

وكان رضي الله عنه إذا باع الشيء أو اشترى قال أما إن الذي أخذناه منك أحب علينا مما أعطيناك فاختر.[4]

فالإسلام يبني المعاملات على الثقة والبيان والوضوح حتى يكون الناس في اطمئنان تام لما يقدمون عليه من أمور بيعهم وشرائهم.

٩- الدعوة إلى إقالة النادم عثرته:

قد يشترى الإنسان شيئًا أو يبيع سلعة ثم يشعر بعد تمام الصفقة بالندم على عقده لها فيريد العدول عنها فيلجأ إلى من تعامل معه يطلب منه الإقالة من البيع فالإسلام يحث على قبول الإقالة وذلك دفعًا للضيق والحرج الذي يقع فيه طالب

---

(١) ابن ماجه: كتاب التجارات / باب التوقي في التجارة.

(٢) البخاري: كتاب البيوع / باب ما يمحق الكذب.

(٣) مسلم: كتاب الإيمان / باب بيان الدين النصيحة.

(٤) المنذري: الترغيب والترهيب.

الإقالة.

قال رسول الله ﷺ **«من أقال مسلمًا بيعته أقال الله عثرته يوم القيامة»**(١).

١٠- المنع من ترويج السلعة بالحلف والثناء عليها:

يغلق الإسلام على التاجر باب ترويج سلعته عن طريق مدحها والثناء عليها والحلف على ذلك بالأيمان الكاذبة.

قال النبي ﷺ **«ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم قال المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»**(٢)

وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه أن رجلاً أقام سلعة وهو في السوق فحلف بالله لقد أعطي بها ما لم يعط ليوقع فيها رجلاً من المسلمين فنزلت ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾(٣)

وقال النبي ﷺ **«الحلف منفقة للسعة ممحقة للبركة»**(٤)

وأوضح الحديث أن الحلف الكاذب وإن زاد في المال فإنه يمحق البركة.

وبالتحذير من الحلف والثناء على السلعة فقد سد الإسلام على البائع بابا خطيرا من أبواب التغرير بالمشتري وخداعه.

١١- التحذير من خيانة الشريك لشريكه:

لقد حث الإسلام جميع الشركاء على مراعاة الأمانة والإخلاص في العمل وحذر من أن يخون الشريك شريكه أو يغدر به

---

(١) ابن ماجه: كتاب التجارات / باب الإقالة.

(٢) مسلم: كتاب الإيمان / ثلاثة لا ينظر الله إليهم ولا يزكيهم.

(٣) البخاري: كتاب البيوع / باب ما يكره من الحلف في البيع.

(٤) البخاري: كتاب البيوع / باب (يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم.

فعن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ **«يقول الله تعالى أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه فإذا خان خرجت من بينهما»**(١)

١٢- النهي عن التجارة فيما حرم الله:

فيجب على التاجر المسلم أن يبتعد في تجارته عما نهى عنه الإسلام وحذر من تناوله أو التعامل فيه.

قال النبي ﷺ **«إن الله حرم بيع الخمور والميتة والخنزير والأصنام»** فقيل يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فإنه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس؟ فقال **«لا هو حرام»** ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك **«قاتل الله اليهود إن الله لما حرم شحومها جملوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه»**(٢)

بل إن الإسلام نهى عن بيع الأشياء المباحة إذا علم البائع أن مشتريها سوف يستعملها فيما حرم الله فالعنب حلال ولكنه لا يجوز بيعه لمن يتخذه خمرًا وبيع السلاح حلال ولكن لا يجوز بيعه في زمن الفتنة.

فكل ما حرمته الشريعة الإسلامية يتحتم على التاجر المسلم أن يتجنب التجارة فيه حتى يكون كسبه حلالاً طيبًا بعيدًا عن شبهة الحرام.

١٣- التحذير من التحايل على الحرام:

قال النبي ﷺ **«إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»**(٣)

والعينة أن يبيع التاجر سلعته بثمن إلى أجل ثم يشتريها من المشتري بأقل من ذلك الثمن.

---

(١) أبو داود: كتاب البيوع / باب في الشركة.

(٢) ابن ماجه: كتاب التجارات / باب ما لا يحل بيعه.

البخاري: كتاب البيوع/ باب بيع الميتة والأصنام.

(٣) أبو داود: كتاب الإجارة / باب بيع العينة.

وقال النبي ﷺ **«لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا ثمنها وإن الله إذا حرم على قوم أكل شيء حرم عليهم ثمنه»**[١]

ففي الحديث دليل على إبطال الحيل والوسائل إلى المحرم وأن كل ما حرمه الله على العباد فبيعه حرام لتحريم ثمنه فلا يخرج من هذه الكلية إلا ما خصه دليل.

وبهذا يكون الإسلام قد سد على التجار أبواب التحايل والخديعة والمكر حتى تظل حياة المسلمين يسودها جو المحبة والنقاء وتعمها الطهارة في القلوب وفيما تكتسبه الأيدي.

١٤- التحذير من ترويج النقود الزائفة:

فكما حرم الإسلام الغش في السلعة حرم الغش في النقد ومنع تداوله

فترويج النقود الزائفة غش والغش من الأمور الممنوعة في الإسلام يقول النبي ﷺ **«من غشنا فليس منا»**[٢].

١٥- منع البيوع المؤدية إلى الضرر:

كبيع الملامسة، بيع المنابذة، بيع الحصاة

وكل أنواع بيوع الغرر التي مبناها على الغرر والجهالة.

١٦- النهي عن استغلال النفوذ للوصول إلى الربح:

يحذر الإسلام من استغلال النفوذ في سبيل امتلاك شيء من الأشياء أو الحصول على ربح أو منفعة من وراء ذلك.

حديث ابن اللتبية[٣] حين استعمله النبي ﷺ على الصدقة فجاء فقال هذا لكم وهذا أُهدي لي فقام النبي ﷺ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال **«ما بال العامل**

---

(١) البخاري: كتاب البيوع / باب لا يذاب شحم الميتة ولا يباع ودكه.

(٢) مسلم: كتاب الإيمان / باب من غشنا فليس منا.

(٣) البخاري: كتاب الزكاة / هدايا العمال.

نبعثه فيجيء فيقول هذا لكم وهذا أُهدي لي ألا (هلا) جلس في بيت أمه أو أبيه فينظر أيهدى له أم لا» ...

ومن مظاهر استغلال النفوذ فيما يختص بالمعاملات (في العصر الحديث) سيطرة الشركات وأصحاب رءوس الأموال على الحكم بحيث تجعل هذا الحكم يسن القوانين التي تخدم هذه الشركات ويصبح الشعب كله مستغلاً من قبلها.

لذلك حرص بعض الخلفاء المسلمين على منع الولاة من ممارسة التجارة أثناء توليهم لمهام أعمالهم.

١٧- التحذير من بخس المكيال والميزان:

ولقد أمرنا القرآن في العديد من آياته بأن نوفي الكيل ولا نخسر الميزان مما يضمن وصول الحق لمستحقيه دون بخس أو نقصان.

١٨- إظهار ما في المبيع من عيوب:

قال النبي ﷺ **«لا يحل لمسلم باع من أخيه بيعًا فيه عيب إلا بينه له»**[1]

وقال عقبة بن عامر ﷺ مرفوعًا **« المسلم أخو المسلم ولا يحل لمسلم باع من أخيه بيعا فيه غش إلا بينه له»**[2]

فإن أخفى البائع من عيوب السلعة شيئا كان ظالما غاشا – والغش حرام

١٩- النهي عن الخداع في سعر السلعة:

لذلك نهى النبي ﷺ عن النجش وكذلك نهى عن تلقي الركبان حتى ينزلوا السوق فيقفوا على حقيقة السعر منه قبل أن يبيعوا سلعهم لأن بيعهم قبل النزول إلى السوق قد يكون فيه ضرر لهم خصوصا إذا غرر بهم المشتري.

وفي هذا التوجيه الإسلامي ضمان كاف لكل من البائع والمشتري أن يأخذ

---

(١) ابن ماجه: كتاب التجارات / باب من باع عيبًا فليبينه.

(٢) البخاري: كتاب البيوع / باب إذا بين البيعان ولم يكتما ونصحا.

حقه دون أن يَظلم أو يُظلم.

۞ القيود الواردة على حرية التجارة:

فالشريعة الإسلامية لم تطلق العنان للتاجر لكي يفعل ما يشاء أو يتصرف كما يحب دون أن يراعي مصلحة الناس وإنما قيدت تصرفاته ومعاملاته لتكون في إطار تحقيق المصلحة وعدم الإضرار بالآخرين.

فإذا ترتب على تصرف التاجر أي ضرر بادرت الشريعة لمنعه والقضاء عليه لأنها جاءت لتحقيق مصالح الناس جميعًا.

وقد يعمد بعض التجار إلى رفع ثمن السلعة لشدة حاجة الناس إليها أو إلى حبسها واحتكارها انتظارًا لغلائها وهنا تتدخل أحكام الشريعة لمنع هذه الظاهرة والقضاء عليها إذ ليست للتاجر الحرية في أن يفعل هذا وليس من حقه الإضرار بالآخرين أو استغلال ظروفهم.

لذلك نهى النبي ﷺ عن الاحتكار فقال ﷺ **«من احتكر حكرة يريد أن يغلي بها على المسلمين فهو خاطئ»**[1].

۞ ۞ ۞

(١) أبو داود: كتاب الإجارة / النهي عن الحكرة.

٧- نظام الجهاد

(٨٧- ٩٠)

٧- نظام الجهاد

السؤال السابع والثمانون

قال الله تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا استَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾

فالجهاد من فروض الإسلام- ولقد أمر الله تعالى بأخذ العدة اللازمة له فهو ضروري لبقاء المسلمين أمة قوية مرهوبة الجانب بعيدة عن أطماع الطامعين وحقد الحاقدين من الكافرين والمنافقين.

فما معنى الجهاد لغة واصطلاحًا مع بيان أنواع الجهاد ومتى يكون الجهاد فرض كفاية ومتى يكون فرض عين؟ مع بيان أهداف الجهاد وغايته؟

الجواب

الجهاد:

لغة- بذل الإنسان جهده وطاقته.

اصطلاحًا- بذل المسلم طاقته وجهده في نصرة الإسلام ابتغاء مرضاة الله

﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾[النساء:٧٦]

ولقد سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء فأي ذلك في سبيل الله ؟ فقال ﷺ «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»[1].

---

(١) البخاري: كتاب الجهاد والسير / باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا.

❁ أنواع الجهاد:

١- جهاد اللسان ببيان شرائع الإسلام ودحض الأباطيل المفتراة على الإسلام.

٢- الجهاد بالمال بإنفاقه في وجوه الخير والبر لا سيما على الغزاة والمقاتلين في سبيل الله بشراء العتاد والسلاح والأرزاق لهم.

٣- الجهاد بالنفس وذلك بمقاتلة أعداء الله تعالى .

وإذا أطلق الجهاد فإنه يراد به القتال.

❁ والجهاد بالنفس

هو من فروض الكفاية في الأحوال الاعتيادية. أما في حالة احتلال الكفرة بلدا من بلاد الإسلام يصير فرض عين.

قال الله تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]

ويستحب لكل مسلم أن يتعلم ما يستطيعه من أمور القتال كالرمي والطعن واستعمال السلاح مبتغيًا بذلك وجه الله تعالى ويعلمه للآخرين.

❁ ❁ ❁

السؤال الثامن والثمانون

الجهاد ركن من أركان الإسلام الذي لا استقامة للإسلام ولا قوام لشرائعه إلا به حيث أن الصراع بين الحق والباطل سنة جارية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

تكلم عن مكانة الجهاد وأهميته في الإسلام وما هي الآثار الناجمة عن ترك الجهاد؟

الجواب

الجهاد ضروري لبقاء المسلمين أمة قوية مرهوبة الجانب بعيدة عن أطماع الطامعين والحاقدين من الكافرين والمنافقين. كما أن الجهاد بنفسه دليل قاطع على إيمان المسلم ومبادرته إلى ما يحبه الله تعالى وإيثاره مرضاته وما عنده.

ولهذا وبخ الله تعالى من يتقاعس عن الجهاد

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ [التوبة:٣٨]

ولذا قال الفقهاء في بيانهم لعظم وأهمية الجهاد.

المقام في ثغور المسلمين أفضل من المجاورة في المساجد الثلاث المسجد الحرام/ المسجد النبوي/ المسجد الأقصى.

وترك الجهاد سبب المذلة والهوان وضياع الديار وتسليط الكفرة على بلاد الإسلام قال الله تعالى **﴿إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** [التوبة:٣٩]

وقال النبي ﷺ **«إذا تبايعتم بالعينة واتبعتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا يرفعه حتى تراجعوا دينكم»**[(١)]

---

(١) أبو داود: كتاب الإيجار / باب بيع العينة.

والجهاد ركن من أركان الإسلام الذي لا استقامة للإسلام ولا قوام للشريعة إلا به وهو ذروة سنام الدين.

ولقد وردت الآيات الكثيرة وكذا الأحاديث النبوية في بيان فضل الجهاد في سبيل الله ومكانة الجهاد في الإسلام وبيان لفضائل الشهداء والمرابطة في سبيل الله تعالى.

❁ فمن القرآن:

قال سبحانه

﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَ تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:١٥٤]

﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:١٦٩-١٧١]

﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٧٤]

﴿ لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:٩٥-٩٦]

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [التوبة:٤١]

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ

اللَّه فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:١١١]

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف:٤]

ومن السنة النبوية:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: دلني على عمل يعدل الجهاد قال: **«لا أجده»** قال: **«هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر»** قال: ومن يستطيع ذلك؟ قال أبو هريرة: إن فرس المجاهد ليستن في طوله فيكتب له حسنات [١]

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال- قيل: يا رسول الله أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله ﷺ **«مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله»** قالوا ثم من؟ قال **«مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شره»**[٢]

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ **«لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها»**[٣]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال **«والذي نفسي بيد لا يكلم أحد في سبيل الله- والله أعلم بمن يكلم في سبيله- إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم والريح ريح المسك»**[٤]

عن عبد الرحمن بن جبر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال **«ما اغبرتا قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار»**[٥]

---

(١) البخاري: كتاب الجهاد والسير / باب فضل الجهاد والسير.
(٢) البخاري: كتاب الجهاد في السير / باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله.
(٣) البخاري: كتاب الجهاد والسير / باب الغدوة والروحة في سبيل الله.
(٤) البخاري: كتاب الجهاد والسير / باب من يخرج في سبيل الله.
(٥) البخاري: كتاب الجهاد والسير / باب فضل رباط يوم في سبيل الله.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ «من احتبس فرسًا في سبيل الله إيمانًا بالله وتصديقا بوعده فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة» (١)

❁ **الترهيب من ترك الجهاد وبيان عواقبه:**

ولقد بين النبي ﷺ أن ترك الجهاد علامة من علامات النفاق

«من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق»(٢)

وقال سبحانه

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨١-٨٢]

❁ **ومن عواقب ترك الجهاد:**

١- سبب للهلاك في الدنيا والآخرة والذل والهوان وسبب للبلاء:

قال النبي ﷺ «إذا تبايعتم بالعينة واتبعتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا يرفعه حتى تراجعوا دينكم»(٣)

قال النبي ﷺ «إذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة واتبعوا أذناب البقر وتركوا الجهاد في سبيل الله أنزل الله بهم بلاء فلم يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم» (٤).

وقال ﷺ «من لم يغز أو يجهز غازيًا أو يخلف غازيًا في أهله بخير أصابه الله بقارعة يوم القيامة»(٥)

---

(١) البخاري: كتاب الجهاد والسير / باب من احتبس فرسًا في سبيل الله.
(٢) مسلم: كتاب الإمارة / باب ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو.
(٣) أبو داود: كتاب الإيجار / باب بيع العينة.
(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل (٤٨٢٥).
(٥) أبو داود: كتاب الجهاد / باب كراهية ترك الغزو.

٢- ترك الجهاد سبب لعذاب الله وبطشه:

قال تعالى ﴿إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة:٣٩]

٣- ترك الجهاد سبب لإفساد أهل الأرض:

قال سبحانه ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة:٢٥١]

وقال سبحانه ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج:٤٠]

٤- بترك الجهاد يفوت مصالح عظيمة:

كالأجر والثواب والشهادة والمغنم وإذلال الكافرين وإعزاز المسلمين.

❁ ❁ ❁

فالصراع بين الحق والباطل سنة جارية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

قال تعالى ﴿وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة:٢١٧]

والكثير من البشر لا ينقادون لحق بدون قوة تحملهم على ذلك فلا ينقمع الشر والفساد إلا بقوة ترهب الأعداء وتكسر شوكتهم.

قال سبحانه ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال:٦٠]

وبين الله تعالى بأنه لولا جهاد المسلمين للكافرين لفسدت الأرض ولهدمت المساجد.

﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة:٢٥١]

﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٤٠]

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد:٢٥]

❁ قال ابن كثير (رحمه الله):

«وجعلنا الحديد رادعًا لمن أبى الحق وعانده من بعد قيام الحجة عليه ولهذا أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه السور المكية وكلها جدال مع المشركين وبيان وإيضاح للتوحيد وتبيان ودلائل فلما قامت الحجة على من خالف شرع الله الهجرة وأمرهم بالقتال بالسيوف وضرب الرقاب والهام لمن خالف القرآن وكذب به وعانده».

ولنعلم

أن الدين الإسلامي لا يتحقق في أنفس المسلمين ولا في واقع الناس إلا بالجهاد بجميع أنواعه.

❁ دوافع القتال:

ودوافع الجهاد الإسلامي هي إعلاء كلمة الله وتحرير الناس من ذل العبودية للبشر إلى عز العبودية لله ونشر العدل بين الناس.

ولنعلم أن الجهاد سبب لإقامة الدين وسبب لإصلاح الأرض.

قال سبحانه ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة٢٥١]

وكذا قال سبحانه

﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ

يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[الحج: ٤٠-٤١]

۞ فمن أهداف الجهاد:

إزالة الطواغيت وتحطيم الأنظمة الفاسدة التي تصرف الناس عن اتباع الحق- ولا شك أن رفع هذه العوائق وسيلة كبرى لانتشار الإسلام ولولا الجهاد لم ترتفع لأن الطواغيت لهم قوة مادية فلا يزيلها إلا قوة مادية.

۞ ومن مصالح الجهاد:

١- إعلاء كلمة الله وإقامة دينه وعزة أنصاره وإنفاذ أحكامه.

٢- إنقاذ الهالكين في الكفر والضلالة وعبادة الأصنام والأنداد وإخراجهم من ظل الكفر إلى نور الإسلام ومن طريق النار إلى طريق وسبيل الجنة ومن رق الشيطان إلى عبادة الرحمن.

٣- ابتلاء الله تعالى عباده واختبارهم بتكليفهم بالقتال وبذلهم النفوس والأموال في طاعة الله.

قال تعالى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾

٤- ما يترتب على ذلك من عظم المثوبات ورفعة الدرجات بما بذلوا من مهجهم وأموالهم في طاعة الله ونصرة دينه.

۞ ۞ ۞

السؤال التاسع والثمانون

«الجهاد في الإسلام دفاعي لا هجومي»

فما مدى صحة هذه العبارة مع بيان التصحيح – وأن المسلم لا ينفك عن الجهاد في سبيل الله فهو في جهاد دائم؟

الجواب

لاشك أن قول القائل أن الجهاد في الإسلام دفاعي لا هجومي قول غير سديد وينقصه التحقيق والتدقيق.

وهذا ما ابتدعه تلاميذ المستشرقين ومن سار على نهجهم فهي بدعة منكرة تخالف الكتاب العزيز والسنة الصحيحة وإجماع سلف الأمة (من أن الجهاد في الإسلام للدفاع فقط وأن المسلمين لا يجوز لهم أن يغزوا الكفار لأجل إخضاعهم لسلطان الإسلام وإعلاء كلمة الله على كلمتهم إلا إذا سبق الكفار بالاعتداء على المسلمين).

وكان السبب في انتشار ونشر هذه البدعة أن أعداء الإسلام من المبشرين والمستشرقين حملوا على الإسلام حملة شعواء قوامها أن الإسلام انتشر بالسيف بينما انتشرت المسيحية بالمحبة والسلام فأراد بعض من تأثر بالغرب وبحضارته ومفاهيمه أن ينفوا التهمة عن الإسلام فقالوا إن الإسلام لا يستخدم السيف إلا للدفاع فحسب.

وقد غاب عن أذهانهم الفرق بين أهداف الجهاد في الإسلام وأهداف الحروب الأخرى التي يعرفها الناس في جاهلياتهم والتي عرفتها أوربا في تاريخها كله.

والناظر إلى النصوص يعلم أن الجهاد له أسباب:

١- رد الاعتداء:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[البقرة:١٩٠]

٢- القتال لنصرة الضعفاء من المسلمين الذين يتعرضون لظلم الكفرة:

﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ [النساء:١٧٥]

٣- إن المسلمين قد يبدأون قتال الكفرة إذا رفضوا الإسلام ومنعوا المسلمين من تولي الحكم والسلطان لإقامة شرع الله وتطبيقه في الأرض:

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٩٣]

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾ [آل عمران:١٩١]

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة:٢٩]

ولا شك أن مهمة المسلمين في الحياة هو تعبيد الناس لرب العالمين وإزالة الطاغوت الذي يضع الحواجز بين الناس وبين الاستماع لهذا الحق الذي جاء به النبي محمدﷺ.

ولذلك يلزمنا أن نتعرف على حكم الجهاد وعلى أهدافه وغاياته.

والمسلم لا ينفك عن الجهاد في سبيل الله أبدًا فهو في جهاد دائم.

- يجاهد نفسه ليحملها على طاعة الله تعالى وعلى بذل المال والنفس في سبيل مرضاة الله تعالى.

- ويجاهد بلسانه وقلمه ليبين معاني الإسلام ويرد على افتراءات المبطلين.

- ويجاهد في جميع أحواله (في الرخاء والشدة) (وفي حالة الضعف والقوة)

وفي حالة الفقر والغنى.

قال الله تعالى ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة:٤١]

❁ أسباب إعلان الجهاد في الإسلام:

١- رد العدوان.

٢- الوقوف في وجه الدعوة الإسلامية.

والمواقف التي تتخذها الدول والشعوب الغير مسلمة من الدعوة الموجهة إليها للدخول في الإسلام أو للدخول في طاعة الدولة الإسلامية هي أربعة مواقف:

أ- قبول الميثاق الإسلامي.

ب- قبول الدخول في ذمة المسلمين.

ج- عقد معاهدة سلام بين الكفار والمسلمين.

د- رفض الإسلام ورفض الخضوع لحكام الإسلام وعند ذلك يشرع إعلان الجهاد.

❁ أما عن أنواع الجهاد:-

فالجهاد نوعان: -

١- **جهاد الابتداء والطلب**- وهو تطلب الكفار في عقر دارهم ودعوتهم إلى الإسلام وقتالهم إذا لم يقبلوا الخضوع لحكم الإسلام

وهذا الجهاد فرض كفاية (فهو فرض على مجموع المسلمين)

❁ دليل الكتاب:

قال الله تعالى ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ

فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:٥]

وقول الله تعالى ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:١٣٦]

وقوله سبحانه ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[التوبة:٤١]

❁ دليل السنة:

قال النبي ﷺ «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله**»[1]

عن سليمان بن بريدة عن أبيه ﵁ قال كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا ثم قال «**اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال) فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنّهم إن فعلوا فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنّهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين فإن أبوا فسلهم الجزية فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك فإنك أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن**

---

(١) البخاري: كتاب الإيمان / باب ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾.

تخفروا ذمة الله وذمة رسوله وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا»[١]

وقال النبي ﷺ «من مات ولم يغزُ ولم يحدث نفسه مات على شعبة من نفاق»[٢]

فهذه النصوص تفرض على المسلمين جهاد الكفار ابتداء.

وقد أجمع علماء الإسلام على أن جهاد الكفار وتطلبهم في عقر دارهم ودعوتهم إلى الإسلام وجهادهم إن لم يقبلوا أو يقبلوا الجزية فريضة محكمة غير منسوخة.

❁ **قال ابن حجر (رحمه الله):**

«إن جنس جهاد الكفار متعين على كل مسلم إما بيده وإما بلسانه وإما بماله وإما بقلبه».

ويشترط لوجوب جهاد الابتداء والطلب على المسلم خمسة شروط هي

١- التكليف ٢- السلامة من الضرر ٣- الحرية

٤- الذكورة ٥- الاستطاعة

٢- جهاد الدفع:

وحكمه فرض عين على المسلمين عمومًا حتى يندفع شر الأعداء وهذا بإجماع المسلمين.

فالهدف الرئيسي للجهاد هو تعبيد الناس لله وحده وإخراجهم من العبودية للعباد إلى العبودية لرب العباد وإزالة الطواغيت كلها من الأرض جميعا وإخلاء العالم من الفساد.

---

(١) مسلم: كتاب الجهاد والسير / باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث.

(٢) مسلم: كتاب الإمارة / باب ذم من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو.

فهدف الجهاد الإسلامي الأكبر هو إرجاع البشر إلى الأصل وهو الملة الحنيفية التي تخضعهم لرب العالمين وتجعلهم يستمدون منه سبحانه منهج حياتهم الدنيا ويعبدونه كما أمر ولا يعبدون أحدا غيره.

وهذا الخضوع لله هو الذي يحقق لهم السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة قال الله تعالى

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:١٩٣]

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[الأنفال:٣٩]

قال ابن عباس رضي الله عنهما: فتنة – شرك.

ويكون الدين كله لله – أي يخلص له التوحيد.

وقال النبي ﷺ **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله»** الحديث[1].

وكان هذا الهدف حاضرًا في حس الصحابة رضوان الله عليهم أثناء معاركهم مع أعداء الله.

فعن جبير بن حية قال فندبنا عمر واستعمل علينا النعمان بن مقرن حتى إذا كنا بأرض العدو خرج علينا عامل كسرى في أربعين ألفا فقام ترجمان فقال ليكلمني رجل منكم فقال المغيرة سل عما شئت قال ما أنتم قال نحن أناس من العرب كنا في شقاء شديد وبلاء شديد نمص الجلد والنوى من الجوع ونلبس الوبر والشعر ونعبد الشجر والحجر فبينا نحن كذلك إذ بعث رب السموات ورب الأرضين تعالى ذكره وجلت عظمته إلينا نبيا من أنفسنا نعرف أباه وأمه فأمرنا نبينا

(١) البخاري: كتاب الإيمان / باب ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾.

رسول ربنا ﷺ أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده أو تؤدوا الجزية وأخبرنا نبينا ﷺ عن رسالة ربنا أنه من قتل منا صار إلى الجنة في نعيم لم ير مثلها قط ومن بقى منا ملك رقابكم»[١]

❁ فهدف الجهاد الرئيسي:

إعلاء كلمة الله (وهي الإسلام - وإقامة سلطان الله في الأرض وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وإخلاء العالم من الفساد الأكبر الذي هو الشرك وما ينتج عنه وإزالة الطواغيت الذين يحولون بين الناس وبين الإسلام ويعبدونهم لغير الله.

❁ أما أهداف فرعية للجهاد:

١- رد اعتداء المعتدين على المسلمين

قال الله تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة:١٩]

وقال سبحانه ﴿أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:١٣]

٢- إزالة الفتنة عن الناس حتى يستمعوا إلى دلائل التوحيد من غير عائق وحتى يروا نظام الإسلام مطبقًا ليعرفوا ما فيه من عدل وإصلاح للبشر وما فيه من سمو في شتى المجالات.

❁ والفتنة ثلاثة أنواع:

أ- ما يمارسه الكفار من أشكال التعذيب والتضييق على المسلمين ليرتدوا عن دينهم وقد ندب الله المسلمين للجهاد لإنقاذ المستضعفين

قال الله تعالى ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا

---

(١) البخاري: كتاب كتاب الجزية والموادعة / باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب.

من لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء:٧٥]

ب- وهو الأوضاع والأنظمة الشركية وما ينتج عنها من فساد في شتى مجالات الحياة فإن هذه من شأنها أنَّها تفتن المسلم عن دينه.

جـ- فتنة الكفار أنفسهم وصدهم عن استماع الحق وقبوله وذلك أن الأنظمة والحكومات الشركية تقيم حاجزا بين الناس واستماع الحق أو قبوله بتخريبها لفطر الناس بما تشرعه لهم من مناهج في شتى مجالات الحياة.

٣- حماية الدولة الإسلامية من شر الكفار:

ومن ذلك أمر النبي ﷺ بقتل كعب بن الأشرف اليهودي وسلام بن أبي حقيق اليهودي فإنهما كانا مصدر خطر على الدولة الإسلامية فأرسل النبي ﷺ من يقتلهما .

ومن ذلك حض النبي ﷺ على الرباط وحراسة المسلمين.

والأحاديث في فضل الرباط كثيرة[1].

٤- قتل الكافرين وإبادتهم ومحقهم- فإذا لم يسلم الكافر أو يخضع للحكم الإسلامي فلابد من استئصاله حتى لا يفسد المجتمع الذي يوجد فيه.

قال سبحانه ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة:١٩١]

٥- إرهاب الكفار وإخزاؤهم وإذلالهم وإيهان كيدهم وإغاظتهم:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال:٥٩]

---

(١) البخاري: كتاب الجهاد والسير / باب فضل رباط يوم في سبيل الله.

﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٤-١٥]

وللجهاد أهداف سامية ومصالح كريمة وفوائد عظيمة تتحقق للمسلمين في ذوات أنفسهم إذا مارسوا الجهاد منها على سبيل المثال:

١- كشف المنافقين.

٢- تمحيص المؤمنين من ذنوبهم.

٣- تربية المؤمنين على الصبر والثبات والطاعة وبذل النفس وغير ذلك من الفوائد التربوية.

٤- الحصول على الغنائم والسبي.

* * *

السؤال التسعون

قال النبي ﷺ «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»

فهذا هو المفهوم الحقيقي للجهاد الإسلامي فإن كان الجهاد تحت أي راية أخرى غير راية الإسلام فهو ليس بجهاد ولقد سعى الكفار إلى صرف وتحويل وجهة المسلمين في قتالهم تحت راية الإسلام إلى رايات أخرى لا تمت للإسلام بصلة.

بين ذلك؟

الجواب

لقد استطاع الكفار وتمكنوا من التأثير على المسلمين بعدما تاهوا كنتيجة لتخليهم عن شرعهم وعن مبادئ هذا الدين الحنيف.

واستطاعوا بث دعاوى باطلة خبيثة ورفع رايات وجهوا المسلمين أن يقاتلوا تحتها وبذلك استطاعوا تفريغ الجهاد الإسلامي من محتواه.

فكانت الدعوة إلى

- القومية.
- الوطنية.
- الإنسانية.
- زمالة الأديان.
- السلام العالمي والتعايش السلمي.

۞ الدعوة إلى القومية:

وهي دعوة هدامة خبيثة تفرغ الجهاد الإسلامي من محتواه وذلك لأنه من المتفق عليه بين الأمة الإسلامية أن القتال لا يكون جهادا إلا إذا كان لإعلاء كلمة

الله وكأن تحت راية الإسلام.

قال النبي ﷺ «**من قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتلة جاهلية**» [١]

وقال ﷺ «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»[٢]

فعمل الكفار أن ينصبوا لأبناء المسلمين رايات يتكتلون تحتها بدلا من الراية الإسلامية وكان من تلك الرايات راية القومية العربية فأصبح من تأثر بالكفار من أبناء المسلمين يوالون لأجلها ويعادون لأجلها ويقاتلون لأجلها ويسالمون لأجلها في حين أنهم لا يوالون لأجل الإسلام ولا يعادون لأجله ولا يقاتلون لأجله وبهذا العمل الخبيث استطاعوا صرف المفهوم الحقيقي للجهاد الإسلامي عن وجهته في أذهان أبناء المسلمين بل صرف كثير من أبناء المسلمين عن دينهم بأكمله.

۞ الدعوة إلى الوطنية:

وهي شقيقة الدعوة إلى القومية.

والوطنية هي تقديس الوطن بحيث يصير الحب فيه والبغض لأجله والقتال لأجله وإنفاق الأموال من أجله حتى يطغى على الدين وحتى تحل الرابطة الوطنية محل الرابطة الدينية.

فالوطنيون يحبون أبناء وطنهم وإن كانوا على غير ملتهم أكثر من محبتهم لمن كانوا على ملتهم إذا لم يكونوا في وطنهم بل قد يصل الأمر بالوطنيين إلى اجتماعهم على محاربة المسلمين مع الكفار لأن الكفار من أبناء وطنهم.

۞ الدعوة إلى الإنسانية:

وهي الدعوة التي رفعت شعار (الحرية والمساواة والإخاء) وهذه المبادئ التي

---

(١) مسلم: كتاب الإمارة / وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن.

(٢) البخاري: كتاب الجهاد والسير / باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا.

تبنتها الشعوب الغربية على أساس أنها أم المبادئ التحررية في العالم ولقد نجح اليهود في صرف المسلمين عن عقيدتهم التي تأمرهم بمحبة المؤمن وموالاته ومناصرته وبغض الكافر ومعاداته وسخروا ما يملكون من وسائل لتحقيق هذا الهدف.

وهذه الدعوة إلى الإنسانية هو نبذ الدين وعدم جواز مقاتلة الإنسان لأخيه الإنسان مهما كان اعتقاده.

فالدعوة إلى أن يعيش الإنسان مع أخيه الإنسان ويحبه ويمد يده إليه ولا يحاربه لأجل عقيدته دعوة ماسونية تهدف إلى إسقاط الجهاد وإسقاط عقيدة حب المؤمنين وبغض الكافرين.

❁ الدعوة إلى زمالة الأديان:

وقد تسمى الدعوى إلى التقريب بين الأديان وهي في جوهرها وهدفها في الحقيقة هو أن يكسب اليهود والنصارى في هذا العصر اعترافًا من المسلمين بصحة دينهم- ولا شك في هذه الدعوة تخدير مشاعر المسلمين تجاه اليهود والنصارى فلا يسشعر المسلم وجوب جهادهم حتى يخضعهم للإسلام أو يدفعون الجزية عن يد وهم صاغرون لحكم الإسلام ولا يستشعر المسلم وجوب عداوتهم في الله لأنهم كفار بل أن بعض المسلمين يظنون أن اليهود والنصارى ناجون من النار يوم القيامة لأنهم أتباع دين سماوي بزعمهم.

وحجب عن أصحاب هذه الدعوة قول النبي ﷺ **«والذي نفس محمد بيده لا يسَمع بِي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصرانِي ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»** [١]

(١) مسلم: كتاب الإيمان / باب وجوب برسالة نبينا محمد د.

❁ يقول جمال الدين الأفغاني من أصحاب المدرسة العقلية الحديثة:

«وجدت بعد كل بحث وتنقيب وإمعان أن أديان التوحيد الثلاثة على تمام الاتفاق في المبدأ والغاية وإذا نقص في واحد منها شيء من أوامر الخير المطلق استكمله الثاني وعلى هذا لاح لي بارق أمل كبير أن تتحد أهل الأديان الثلاثة مثلما اتحدت الأديان في جوهرها وأصلها وغايتها وأنه بهذا الاتحاد يكون البشر قد خطا نحو السلام خطوة كبيرة في هذه الحياة القصيرة.

فهذه الدعوة دعوة خبيثة وأثر من آثار الاستشراق والاستعمار وهي جزء من الحملة المسعورة على العقيدة الإسلامية لك تفقد تميزها وصفاءها ونقاءها ولكن الله لأعدائه بالمرصاد وسوف يأتي اليوم الذي يقول فيه الشجر والحجر يا مسلم يا عبد الله ورائي يهودي تعالى فاقتله وعندئذ لا تنفعهم جمعيات الصداقة ولا جمعيات التقريب والزمالة بين الأديان

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ [الأنفال:٣٦]

❁ الدعوة إلى السلام العالمي والتعايش السلمي:

وهذه دعوة تنشر استجابة لمبادئ هيئة الأمم المتحدة لا استجابة لمبادئ الإسلام وقام بعض من يؤمن بهذا الشعار ليبين أن الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم هو السلام وأنَّهم لا يحاربون الكفار إلا إذا اعتدوا عليهم.

ولذا قال بعضهم: «السلام العالمي معناه نبذ الخصومات بين الشعوب والجماعات وقيام العلاقات بينها على أساس من الاستقرار والطمأنينة.

فالسلام العالمي هو توجيه نشاط الشعوب والجماعات نحو حياة إنسانية أفضل وأهدأ وتوجيهها إلى البناء بدلاً من الهدم لصالح الجماعة العامة وهي الإنسانية.

ويقول أيضًا: وهنا نرى الإسلام يقرر مبدأ عدم الاعتداء ثم مع إقرار هذا

المبدأ يسعى لتحقيق خطوة أخرى بعده و هي العمل لصيانة السلم وإدامته.

والإسلام لا يحمل على الإيمان بعقيدته ولا يكره الناس عليها»

ونسي هذا الكاتب أن الجهاد قد شرعه الله تعالى ابتداء ودفعًا لإعلاء كلمة الله وإخضاع الكفار لحكم الإسلام وإذلال من تقبل منه الجزية بدفعها وهو صاغر.

فالإسلام لا يقر السلام الذي يزعمه أولئك وهو أن تبقى كل دولة تمارس الكفر على شعبها وتشرع لهم من عند نفسها وهي مرفوعة الرأس لم تذل بجزية ولا قتال ويعترف لها بحق المصير وأن تطبق ما شاءت من كفر وزندقة وإلحاد على خلق الله.

إن الإسلام من هذا براء وحكم الإسلام في الكفار واضح وهو تخيير الدولة الكافرة بين الإسلام أو دفع الجزية وهي صاغرة أو القتال إلا إذا عجز المسلمون عن جهادهم فهذه ضرورة واستثناء وليست أصلاً في الإسلام ويجب على المسلمين أن يعدوا العدة حتى يصلوا إلى الحال التي تمكنهم من ممارسة الجهاد كما أراد الله أما أن يجعل حال الضرورة هو الأصل في الإسلام فهذا هو التحريف لدين الله تعالى.

* * *



٨- نظام الجريمة والعقاب

(٩١- ١٠٠)

٨- نظام الجريمة والعقوبة

السؤال الواحد والتسعون

هل يكتفي إطلاق لفظ الجريمة على الفعل الذي قام به الإنسان ليثبت له وصف الجريمة.

بين ذلك مع بيان أساس اعتبار الفعل أو الترك جريمة؟

الجواب

۞ أساس اعتبار الفعل أو الترك جريمة:

هو ما فيه من ضرر محقق للفرد وللجماعة، فكان من رحمة الله تعالى بعباده أن بين لهم ما يفعلون وما يتركون لحفظ مصالحهم وتحقيق الخير والسعادة لهم في دنياهم وآخرتهم.

واستقراء نصوص الشريعة الإسلامية يدل دلالة قاطعة على أن ما حرمه الإسلام من فعل وترك وعاقب عليه يشتمل على أضرار محققة بالفرد والمجتمع. وتظهر هذه الأضرار بالمساس بالدين أو بالعقل أو بالنفس أو بالعرض أو بالمال، وما يترتب على ذلك من فساد وإخلال في المجتمع.

۞ الأركان العامة للجريمة:

- أن يكون هناك نص يحظر الجريمة ويعاقب عليها وهو ما نسميه اليوم في اصطلاحنا القانوني بالركن الشرعي للجريمة.

- إتيان العمل المكون للجريمة سواء كان فعلا أو امتناعا وهذا ما نسميه في اصطلاحنا القانوني بالركن المادي للجريمة.

- أن يكون الجاني مكلفًا أي مسئولاً عن الجريمة وهذا ما نسيمه اليوم بالركن

الأدبي.

❁ الجريمة:

تعريف الجريمة - هي محظورات شرعية زجر الله عنها بحد أو تعزير.

والمحظورات إما إتيان فعل ما نهى عنه أو ترك فعل مأمور به ووصفت هذه المحظورات بأنها شرعية إشارة إلى أنه يجب في الجريمة أن تحظرها الشريعة.

فالجريمة إذن هي إتيان فعل محرم معاقب على فعله أو ترك فعل محرم الترك معاقب على تركه أو هي فعل أو ترك نصت الشريعة على تحريمه والعقاب عليه.

فالفعل أو الترك لا يعتبر جريمة إلا إذا تقررت عليه عقوبة فإن لم تكن على الفعل أو الترك عقوبة فليس بجريمة.

❁ **علة التحريم والعقاب:**

الشريعة الإسلامية اعتبرت بعض الأفعال جرائم وعاقبت عليها لحفظ مصالح الجماعة ولصيانة النظام الذي تقوم عليه الجماعة ولضمان بقاء الجماعة قوية ومتضامنة متخلقة بالأخلاق الفاضلة.



السؤال الثاني والتسعون

ما هي أنواع الجرائم من حيث تقسيم الشرع لها وما هي العقوبات المقابلة لكل جريمة من هذه الجرائم؟

الجواب

العقوبة هي الجزاء المقرر لمصلحة الجماعة على عصيان أمر الشارع.

والعقوبات في الشريعة ثلاثة أنواع:

- الحدود.
- القصاص والديات.
- التعزير.

وجرائم الحدود التي ثبت فيها هذا النوع من العقوبات هي:

- الزنى - الحرابة - القذف - الردة
- شرب الخمر - البغي - السرقة.

١- عقوبة الزنا:

وهو كل وطئ وقع على غير نكاح ولا شبهة نكاح ولا ملك يمين وعقوبته الجلد أو الرجم.

- أما الجلد ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:٢]

أما الرجم فمعناه رجم الزاني بالحجارة حتى الموت. ولا يجب الرجم إلا على المحصن بإجماع العلماء . ومن شروط الإحصان أن يكون الزاني قد وطئ وطء

كاملاً في نكاح تام.

٢- عقوبة القذف:

وهو الاتهام بالزنا (أي نسبة الشخص إلى الزنا بلا إثبات وبينة أو إقرار من المقذوف).

وعقوبته جلد ثمانون جلدة

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور:٤]

أما إذا قذف الزوج زوجته بالزنى وعجز عن إثبات قذفه وجب عليه اللعان

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦) وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧) وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٨) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [النور-٦-٩]

٣- عقوبة شرب الخمر:

وحد الشرب ثابت بسنة النبي ﷺ وإجماع المسلمين وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه ضرب في شرب الخمر بالجريد والنعال أربعين وضرب أبو بكر رضي الله عنه أربعين - وضرب عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته ثمانين.

وتحريم الخمر ثابت في القرآن الكريم كما هو ثابت بالسنة النبوية.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة:٩٠]

٤- عقوبة السرقة:

والسرقة هي اعتداء على مال الغير بأخذه خفية ظلمًا بشروط معينة وأن يكون محرزًا ولا تقل قيمته عن ربع دينار.

وعقوبتها قطع اليد ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة:٣٨]

٥- عقوبة قطع الطريق (الحرابة):

وهي الخروج على المارة لأخذ المال منهم مجاهرة بالقوة والقهر مما يؤدي إلى امتناع الناس عن المرور وانقطاع الطريق وعقوبتها كما قال الله تعالى:

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلاَفٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:٣٣]

٦- عقوبة المرتد:

وهو الراجع عن دين إسلام.

قال النبي ﷺ **«من بدل دينه فاقتلوه»**[١].

۞ أنواع الجرائم:

١- الجرائم من حيث جسامة العقوبة تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

- جرائم الحدود.
- جرائم القصاص والدية.
- جرائم التعازير.

٢- الجرائم من حيث قصد الجاني:

- جرائم مقصودة (العمد).
- جرائم غير مقصودة (غير العمد).

---

١) أبو داود: كتاب الحدود / الحكم فيمن ارتد.

❁ التقسيم المبني على جسامة العقوبة:

١- جرائم الحدود وهي الجرائم المعاقب عليها بحد:

والحد هو العقوبة المقدرة حقا لله تعالى.

ومعنى عقوبة مقدرة أنها محددة معينة فليس لها حد أدنى ولا حد أعلى ومعنى أنها حق لله أنها لا تقبل الإسقاط لا من الأفراد ولا من الجماعة.

وجرائم الحدود معينة ومحددة وهي سبعة جرائم

الزنا – القذف – الشرب – السرقة – الحرابة – الردة – البغي.

٢- جرائم القصاص والدية وهي الجرائم التي يعاقب عليها بقصاص أو دية:

وكل من القصاص والدية عقوبة مقدرة حقا للأفراد

ومعناه أنَّها حق الأفراد أن للمجنى عليه أن يعفو عنها إذا شاء فإذا عفا أسقط العفو العقوبة المعفو عنها.

❁ وجرائم القصاص والدية خمس:

القتل العمد- القتل شبه العمد- القتل الخطأ- الجناية على ما دون النفس عمدًا- الجناية على ما دون النفس خطأ.

ومعنى الجناية على ما دون النفس الاعتداء الذي لا يؤدي للموت كالجرح والضرب.

٣- جرائم التعزير وهي الجرائم التي يعاقب عليها بعقوبة أو أكثر من عقوبات التعزير:

ومعنى التعزير التأديب.

وجرائم التعزير غير محدودة وليس في الإمكان تحديدها- وهذه العقوبة تحدد عن طريق اجتهاد الحاكم بما يراه مناسبًا لهذه الجريمة.

❁ **أهمية التقسيم**- تظهر أهمية التقسيم من حيث

العفو- حيث إن جرائم الحدود لا يجوز فيها العفو مطلقا سواء من المجني عليه أو ولي الأمر لأنها حق لله لا يجوز التنازل عنها.

أما جرائم القصاص والدية فجاز العفو من المجني عليه.

في جرائم التعزير لولي الأمر حق العفو عن الجريمة وحق العفو عن العقوبة.



السؤال الثالث والتسعون

ما الفرق بين العقوبة التي تقرر عن طريق القوانين الوضعية والتي تقرر عن طريق القوانين الإلهية؟

الجواب

الجزاء في الشريعة الإسلامية أخروي ودنيوي- أما العقاب في القوانين الوضعية فإنها عقوبة دنيوية وبالتالي نجد أن المجرم يتفنن في أساليب التهرب من العقوبة التي تفرضها هذه القوانين الوضعية لأنها إذا تفلت منها لا يلزم بشيء.

وهذا بخلاف الجزاء في الشريعة الإسلامية فإنه يعلم يقينا أنه لو تفلت من العقوبة الدنيوية فإنه يعلم أن الجزاء الأخروي ينتظره وهو بمثابة أكبر رادع لعدم ارتكاب الجريمة.

۞ والاختلافات الأساسية بين الشريعة والقانون:

– إن القانون من صنع البشر أما الشريعة فمن عند الله.

– القانون عبارة عن قواعد مؤقتة تضعها الجماعة لتنظيم شئونها وسد حاجاتها فهي قواعد مؤقتة تتفق مع حال الجماعة المؤقتة وتستوجب التغير كلما تغيرت حال الجماعة.

أما الشريعة فقواعد وضعها الله تعالى على سبيل الدوام لتنظيم شئون الجماعة ولكن قواعدها دائمة لا تقبل التغيير والتبديل.

– إن الجماعة هي التي تضع القانون وتكونه بعاداتها وتقاليدها وتاريخها فالأصل في القانون أنه يوضع لتنظيم شئون الجماعة ولا يوضع لتوجيه الجماعة وبالتالي كان القانون من صنع الجماعة ولم تكن الجماعة من صنع القانون.

أما الشريعة الإسلامية فإنها ليست من صنع الجماعة وأنها لم تكن نتيجة لتطور الجماعة وتفاعلها كما هو الحال في القانون الوضعي وإنما هي من صنع الله الذي أتقن كل شيء خلقه.

والجماعة هي من صنع الشريعة إذ الأصل في الشريعة أنها لم توضع لتنظيم شئون الجماعة فقط كما كان الغرض من القانون الوضعي وإنما المقصود من الشريعة قبل كل شيء هو خلق الأفراد الصالحين والجماعة الصالحة وإيجاد الدولة المثالية والعالم المثالي.



السؤال الرابع والتسعون

قال الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء:٦٠]

فيلزم كل من نطق بالشهادتين أن يتحاكم إلى كتاب الله تعالى وإلى سنة رسوله ﷺ ويلزمه عدم التحاكم إلى القوانين الوضعية لأنَّها باطلة.

دلل على بطلان التشريعات الوضعية المخالفة للشريعة؟

الجواب

١- أمر الله تعالى باتباع الشريعة ونهى سبحانه عن اتباع ما يخالفها:

قال سبحانه ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص:٥٠]

وقال سبحانه ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٣]

وقال سبحانه ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية:١٨-١٩]

فنصوص القرآن قاطعة في تحريم كل ما يخالف نصوص الشريعة ونهت عن العمل بغير الشريعة واعتبرت العامل بغير الشريعة متبعًا هواه منقادًا إلى الضلال متخذا لنفسه أولياء من دون الله.

٢- الأمر من الله بالكفر بكل حكم غير حكمه سبحانه والتحذير من الرضا بغير حكم الله تعالى:

قال سبحانه ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن

قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء:٦٠-٦١]

فمن يتحاكم إلى غير ما أنزل الله تعالى وما جاء به الرسول ﷺ فقد حكَّم الطاغوت وتحاكم إليه.

فمن آمن بالله ليس له أن يؤمن بغيره ولا أن يقبل حكمًا غير حكمه.

٣-إن الله لم يجعل لمؤمن ولا مؤمنة أن يختار لنفسه أو يرضى لها غير ما اختاره الله ورسوله:

قال سبحانه ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦]

٤- وجوب الحكم بما أنزل الله تعالى:

ولقد نفى الله الإيمان عمن لا يرضى بحكم الله تعالى

﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥]

فكان وجوبا على المسلم أن ينقاد لحكم الله تعالى ولا يحكم ولا يتحاكم إلا إلى شرع الله تعالى

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة:٤٤].

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة:٤٥].

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة:٤٧].

٥- سلطة الهيئة الحاكمة مقيدة:

فليس لها حق تشريع قوانين تخالف نصوص الشريعة ويحرم على المسلم أن يتبع هذه القوانين المخالفة للشريعة أو يطبقها أو يحكم بها أو ينفذها بل تظل محرمة

تحريمًا قاطعًا على كل مسلم ومسلمة.

قال تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء:٥٩]

فأمر الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله ﷺ طاعة مطلقة أما طاعة أولي الأمر فإنها مقيدة بطاعته لله ورسوله.

ولقد بينت الشريعة حدود الطاعة لأولي الأمر ونهت عن طاعتهم بما يخالف ما أنزل الله تعالى قال النبي ﷺ **«لا طاعة لمخلوق في معصية الله»**(١) .

وقال أيضًا ﷺ **«إنما الطاعة في المعروف»**(٢) .

وقال أيضًا ﷺ **«من أمركم منهم بمعصية فلا سمع ولا طاعة»**(٣) .

فأولوا الأمر ليس لهم حق التشريع المطلق ولكن حقهم في التشريع قاصر على نوعين من التشريع :

١- تشريعات تنفيذية يقصد بها ضمان تنفيذ نصوص الشريعة الإسلامية.

٢- تشريعات تنظيمية لتنظيم الجماعة وحمايتها وسد حاجاتها على أساس مبادئ الشريعة العامة.

وهذه التشريعات لا تكون إلا فيما سكتت عنه الشريعة فلم تأت بنصوص خاصة فيه ولا يمكن أن تكون فيما نصت عليه الشريعة.

ويشترط في هذه التشريعات قبل كل شيء أن تكون متفقة مع مبادئ الشريعة العامة وروحها التشريعية.

فهي تشريعات توضع بقصد تنفيذ مبادئ الشريعة العامة.

(١-٣) مسلم: كتاب الإمارة / وجوب طاعة الأمراء في غير معصية.

السؤال الخامس والتسعون

تَهتم الشريعة بطهارة المجتمع وإزالة مفاسده لذا ألزمت أفراده بإزالة المنكر لأن المجتمع الطاهر النظيف يساعد على منع الإجرام وقمع المجرمين ويقوى جوانب الخير في النفوس ويسد منافذ الشر على النفوس الضعيفة فكان لابد من إنزال العقوبة الدنيوية على مرتكب الجريمة زجرًا له من العودة إليها وردعًا للآخرين الذين قد تسول لهم نفوسهم الضعيفة ارتكاب الجرائم لكي يستقر المجتمع وتشيع فيه الطمأنينة بل العقوبة الدنيوية على مرتكب الجريمة هي من مظاهر رحمة الله تعالى بين ذلك؟

الجواب

❁ تشريع العقاب من رحمة الله بعباده:

وتشريع العقاب الدنيوي في الشريعة الإسلامية من مظاهر رحمة الله بعباده، لأنه يزجر الإنسان عن ارتكاب الجريمة فيتخلص من الإثم. وإذا وقع في الجريمة، فإن العقوبة في حقه بمنزلة الكي بالنسبة للمريض المحتاج إليه، وبمنزلة قطع العضو المتآكل، فإن بهذا القطع وذلك الكي مصلحة له وإبقاء لحياته، وإيقافًا للمرض من السراية وإهلاك الجسم كله، كما أن في هذا العقاب للمجرم مصلحة مؤكدة للمجتمع كما أشرنا من قبل لما يترتب عليه من اطمئنان الناس على حياتهم وأموالهم وإخافة للمجرمين، وهذه المصلحة العامة يهون معها الضرر الذي يصيب المجرم بسبب ما جنت يداه.



السؤال السادس والتسعون

الحاكم نائب عن الأمة في تنفيذ أحكام الله تعالى وهو أحد أفراد الأمة الذين تطبق عليهم الأحكام فلا يسوغ للحاكم أن يخرج عن هذه القيود والأحكام وليس له الحق في تعطيل هذه الأحكام أو المجاملة في عدم إنزال هذه العقوبات الشرعية على مرتكب الجريمة مهما كان مركزه في المجتمع. بين ذلك؟

الجواب

❁ الحزم في إقامة العقوبات الشرعية:

والعقوبات الشرعية واجبة التطبيق والتنفيذ، لا يسع ولي الأمر التهاون فيها أو تعطيلها لأنها من شرع الله، وإن تعطيلها يؤدي إلى سخط الله تعالى كما يؤدي إلى فساد المجتمع واضطراب أحواله وسوء أوضاعه، لأن تعطيل حدود الله من المعاصي الكبيرة القبيحة، وظهور المعاصي من أسباب نقص الرزق، والخوف من العدو، وضنك العيش. فإذا أقيمت الحدود الشرعية ظهرت طاعة الله ونقصت معصيته، وحصل الخير والنصر، فينبغي أن يكون ولاة الأمور أشداء في إقامة حدود الله لا تأخذهم رأفة في دين الله، وأن يكون قصدهم من إقامتها رحمة الخلق بكف الناس عن المنكرات لإشفاء غيظ نفوسهم وليس لإرادة العلو والفساد، فيكون أحدهم بمنزلة الوالد إذا أدب ولده، يؤدبه رحمة به وإصلاحا لحاله، مع أنه يود ويؤثر أن لا يحوجه إلى التأديب، وبمنزلة الطبيب الذي يسقي المريض الدواء الكريه.

❁ المساواة في إقامة العقوبات الشرعية وحرمة تعطيلها:

والعقوبات الشرعية تقام على جميع من قامت فيهم أسبابها وشروطها، لا فرق بين شريف ووضيع، وقوي وضعيف، فإن المحاباة في إنزال العقوبات الشرعية

سبب لهلاك الأمم.

لا تجوز الشفاعة السيئة لإسقاط الحدود الشرعية لا يجوز لولي الأمر أن يأخذ من المجرم مالا لتعطيل الحد الشرعي سواء كان هذا المال لبيت المال أو لغيره، لأنه مال خبيث وسحت.

والعقوبات إنما شرعت رحمة من الله تعالى بعباده فهي صادرة عن رحمة الخلق وإرادة الإحسان بهم لذلك ينبغي لمن يعاقب الناس على ذنوبهم أن يقصد بذلك الإحسان إليهم والرحمة لهم كما يقصد الوالد تأديب ولده وكما يقصد الطبيب معالجة المريض.

❁ تقسيم الجرائم:

تنقسم الجرائم إلى قسمين: -

١- القسم الأول:

الجرائم الماسة بكيان المجتمع- ويدخل تحت هذا القسم كل الجرائم التي تمس كيان المجتمع مساسًا شديدًا وهي نوعان لكل منهما حكم مختلف.

النوع الأول : وهو يشمل جرائم الحدود التامة وهي سبع جرائم

- الزنا - الحرابة - القذف - الردة

- الشرب - البغي - السرقة.

ولقد وضعت الشريعة لهذه الجرائم السبع عقوبات مقدرة ليس للقاضي أن ينتقص منها أمر يزيد فيها أو يستبدل بها غيرها فمن ارتكب جريمة منها أصابته العقوبة المقررة لها دون النظر إلى رأي المجني عليه أو إلى شخصية الجاني وليس لولي الأمر أن يعفو عن الجريمة أو العقوبة بأي حال من الأحوال.

وعلة التشديد أن هذه الجرائم من الخطورة بمكان وأن التساهل فيها يؤدي إلى حتمًا إلى تحلل الأخلاق وفساد المجتمع واضطراب نظامه وازدياد الجرائم.

فالتشديد في هذه الجرائم قصد به الإبقاء على الأخلاق وحفظ الأمن والنظام بمعنى أنه قصد به مصلحة الجماعة.

❁ النوع الثاني من الجرائم الماسة بكيان المجتمع ويشمل جرائم القصاص والدية وهي جرائم القتل والجرح سواء كانت عمدا أو خطأ وهي على وجه التحديد:

١- القتل العمد.

٢- القتل شبه العمد.

٣- الخطأ.

٤- الجرح المتعمد.

٥- الجرح الخطأ.

وقد وضعت الشريعة لهذه الجرائم عقوبتين هما: القصاص أو الدية في حالة العمد والدية في حالة الخطأ.

وحرمت على القاضي أن ينقص من هاتين العقوبتين أو يزيد فيهما أو يستبدل بهما غيرهما كما حرمت على ولي الأمر أن يعفو عن الجريمة أو العقوبة.

ولذا فمن ارتكب جريمة من هذه الجرائم أصابته العقوبة المقررة لها دون نظر إلى ظروف الجاني وشخصيته.

ولكن أجازت الشريعة للمجني عليه أو وليه العفو.

فإذا عفا المجنى عليه أو وليه في العمد سقط القصاص وحلت محله الدية إذا كان العفو الدية فإذا كان العفو مجانًا سقطت الدية أيضًا.

وفي جرائم الخطأ يُسقط العفو الدية.

ويترتب على سقوط القصاص في العمد والدية في الخطأ جواز معاقبة الجاني بعقوبة تعزيرية والعقوبات التعزيرية ينظر فيها إلى شخص المجني عليه وظروفه.

فهذه الجرائم القصاص والدية وإن كانت ماسة بكيان المجتمع إلا أنها تمس المجني عليه أكثر مما تمس المجتمع بل إنها لا تمس المجتمع إلا عن طريق مساستها بالمجني عليه لذا كان حق العفو للمجني عليه أو وليه.

٢- القسم الثاني:

الجرائم الأخرى ويشمل هذا القسم كل الجرائم التي لا تدخل تحت القسم الأول أو بمعنى أنه يشمل الجرائم التي تعاقب عليها الشريعة بعقوبات غير مقدرة.

فيدخل تحت هذا القسم كل الجرائم المعاقب عليها بعقوبة تعزيرية وهي ثلاثة أنواع:

أ- جرائم التعزير الأصلية أي كل جريمة ليست من جرائم الحدود ولا القصاص ولا الدية.

ب- جرائم الحدود التي لا يعاقب عليها بعقوبة مقدرة وهي جرائم الحدود غير التامة وجرائم الحدود التي يدرأ فيها الحد.

ج- جرائم القصاص والدية التي يعاقب عليها بعقوبة غير مقدرة وهي الجرائم التي لا قصاص بها ولا دية.

وهذه الجرائم (جرائم القسم الثاني) ليست في خطورة جرائم القسم الأول ولهذا كان لها حكم مختلف.

ففي القسم الأول تقيد الشريعة القاضي بعقوبة معينة مقدرة فليس له اختيار غيرها وليس له أن يزيد فيها أو ينقص منها.

فسلطة القاضي في جرائم الحدود إذا ثبتت الجريمة وجب على القاضي أن يحكم بعقوبتها المقررة لا ينقص منها شيئا ولا يزيد عليها شيئًا وليس له أن يستبدل بالعقوبة المقررة عقوبة أخرى ولا أن يوقف تنفيذ العقوبة.

فسلطة القاضي في جرائم الحدود قاصرة على النطق بالعقوبة المقررة للجريمة.

أما في جرائم القصاص والدية فسلطة القاضي قاصرة على توقيع العقوبة المقررة إذا كانت الجريمة ثابتة قبل الجاني والعفو حق للمجنى عليه فإن عفا عن القصاص فيحكم له بالدية فإن تنازل عنها كان للقاضي أن يحكم بعقوبة تعزير.

أما في القسم الثاني فتترك الشريعة الحرية للقاضي في حالة اختيار العقوبة الملائمة من بين مجموعة من العقوبات كما تترك له تقدير كمية العقوبة اللازمة- وتقدير ظروف الجريمة وظروف المجرم.

فسلطة القاضي واسعة في اختيار نوع العقوبة ومقدراها على حسب ظروف الجريمة والجاني.

❁ ❁ ❁

السؤال السابع والتسعون

«مبنى العقوبات الشرعية على العدل والردع»

تكلم عن ذلك موضحا هذه الأسس التي بنيت عليها العقوبات الشرعية؟ وعن أقسام العقوبة؟.

الجواب

جميع العقوبات الشرعية بنيت على أساسين كبيرين:

١- العدل

٢- الردع

والأساس الأول (العدل) يظهر في أن العقوبة بقدر الجريمة

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] فليس فيها زيادة على ما يستحقه المجرم.

والأساس الثاني (الردع) يظهر في مقدار الألم الذي تحدثه العقوبة في المجرم وما تسببه له من فقدان حريته أو بعض أعضائه حتى يكون ذلك رادعا لكل من تسول له نفسه فعل ما يعاقب عليه.

وإن كانت العقوبة هي الجزاء المقرر لمصلحة الجماعة على عصيان أمر الشارع فالمقصود من فرض العقوبة:

هو إصلاح حال البشر وحمايتهم من المفاسد واستنقاذهم من الجهالة وإرشادهم من الضلالة وكفهم عن المعاصي وبعثهم على الطاعة.

❁ الأصول التي تقوم عليها العقوبات الشرعية:

فالغرض من العقوبة إصلاح الأفراد وحماية الجماعة وصيانة نظامها- لذا

فالعقوبة تقوم على أصول هي :

١- أن تكون العقوبة بحيث تمنع الكافة عن الجريمة قبل وقوعها

٢- إن حد العقوبة هو حاجة الجماعة ومصلحتها فإذا اقتضت مصلحة الجماعة التشديد شددت العقوبة وإذا اقتضت المصلحة (مصلحة الجماعة) التخفيف خففت العقوبة.

فلا يصح أن تزيد العقوبة أو تقل عن حاجة الجماعة.

٣- إذا اقتضت حماية الجماعة من شر المجرم استئصاله من الجماعة أو حبس شره عنها وجب أن تكون العقوبة هي قتل المجرم أو حبسه عن الجماعة حتى يموت ما لم يتب أو ينصلح حاله.

٤- إن كل عقوبة تؤدي لصلاح الأفراد وحماية الجماعة هي عقوبة مشروعة فلا ينبغي الاقتصار على عقوبات معينة دون غيرها.

٥- إن تأديب المجرم ليس معناه الانتقام منه وإنما استصلاحه.

❁ أقسام العقوبات:

تنقسم العقوبة إلى أربعة أقسام :

١- العقوبات الأصلية:

وهي العقوبات المقررة أصلا للجريمة كالقصاص للقتل والرجم للزنا والقطع للسرقة.

٢- العقوبات البدلية:

وهي العقوبات التي تحل محل عقوبة أصلية إذا امتنع تطبيق العقوبة الأصلية لسبب شرعي ومثالها الدية إذا درئ القصاص - والتعزير إذا درئ الحد أو القصاص والعقوبات البدلية هي عقوبات أصلية قبل أن تكون بدلية وإنما تعتبر بدلاً لما هو أشد منها إذا امتنع تطبيق العقوبة الأشد لسبب شرعي.

٣- العقوبات التبعية:

هي العقوبات التي تصيب الجاني بناء على الحكم بالعقوبة الأصلية ودون حاجة للحكم بالعقوبة التبعية ومثلها حرمان القاتل من الميراث ومثلها عدم أهلية القاذف للشهادة.

٤- العقوبات التكميلية:

وهي العقوبات التي تصيب الجاني بناء على الحكم بالعقوبة الأصلية بشرط أن يحكم بالعقوبة التكميلية.

مثل تعليق يد السارق في رقبته بعد قطعها حتى يطلق سراحه فإن تعليق اليد مترتب على القطع ولكنه لا يجوز إلا إذا حكم به.

❁ ❁ ❁

السؤال الثامن والتسعون

تعتبر الشريعة جرائم الحدود وجرائم القصاص والدية ماسة بكيان المجتمع وبالأسس التي يقوم عليها وبالرغم من هذه التسوية فقد أبيح للمجني عليه أو وليه حق العفو عن العقوبة في جرائم القصاص والدية ولم تبح له أن يعفو في جرائم الحدود.

فما هي علة التفرقة بين جرائم الحدود وجرائم القصاص والدية؟

الجواب

علة التفرقة بين جرائم الحدود وجرائم القصاص والدية أن جرائم الحدود يصيب ضررها المباشر الجماعة أكثر مما يصيب الأفراد ، وأن جرائم القصاص والدية مع مساسها بكيان المجتمع يصيب ضررها المباشر الأفراد أكثر مما يصيب الجماعة فالسرقة والحرابة والقذف والشرب والردة والبغي هي في ذاتها تهديد للجماعة واعتداء على أمنها ونظامها أكثر مما هي تهديد واعتداء على الأفراد الذين تقع عليهم ، فالفرد يُسرق منه بعض ماله فلا يحزنه ما سُرق منه بقدر ما يهدده هذا العمل ويخيفه على بقية ماله وبقدر ما يخيف جيرانه ومعارفه وأهل بلده ويهدد أموالهم بخطر السرقة ، ومثل ذلك يقال عن بقية جرائم الحدود فضررها على الجماعة أشد من ضررها على الأفراد أما جرائم القتل والجرح فهي تصيب الأفراد بأكثر مما تصيب الجماعة وتعتبر إلى حد ما جرائم شخصية بمعنى أن مرتكبها لا يقصد الاعتداء على كل شخص يلقاه إنما يقصد الاعتداء على شخص بعينه فإذا لم يستطع الوصول إليه لم يعتد على غيره ، ولهذا لا يهز الاعتداء الجماعة إذا وقع لا يؤثر على أمنها تأثيرًا شديدًا ، أما السارق مثلاً فإنه يطلب المال أنى وجده فإن لم يستطع سرقة شخص بذاته سرق أي شخص آخر ، لأنه يقصد المال وهو في يد كل الأفراد ، وكذلك الزاني فإنه لا يطلب امرأة بعينها إنما يطلب المرأة أيًّا كانت

فإذا تعسرت عليه امرأة بحث عن غيرها .

ولأن جرائم القصاص والدية تمس الفرد أكثر مما تمس الجماعة ترك للمجني عليه وأوليائه أن يختاروا بين القصاص والدية في حالة العمد، وجعلت الدية من حق المجني عليه كتعويض له عما أصابه من الجريمة، وترك له أن يعفو عن القصاص وعن الدية معًا .



السؤال التاسع والتسعون

عند تطبيق الأحكام يراعى القاضي مبدأين شرعيين أساسيين:

١- درء الحدود بالشبهات.

٢- تفضيل الخطأ في العفو على الخطأ في العقوبة.

تكلم عن ذلك مبيناً أنواع الشبهة التي تدرأ بها الحدود وما يترتب على درء الحدود بالشبهات؟

الجواب

عند تطبيق الأحكام يراعى القاضي مبدأين شرعيين أساسيين :

١- درء الحدود بالشبهات.

٢- تفضيل الخطأ في العفو على الخطأ في العقوبة.

١- درء الحدود بالشبهات «المبدأ الأول»:

فهذه قاعدة عامة في الشريعة أن الحدود تدرأ بالشبهات والحدود هى العقوبات المقدرة فيدخل في الحدود العقوبات المقدرة لجرائم الحدود والعقوبات المقدرة لجرائم القصاص والدية أما العقوبات المقررة لجرائم التعزير فلا تعتبر حدًّا لأنها عقوبات غير مقدرة .

والأصل في هذه القاعدة قول النبي ﷺ : **«ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم...»** [1].

والآثار المروية عن النبي ﷺ تؤيد هذه القاعدة من ذلك لما جاء ماعز معترفًا بالزنا للرسول ﷺ **«لعلك قبلت لعلك لمست لعلك غمزت»**[2] كل ذلك يلقنه أن

---

(١) الترمذي: كتاب الحدود/ باب ما جاء في درء الحدود.

(٢) البخاري: كتاب الحدود/ باب هل يقول الإمام للمقر: لعلك لمست أو غمزت؟

يقول نعم بعد إقراره بالزنا .

❁ **تعريف الشبهة:**

هي وجود المبيح صورة مع انعدام حكمه أو حقيقته.

❁ ومن الأمثلة على الشبهة :

١- شبهة الملك في سرقة المال المشترك .

فمن سرق مالاً يشترك فيه مع آخر يدرأ عنه الحد لأن السرقة هي أخذ مال الغير خفية ولأنه لم يأخذ مالاً خالصاً لغيره وإنما أخذه متلبسًا بماله .

٢- شبهة الملك في سرقة الأب من ابنه.

فالأب حين يأخذ خفية مال ولده ينطبق عليه تعريف السرقة ويستحق عقوبة ولكن الحد يدرأ عن الأب لشبهة تملك مال الولد وهذه الشبهة أساسها قول الرسولﷺ **«أنت ومالك لأبيك»**[1].

٣- شبهة الملك في اللواط بالزوجة.

فإتيان الزوجة في دبرها محرم ولكن يدرأ عنه الحد لأن الزواج يجعل الزوجة في ملك الزوج ويعطيه حق التمتع بكل جسدها .

❁ **أنواع الشبهة:**

٤- شبهة في المحل- كوطء الزوجة أو الصائمة أو إتيان الزوجة في دبرها.

فالشبهة هنا قائمة في محل الفعل المحرم- لأن المحل مملوك للزوج ومن حقه أن يباشر الزوجة وإذا لم يكن له أن يباشرها وهي حائض أو صائمة أو يأتيها في دبرها إلا أن ملك المحل للزوج وحقه عليه يورث شبهة وقيام هذه الشبهة تقتضي درء الحد سواء اعتقد الفاعل بحل الفعل أو حرمته لأن أساس الشبهة ليس الاعتقاد

---

(١) ابن ماجه : كتاب التجارات/ باب ما للرجل من مال ولده.

والظن وإنما أساسها محل الفعل وتسلط الفاعل شرعًا عليه.

٥- شبهة في الفاعل- كمن وطأ امرأة زفت إليه على أنها زوجته ثم تبين أنها ليست زوجته فأساس الشبهة ظن الفاعل واعتقاده بحيث يأتي الفعل وهو يظن أنه لا يأتي محرمًا وقيام هذا الظن عند الفاعل يورث شبهة يترتب عليها درء الحد فإذا أتى الفاعل الفعل وهو عالم بأنه محرم فلا شبهة.

٦- شبهة في الجهة ويقصد الاشتباه في حل الفعل وحرمته وأساس هذه الشبهة الاختلاف بين الفقهاء على الفعل.

فمثلا يجيز أبو حنيفة النكاح بلا ولي- ويجيز مالك النكاح بلا شهود

ومن ثم لا يعتبر الوطء في هذه الأنكحة المختلف عليها زنا يحد عليه بل يقوم الخلاف شبهة تدرأ الحد.

۞ ما يترتب على درء الحدود بالشبهات:

- إما تبرئة المتهم من الجريمة المنسوبة إليه فلا حدود ولا عقوبة تعزيرية.

- تبرئة المتهم من الحد وإيقاع العقوبة التعزيرية عليه.

۞ ويبرأ المتهم من الجناية المنسوبة إليه في ثلاث حالات:

- إذا كانت الشبهة قائمة في ركن من أركان الجريمة.

فمتى زفت إليه غير زوجته فأتاها على اعتقاد أنها زوجته لا يعاقب على الزنا بعقوبة الحد ولا بعقوبة تعزيرية وإنما يحكم ببراءته لانعدام القصد الجنائي لديه- والقصد الجنائي ركن من أركان جريمة الزنا.

- أن تكون الشبهة قائمة في انطباق النص المحرم على الفعل المنسوب للمتهم فمن تزوج بلا شهود ولا ولي لا يعاقب حدًّا ولا تعزيرًا باعتباره زانيًا لاختلاف العلماء في هذه الأنكحة- وهذا الاختلاف معناه الشك في انطباق نص الزنا على هذه الأفعال ومن ثم تجب تبرئة المتهم من الجناية المنسوبة إليه.

– أن تكون الشبهة قائمة في ثبوت الجريمة

فإذا شهد شخصان على آخر بأنه شرب خمرًا ثم عدلا عن شهاداتهما ولم يكن هناك دليل آخر درئ الحد لشبهة صدق الشاهدين في عدولهما وبرئ المتهم مما نسب إليه.

وفيما عدا هذه الحالات الثلاث فإن تطبيق القاعدة إذا أدى لدرء الحد فإنه يؤدي في الوقت ذاته إلى استبدال التعزير بالحد أيًا كان مصدر الشبهة.

۞ هل تطبق قاعدة درء الحدود بالشبهات على جرائم التعزير؟

الأصل في القاعدة درء الحدود بالشبهات أنها وضعت لجرائم الحدود ولكن ليس ثمة ما يمنع من تطبيقها على جرائم التعزير لأن القاعدة وضعت لتحقيق العدالة ولضمان صالح المتهمين.

۞ **المبدأ الثاني**– تفضيل الخطأ في العفو: –

فمن المبادئ العامة المقررة في الشريعة أن الخطأ في العفو خير من الخطأ في العقوبة.

معنى هذا المبدأ أنه لا يصح الحكم بالعقوبة إلا بعد التثبت من أن الجاني ارتكب الجريمة– وأن النص المحرم منطبق على الجريمة.

فإذا كان هناك شك من أن الجاني ارتكب الجريمة أو في انطباق النص المحرم على الفعل المنسوب للجاني وجب العفو عن الجاني.

ومبدأ الخطأ في العفو ينطبق على كل أنواع الجرائم فهو ينطبق على جرائم الحدود وجرائم القصاص والدية وجرائم التعزير.

۞ ۞ ۞

السؤال المائة

قال البعض

«إن تطبيق هذه العقوبات على مرتكبيها خاصة عقوبة الحدود هي رجعية على أساس أنها في تطبيقها إهدار لآدمية الشخص وكذا تدخل في حريته الشخصية وكذا مبنى هذه العقوبات على القسوة والوحشية وليست على الرحمة»

وقال البعض

«من الظلم أن نحمل غير الجاني ببعض الإلزامات وهذا يناقض مبدأ قصر المسئولية على من قام فيه سببها» (وهذه في مسألة الدية حيث تتحمل العاقلة)

فما تفنيدك لهذه الاعتراضات الكاذبة والشبهات التي يلقيها أعداء الإسلام بين أبناء الإسلام لإحداث الخلل في عقيدتهم خاصة مع انتشار الجهل بكتاب الله تعالى وبسنة رسوله ﷺ. مبينًا ما تمتاز به العقوبات الشرعية المقررة على جرائم الحدود؟

الجواب

إن المؤمن بالله واليوم الآخر وبدين الإسلام لا يجوز له الاعتراض على شرع الله لأن الاعتراض عليه نوع من الارتداد عن دين الإسلام.

وإن من شروط الإيمان الحكم بما شرعه الله والرضى به.

قال تعالى ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥]

✽ **ما تمتاز به العقوبات المقررة لجرائم الحدود (ثلاث مميزات):**

١- إن هذه العقوبات وضعت لتأديب الجاني وكفه هو وغيره عن الجريمة وليس فيها مجال لوضع شخصية الجاني موضع الاعتبار عند توقيع العقوبة.

٢- إن هذه العقوبات تعتبر ذات حد واحد وذلك لأن القاضي لا يستطيع أن ينقص منها أو يزيد عليها لأنها عقوبات مقدرة ومعينة ولأنها عقوبات لازمة وكذلك لا يستطيع القاضي أن يستبدل بها غيرها.

٣- هذه العقوبات جميعًا وضعت على أساس محاربة الدوافع التي تدعو للجريمة بالدوافع التي تصرف عن الجريمة.

❁ اعتراضات ودفعها:

اعترض أو يعترض البعض على نظام الجريمة والعقوبة في الشريعة الإسلامية باعتراضات يظنها مقبولة، ويخلص منها إلى أن العقوبات الشرعية لا يمكن تطبيقها في الوقت الحاضر أو لا يمكن تطبيق أكثر عقوبات الحدود على الأقل.

ويقوم هذا الاعتراض على أن عقوبات الحدود تتضمن إهدار آدمية الشخص بجلده في الزنى والقذف وشرب الخمر، والتدخل في الحرية الشخصية كما في الزنى وشرب الخمر، وقطع الأعضاء في عقوبة السرقة وقطع الطريق، والرجم في الزنى بالنسبة للمحصن والتدخل في حرية العقيدة وقتل المخالف كما في عقوبة الردة، وإعطاء حق العقاب للفرد لا للمجتمع في عقوبة القصاص، وتحميل أقارب الجاني أو إشراكهم في دفع الدية خلافا لمبدأ شخصية العقاب وعدم مسئولية الإنسان عن جرم غيره.

والواقع إن هذه الاعتراضات واهية وما قامت عليه أوهى منها، وإن اغتر بها أصحابها وحسبوها حججًا قوية وأدلة دامغة تبرر اعتراضهم وتعذرهم في هجر العقوبات الشرعية. فلابد من كشف بطلان هذه الاعتراضات بشيء من التوضيح والتفصيل.

قولهم: إن الجلد فيه إهدار لآدمية الشخص مردود، لأن الجاني هو الذي أهان نفسه ولم يكرمها، وعرضها للإهدار ولم يصنها، فإن الزاني الذي أباح لنفسه أن يلغ في إناء غيره لم يعد ينفعه وعظ وتوبيخ وإنما يحتاج إلى تذكير بالسوط وتحسيسه

بالألم الجسدي لا المعنوي، وأما رجمه إن كان محصنا فلأنه لم يعد صالحا للعيش في المجتمع الإسلامي الطاهر لأنه ولغ في إناء الغير وعنده إناء يكفيه.

وأما الجلد في القذف فإنه السبيل لتبرئة المتهمة بالزنى، ورفع الشكوك عنها، إذ لا سبيل إلى ذلك إلا بإظهار كذب القاذف، بمعاقبته وسر المسألة أن الإسلام يعني بنظافة المجتمع وطهارته وسلامة الأعراض والأخلاق، فإذا كانت هذه الأمور مطلوبة فوسائلها مطلوبة، وهذا ما يقرره الإسلام، وإذا كانت هذه الأمور: من العفة وسلامة العرض والخلق وطهارة المجتمع غير مرغوبة فوسائلها غير مرغوبة، وهذا ما يقرره ضمنا المعترضون على العقوبات الشرعية. فالخلاف إذن في المحافظة على هذه الأغراض، الإسلام يقول لابد من المحافظة عليها ومن ثم أوجب التشدد على من يريد تلويث المجتمع وتفويت هذه الأغراض المهمة الشريفة عليه.

❁ **أما ادعاؤهم بأن هذه العقوبات تتضمن التدخل في الحرية الشخصية كما في** الزنى وشرب الخمر، فمردود، لأن الحرية الشخصية لا يجوز أن تؤدي إلى الإضرار بالمجتمع، فالحرية الشخصية تقف حيث تكون أداة ضرر وهدم في المجتمع، ولا يمكن لمنصف أن يقول إن زنى الزاني نفع للمجتمع، فأضراره أوضح من أن نتكلم عنها في هذا المقام. أما بالنسبة لشرب الخمر، فإن عقل الإنسان جوهرة ثمينة لا يجوز تعطيلها اختيارًا فيكفي الإنسان تعطيل عقله اضطرارًا في النوم، فضلاً عما في شرب الخمر من تسهيل سبل الإجرام للسكران كما هو واضح ومعروف، والدولة مسئولة عن منع الإجرام في إقليمها وسد سبله.

❁ **أما ادعاؤهم بقسوة بعض العقوبات لما فيها من بتر وقطع بعض الأعضاء** فإنهم قد فاتهم مدى ترويع السارق وقاطع الطريق للآمنين، كان عليهم أن يتصوروا فعل السارق وهو يسير في جنح الظلام على رءوس أقدامه فينقب الجدار ويكسر القفل ويدخل على الآمنين في بيوتهم من نساء وأطفال ورجال، وبيده السلاح يزهق روح من يقاومه، فيأخذ المتاع من البيت ويخرج، وربما يستيقظ أهل

الدار فيحصل القتل أو الفزع والهلع. فهم لو تصوروا فظاعة جرم السارق لما أسفوا على قطع يده الآثمة الخبيثة. ومثل هذا يقال عن قطاع الطرق الذين يتربصون بالمارة ويهاجمونهم ويسلبونهم أموالهم وأرواحهم. ثم يقال: إن العقوبة يجب أن يكون فيها قدر كاف من الردع والزجر، ولا شك أن قطع يد السارق أو المحارب فيه هذا المقدار، أما غيرهما من العقوبات الوضيعة كالحبس والغرامات فلا تملك هذا القدر من الردع، ودليل ذلك الواقع فإن جرائم السرقة بازدياد ولم تقللها عقوبة الحبس. بل إن السجن صار نزلاً لأصحاب السوابق يترددون إليه ويعتبرونه مأوى أمينا لهم بل ومحلاً للقائهم وتبادل خبراتهم في عالم السرقة والإجرام.

أما قولهم: إن عقوبة الردة بقتل المرتد تدخل في حرية العقيدة ومصادرة لها وإكراه للإنسان على اعتقاده ما لا يريد، فهذا القول مأخذه الجهل في طبيعة هذه العقوبة، ومعنى الردة، ومعنى الإكراه على تبديل الدين. فالردة كما قلنا الرجوع عن الإسلام، أي أن مسلمًا يرجع عن إسلامه، فنحن إذن إزاء مسلم ارتكب جرما معينا يسمى «الردة» ولسنا أمام رجل يهودي أو نصراني نكرهه على تبديل عقيدته، ومبدأ لا إكراه في الدين مقرر في الشريعة الإسلامية وفي نص القرآن الكريم، ولا يجوز المساس به، بدليل واضح أن الإسلام شرع الجزية، والجزية إقرار لغير المسلم على دينه، فلو كان هناك إكراه على تبديل عقيدة غير المسلم وتحويله بالجبر عن عقيدته لما شرعت الجزية.

❁ أما سبب عقوبة المرتد وجعلها القتل فيرجع إلى أمرين خطيرين:

الأول: أن المسلم بردته أخل بالتزامه، لأن المسلم بإسلامه يكون قد التزم أحكام الإسلام وعقيدته فإذا ارتد كان ذلك منه إخلالاً خطيرًا في أصل التزامه، ومن يخل بالتزامه عمدا يعاقب، وقد تبلغ عقوبته الإعدام، ألا يرى أن من تعاقد مع الدولة في توريد الطعام لأفراد الجيش ثم أخل بالتزامه عمدًا في حالة احتياج الجيش للأرزاق أن جزاءه قد يصل إلى الإعدام؟

الثاني: إن المرتد مع إخلاله بالتزامه يقوم بجريمة أخرى هي الاستهزاء بدين الدولة والاستخفاف بعقيدة سكانها المسلمين، وتجرئ لغيره من المنافقين ليظهروا نفاقهم، وتشكيك لضعاف العقيدة في عقيدتهم، وهذه كلها جرائم خطيرة يستحق معها المرتد استئصال روحه وتخليص الناس من شره.

وإنما قلنا: إن المرتد من يرتكب هذه الأمور، لأنه لا يعرف ارتداده إلا بالتصريح وإلا لو أخفى ردته لما عرف. ومع هذا فقد قلنا: إنه يمهل ثلاثة أيام لإعطائه فرصة للرجوع عن ردته، وهذا الإمهال واجب عند كثير من الفقهاء، فهل يمكن بعد هذا أن يقال: عقوبة الردة قاسية أو أن فيها إكراها على تبديل العقيدة أو أن فيها تدخلاً في حرية العقيدة؟

وأما قولهم: إن العقوبة في جريمة القتل، وهي القصاص، اعتبرت حقا لأولياء القتيل لا للمجتمع مع أن القتل يهم المجتمع ويعتبر اعتداء عليه فيكون العقاب حقه لا حق أولياء القتيل، فهذا القول هزيل وسطحي، فأولا أن للمجتمع حقه في هذه العقوبة، ولهذا إذا عفا أولياء القتيل عن القاتل جاز للقاضي أن يحكم عليه بعقوبة تعزيرية بالسجن أو بالضرب أو بهما. وفي هذا يقول ابن فرحون المالكي: «إذا عفي عن القاتل العمد على الدية فإن على القاتل الدية ويستحب له الكفارة ويضرب مائة ويحبس سنة» لأن حق أولياء القتيل في القصاص هو الغالب أي أغلب من حق المجتمع فيه، ومن ثم كان لهم العفو عنه، كما كان لهم طلبه، وإذا طلبوه لم يسع القاضي أن يعفو عنه بل ولا لرئيس الدولة أن يعفو عن القاتل ما دام أولياء القتيل طلبوا القصاص، لأن القصاص من حقهم أو الغالب فيه حقهم، فلا يمكن لأحد أن يتصرف فيه بغير رضاهم.

أما في القوانين الوضعية فالنظرة تختلف، لأن هذه القوانين تجعل عقوبة القاتل من حق المجتمع لا من حق أهل القتيل، وبالتالي فلا يترتب على عفوهم عنه إسقاط العقوبة، كما أن للمجتمع ممثلاً لرئيس الدولة أو غيره، إن يعفو عن القاتل

ويبدل عقوبة الإعدام بغيرها. والنظرة الفاحصة في جريمة القتل العمد تبين أن ضرر هذه الجريمة يقع أولا وبصورة مباشرة على المجني عليه وأهله، فهم الذين اكتووا بنار هذه الجريمة ولحقهم الأذى والضرر المباشر بفقدهم عزيزهم، وأن ضررهم هذا وألمهم وأذاهم أشد وأكثر بكثير من تضرر المجتمع وأذاه وألمه، فمن الطبيعي والعدل أن يكون حقهم في القصاص من الجاني أغلب من حق المجتمع، ثم إن في تمكينهم من القصاص حسمًا للجريمة وإطفاء لنار الغضب وطلب الثأر في نفوسهم، وفي الحيلولة بينهم وبين ذلك إبقاء لجذور الجريمة فقد يندفع أهل القتيل لقتل الجاني بعد حبسه، كما يحدث هذا كثيرًا، ويقال أيضًا: إن في القصاص من القاتل وإعطاء حق القصاص لأهل القتيل ردعًا مؤثرًا وزجرًا كافيًا لمن تسول له نفسه إزهاق روح البريء لأن الإنسان يحب ذاته ويحرص عليها ويخاف من فواتها، فينزجر عما يؤدي إلى ذلك إذا ما علم أن القصاص من حق أولياء القتيل وإنه لا يمكن للقاضي، ولا رئيس الدولة العفو عنه إذا ما طلب أهل القتيل القصاص منه.

ولهذا كله رأينا أن جرائم القتل قليلة يوم كان نظام القصاص الشرعي هو المطبق السائد في البلاد الإسلامية، وأن جرائم القتل ازدادت ولا تزال في ازدياد عندما نحيت عقوبة القصاص الشرعية، فكيف بعد هذا يمكن لمنصف أن يعترض على عقوبة القصاص الشرعية، والنظر السديد يؤيدها والواقع يشهد بصحتها وبكفايتها للزجر والردع وأثرها في حفظ حياة الناس وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩].

ولابد هنا من الإشارة إلى أن هذا الحجاج والمناقشة إنما يساقان على سبيل التنزل وإسكات المعترض بنفس اعتراضه، وإلا فإن المؤمن بالله وباليوم الآخر وبدين الإسلام لا يجوز له الاعتراض على شرع الله لأن الاعتراض عليه نوع من الارتداد عن دين الإسلام، وأن من شرط الإيمان الحكم بما شرعه الله والرضى به، قال تعالى ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي

أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

❁ **وأما اعتراضهم في الدية وأنّها تحميل لغير الجاني**، وأن هذا يناقض مبدأ قصر المسؤولية على من قام فيه سببها، فالجواب أن مبدأ قصر المسئولية على من قام فيه سببها المستفاد من قوله تعالى ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ مبدأ قائم في الشريعة غير منسوخ ولا معطل، وليس في تشريع الدية مناقضة له أصلا، لأن إيجاب الدية على العاقلة في القتل الخطأ، إنما كان بناء على التعاون والمواساة، لأن المخطئ من حقه أن يعان، وإن أولى من يعينه أهله وأقرباؤه من عصبته الذين يرثونه بعد موته، فمن باب الغنم بالغرم وجب عليهم مواساته والاشتراك معه في الدية.

وفي هذه الاشتراك تسهيل على أهل المجني عليه الظفر بالدية لأن مبلغها كبير وإمكان أدائها من الجاني ضعيف، في حين أن تحميل العاقلة بها سيجعل ما يصيب الواحد منهم مبلغًا يسيرًا يسهل عليه أداؤه فيسهل على أهل القتيل الظفر به كما قلنا. وقد ذهب بعض الفقهاء إلى تعليل آخر في وجوب الدية على العاقلة خلاصته أن عصبة القاتل أخطأوا حيث كان عليهم أن يراقبوه ويوجهوه لئلا يقع في الرعونة والطيش فيقتل غيره خطأ، فإذا لم يفعلوا ذلك كان خطأ منهم وتقصيرًا في واجبهم في مراقبة بعضهم بعضًا فيتحملون جزاء تقصيرهم بتحميلهم الدية مع الجاني.

الخلاصة

والخلاصة أن نظام الجريمة والعقوبة نظام عادل قام على أسس متينة وإحاطة تامة بما يصلح له أمر الناس، وبمراعاة غرائز الناس، مما يؤدي إلى قمع أو تقليل الإجرام فيها، مع عدالة تامة في تقدير العقوبة وجعلها بقدر الجريمة، وفي تطبيق العقوبة على الجميع. وقد رأينا تهافت اعتراضات المعترضين على الحدود والقصاص والديات، أما التعزير فاعتراضهم عليه قليل جدا، بل إن نظام التعزير مما انفردت به الشريعة الإسلامية، وهو أحدث ما ينادى به الوقت الحاضر علماء القانون الجنائي. وإذا علمنا أن نطاق العقوبات التعزيرية أوسع بكثير من نطاق

الحدود والقصاص علمنا مدى متانة القانون الجنائي الإسلامي وامتيازه على ما سواه من القوانين الوضعية، ووفائه بحاجات الناس وقيامه بتوفير الأمن والاطمئنان لهم مما لا يجاريه في ذلك، ولا يقاربه فيه أي قانون وضعي، وهذا من بعض دلائل تنَزل شرعة الإسلام من الله جل جلاله.



وختامًا ...

نقول

فمن يكون للإسلام؟

فهذا ديننا- وهذا هو إسلامنا الذي ينبغي للمسلم أن يكون عزيزًا بهذا الدين عزيزًا أنه ينتسب إلى تلك الملة.

وينبغي للمسلم أن يعمل جاهدًا من أجل هذا الدين ولا يبخل لا بماله ولا بوقته ولا بعمره من أجل نشر هذا الدين والدفاع عنه.

بعدما تخلت الكثرة الكثيرة من المسلمين عن دينهم واتبعوا غير سبيل المؤمنين.

وهذا هو الدين الحاكم- الدين الذي ينبغي أن يسود بل إن سعادة البشرية متوقفة على تطبيق على تطبيقه واعتماده كمنهج حياة.

وحسبك ما قال الله تعالى عن هذا الدين.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾

وفي الختام نقول

﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

❁ ❁ ❁

أهم المراجع

١- محاضرة بين الإسلام والنصرانية — مجموعة علماء
٢- دعوة الإسلام — سيد سابق
٣- دروس مستفادة من القرآن الكريم — الفوزان
٤- فاعلم أنه لا إله إلا الله — صلاح الصاوي
٥- رسائل في العقيدة — محمد بن إبراهيم الحمد
٦- معارج القبول — حافظ حكمي
٧- العقيدة الطحاوية — ابن أبي العز
٨- القواعد المثلى في أسماء الله الحسنى — محمد بن صالح بن عثيمين
٩- منهج الإسلام في تزكية النفس — د. أنس كرزون
١٠- منة الرحمن — ياسر برهامي
١١- دلائل التوحيد انطلاقًا من القرآن والكون — عبد الله بن عبد القادر التَّليدي
١٢- تهذيب مدارج السالكين — عبد المنعم صالح العزي
١٣- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد — عبد الرحمن آل الشيخ
١٤- حقيقة التوحيد والفروق بين الربوبية والألوهية — د. علي بن نفيع العلياني
١٥- رسالة في تعظيم قدر الصلاة — أحمد فريد
١٦- جامع العلوم والحكم — ابن رجب
١٧- الإسلام وحاجة البشرية إليه — د. رفعت فوزي عبد المطلب
١٨- تفسير ابن كثير — ابن كثير
١٩- تفسير أيسر التفاسير — أبو بكر الجزائري
٢٠- الدلائل العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية — د. عبد الكريم نوفان عبيدات
٢١- الحكمة من إرسال الرسل — عبد الرزاق عفيفي

٢٢- الرسل والرسالات عمر سليمان الأشقر
٢٣- مجموع فتاوى ابن تيمية ابن تيمية
٢٤- المدخل إلى علوم القرآن محمد أبو شهبة
٢٥- الرسول القدوة جاد الحق علي جاد الحق (مجلة الأزهر)
٢٦- نظرات في سورة الحجرات د. ناصر العمر
٢٧- حقوق النبي بين الإجلال والإخلال المنتدى الإسلامي
٢٨- التمكين للأمة الإسلامية على ضوء القرآن الكريم
محمد السيد محمد يوسف
٢٩- فقه الزكاة د. يوسف القرضاوي
٣٠- زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم
٣١- مجمع الزوائد الهيثمي
٣٢- الترغيب والترهيب المنذري
٣٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري ابن حجر العسقلاني
٣٤- صحيح مسلم شرح النووي النووي
٣٥- عون المعبود شرح سنن أبي داود العظيم آبادي
٣٦- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي المباركفوري
٣٧- سنن ابن ماجة ابن ماجة
٣٨- فلسفة التربية الإسلامية د. عمر التومي الشيباني
٣٩- الأخلاق الإسلامية عبد الرحمن حنبكة
٤٠- الشباب المسلم في مواجهة التحديات عبد الله ناصح علون
٤١- أهمية الجهاد وأثره في نشر الدعوة الإسلامية عبد الله ناصح علون
٤٢- هذه أخلاقياتنا د. مصطفى السباعي
٤٣- خلق المسلم محمد الغزالي

٤٤- مقاصد المكلفين	د. عمر سليمان الأشقر
٤٥- التربية على منهج أهل السنة والجماعة	أحمد فريد
٤٦- منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع	د. محمد السيد محمد يوسف
٤٧- نحو ثقافة إسلامية أصيلة	د. عمر سليمان الأشقر
٤٨- محاسن الإسلام والرد على أباطيل خصومه	محمد الأمين الشنقيطي
٤٩- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام	محمد الظاهر بن عاشور
٥٠- أصول الدعوة	عبد الكريم زيدان
٥١- الخصائص العامة للإسلام	د. يوسف القرضاوي
٥٢- التشريع الجنائي الإسلامي	عبد القادر عودة
٥٣- خصائص الشريعة الإسلامية	د. عمر سليمان الأشقر
٥٤- المجتمع الإسلامي خصائص وحقائق	محمد عبد الله الخطيب
٥٥- المجتمع المثالي لما تضمنته سورة النساء	محمد محمد المدني
٥٦- القواعد الفقهية الخمس الكبرى	د. إسماعيل حسن علوان
٥٧- ضوابط الاجتهاد والفتوى	د. أحمد لي طه ريان
٥٨- المجموع	النووي
٥٩- الأحكام	القرافي
٦٠- معالم في طريق أصول الفقه	محمد بن حسن الجيزاني
٦١- أعلام الموقعين	ابن القيم
٦٢- الموافقات	الشاطبي
٦٣- روضة الناظر وجنة المناظر	ابن قدامة
٦٤- الفتيا ومناهج الإفتاء	محمد سليمان الأشقر
٦٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	عثمان السبت
٦٦- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	ابن تيمية

٦٧- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ياسر برهامي
٦٨- إحياء علوم الدين الغزالي
٦٩- الإحكام في أصول الأحكام الآمدي
٧٠- الآداب الشرعية ابن مفلح
٧١- السياسة الشرعية ابن تيمية
٧٢- الغياث الجويني
٧٣- الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة
عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي
٧٤- الأحكام السلطانية الماوردي
٧٥- منهاج السنة النبوية ابن تيمية
٧٦- نظام الحكم في الإسلام د. عارف
٧٧- الإنسان والمال في الإسلام عبد النعيم حسنين
٧٨- الاقتصاد الإسلامي د. علي السالوس
٧٩- الحرية الاقتصادية في الإسلام وأثرها في التنمية
د. سعيد أبو الفتوح محمد بسيوني
٨٠- النقود والمصارف د. عوف محمود الكفراوي
٨١- اقتصاديات الزكاة واعتبارات السياسة المالية والنقدية
د. عبد الحميد محمود البعل
٨٢- منهج الإسلام في تحرير النفس البشرية عبد اللطيف محمد بدر
٨٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل

❁ ❁ ❁

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

٢- خصائص الإسلام

٣- أنظمة الإسلام

١- نظام الأخلاق

٢- النظام الاجتماعي

٣- نظام الإفتاء

٤- نظام الحسبة

٥- نظام الحكم

٦- النظام الاقتصادي

٨- نظام الجريمة والعقوبة

